رسائل من ناظم حكمت

ترجمة: واكيم استور

الإشراف الفني: زهير الحمو

رسائل من ناظم حکمت

رسائل من ناظم حكمت

منشــــورات وزارة الثقــافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٥

العنوان الأصلي للكتاب :

Nâzim Hikmet

DE L'ESPOIR
A VOUS FAIRE
PLEURER DE RAGE

Lettres de prison à Kemal Tahir
Traduit du turc par Munevver Andaç
Présentation par Abidine Dino

رسائل من ناظم حكمت = De l'espoir a vous faire pleurer de raye / ترجمة واكيم استور . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ . ـ ٥١١ ص ؛ ٢٤ سم .

١ ـ ٨٩٤٫٣٥ ح ك م ر ٢ ـ العنوان ٣ ـ العنوان الموازي
٤ ـ حكمت ٥ ـ استور

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ١١٢ /٢/١٩٩٥

الاهـــداء

الى صديق العمر

الذي لولاه لما كانت هذه الترجمة ،

الى كبيرنا:

حنــا مينــه

مقــدمة المتـــرجم

كــلا ! ليس باطلا وقبض الريح

ما أقبح العالم اليوم لولا كلمات مضيئة ، هنا وهناك ، منها هــذه الرسائل الرائعة لناظم حكمت ، كتبت من السجن الى صديق آخر في السجن أيضا ، مخترقة أسوار القهر والظلم ، وكأنها صادرة عن عالم آخر كله محبة وسعادة ، تخاطب الناس بأمل وفرح وتفاؤل :

« أما أنا ، في هذا الكون الرائع :
فياله من حظ ، يالها من سعادة
انا نعاس ربيعي مليء بالاحلام المضيئة ،
بالامل المشع كالمياه الجارية ،
وشجاع كحبة القمح »

شجاع وأي شجاع ذلك السجين الذي يشعر أنه يخترق الجمــاد مثل حبة القمح الصغيرة التي تتجه الى النور رغم كل الحواجز ، في حين أن احرارنا ، هذه الايام ، يمضغون اليأس والهزيمة ، كالجنود المهزومين، ظهورهم الى الجبهة ، ورؤوسهم مطأطئة ، وكلمات خجولة من الاعتذار وطلب الغفران ..

لكن هاهو صوت قادم من السجن يذكرنا بأن الظلم كان في الامس أيضا ، وبأن الكفاح كان في الأمس أيضا ، وأنه هكذا أصبح العالم أفضل، وهكذا ايضا وفقط سيصبح أفضل وأفضل . لقد انجلت المعركة عن هزيمة كبرى ، لكن مامن معركة تنتهي الا لتبدأ أخرى ، وبين الاثنتين

دائماً خطوة الى الامام . العالم لا يرجع الى وراء . وهذا العالم الذي انقشعت عن عوراته غبار المعركة ، والذي أرادوه للبشر مثالا فبدا بأقبح صوره ، هو نفسه الذي نحتت على ظهره أظافر المناضلين خطوطا باقية لم تطمسها الهزيمة بل جعلت منها دروبا يجب أن تحفر وتعمق وتوسع فتتحول من خروش على جسده الى فصد يصل القلب لينزع منه الدم الأسود الفاسد .

لقد توهم الكثيرون ان المعركة سهلة وانها تكاد تشرف على نهايتها ، لكن ناظم حكمت كان يعرف أنها طويلة وقاسية :

« الايام قاسية .
الايام تأتي بأخبار الموت .
وأجمل الاكوان ،
احرقناه بأيدينا ،
ونسيت أعيننا الدموع .. »

وكان صوته يدوي دائما : « لنقاوم الألم » « أنا مفعم بالأمل وأصمد جبداً » ، وكان يضرب لنا موعدا : « لنرقد الآن ونستيقظ بعد مائة عام ياحبيبي » ، لا بمعنى الخمول والقعود بل بمعنى ان العالم الجميل الذي نكافح من أجله لن يزف موعده في الغد القريب . لنصغ إذاً الى هـذا الصوت من جديد لأن :

« أجمل البحار
هي التي لم نبحر بها بعد .
وأجمل الاطفال
لم يترعرع بعد .
وأجمل أيامنا
هي التي لم نعشها بعد .

وأجمل ما يمكن أن أقوله لك

هو ما لم أقله لكِ بعد . »

هذه رسائل حب وسياسية وليس مثل ناظم من استطاع المزج بينهما بهذه المقدرة وهذا الاتقان :

« العصافير تزقزق على الشجرة :

الاجنحة تريد أن تطير .

الباب موصد :

نريد ان نقتحمه ونفتحه

وانا انما أريدك أنت . »

صدقوا أن الابواب لم تعد موصدة ولن يستطيعوا ايصادها بعد الآن ، لأن السجانين العظام ، بعد انقشاع الغبار ظهروا على حقيقتهم : مهربين ودجالين و « مافيوزيين » ، لصوصا كما كنا ننعتهم دائما . لهذا فان الحاجة هي أكبر اليوم الى استعادة كلمات ناظم حكمت وسيرة ناظم حكمت ، هذا الشاعر الكبير ابن الذوات والجنرالات الذي لم ييأس لحظة واحدة واختار أن يحيك القمصان والسراويل لرفاقه في السجن ، وان ينشيء ورشة نسيج على الأنوال اليدوية لكي يعيش ويمدهم بالمال .. وبعد كيف يذهب هذا سدى ويكون الكل باطلا وقبض الريح ؟.. كلا ! ليس الكل باطلا وقبض الريح .

في زحام الانحدار والردة والضياع ، وفي زمن السقوط هذا ، ستطالعون بعد قليل رسائل ناظم حكمت « تدوي اصداؤها في السجن كطلقات النصر » فيتسرب الى نفوسنا تفاؤله وحبه الكبير ، حبه لكل شيء : « سلامي الى كل الناس والى كل الحيوانات أيضا » ، وتعود الينا صرخته المفعمة بالفرح :

« وتفاؤلي

هذا الكنز الفريد

الذي لا ينضب ،

يغلي ويطوف .

قريبا نصبح احرارا ، اقول لنفسي ،

واعانـد .

لقد تحدثنا عنك مع الرفاق .

وفي هذه اللحظة ،

يبدو لي العالم حاشدا بالناس الطيبين .

انا مرتاح ، وحتى سعيد قليلا .

ان المساء يأتي ،

حسناً فليأت المساء .. »

لقد اتى هذا المساء ولم يكن يخشاه ناظم لأنه بشارة الفجر والصباح. صمتاً إذاً . اصيخوا السمع . ناظم يتكلم .

واكيـم اسـتور

* * *

ناظم حكمت

أمل
يجعلك تبكي غضباً

(رسائل من السجن الى كمال طاهر)

ترجمتها عن التركية : منور انداش

قدم لها : عابدين دينو

منشورات فرانسوا ماسبيرو
باريس ـ ١٩٧٣

« سوف نلتقي ، يا اصدقائي ، سوف نلتقي

سنضحك جميعاً تحت الشمس

وسنقاتل سوية .... »

ناظم حكمت

مقدمة الطبعة الفرنسية

بقلم : عابدين دينو

أغنية المساجين المفضلة في تركيا هي هذه :

منهل الماء في السجن يجري بالعكس
ليس شيئاً أن تكون سجيناً
لو لم يكن الفراق ...

أن تكون « في الداخل » ، فذلك لا يعني فقط أنك محاط بالشرطة والحراس والابواب الحديدية لسجن بورصة(١) — وهي سبعة — بل هو أيضا ظاهرة « انحباس » ذهني لا يمكن التغلب عليها الا بنضال يومي شاق .

فقد حاول المساجين الكبار ، من غرامشي الى ناظم حكمت ، جورج جاكسون او أنجيلا ديفيس ، وعلى مستويات مختلفة ، بالطبع ، أن يُبقوا على الاتصال « بالخارج » ، بواسطة حبل جنيني مؤلف من الكلمات .

ورسائل السجن هذه ، شرط الاستمرار في الحياة ، موجهة الى كائن عزيز ، امرأة أو رجل ، ولد أو صديق ، وأيضا ، — وهذا ما نشعر

---

(١) ترد أحيانا بورصة وأحيانا بروصة وتركنها على ما هي عليه أمانة في النقل . (المترجم) .

به بشكل مبهم ـ ، الى الجميع ، والمعجزة أنها استطاعت أن تصل البنا، وأن نقرأهــا .

في الســجن ، الرسالة الآتيــة من « الخــارج » أو الخارجــة من « الداخل » ، مع طابع المراقبة أو الطابع فقط (اذ يجب أن تتمكن من شرائه أيضا) ، تصبح حدثا أهميته لا تقاس بما نسميه عادة «البريد».

حتى هذا اليوم ، نشرت في تركيا ثلاث مجموعات من الرسائل التي كتبها ناظم حكمت : أولاً رسائله الى كمــال طاهر الذي ســجن مثله وللاسباب نفسها ، والثانية رسائله الى شقيقته سامية ، والثالثــة أخيراً مؤلفة من رسائل موجهة الى صديق صباه ڤالا نور الدين وزوجته مزهــر .

وعندما نتكلم على المراقبة ، يجب أن نشــير الى أنها كانت مثلثــة (من ثلاثة أسيجة كما قد يسميها الهيبيون) ، لأن مديري السجن في بورصة وتشنقيري والنائبين العامين ، دون أن نحسب العديد من ممثلي الأجهزة السرية في المدينتين التي يتوجها (المركز الوطني للمخابرات) في أنقره ، كانوا يقرؤون باهتمام بالغ الرسائل المتبادلة بين المساجَــين السياسيين . لهــذا كانت بعض الرسائل تتعثر في الأدراج الرسمية ولا تخرج منها أبداً .

لذلك كان واجبا أن تؤخذ في الاعتبار هــذه العوائق التي لا يمكن تجنبها ، وأن تكتب الرسائل « خلف الكواليس » ، اذا علمنا خصوصاً أن هؤلاء السادة سيأخذون علما بها وينقلون الجُمل الى « المراجع العليا »، ومن هنا جاءت الصياغة الخصوصية في الحوار : فقد اضطر ناظم حكمت أحيانا أن يلجأ الى الحيلة ، ليمرر قصيدة من سجن الى آخر .

وهكذا عندما يكتب ناظم : « القصيدة التي أعجبت كثيراً خالي علي فؤاد باشا وعصمت اينونو » يجب أن نفهم أنه يعني القصيدة المتعلقة

بالجبهة الشرقية وبطولة السوفيت ـ واستعمل اسمي الباشايين ستاراً دخانياً ـ . باختصار ، ان بعض هذه الرسائل « اخبارات » يجب فك رموزها .

وعلى وجه اليقين ، ان ما كتب بشكل بسيط هو ممتع أيضاً . اننا نكتشف شاعراً كبيراً يتوجه دائماً الى الآخرين ، ويهتم بقلق والحاح بكل شيء ، بنقص المال عند رفاقه ، كما بأحذيتهم وسراويلهم المثقوبة ، ويقوم باللازم لمعالجتها .

ان رسائل ناظم تكشف ناحيــة رئيسية لمفهومه الشعري ، فهـو يعتبر الفن مغامرة جماعية يهتـم الشاعر فيها بحصاد المستقبل مـن الروائيين الشبان والشعراء والرسامين ، كمـا يهتم الزارع بحقله ، فيساعدهم مباشرة ويعلمهم وينتقدهم ويرفعهم الـى أعلى ، ويعرّف خارج السجن بمن سيصبحون أفضل كتاب تركيا .

في الحقيقة ، يلجأ ناظـم غالبا الى المديح المبالغ كأسلوب تربوي . وفي الشرق ، على الاقل، يكون لهذا الشكل المبالغ من التشجيع حسناته، ولكن يحتمل أن تكون له ، فيما بعد ، بعض السيئات أيضا .

وعند أول علامة من علامات النبوغ ، يكون ناظم هنـا ، يتراقص فرحاً كالساحر الذي اكتشف كنزاً مطموراً في الصحراء ، ويقسـم أن ذاكرة الانسان لم تعرف مثيلاً له .

وقد اعتبر بعضنا مظاهر التساهل الكبير هذه ، تقديراً واجباً لهم منذ الأزل ، بينما حاول آخرون ، أكثر وعياً ، الا يكذبوا كثيراً تفاؤل الشاعر ، فعملوا عملاً مفيداً .

وكان كمال وسميه تقريباً أورخان كمال الـذي نحزر حضوره في الرسائل تحت اسم رشيد كمالي ، من أحسن الكتاب الذين تتلمذوا

على ناظم . كما نكتشف أيضا حضور بالابان ، الرسام من أصل فلاحي، أحد المشاهير المحدثين في تركيـا .

ومهما يكن من أمر ، فانني أرتعش الى اليـوم كلما تذكرت هـذه الساعات والأيام والسنين التي أضاعها ناظم من أجلنا كلنا ، بدل أن يعمل خلالها في قصائده .

كان يقسم انه اكتفى ، ولكن عبثاً . ففي كل مرة ، كان معلمنا الأول يعلن بتواضع ، لنا نحن البلداء ، حقائق أوليـة يتظاهر بأنه اكتشفها معنا ، مختصراً لنا الخيارات الماركسية في الفن كما كانت معروضة في الأعوام ١٩٣٠ ـــ ١٩٥٠ . لكن اذا نظرنا فيها عن كثب ، تحت الصيغ المعتمدة في تلك الحقبـة (مهندسو النفوس الخ . .) فان ناظـم يعني شيئاً آخر تماماً ، ويجازف بأفكار غير اعتيادية . من ذلك مفهومه عن الرواية « ونماذج الذين يمثلون عصرهم دون شك أيضا ، والذين اذا درسناهم بعناية نفهم هـذا العصر ، لكن ، في اعتقادي ، أن الروايـة والقصة أو القصيدة قد توصلت الى امكانات أكثر اتساعا وأكثر واقعية من تلك التي تكلمنـا عليها منـذ قليل ، وستصل الى أوسـع منهـا أيضا » . . . اذاً ، كان يتخذ موقعا يتجاوز التاريخية الاجتماعيةكهدف أساسي (أو وحيد) للعمل الفني . وقـد أطلقت هذه الفكرة في وقت كان المفهوم الجدانوفي هو السائد .

ويذهب ناظم الى حد احتمال تجاوز الجنس الروائي والقصيدة المعاصرين اللذين يعتقد بأن الزمن قـد تجاوزهما ، ويستشرف زوال الاشكال القائمـة للنثر والشـعر لصالح جنـس جديد تاريخيا يجب اكتشافه ، ويحاول أن يضع هـذه الفكرة في التنفيذ في « المشـاهد الانسانية » .

كل هذا يعين له موقعاً بعيداً عن تفاهات « واقعية » لم يكن لهـا ، غالباً ، من الاشتراكية الا الاسم . كان ناظم يريد أن يذهب بعيداً في التنقيب عن الواقع الوليد ، وبأساليب أخرى .

وقد خلق فناً متحرراً ، وقصائد جديدة ، وحتى انسجة جديدة: « نسيجاً لقميص ، ناعماً جداً ، نصفه من الحرير ونصفه من القطن ، هو من اختراعي الخاص ... » « معلمـو الحريـر في بورصـة ، بلد الحرير ، ففروا أفواههم له ... » « لقـد اخترعت حريراً ديمقراطياً أيضاً لأنه يتشرب العرق » .

كل ناظم هنا ، في هذه العبارة . انه ينسج الحرير في السجن ، بالشغف نفسه كما ينظم الشعر ، ويعمل في السياسة ، وفي الحرير وفي العرق ، وحتى في العصفور ، والكل عند هذا الناسج العجيب مسألة درجـة :

هكذا يا كناري ، بينك وبيني

ليس الا اختـلاف في الدرجـة

وحدة في الاختلاف ، رؤية التناقضات ، نضال : « أكثر الحريات أهمية هي حرية النضال » كان يقول .

الخلاصة ، اننا سنجد أشياء كثيرة في هذه المراسلات ، لكن اكثرها اثارة، على ما يبدو لي، هو التكرار اليومي لعدد من الموضوعات الملحاحة: نقص المال ، الصحـة السيئة ، القلق من الشعور بالانحباس ، ارادة العمل ، الاشتياق ، الشجاعة ، الحب المجنون ... هذا التكرار يؤثر

على القارىء ، مثل اغاني الاناضول الشعبية ، وتعود الانغام نفسها على التوالي ، وتحدث انسحاراً ايقاعياً يجرفه الى مكان آخر . .

الى أين ؟ الى داخل سجن بورصة ، في قلب المأساة .

في نهاية الرسائل ، ثمة ايحاء بحب جديد ، وفراق لا بد منه ، ينضاف الى قلق حب ينبض لأقل شيء . هناك أيضا هـذا العفو العام الذي لا يأتي .

العفو العام سيأتي فيما بعد ، وتتوقف رسائل السجن ، هناك الاضراب عن الطعام .

كمال طاهر يجهل ما يعرف ناظم ، كيف ولماذا اللحظة التى اختارها .

ويخشى ناظم من الأعظم على الآخرين الذين يقررون الانضمام اليه. انهم يجازفون ، كما يعتقد ناظم ، بالتضحية دون فائدة ، وهم مفقودون في سجونهم التي لا يمكن الوصول اليها . ويتوسل الى كمال طاهر أن يتوقف عن اضرابه بأي ثمن ، وأن يترك له المجازفة بالكل من أجل الكل ، له وحده . . .عبثاً . ناظم يبدأ ويتبعه الآخرون ، انه الصراع ضد السلطة الرجعية ، « أكثر الحريات اهمية هي حرية النضال » . . .

ان رسائل ناظم موجهة لنا شخصياً ، ولن يمكننا بعد اليوم الاستغناء عنها .

عابدين دينو

ملاحظة : تتباعـد الرسائل الاخيرة الى كمال طاهر ، وتبدو غير كاملة . لذلك تبدو للقارىء غير مفهومة تلك التي تتعلق بالاضراب عن الطعام ، القارىء الذي يجهل تسلسل الاحداث الزمني ، وكون ناظم يبدؤه وحيدا ويرغب في الاستمرار به وحيدا . لهـذا اخترنا بضع رسائل موجهة من الشاعر الى رفيق صباه فالا نور الدين وزوجته ، لاتمام رواية هذه المرحلة قدر الامكان ، وذلك باضافـة (الاضراب عن الطعـام) المنشورة في الازمنة الحديثة رقم ٢٠٧ ــ ٢٠٨ آب ــ ايلول ١٩٦٣ .

للاطلاع بصورة افضل على شروط سجن بروصة ، انظر مقدمة « في هذه السنة ألف وتسعمائة واحـدى وأربعين » في « مشـاهد انسانيـة » ، ماسبيرو ، مجموعـة « أصوات » ، باريس ١٩٧٣ .

* * *

١ ـ تشينقيري

كانون الاول ١٩٤٠ ـ ايار ١٩٤١

- ١ -

١٩٤٠/١٢/٥

وصلت بالسلامة

٦ كانون الاول ، الجمعة ١٩٤٠

- ٢ -

كمـال ،

ها أنا في بروصه . النوافذ والجدران والممرات المبلطة بالقرميد لسجن بروصه ، هي دائما نفسها : لم تشخ ولم تتغير ، حتى انني التقيت اثنين او ثلاثة من الموقوفين ، لا يزالون هنا . وقد وجدوا انني شخت ، وأنا ايضاً ، وجدتهم قد شاخوا .

لكم وصفت لك هذا السجن : انه بناء على شكل طائرة ، وغرفتي في الطابق الثالث ، الى اليسار ، في الطرف الاقصى للنقطة الخلفية . وهي اصغر من غرفتي في تشنقيري ، ننام فيها اثنان ، ويدعى رفيقي كمال(١) نعم كمال مثلك انت . ليس هذا فقط ، بل أن أشياء كثيرة فيه تذكرني بشبابك : حبه للشعر وحماسته المتدفقة . أنه محكوم لخمس سنوات ، بموجب المادة ٩٤ . قد لا يكون فيه شيء يشبهك الا الاسم ، اذ يجوز انني أشعر ، أنا ، بالحاجة الى شبه كهذا . ليس هذا مهما . فانا مسرور

(١) رشيد كمالي الذي قد حكم بالسجن لمدة خمس سنوات بدعاية شيوعية ، والذي أصبح فيما بعد الروائي آورخان كمال (١٩١٤ – ١٩٧٠) .

من رفيقي في الزنزانة . ونستطيع أن نتحدث عنك . وذلك كما لو كنت أتكلم معك تماما . وامس مساء على الخصوص ، بلغ هذا التماثل حده الأقصى ، فخيل الي أن الباب سينفتح ، وأنك ستدخل منه . هل تذكر أمين بك محاسب سارير ؟ اسمر واصلع وطلق الحديث ويحب البريدج والبيكيه والبرافا(٢) ، وقد كانوا قد نقلوه الى اسكودار عندما كنا في استنبول ، وكان رفيقا طيبا لك . وهكذا ، فأمين بك هنا ، وقد وصل لتوه ، وقد ضحكنا كثيرا عندما التقينا ثانية ، وتحدثنا عنك خلال ساعات ، واعطاني أخبارا عن نظارة استنبول . لقد صدق الحكم على سليمان في الاستئناف ، وأرسل الى اسكودار ، وقد علم أمين أنه سينقل الى سينوب . ووصلته رسالة من أحمد ، الفتى المسكين الذي لا يملك فلسا ، والذي يعيش في البؤس . وابراهيم أفندي ، ذلك الذي من قرية يايالار ، أرسلوه الى سجن امرالي ، وحالته هناك جيدة تماما . وامين ، كاتب المحكمة لا يزال في السجن .

هذا كل شيء لليوم ، في ما يتعلق بأخبار بروصه. هل وصلتك رسالة من سينوب ؟ ماذا يجري هناك ؟ وهل رحل المدير ؟ اعتن بنفسك جيدا ، يا كمال ، وتجنب البرد ، والزكام ، والنحول ، فقد كانت صحتك جيدة تماما عندما تركتك ، وأرجو أن ألقاك هكذا ، وأسمن قليلا .

تحيات مفعمة بالشوق الى كل الذين يسألون عن أخباري ، ويفكرون بي ، أعانقك أيها الاخ .

— ٣ —

كمـــال ،

سأنقل اليك خبرين سارين ، في هذه الرسالة الثانية . أولا ، اليـوم حوالي المساء — وكان قد هبط الظلام — أتى ضياء ميريتش بك لزيارتي.

---

(٢) من ألعاب الـورق .

انت تعرفه : المستشار الحقوقي لوزارة الاشغال العامة ، وكان خالي(٣) هو الذي أرسله الي . وقد أتى مع مسودة عريضة . لقد تباحث خالي مع رئيس الوزراء ، وبعض الشخصيات من كتلة الحزب ، وهم موافقون مبدئيا . العفو أمر مقرر . والعريضة موجهة الى رئيس الوزراء . بعد الاشارة الى أنها لن تتعرض للجانب الحقوقي للدعوى ، تذكر العريضة انني حكمت ظلما ، رغم براءتي التامة . وتجري الاشارة فيها أيضا الى انهم ، منذ سنوات ثلاث ، يتركونني أتعفن في السجن . وتلح على الفكرة القائلة بوجوب عودتي الى مكاني في الاتحاد الوطني ، وتنتهي هكذا: الغوا العقوبة المنزلة بي رغم براءتي التامة ، باللجوء الى العفو . والعريضة كلها في صفحة واحدة على الآلة الكاتبة . من حيث الاساس ، انها تشبه طلب العفو الذي كنا وجهناه الى الجمعية الوطنية ، عندما كنا لا نزال في نظارة استنبول . واذا ما صدقنا ضيا بك ، فالعملية مضمونة . وهاك ما قاله لي حرفيا : « استطيع ان أوكد لك انه سيطلق سراحك قريبا ، خلال شهر من الآن . وحالما يجاب طلبك ، يستطيع أصدقاؤك أن يفعلوا الشيء نفسه ، بالاستناد الى حالتك ، وهكذا يوضع حد للظلم الناشيء عن دعوى يعلم الجميع الآن خفاياها » هذا هو الوضع يا صديقي . تستطيعون ، حسب خياركم ، اما كتابة العريضة نفسها فورا ، واما انتظار نتيجة مساعي ، وتقديم طلبكم عندئذ ، بالاستناد الى حالتي كسابقة . أنا أعرض لك الوضع ، كما هو ، بموضوعية . وانت تعلم كم أنا متشكك في هذه الامور ، بعد كل ما تعلمته من التجارب ، حتى انني نقلت تشاؤمي الى ضيا بك ، لكنه أجابني : « هذه المرة ، ليس من شك ممكن ، فانت ترى أنني أعود منذ صباح الغد ، حتى دون أن اذهب لرؤية أقاربي في بروصة ، ويجب أن أسلم العريضة الى رئيس الوزراء ، وأنا سعيد بأن أنقل اليك هذا النبأ السار ، اليك والى اصدقائك » .

---

(٣) الجنرال علي فؤاد جيبيسوي ، خال ناظم حكمت ، احد القادة الرئيسيين في حزب الاستقلال ، كان في ذلك الحين وزيرا للاشغال العامة .

هذا هو إذاً ، بالتفصيل أول الأنباء الطيبة .

والآن النبأ الثاني : وصلت بيرايه(٤) يوم الاثنين ، وستسافر غداً . انها تنوي العودة في الشهر القادم ، والبقاء شهراً في بروصه . ولكن بما أن ضيا بك اتى اليوم بعد ذهاب بيرايه ، وانها تغادر بروصه غدا صباحا في ساعة مبكرة ، فهي لا تعرف شيئا عن هذه المساعي . سأكتب لها لأحيطها بالموضوع . ومع هذا فهي قد سمعت بذلك ، اذ أن صديقا لصهري وداد ، يقال انه علم به من أحد النواب ، منذ حوالي عشرة ايام ، أخبرها بانهم سيطلقون سراحي قريبا . من جهة أخرى ، أشار صهري بتكتم ، الى الموضوع نفسه ، وقد تكون بيرايه هي التي فسرت اقوالهعلى هذا النحو . في رأيي أن هذا هو تفسيرها الخاص . ومهما يكن من الأمر ، وما أن تصلها الاخبار التي تسلمتها من خالي بواسطة ضيا بك ، سترى فيها توكيدا لما قيل لها ، وستكون مسرورة جدا ، واسأل الله الا يخيب أملها مرة أخــرى .

انها تبعث اليك بكل صداقتها . لقد سلموني رسالتك الاولى يــوم الاثنين ، حين كانت هنا ، فقرأناها معا ، ودمعت عيناها . وقد لامتني على مجيئي الى بروصه ، وتركك هناك ، لكن فيما بعد ، جلب لها العزاء المقطع الذي تتحدث فيه عن مدى رضاك عن مديرك الجديد . وقد قالت لي : « كمال ، انه كابني الكبير ، كالاخ الاكبر لولدي محمد(٥) ، وانا سعيدة عندما أفكر بأن لي ابنا كبيرا بهذا الشكل ، ومن جهة أخــرى تنتابني كآبة ناعمة عندما أرى كم شخنا ، أنا وأنت » وضعي جيد هنا . وأنا ايضا مسرور من مديري ، لكن ما يسعدني هو معرفتي بأنكم راضون عن مديركم . بلغه تحياتي رغم انني لم أتعرف إليه .

---

(٤) زوجة ناظم حكمت في ذلك الحــين .

(٥) محمد فؤاد وهو اليوم ناقد أدبي وناشر ، كان ابنا لزوجة ناظم حكمت .

تلقيت رسالة من عمتي ، وقد ارسلت النقود الى تشنقيري ، ولا اظن انهم يسلمونك اياها دون توقيعي . اقبضها اذا استطعت ، وارسل لي نصفها ، والا اطلب الى رئيس الحرس ان يبعث بالحوالة الى هنا في بروصه . لم اتلق شيئا بعد من فريد بك ، رئيس الفرقة الموسيقية لرئاسة الجمهورية ، حول ما يزال مستحقا لي من ترجمة (لاتوسكا) . لقد استطاعت بيرايه ان تأتي الى بروصه بفضل ١٥ ليرة تركية قبضها ابنها بمناسبة ختانه . المسكينة لا تملك فلسا . سأكتب الى فريد لاطلب منه ان يرسل لي هذه النقود بأسرع ما يمكن .

ان رفيقي في الزنزانه فتى مهذب ، يحب الادب والشعر ، ونحن متفقان جيدا ، وهو يرسل لكم تحياته . هل عندك اخبار من نوري طاهر(٦) في سينوب ؟ أنت تشكو لعدم وجود مرآة لديك ، لكن عندك واحدة لدى (العصري) كبيرة جدا كنت قد رسمت اطارها بنفسي . وبهذا انهي رسالتي . انني افتقدك بشكل مخيف . تحياتي الى كل من يسألك عن اخباري .

- ٤ -

كمـال ،

تسلمت رسالتك الثانية ، وها هي ذي رسالتي الثالثة . رويت لك في الثانية بالتفصيل أن ضيا بك كان أتى لرؤيتي ، وانني كنت قد كتبت عريضة موجهة الى رئاسة الوزراء ، وانه حسب ضيا بك الذي كان ينقل لي رأي خالي ، سيرفع الظلم ، ونصبح أحرارا بالتوكيد ، وان كل طلب يجب أن يقدم على حدة ، حالما يقبل الطلب الاول . اختصر لك كل هذا خوفا من الا تكون قد تسلمت رسالتي رقم ٢ .

---

(٦) نوري طاهر ، شقيق كمال طاهر ، صف ضابط في البحرية ، حكم بالسجن ١٥ عاما عند انتهاء دعوى ناظم حكمت .

كنت وعدتك أن أسدد لك ديوني على عدة دفعات . غدا أرسل لك حوالة بخمس ليرات . وفي الشهر القادم ، قد أستطيع أن أرسل لك ٥ ، ٧ أو أكثر .

سأرسل لك عدة صحف دفعة واحـدة ، اذا وصلتني على هذا الشكل . في الوقت الحاضر ، أرسل لك الصحيفة كل يوم بعد قراءتها ، غداً أرسل لك الرزمة الاولى .

لم أذهب بعد الى حمامات المياه المعـدنية(٧) . سأشرع بالمعالجة قريبا . لكن بما أن ذلك يكلف غاليا ، نوعا ما ، ــ ٥٠ قرشا للحمامات النظيفة ــ فسوف لن أتمكن من الذهاب اليهـا الا مرة أو مرتين في الاسـبوع .

يجب أن أقص عليك كيف تنقضي أيامي حاليا . تفتح الابواب في الثامنة صباحا . وحتى التاسعة ، الحمامات ، الفطور ، النزهة . في التاسعة ، بعض المطالعة ، أو على الاصح ، قراءة في طريقة (برليتز) لتحسين فرنسية سميك. في العاشرة أبدأ الرسم ، حتى حلول الظلام ، أي حوالي الخامسة مساء ، تغلق الأبواب في الثامنة مساء ، وحتى الاغلاق نثرثر مع أمـين والآخرين . ومتى أغلقت الأبواب ، وبما أن لا شيء لدي للقراءة ، أنام في التاسعة . هكذا تجري حياتي كسجين . أنا لا أكتب الشعر . لا أدري لماذا . لكنني أشعر من وقت لآخر بأن تراكما يحصل في هذا النطاق . وقد أكتب أشياء جيدة عندما أعـود الى ذلك .

---

(٧) كان للسجناء أحيانا ، تحت مراقبة الشرطة ، الحق بالذهاب الى حمامات المياه المعدنية في بروصه للمعالجة .

لم أستطع بعد أن أكتب الى نوري طاهر . سأفعل ذلك غدا . سأطلب اليه أن يرسل لي صورتـه النصفية ، دون أن تكـون صغيرة جدا . وبالانتباه جيدا الى الألوان ، سأرسم صورته ، وأرسلها اليه .

صدقني يا عزيزي كمال ، سأضحي بالكثير لأتمكن من كتابة رسائل كرسائلك . أتمنى ، بدل أن أرسم مثلا ، لو أستطيع كتابة الرسائل الجميلة مثلك .

لست آسف ، أغلب الأحيان ، أن ليس لي أخ . الآن لي اثنان . نوري طاهر وأنت . لا تستطيع أن تتصور ، أنت الذي لك شقيقان ، الى أي حد أنا سعيد بأن أفكر بكما ، من بعيد كأخ أكبر . لكن قد تكون قد أسفت أنت ، أن ليست لك شقيقة .

سجن تشنقيزي ، الموقوفون ، غرفتنا ، لكم أشتاق أن أرى كل هذا . أنا أحن اليها فعلا . حانوت (العصري) ، وباكير الخياط ، ومنشرة الخشب ، والنجار الصغير ، كان ذلك الماضي السعيد .

حالتي ليست سيئة هنا ، لكن هذا لا يكفي . المهم هم الناس ، الانســـان .

كتبت كذلك رسالتين الى حكمت(٨) . ولم أتلق جوابا . أنا أعلم جيدا أن المعلم مشغول ، غير أنني كنت أجهل انه مشغول لدرجة الا يستطيع كتابة رسالة . أو أنه قد يرمي الخطأ عليك ، كالعادة ، ويزعم انك لم تخطره بأنك وضعت رسالتك في البريد . وماذا لو كان الخطأ منك فعلا هــذه المرة ؟ أتت بيرايه ورحلت . وستعود . روت لي أن والدها يهتم كثيرا بوضعي ، وأنه لم يعد غاضبا الى هذا الحد مـن

---

(٨) الدكتور حكمت كيفيلجيم حكم عليه عقب دعوى ناظم حكمت وتوفي في بلغراد عام ١٩٧١ بعدما ترك تركيا سرا ، هربا من الشرطة .

صهره ، أي من خادمك المطيع . آمل أن يكون هذا صحيحا ، لانني احب حماي باخلاص .

تحيات الى الجميع . الى رئيس الحــرس والحراس . أعانقك بشوق يا أخي .

– ٥ –

٢٦ كانون الاول ، الخميس ، ١٩٤١

كمــال ،

ها هي ذي رسالتي الرابعة . وكما تلاحظ ، فان الريشـة الذهبية لقلمي الحبر ، وهو إرث من المرحوم عمي الذي كان من الاغنيـاء ، وكنت ارفض اعارته الى اي كان ، قد انكسرت . لنأمل أن يكون هــذا فألا سعيدا . وهذا يعني انني ربما حصلت على قلم حبر جديد قريبا ، وبما انني لا يمكن أن احصل على قلم حبر جديد ، الا عند خروجي من السجن ، فانه يمكننا أن نستنتج باننا سنستعيد حريتنا قريبا . وكما ترى ، فان تفاؤلي لا يحمل شيئا من المبالغة . لا خبر جديدا . فهمت من رسالتك انك تفضل انتظار مساعيّ . اما حكمت فيتردد . عبقري العباقرة هذا هل تغلّب أخيرا على تردده ، وكيف ؟ ماذا قرر ؟

ارسل لك بانتظام مجلات وصحفا . أخبرني اذا كنت تتسلمها أم لا .

هذا الصباح ، أخذت حمامي الاول . وكلفني ذلك ١٧٥ قرشا . لقد أفلست ، وأنا معرض للموت جوعا اذا حاولت التخلص من التهاب (عرق النسـا) .

بعثت اليك بخمس ليرات في الاسبوع الماضي ، هل تسلمتها ؟

بينما أكتب لك هذه الرسالة ، أمين بك يلعب الدومينو . وبما انني ضجرت من التغلب عليه في كل مرة ، فقد وجد شريكا آخر في اللعب على ما يبدو . أنت تعرفه مع ذلك . ارطغرل بك المحكوم بالاختلاس ، كان في نظارة استنبول ، وعلى قدر كاف من الفتوة .

بيرايه سافرت كما أخبرتك سابقا ، ولم تعد بعد . انها لم تستطع . انها تنتظر أن يرسل لها فريد نقود الاوبرا . منذ وصولي الى بروصه ، رسمت لوحتين أو ثلاث ، واربع مخدات . لم يبق عندي ألوان للرسم ، وأقضي وقتي دون أن أعمل شيئا . انني لا أكتب شيئا على الاطلاق . غير انني في الليلة السابقة ، وقد حصل لي هذا للمرة الاولى ، أنشدت لنفسي قصيدة في الحلم . عندما استيقظت ، كنت قد حفظت منها بيتين:

من عش النسر الأكثر بعدا

يأتي ضجيج محرك

وعلى الموجة الاشد وحدة

علب محفوظات

ما الذي يراد قوله بهذا ؟ ربما التصنيع أو شيء من هذا القبيل ، لكن لماذا هذا الحلم ، هذان البيتان ، أو على الاصح الاربعة أبيات ـ انا عندما أقول بيتا أعني بذلك جملة كاملة بين نقطتين ، لهذا تكلمت على بيتين ـ ليس لهما أي بريق . ولكن لانني حلمت بهما ، وانشدتهما لنفسي في الحلم ، أجد لهما بعض السحر في عيني .

دائما ريشة القلم هذه ...

كتبت الى بيرايه حول قميصك . وقد تكلمنا كثيرا عليك عندما كانت هنا . يبدو أن ناجي(٩) مدين لك ببعض النقود . لدى بيرايه كثير من المشاريع . وقد قررت أن تحصّل كل مالك من ديون في ذمة الناس .

---

(٩) الصحفي ناجي سعد الله .

كيف حال (العصري) وباكير وكل أصحابهما ؟ تحية الى كيليجي . لقد قال انني اساوي لوحدي اربعين شخصا . أرجو الا يتحدث عن هذا في كل مكان . فقد يظن الناس انني مصارع ويسبب لي هذامجموعة من المشاكل .

لدينا هنا مذياع ، وانا استمع اليه كل مساء في مكتب السجن . سيركبّون الآن مكبرات الصوت في الباحة ، فتتمكن كل المهاجع من سماع المذياع . يوجد هنا عائق واحد : انهم لا يقدمون لنا الفحم الذي يكلفنا أكثر من عشرة قروش في اليوم .

القلم ايضا ... ومع هذا فحالته لم تكن احسن في شبابه ..

كمال ، كل تحياتي الى رئيس الحرس ، وكل الحراس ، الى (العصري) وباكير وعبد الرحمن ، باختصار الى كل الذين يسألونك عن اخباري . انني أفتقدك . احترامي الى مديركم . كمال ، أيها الاخ ، انني أفتقدك بشكل مخيف .

أشعر احيانا بانني اسمع زعيق صوتك .

- ٦ -

تحيـــة !

لنبدأ بأن أعطيك أنباء عن حالتي العامة : لقد فحصوني من القدمين الى الراس ، مع تحليل للدم ، وتصوير شعاعي . الطحال منتفخ بشكل جدي ، وفقر دم عام . وزنت نفسي : ٧٠ كيلو ، بينما كنت ٨٢ كيلو في آخــر مرة ، عندما مررت بقبان النظارة في استنبول . ونظرا لهــذه الحالة ، فقد قرر رئيس الاطباء ، وهو مهذب جدا ومتميز ، واختصاصي بالامراض الداخلية ، اخضاعي الى معالجة علفية وفحص عام .

هبطت حرارتي . لكنني لا ازال ضعيفا الى درجة انني أتركهم يفعلون بي ما يشاؤون ، رغم ان كل هذه الامور تزعجني كثيرا .

كمال ، كانت قصيدتك جميلة جدا . اعذرني ، لكنك أحمق ، فعلا ، اذ لا تكتب الشعر .

قل لي ، لماذا لم تخطر لحكمت فكرة أن يكتب لي كلمتين ؟ اشتهي حقا ان (أبهدله) كما الرفاق في سينوب . وستكتب لي رسالة طويلة لتبرهن لي انه ليس سيء النية ، وسينتهي الامر . سأكون راضيا . وانت أيضا .

كمال ، اسأل المدير اذا ما أرسل فعلا رسالتك الطويلة الى بيرايه ، تلك التي كانت فيها قصيدة مني ، وفسر له جيدا ما هو الموضوع . ربما نسيها في أحد دروجه .

وصلتني النقود وشكرا .

أرسل الي (الام) والكتاب بالالمانية حيث توجد صور للوحات زيتية، هذا الكتاب الذي يحوي رسوم هذا الرسام الالماني المشهور ، والذي كانت سميحة قد أرسلته لي ، وكذلك رواية فرنسية جيدة ، شيئا جادا ، من نوع (وضوح) .

تحيات الى (العصري) ، الى باكير ورفعت وشعبان وشعيو ومحمد وشاكر علي وكيليجي وأحمد ، والى الصغير والكبير ، والى كل الذين يسألونك عن أخباري .

- ٧ -

٢ كانون الثاني ١٩٤١ ، الخميس

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

بناء على طلب عام ، بدأت اذا كتابة رسائلي بالابجدية القديمة . ليغفر لي الله هذا الموقف الرجعي قليلا . لقد نسيت الابجدية العربية

بحيث انني يجب ان اتوقف عند كل كلمة لانفخ . والى ذلك فان املائي لم يكن جيدا في الماضي ، وهو الان شديد السوء حقا . قد تكون قراءة الابجدية اللاتينية اكثر سهولة من العربية ، وكتابتي اللاتينية تدعو الى الرثاء ، من جهة حسن الخط ، لكن كان بامكاني ان اسهل مهمة قرائي. بعد هذه المقدمة لنتناول ما هو جوهري :

لاشيء جديدا في موضوع العفو . لا تحزن . لقد قررتم انتم انه كان عليكم تقديم طلبكم فورا . وحتى في الحالة التي قد يبحث امر العفو عني شخصيا ـ فكرت بذلك بعد قراءة رسالتك ـ نعم حيث يكون الموضوع هو العفو عني فقط ، ثم تطول القضية لعلة او اخرى بسبب مساعيكم ، فلا بأس ، اذ كما يقول المثل « ان المضايقات التي نحشر فيها جميعا تكون مرحة كأفراح العرس » . اذ من غير المفيد ان تفكر بذلك كثيرا . ان ما اتمناه هو أن نعرف النتيجة بسرعة ، سوداء كانت او بيضاء .

زميلي في الزنزانة ، رشيد كمالي ، وجه طلبا الى الجمعية الوطنية منذ شهرين او اكثر ، لاعفائه من بقية العقوبة . وقد تسلم منذ أيام الجريدة الرسمية التي علم منها بان طلبه قد رفض في ١١/١٠/١٩٤٠ . واستنادا الى الجريدة نفسها ، فقد رفضت أيضا العريضة المقدمة من سينوب ، من قبل فاطمة يالتشي(١٠) . لم نكن نعلم انها قامت بهكذا مسعى . اذاً فقد فعلت ذلك . وفي النهاية هذا لا يهم .

لكي نصل الى المناقشة التي دارت بينكم وبين حكمت بشأن خالدة أديب(١١) فان رأيي هو التالي : يمكننا ان نقسم أعمال خالدة اديب ، من وجهة نظر ايديولوجية وزمنية ، الى ثلاث مجموعات :

---

(١٠) فاطمة نوديه يالتشي حكمت بالسجن ١٠ سنوات نتيجة دعوى ناظم ، وكانت حينئذ زوجة الدكتور كيفيلجيم .

(١١) خالدة اديب اديفار روائية تركية ساهمت في حرب الاستقلال برتبة عريف ، وأصبحت أستاذة الادب الانكليزي في جامعة استنبول . وكانت حينئذ نائبة في البرلمان .

١ ـ مرحلة « هاراب مابتلر » .

٢ ـ المرحلة التي تبلغ ذروتها مع « حكم ميفود » (بما في ذلك آتسطن غومليك التي تشكل منعطفا) .

٣ ـ « البقال القذر » ورواياتها الاكثر حداثة .

في المرحلة الاولى كان المحتوى الجوهري هو الحنين الى الماضي ، المثالية الفلسفية ، والصوفية ، والغنائية .

في المرحلة الثانية يصبح الصراع بين الجنسين هو العنصر المسيطر، حيث الرجل والمرأة هما القطبان العدوان .

في المرحلة الثالثة ، تقفز الى المقدمة المشاكل الاجتماعية كما تراها خالدة أديب .

ولكن ، بقدر ما يمكن ان نلاحظ في المرحلة الاولى بذور ما سيميز المرحلة الثالثة ، فاننا نلاحظ في الثانية بذور المرحلة الثالثة ، وهي بذور مختلفة من حيث المضمون ، لكنها متشابهة فيما يتعلق بالاهتمام بالمشاكل الاجتماعية . وهكذا فاننا نرى منذ المرحلة الاولى ، بروز فكرة الصراع بين الجنسين ؟

في المرحلة الثانية ، هذا العنصر هو المسيطر . لكننا نرى فيها ايضا خالدة أديب نصيرة الوحدة التركية ، والقومية ، مرتبطة بعمق بالماضي. في المرحلة الثالثة ، يتراجع الصراع بين الجنسين الى الخلف ، وتضع خالدة أديب ، التي لم تعد تركوية ، أو متعصبة لقوميتها ، أو قومية بل أصبحت اصلاحية وديمقراطية ومعجبة بغاندي ـ رغم تعلقها الدائم بالماضي ـ تضع المشاكل الاجتماعية في المقام الاول ، حسبما تراها هي . ويجب أن انبهك الى أنه حتى في « حكم ميفود » ، وهو العمل الذي

يميز المرحلة الثانية ، والى جانب قصص العداء بين الجنسين هذه ، نجد افكارا ، وشخصية طبيب ، كلها اصلاحية وشعبية ، ولكي نلخص ما قلناه ، ان العداء بين الجنسين يبلغ ذروته عند خالدة اديب ، في المرحلة الثانية ، بينما لا نرى منه الان الأ آثارا وبقايا . ان الاطروحة الاجتماعية في الرواية ، والدفاع عن قضية اجتماعية ، اصبحت اليوم العنصر المسيطر ، في المقام الاول ، وكان هذا العنصر يتطور منذ المرحلة الاولى متأثرا ببعض التحولات .

لن الح هنا على العوامل الاجتماعية والنفسية وحتى الفيزيولوجية، ولا على الدوافع الحاسمة التي انتجت هذه التحولات عند خالدة أديب، اذ يمكن اكتشافها بسهولة . اما تقنية الرواية لديها ، مع محتواها الملموس ، والتطور الذي اتبعه هذا المحتوى ، وطابعه الاجتماعي ، فانني مقتنع بأن محترفين مثلنا – وليس هواة ربما مثل نوديه أو آخرين ، قد تكون لديهم النية الحسنة لكتابة روايات ذات مضمون واقعي وعادل اجتماعيا – اي ان محترفين مثلنا اذآ يمكن ان يستفيدوا ، ليس من الاسلوب العتيق أو اللغة التي تستعملها خالدة اديب ، بل من النتائج التي وصلت اليها مؤخرا . ويبدو لي انه من الممكن ان ندرس ، بكثير من الجد ، كل روايات خالدة أديب ، ليس من وجهة نظر الشكل ، بل من حيث البناء الروائي ، وتستخلص منها دروسا كثيرة . من المؤكد ان المريض هو الذي يتعذب ، ويشعر بالالم ، لكنه لا يستطيع ان يعالج نفسه بنفسه . ان الاطباء هم الذين يعالجونه . اذا كان المريض هو نفسه طبيبا ، استطاع ان يحدد سبب مرضه ، وان يختار العلاج الضروري . اذآ بالنسبة للطب ، ان تكون مريضا لا يكفي ، اذ لا يمكن الاستغناء عن دراسة العلم الذي يدرس أسباب الامراض ، ويجتهد لمعالجتها بالغاء أسبابها . وهكذا هي الحال بالنسبة لفن الرواية . لكي يكون ممكنا كتابة رواية عن حياة السجن ، فانه لا يكفي ان يكون الكاتب سجينا ، والا أصبح كل المجرمين الذين يقضون عشرا او خمس عشرة

سنة في السجن ، روائيين . لنقل انه لكتابة رواية عن السجن ، يجب ان نكون قد سجنا ، وان نعرف ايضا كيف تكتب الرواية ، وان نملك الامكانات الاجتماعية والنفسية والفيزيولوجية والبيولوجية لكتابتها . لقد اطلت كثيرا حول هذا الموضوع . اعذرني . انني اكرر لك أشياء تعرفها جيدا ، وهذا يأتي من تشابه آرائنا حول كل هذه المواضيع . لا تنس اننا غالبا ما كنا نتسكع ، انت وانا ، جنبا الى جنب ، خلال ساعات ، دون أن نتبادل كلمة واحدة ، لان أفكارنا ، حول الكثير من المعضلات ، كانت متطابقة ، بحيث لم يكن لدينا شيء جديد نقوله لبعضنا البعض . ذلك كان الماضي الجميل . اقسم لك بانني أفكر به بشوق . وعندي رغبة كبيرة في أن أراك ثانية . سأكون سعيدا لسماع شتائمك الاكثر بذاءة ، واحلامك الاكثر تفاؤلا ، واكثرها تجردا من الحس السليم . شيء حسن ان نحلم ، وقد قيل « ان نبني قصورا في اسبانيا » ، واذا ما تطابق هذا مع واقع الاشياء ، جعلنا اكثر نشاطا ، والا تحملنا المشاكل وحدنا .

تحية الى كل الذين سيسألونك عن اخباري ، والى مديرك .

- ٨ -

١١ / ١ / ١٩٤١

كمال ، أيها الأخ ،

كان علينا ، نحن أيضاً ، أن نقدم بعض الأضاحي في عيد الأضحى : أولاً ، ولأننا كنا في فترة عيد ، فقد تأخرت في الكتابة إليك . بين الرسالة التي كنت أبدي فيها رأيي باختصار في روايات خالدة أديب ، وبين هذه ، مرت عشرة أيام طوال . لقد تسلمت تلك الرسالة دون شك ، لكنني لم أتسلم ردك بعد . ثانيا ، أرسلت لي خالتي بعض النقود ، ولكن — بسبب الأعياد دائماً — لم أستطع أن أقبض منها شيئاً ، فأنا

مفلس ، ولم أتمكن من أن أرسل لك شيئاً بعد ، فأنت أيضاً مفلس . الا ترى انه من الكثير أن نكون قد قدمنا هكذا هاتين الأضحيتين الى المولى ؟

بيرايه في استنبول . لا نزال دون اخبار من فريد بك ، والمسكينة لا تستطيع قبض ما تبقى من النقود ، من ترجمة الأوبرا ، ولا ان تأتي بالتالي لرؤيتي . لا رسائل منها أيضاً ، هذه الأيام . أنت تعرف مقدار قلقي عندما تتباعد رسائلها . هي تعلم ذلك جيداً ، ومع ذلك فهي تتأخر دائماً في الكتابة . وهذا في زوجتي هو العيب الوحيد أستطيع أن أشكو منه .

لا أزال كسولاً ملكياً . الحقيقة ، ليس الأمر كسلاً . وبالرغم من انني لا افكر في ذلك ، على الاقل ليس بطريقة دائمة ، فإن دماغي يعمل ـ الى درجة الإزعاج ـ في قيم الشعر ، الشكلية منها على الأخص. إن بعض التجارب التي قمت بها في تشانقيري تبدو لي الآن خاطئة وغير كافية . إن العيب الأكبر في هذا النوع ، هو صفته الاحادية . أريد أن أقول : إنه في الشكل الشعري الواقعي ، الا يتوجب أن تكون فيه أيضاً عناصر كاللون والعطر والرسم والهندسة المعمارية والموسيقى الخ ؟ الا توجد هذه العناصر في الواقع ؟ وبعد ، إذا أردنا الذهاب الى الواقعية افلا يبدو ثمة ميل الى الطبيعة والشكلية المبسطة . باختصار ، في الشكل الشعري الواقعي ، الفعال ، التركيبي جدلياً ، بما في ذلك عناصر القافية ، هل يجب على الشاعر ، مهندس النفوس ، ان يكتفي بالسهولة ، دون ان يأخذ ، أو يكاد ، في الاعتبار ، الانسجام والعطر والرسم الخ ؟ إن المضمون هو الذي يحدد الشكل ، هذا صحيح . لكن في هذا المضمون ، يكون اللون والعطر والانسجام والرسم ، حاضرة في أشكالها الأكثر تعقيداً .... والى ذلك ، الى أي حد ينبغي على الأسلوب أن يكون متعدد الجوانب ، وهو الذي يجب أن يؤمن للمضمون الشكل الأكثر تناسباً ، الشكل الذي سيؤثر على المضمون ، ليس كعدسة فوتغرافية ، بل بصورة فعالة .

باختصار ، ان هذه الافكار التي أنثرها الآن لنفسي كمدورات من النقانق ، وأنا اكتب لك هـذه الرسالة ، تمـر وتمـر في رأسي دون انقطاع ... اكتب بيتاً أو بيتين ، ولا يعجبانني فأمحوهما . رغم كل شيء ، انا لم أقاطع الواقع . إذاً لا يمكن تفسير هذه الأزمة كمفهوم شكلي هيكلي . على العكس ، إن التصاقي بالواقع ، وازدياد شعوري بروابطه ، مع مرور السنين ، هو الذي يثير هذه الأزمات من وقت لآخر . إني أبحث عن وسيلة للتعبير عن الواقع بشكل أرقى ، وأكثر صحة ، واكثر جدارة بهذا الواقع . هذا الشكل ، اعتقد أني قد عثرت عليه ، ويصبح هذا ، في كل مرة ، مرحلة بالنسبة إلي . ثم يكون الأمر أن أصل الى مرحلة جديدة ... باختصار ، أنت تعلم كيف يحصل هذا ... لكن أن أكتب لك أشياء تعرفها ، فهذا هو « الكلام » بالنسبة إلي . و « الكلام » هو تسلسل جدلي . هذا أيضاً أنت تعرفه . مع ذلك ، ليس في نيتي أن احدثك عن أشياء تجهلها .

تسلمت بضع روايات فرنسية عتيقة . سأرسلها لك فور قراءتها . انا أبعث لك بانتظام صحفاً ومجلات . هل تتسلمها ؟

كان عندنا جهاز راديو نستمع إليه بهدوء من غرفتنا . إنه لا يعمل منذ يومين او ثلاثة . ونحن نفتقده كثيراً . اتأمـل انهم سيصلحونه قريباً ، واننا سنستطيع الاستفادة منه مجدداً .

انا مسرور جدا من المدير وأمين السر . ليس انا فقط بل السجن بكامله . ان ما ينقصني هنا هو وجودك فقط . ارغب كثيرا ان اراك مـن جديد . ليأخذك الشيطان ، لم أكن أعلم انني اعتدت عليك بهذا المقدار .

انا أيضاً مسرور جداً من الزميل الذي يقاسمني غرفتي: كمالي. إنه يشبهك من بعض النواحي . وانا ادفعه الى دراسة الفرنسية دون انقطاع . أمين بك وارطغرل بك معنا من الصباح الى المساء . والوقت يمر لطيفاً نوعا . الوقت يمر ، ماذا ......

أما المحاولات الهزلية التي يقوم بها « حكمت » رفيقنا ، على طريقة ايفليا شلبي(١٢) ، فإنني أعترف انها تتضمن بعض الاشياء الجيدة ، نعم ، لكن دكتورنا العزيز يعجز عن التعبير جيداً ، أو أنني انا الذي لاأفهم منه شيئاً . قل لي ، انت ، اين وصل طلب النقل الى بروصه ، الـذي قدمه حكمت ؟ إنه يقول لي فقط « حول كل شيء الى أنقره » . مـاذا حولوا الى أنقره ؟ فسر لي الأمر بالتفصيل . إنك تقول لي إن الاطباء لم يفهموا شيئاً من مرض الدكتور .. حسناً ، وبعد ؟

فيما أكتب لك هذه الرسالة ، يلقي علينا أمين بك محاضرة عن جمال شعره . انه يعترف أن شعراته متباعدة بعض الشيء ، لكنه يدعي أنها ناعمة كالحرير .. ويقول إنه يمكن وصفه « بالأصلع كقعـر الصحـن المحروق » . وحسب قوله أيضاً ، فإن الصلع ينقسمون الى عدة فئات : أصلع كتجويف اليد ، وعار بنعومة ، وبثلاث مناطق ، وغرة الحصان ، والصحن المحروق ، ونسيم الدبور . حسب هذا التصنيف يكون شعرك « بداية قعر الصحن المحروق قليلاً » .

لنعد الى الشعر . إن التجارب التي حاولت القيام بها في تشنقيري تذكر باستخدام طريق التجريد في البحث عن القانون الاساسي ، وهي طريقة مفيدة فعلاً . في النهاية هذا لايهم .

قل لي يا كمال ، عندما اردت ان تنتقل الى سينوب ، ولم يؤخذ التقرير الطبي بعين الاعتبار ، قدمت طلبا . هل تسلمت جوابا على هذا الطلب . تكتفي في رسائلك بقول أشياء من هذا القبيل : « ... وبما انهم لم يرسلوني الى سينوب ... » هل هذا افتراض من قبلك ، أم انك تسلمت جوابا سلبيا ؟ أرجوك ، أعطني معلومات عن هذا الموضوع ..

وصلتني رسالة من سميحة ، وهي تبلغك مودتها .

تحياتي الى الجميع . آملا أن اراك ثانية ...

---

(١٢) ايفيليا شلبي رحالة تركي كبير من القرن السابع عشر ، وأخبار رحلاته ، المختلقة أحيانا تعج بالتفاصيل الغريبة ومكتوبة بلغة مليئة بالجاذبية والفكاهة .

- ٩ -

١٦ كانون الثاني ١٩٤١ ، الخميس

كمـــال ،

أستأنف ، كالعادة ، بريد الخميس الذي اضطرب انتظامه « بمناسبة الأعياد » ــ هذه الصيغة تسحرني ، إنها تذكــرني بملصقات المسارح الشعبية ، وانا ، كما تعرف ، لست متعصباً لهذا النوع كما هو مثلا اسماعيل جقي المحترم جداً ، بل لأنه يذكرني ، ببساطة ، بالطفل الذي كنت ولا أزال ، ولأن لي نقطة ضعف قبل جمعيات المسرح الشعبي في استنبول . سوف تلاحظ أنني عدت من قلم الرصاص إلى قلم الحبر . امين بك وارطغرل بك عملا بالاتفاق : قام الاول بشحذ وصقل الريشة على مسن ، وربط الثاني المكبس العاطل بخيط ثخين ، بحيث انني اصبحت ، بفضل الفعالية الموصوفة اعلاه ، مالكاً لقلم حبر يكتب بخط اكثر ثخناً من ذي قبل ، وينزلق بصعوبة أكبر على الورق ، لكنه يكتب ، اي « يستطيع » الكتابة .

تسلمت ، المرة تلو المرة ، رسالتين من سميحة(١٣) . كنت قـد كتبت لها قبل الأعياد لأرجوها الذهاب لرؤية خالي . وها انا انقل لك من رسائلها المقاطع التي يمكن ان تثير اهتمامك ، في رأيي ، إن لم تقنعك .

« ١٩٤١/١/٧ . تسلمت رسالتك يوم السبت . لم اتمكن من عمل شيء حتى يوم الاثنين . صرح لي خالك بشكل قاطع انك ستستعيد حريتك قريباً ، وطلب الي أن أكتب لك ذلك . . . سنمثل « التوسكا » خلال الاشهر القادمة ، وسيكون بامكانك حضور العرض الاول للعمل الذي ترجمته ... .

---

(١٣) سميحة بركسوي ، ممثلة مسرح واوبرا .

١٩٤١/١/١٢ . سأسافر هذا المساء الى انقره . وآمل ان يطلق سراحك قريباً . سنلتقي في انقره . قال لي خالك انه يوجد أمل كبير هذه المرة » .

انت تعرف زاوية « صدق ، لاتصدق » في صحيفة سون بوستا(١٤).

لم يصلني شيء بعد من خالتي . هنا اتدبر امري . أقترض . لكن عندما أقول لنفسي أن النقود بدأت تنقصك أنت ، هناك ، لأنني لم اتمكن من ارسال كل ما أنا مدين به اليك ، لايمكنك أن تتصور كم أنا تعيس . في الماضي ، لم أكن افكر إلا في بيرايه . الآن تضاعفت همومي . مع ذلك ، اعتقد جيداً بانني سأتمكن من الطيران لنجدتك بعد يومين أو ثلاثة . . . عزيزي كمال ، أيها الاخ ، خصوصاً لا تحرم نفسك من التبغ . انت عاجز عن العمل بدون سجائر . إقترض شيئاً من النقود ، من اي مكان . . . لاتقتر على نفسك بالغذاء خصوصاً . . . في كل الاحوال ، سوف تسددها ديونك هذه . . .

لي أستطيع ان ارسل لك مناشف ــ ماصة أم لا ــ يجب اولاً ان استعيد ريشي . من المستحيل الحصول عليها ، فانا لا املك فلوساً . . . لكنني سأرسل لك بعضاً منها في أول فرصة . اشتريت بعض الهدايا ، المتواضعة جداً ، لك وللأصدقاء ، اصنافاً من « صنع في سجن بروصة » . . . « أبزاز » سجائر على وجه التحديد .مالديكمنها له شكل الخنجر. في الحقيقة اوصيت على الطلبية ، وكل شيء جاهز ، ولا ننتظر الا امر الدفع . فوق هذا ، « بز » سجائرك عندي هنا امام عيني ، لاننا وجدناه في حقيبة كمالي ، وقدرت فوراً أنه سيفي بحاجتك ، واستوليت عليه . سأرسل لك الكل عندما يصبح الباقي جاهزا .

---

(١٤) صحيفة يومية في استنبول

بيرايه تكتب لي . كانت تكتب اكثر عندما كنت في تشنقيري . مرة اخرى ، معنوياتها في الحضيض . هذا من حقها . تسألني عن اخبارك كل مرة ... وهي تبدي هماً .. إنها تسألني لماذا جئت الى هنا « وهذا الولد المسكين كيف سيتدبر أمره هناك » . باختصار ، انها تغرقني بالتوبيخ ... لكي تستطيع الفتاة المسكينة ان تأتي لرؤيتي ، يجب ان يرسل لها فريد نقود الترجمة . حسناً فعلت اذ اخذت معي الطنجرة ، رغم انني الآن قريب من استنبول ... لابد انكم حصلتم على واحدة حتما ، أنتم هناك ... وانا هنا ، كان يجب ان استغني عنها .. كمالي لديه طنجرة ، وهي ليست كذلك . بل قدر صغير لكل شيء ... أنا أمزح طبعا ، كان الآجدى أن أتركها لكم هذه الطنجرة . لا أدري لماذا فعلت هذا ، أنه حس التملك ، دون شك ، الذي دفعني اليه ... في كل الاحوال ، لست أنت ، على وجه اليقين ، الذي أعداني من هذه الرذيلة .. لا اثر لها عندك . ولا أعتقد انها عندي أيضا . من إذاً ، في رأيك ، قد نقل لي هذه الجرثومة ، بشكل عابر ؟ يقول المثل : عندما نرى العنب بسود ينضج العنب ..... « ليس » ... يقولون أيضاً : « الاملاك ، إنها قطعة من الروح » ، لكن هذا لا ينطبق علي ، انت تعرف ... أخيراً ، لم يعد لديك طنجرة . كان بمقدوري تماما أن استعمل قدر كمالي ، أنا أيضاً ..

سميك يكتب لك رسالة طويلة . إنا أتوقف لكي لا أحشو المغلف كثيرا واترك لكمالي مسرة الكتابة لك ، هو الذي لا يستطيع أن يفعل ذلك الا مرة كل خمسة عشر يوماً ... سوف نلتقي يوماً ..... كانت لدي قصيدة ، قديمة جداً ، شيء من هذا القبيل :

سوف نلتقي ، يا أصدقائي ، سوف نلتقي
سنضحك جميعاً تحت الشمس
وسنقاتل سوية ...

لقد تذكرتها للتو ... ثم كانت هناك اغنية لموريس شوفاليه :

وداعا ، كلا ، سوف نلتقي

وداعا ، كلا ، الى اللقاء ...

لماذا فكرت في كل هذا ، وأي فكر متناقض هذا ، اود أن أكتب لك دون توقف ، في هذه اللحظة . اعانقك بشوق . تحيات الى الجميع .

ملاحظة : ارسل لك روايتين بالبريد نفسه . متى قرأتهما أعدهما الى بيرايه . حكمت يجب أن تكون لديه رواية لي ، ويجب أن يعطيك اياها . بعد ان تقرأ الكل ، ارسل الكتب الى استنبول . كتبت الى الرفاق في سينوب . وانت ، لاتكتف بارسال تحياتي لهم ، حدثهم عني في كل رسالة ، كما لو كنت الى جانبك .

- ١٠ -

ريــح الجنــوب

- ١ -

مطلــع

منذ شهر ، ليالي السجن :

هــرر" حاميــة"

ـ افخاذها مبللة"

وبرهــا منتصب

وعضات" على الرقبة ـ

تصرخ ، أحيانا كالعصفور ،

واحياناً كالانسان ،
تائهــةً
حتى الإخصاب .
انه الربيع تقريباً .
وريــحُ الجنــوبِ
تهــبُّ بشــدةٍ
وحرارةٍ كبيرتين .
نحن الآخرين ، ستمائة
رجلٍ بدون نساء .
محرومون من القدرةِ
على منحِ الحياة .
اشدُّ القوى رهبةً ممنوعةٌ على :
ممنوعٌ ، يا حبيبتي ، ان المسَ جسدَكِ
وان ازرعَ حياةً جديدةً ،
وان انتصرَ على الموتِ في رحمٍ خصيبٍ ،
وان اخلقَ معك ،
واقتسمَ هبةَ الرب ...
إنه الربيع تقريباً .
إنــه الليــلُ .
إنها العاصفة .
إنها ريحُ الجنوب .
تهب، عاويــةً ،

بكل سخونة ...

في مكانٍ ما أيضاً ينكسر زجاجٌ

ـ الثالث هذه الليلة .

وباب ردهة بقي مفتوحاً ،

وهو يضربُ ، ويضرب ،

بعنفٍ شديد ...

ـ ٢ ـ

مشاهد ريح الجنوب

البحرُ

ـ ليس بحرَ مرمره ،

بل البحرُ الأسود ـ

وملياراتٍ ـ كم عددها ـ من أطنانِ

الماءِ المجلودةِ بالريح .

وعلى قمة الموجة الأكثر وحشةً ،

علبةُ محفوظاتٍ فارغة ...

وعلى جبهةِ تبيديلين ، جنةٌ

تغطيها صليباتُ الثلج .

خوذتها قد انزلقت ،

وهي تتدحرج ،

وتقفز من جديدٍ تحت الريح .

في باحةِ المصنع ،

ضوءُ الصباح ،

في طرف حبلٍ رفيــع ،

يذهب ، ويجيء ، الى اليمين ، الى اليسار .

امــراة .

حبــلى .

عاريــة العنــق .

شعرُها الطويل ، وتنورتها ، يطيران في الريح ،

أمام باب المشغل .

من الميزابِ ، كتلةٌ من الثلجِ

تدحرجت على الأرض .

والعرباتُ تهبط خبباً نحو السهلِ ،

واجراسٌ على اعنة الأحصنة ،

والستائر السود تتلاطم على الجوانب .

ربمـا مائــة ،

ربما الف ،

واكثر ربمـا ...

تطير في الليــل

نحو البحر ...

مترســة الصاعقة على مدخنــة المصنع قد انقلبت ،

وهي تتلوي ،

وتصطفق كالسوط .

رجلٌ بسروالٍ أزرقَ يتوقف

ـ على راســه سيدارةٌ ـ

يرفـعُ رأسـه ،
ويبتسمُ ،
وينحني ،
ويشعلُ لفافـة في راحـةِ يـده .
في مكانٍ ما أيضاً ينكسر زجاجٌ
ــ الرابعُ هـذه الليـلة .

ــ ٣ ــ

المشـهد الأخير

أشجارُ الحور التي لم تعد الا أشواكاً طويلةً دقيقـةً
كانت مضيئةً
رغم أنه لم يكن هناك ضوءُ قمر ...
وأشجارُ الكستناءِ الكثيفةِ
ذات الأغصانِ المتشابكة تهتز
ــ لم تكن تتمايل
بل تغيّرُ مكانها ببطءٍ ــ
وحشـدُ الأغصـانِ الجرداء
يتقدمُ على مدى النظر
في ضـوء النجوم .
ومع ذلك فريحُ الجنوب هـذه ،
هـذا الزئير .
ومع ذلك في الهواءِ

رائحةُ الطَمَثِ هـذه

وحرارةُ المبيضِ الناضـج .

في الجبلِ يذوبُ الثلـجُ .

ويتقدم النسـغُ

في الأغصان العاريـة .

حبـلى .

الحمْـل .

إنـه الربيـع تقريبـاً .

ويـوم الولادةِ

قريبٌ

ـ مرعبٌ

رائـعٌ

وحـار .

بروصة ، ١٩٤١

كمـال ،

بعثت اليك برسالتين ، إحداها لحكمت . هاهي الثالثة . اعلمني اذا تسلمت كل هذا ، وأعطني رأيك بهذه القصيدة حول يقظة الطبيعة ، واقتراب الربيع في بروصة . أرسلت لك خمس ليرات وصحفاً . وأعتقد بأنني سأستطيع ارسال ٢٫٥ ليرة في الأيام القريبة . اعلمني اذا تسلمت الكل . لا ازال دون أخبار . « الانتظار أشد من النار »(١٥) . انتبه ، لقـد عدت الى الأحرف اللاتينيـة ، دون أن أعي ذلك . اعذرني انت والمدير ـ اعانقك من أجل كل شيء ـ لكون رسالتي قصيرة ، ومن اجل

(١٥) وردت بالعربية في النص .

القصيدة ، وأيضا لأنني عدت الى الأبجدية اللاتينية من قلة الانتباه ، ماذا تريد ؛ لقد قالوا حقا « أن العادة أسوأ من الكلب ... »

الى اللقاء . ان العدالة ستنتصر في النهاية ، وسنلتقي ثانية ...

اخـوك

كمال ، تسلمت رسالتك في اللحظة التي كنت أسلم رسالتي الى البريد . أنا مسرور بها جدا ، وقد كنت قلقا بالفعل . سؤال : ألا تزال دون رسائل من حكمت . لقد كتبت له مع ذلك . السبب ؟ لا يهم ، في النهاية ... أخبار صغيرة : اصابتني عدوى القمل . وأنا على وشك أن أكتب قصيدة جديدة . قرأت ثانية القصيدة التي كتبتها لك أعلاه ، ولم تعجبني . ستكون الجديدة أحسن ، من صنف آخر . وصلتني رسالة من بيرايه . كنت قد نسخت لها كل ما قلته بشأنها في رسائلك . وأنقل لك جوابها كما هو : « مودتي الى كمال . يجب ألا يجعل مني مثلاً أعلى . لأن أمله سيخيب . أنا امرأة بسيطة دون ادعاء . لي قلب طيب ، وأنا شريفة . هذا كل ما هنالك . »

وقضية نقل حكمت ، اليس من جديد ؟ لا تستطيع أن تتصور كم أنا سعيد اذ علمت أنك عدت الى العمل . مرحى ، يا عزيزي كمال .

- ١١ -

٣٠ / ١ / ١٩٤١

عزيزي كمال ،

البارحة الخميس ، تسلمت رسالتك في اللحظة نفسها حين كنت أنهي رسالتي الاسبوعية . أكتب لك واحدة جديدة ، بتأخير يوم واحد . وعلي أولاً أن أوجه اليك سؤالا : حكمت لم يرد على رسالتي الاخيرة .

وقد سألتك عن السبب . وأنت تعرف جيداً انني أحب وضع النقاط على الحروف ، وسوف تسألني عما اذا كان هذا بدعة جديدة عندي. كلا ، لكن بما أن ضخامة النقاط تختلف تبعا لطول الحروف ، وبما أننا نادراً ما سنحت لنا ، حتى الآن ، فرصة وضع النقاط على أحرف كبيرة ، فانك لم تلاحظها ربما . لا يهم ، مع ذلك . لكن حاول أن تشرح لي هذا الصمت من حكمت . ثم هل يوجد جديد حول موضوع نقله ؟ أفدني عن ذلك . انا متمسك بأن ترد على هذين السؤالين . ولا تنس خصوصاً أن تفعل ذلك .

يبدو مزاجك حسناً دائماً عندما تعطيني اخباراً عن عملك . لقد دمعت عيناي ، وشعرت أنني فخور بك . أنا موقن بأنك ستصبح يوماً كاتباً من مستوى رفيع ، وهذا اليقين يدعم ايماني بجمال العالم . انا واثق أنه ـ وسيكون ـ من الجميل ان نعيش فيه . عندي رغبة قوية في أن أراك ثانية . فمنذ خمسة عشر عاماً ، ولا أقول تسعة وثلاثين ، بحثت عن صديق يشاطرني كل آرائي ، وتكون له عقليتي ، ولا يكثر من قلة الوفاء ، لاحظ أنني لا اطلب اليه أن يكون وفيا مائة بالمائة ، صديق طبيعي ، قدر الامكان ، قدر ما نستطيع أن نكونه هذه الايام ، قليل الاستقامة بمقدار ما أنا ، ليس ملاكاً ، ماذا ! لكنه رجل يكون سيئاً وطيباً على قدر ما أنا . وغالباً ما اعتقدت أنني لقيته . فظهر البعض أسوأ مني ، وبما أنني استخدمت أخطائي الخصوصية كمعيار ، في هذه العلاقات بين رجل ورجل ، فقد شعرت أنني أخان . الآخرون أصبحوا أعدائي ، ليس في علاقاتنا الشخصية ، ولكن على مستوى أكثر ارتفاعاً بكثير . باختصار ، كنت سخيفاً ، أغلب الاحيان ، فقدرت أنني قد خونت . بحثت بعناد عما يسمى « صديقا » ، وهي كلمة ليست ، ربما ، الا تعبيرا عن علاقات القرون الوسطى ، لكنها تستطيع ، دون شك ، أن تكتسب في الازمنة العصرية ، مضموناً جديدا كل الجدة. أنت تعلم أنني إكتشفت واحدا : إنها زوجتي بيرايه ، أختك ذات الشعر

الاحمر . وأعتقد جيدا أنك الثاني ، أنت يا كمال . أنت صديق بالنسبة لي ، ولكن عندما تنعتني بالشقيق الاكبر ، لا تستطيع أن تتصور الى أي حد اكون فخورا وسعيدا . رشيد كمالي عنده هنا مجموعة « بني آدم »(١٦) . عندما كنت أقلب صفحاتها ، في يوم من أيام الامس ، وقعت في عمود « شخصيات » ، على مقال يتعلق بالكاتب الهزلي ايليا ايليف ، الذي كان قد توفي للتو حينئذ ، وكان يستشهد فيه حسن علي اديز(١٧) بفقرات من دراسة طريفة . انسخ لك هنا بضعة أسطر : « ايليا ايليف كان قبل كل شيء ، رجلا شريفاً وذا مبادىء . كان يكره الكذب ، ويسترشد دائماً بالحرص على الحقيقة . وما كانت قوة لتستطيع أن تمنعه من التعبير عن الافكار التي يعتقد انها صحيحة . كان ايليا ايليف صديقاً حقيقياً ، يساعد كل الذين يلجؤون اليه . كان يحب تنفيذ كلامه ، والوفاء بوعوده دائماً . وكان يعمل كثيراً ... »

كم هي جميلة صورة انسان الغد هذه ، التي يرسمها وصف ايليا ايليف . يجب ان يكون سهلاً الارتباط بصداقة رجل كهذا . نحن لسنا ايليا ، لا أنت ولا أنا . لكن ، شكراً لله ، اننا نفهم مناقبيته . ورغم أننا لا نملك أكثر خصاله ، فاننا لا نصرح بصورة قاطعة ورجعية ، بأن الامر يتعلق هنا « بميزات البرجوازي الصغير » . ففي اطار العلاقات الفردية ، ألا تكذب من أجل مصلحتك الشخصية ، وأن تفي بوعودك ، وتساعد الصديق الذي يطلب ذلك اليك ، ولا تفار منه ، وتكون لديك الشجاعة لأن تقول ما تعتقد أنه الحقيقة ، أن تكون انساناً صاحب مبادىء ، انساناً شريفاً ... يجب علينا نحن أيضا أن نبذل الجهد لنصبح هذا الانسان ، ولو قليلاً جداً ... وأنا أعتقد اننا نستطيع ذلك ، لأن لدينا الشجاعة الكافية ــ وأنا أستعمل هنا تعبيرا تحبه

(١٦) « الانسان الجديد » مجلة دورية ذات اتجاه تقدمي .

(١٧) « حسن علي اديز » مترجم لعدد كبير من أعمال الادب الروسي .

كثيرا ــ الاعتراف بجوانبنا السيئة ، ولأننا لا نخاف ، من اجل تصحيحها ، أن نناضل ضد انفسنا دون شفقة . يا عزيزي كمال ، أرغب جداً في أن أراك ثانية .

قرات ملاحظاتك بصدد قصيدتي . وسررت أنها أعجبتك بصورة عامة ، لكني انا لا أزال غير معجب بها . أما بشأن تعليقاتك من وجهة النظر الفنية : نعم ، من الافضل استخدام « حـرّك » بدلاً من « ضرب » ، « مياه تتحرك تحت الريح . ثم أنني سأعيد الترتيب ، في مقاطع القسم الاول ، ونعقد المقارنة فيما بعد ، ونقرر الشكل الذي يبدو لنا أفضل . في كل حال ، تبدو لي الصيغة البديلة التي اقترحتها أنت افضل . أما في ما يتعلق بالعنصر الذي هو « الشتاء » فانني لست من رأيك . أعتقد أن الفترة التي تسبق الربيع ، عشية الولادة ، هي عنصر مهم في القصيدة . قد لا اكون قد تمكنت من التعبير عن هذا المظهر بالقوة اللازمة . هذا محتمل جدا . من وجهة نظر البناء ، ملاحظتك عن الشبه بين هذه القصيدة وتلك التي كتبتها في تشنقيري، صحيحة تماماً . حتى أنني لاحظت ذلك بنفسي . ما أريده هو تطوير هذا النوع من البناء ، من جهة ، والذهاب ابعد أيضاً في هذا الاتجاه ، من جهة أخرى . لكن هذه الخصوصية هي من الوضوح بحيث يصعب ابقاؤها في المستوى الخلفي . ملاحظاتك الأخرى ، خصوصاً تلك المتعلقة بـ « مشاهد الليل » ، صحيحة تماما . وبعد ، من المؤكد أنه أسلوب عقيم ، ووحيد الطرف، أن نصف الانطباعات مستندين فقط الى الخطوط الاولى لمشهد ما . اذكر بسرور أنني ناقشت هذا معك في احد الايام ، وكنا نصرخ بأعلى صوتينا . وكونك عدت اليوم الى أفكار كنت انا قد دافعت عنها آنذاك ، وقلت عنها أنها تشكل الصعوبة الاساسية ، قد داعب غروري ، وأعترف لك بأن الخساسة والصفار دفعاني لأن أقول لنفسي : « كنت قد فكرت بهذا قبله » .

« **رائحة الطمث** » أصبحت « **رائحة جسد انثوي** » :

ومع ذلك في الهـواء

رائحة جسـد انثوي

وحرارة المبيض المخصّب

كذلك شطبت هذا البيت « اقتسم معك هبة الرب » . وسأستخدم « هي مضيئة » بدلا من « كانت مضيئة » ... في كل حال ، لا تستحق القصيدة أن نتكلم عليها أكثر من ذلك .

اقرأ حالياً « جزيرة البطريق » لاناتول فرانس . سأقول لك رايي في هذا الكتاب عندما أرسله لك . لكن هذه الرواية تضم افكاراً حول التعبيرية والانطباعية في الرسم ، وفي الفن عموماً ، نجد فيها ملاحظات في غاية الصحة . ويجري الكلام فيها على المفاهيم المثالية ، وأفكـار الكهنة التي توجـد في أساس تيـارات كالتعبيرية ، والبدائية الخ .. والمؤلف يعلق فيها بشكل عجيب ، إن لم يكن على الجذور الاجتماعية، فعلى الاقل ، على الاسس الفلسفية التـي تستند الى هذه الجـذور الاجتماعية في كل مفاهيمها الفنيـة التي تتهـرب من الحجم والكتلـة والتضاريس والمساحة الخ ..

ثم وقعت على مقالـة لخالدة اديب تعالج ايضـاً هذه التيارات ، أستشهد لك بجزء منها ، كما هو ، بدون تعليق ، على سبيل الفضول:

« قديماً كان أم جديداً ، ومهما يكن الاسم الذي نعطيه ، فانالتعبير عن الحياة في الفن ، يأخذ واحداً من الاشكال التالية :

١ – **الاغريقية** : أي الفن الذي يحقق التوازن الكامل ، والانسجام بين المعنى المعبر عنه ، والفكرة ، والتقنية . ويمكن أن نسميه بالنقطة المركزية للفن . فكل مفهوم فني يشكل خطوة نحو اليمين أو اليسار، انطلاقا من هذه النقطة المركزية . ويمكن أن ندعو بالتعبيرية التيارالذي

يذهب نحو المعنى والحرية ، وبالتكعيبية ذلك الذي يذهب نحو الشكل والتوفيـــق .

٢ ـ كل مفهوم فني يبتعد كثيراً عن المركز ، أي يميل نحو الاخلال بالتوازن بين المعنى والعبارة ، يتعهر عاجلاً أم آجلاً . فهو يقود من جهة الى الفوضى ، ومن جهة أخرى الى الشكلية العارية من الحياة . إذاً ، يجب أن يكون الهدف الرئيسي للفنان ، قبل كل شيء ، الاحتفاظ بحريته الداخلية ، ومن ثم ، عندما يعبر عن الفكرة والاحساس ، أن يمنـــح الاهمية نفسها للشكل والمقياس والاسلوب ، وأن يكتشف الشكل الاكثر ملاءمة له . »

تسلمت اليوم رسالة من بيرايه . انها تنوي الوصول يوم الاثنين أو الثلاثاء ، وسنرسل لك صوراً . تحياتي الى كل من يسألك عـــن اخباري . أنت لا تتكلم على أحد في رسائلك الاخيرة . مع ذلك ، بلـــغ تحياتي الى الجميع ... ابراهيم أفندي من قرية يايالار موجود هنا ، ويرسل لك تحياته ، كذلك أمين بك وارطفرل بك وديمتري . تحياتي الى مديركم . بأي طريقة سيمكن من فك هذه « الخربشة » ؟ كان الله في عونه : أعانقك بشوق أيها الأخ .

- ١٢ -

١٩٤١/٢/١٠

عزيزي كمال ،

تأخرت بعض الشيء في الكتابة اليك ، لعدة أسباب : انتظرت أولاً وصول بيرايه ، بأمل الحصول على أخبار أنقلها اليك . وقد تأخرت بيرايه في المجيء . وجاء يوم الاحد في هذه الاثناء . ثم وصلت بيرايه .

وهي ترسل لك كل مودتها ، وصرحت بأنها ستكتب اليك بشكل مستقل وبغلاف مستقل . أخيراً كانت رسالتي هي التي تحملت النتائج ، فألف عـذر .

تلقيت رسالتك التي آلمتني ، لأنك كنت حزينا . في علاقاتنا مع الناس الاكثر ازعاجاً ، والاكثر ضرراً حتى ، نصل في لحظة معينة ، الى يقين مريح . ما أقوله لك هنا يجب ألا يدهشك ، فبالرغم من المظاهر ، أتوصل من وقت لآخر ، فيما يتعلق ببعض الاشخاص ، الى هدوء النسيان والقناعة ، وذلك بعد صراعات طويلة . أرجو أن يكون الامر كذلك بالنسبة اليك . وبعد ، أيها الصديق ، ان الاهتمام الذي أولي الى انتقال حكمت الى بروصة ، ليس فيه شيء من الرومنطيقية ، بل على العكس ، أنا واقعي جداً . . . لذلك أرجوك أن تقول لي بصراحة – اذا كنت تعرف شيئاً عن الموضوع – أين وصل في قصة الانتقال هذه، وهذا كـل شيء .

من المؤكد ، أن الرومنطيقية ، كما تصفها ، هي خطأ كبير ، والانتقادات التي توجهها صحيحة جداً . على أنه يكون من الضروري أحياناً في الواقعية – كما أفهمها – وفي حقل الأدب فقط ، ان .... كيف اقول ، أن نحور ، عندما وحيثما يتوجب ذلك ، الاحداث والافراد ، ومع كل نقاط ضعفهم مع ذلك .

في أدب واقعي خلاق ، نشيط وفعال ، ينبغي الا نهمل هذه الاداة في التأثير على القارىء. ففي الادب، تستطيع الواقعية الجديدة، واقعيتنا نحن ، أن تتغنى بالابطال والبطولة ، وأن تمارس تأثيرها بقوة اكثر ، وسهولة أكبر ، بفضل ابطال وبطولات مفرطة ، جرى ابرازها في حدود صحيحة . هذا البطل يمكن أن يكون اما الفرد واما الجماهير . يجب ألا نهمل هذا المظهر من الرومنطيقية ، لكن في الأدب ، وفي الادب فقط. وأستطيع أن أقول الشيء نفسه عن الغنائية . أن ننكر الغنائية جملةً ،

فهذا يعني أن ننكر ظاهرة متصلة بالواقـع ، وهذا لا علاقة له البتـة بالواقعية . فبالنسبة لفن واقعي ، فن نشيط يرغب في التأثير ـ بدوره ـ على الواقع ، تشد كل الغنائية المستخدمة دون مبالغـة ، وفي حـدود صحيحة ، عنصراً يدعم هذا التأثـير . لنختصر : ان استعارة بعض العناصر من التيار الرومنطيقي في مظهره المتصل بالبطل/والبطولة ـ مما ليس له اي علاقة بما تقول وتوحي في رسالتك ـ ومن الغنائية التي تذهب رأسا الى القلب ، كما تقول العامة ، ـ ومع هذا الا يشكل هذان العنصران جزءا من الواقع ـ ان هذا يجعل أدباً واقعيا فعالا أكثر اتماما وكمالا ونشاطا . ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن الحبكة والموضوع المعقد والقصة . يروي بلزاك قصة ويبني حبكات بوليسية . وبفضل هذه الادوات ، القصة والحبكة ، يزداد الاهتمام الذي يثيره فينا والتأثير الذي يمارسه علينا . ونلاحظ الظاهرة نفسها عند شولوخوف . وبكلمة واحدة ، انا أعتبر الواقعية الملتزمة مدينة لنفسها باستخدام كل العوامل التي يمكن أن تثير انفعال القارىء . حسنا ، كفانا كلاما على كل هذا .

استعد لكتابة قصيدة كبيرة ... في هذه الاثناء كتبت واحدة صغيرة . والدافع الذي حملني على كتابتها هو الفرح الذي شعرت به لأننا لم ندخل الحرب لحسن الحظ . وقد وضعت لهذه القصيدة التي كتبتها عنوانا هو « البستان » ، مع شعوري بالسعادة الناشئة عن ان تركيا لم تدخل الحرب . وها أنا انسخها لك هنا :

فــي البســتان

شجرةُ الخوخِ
قد ازهرت دون شك
ـ شجرةُ المشمش تزهرُ اولاً
وشجرةُ الخوخِ اخيراً .

يا حبي ،

على العشبِ ،

لنركعْ

وجهاً لوجه ...

الطقس جميل ، الطقس صافٍ

ـ لكنه ليس حاراً بعدُ ـ

وقشرة اللوز

خضراء يكسوها الزغبُ

لا تزال غضةً ...

نحن سعداءُ

وفي وسعنا أن نعيش ...

وكان يمكن ان نموت منذ وقتٍ طويلٍ ،

انتِ في لندن ، وبرلين ،

وانا في طبرق ـ او على سفينة شحنٍ انكليزية .

يا حبي ،

ضعي يديكِ على ركبتيك

ـ قبضتيك السميكتين البيضاوين ـ

وافتحي راحتك اليسرى .

فان نورَ النهارِ في راحتكِ ،

مثل حبة المشمش ...

ثمة موتى في هجومِ هذه الليلة ،

مائة" منهم كانوا دون الخامسة ،
واربعة" وعشرون لا زالوا رضـّعاً ...

يا حبي ،
إني احب لونَ حبةِ الرمانِ
ـ حبةِ رمانٍ ، حبةِ نورٍ ـ
وعطرَ الشمام ،
وطعمَ الخوخِ المز ...

في يومٍ ممطرٍ ،
بعيداً عن الثمارِ ، بعيداً عنك
ـ وليس ثمة شجرة" مزهرة ،
والثلجُ ينذر بالهطول ـ
وفي سجني في بروصة ،
اكتب كل هذا عن قصد :

انهم جاهزون
ـ بعضُهم فخور" كما بمأثرة ـ
ان يستشهدوا
بهذه السهولة
ـ ولماذا ،
إني أعرفـ" السببَ جيداً ...

وهكذا ترى ، أليس كذلك ، انه من المبهج مع ذلـك ، أن يكون الانسان شاعراً تركياً ، وان يكتب هذه الأشياء ، بكل هدوء ، في عالم

مباح لالسنة النار . عمت مساء ، يا عزيزي كمال . لا احد يسأل عن اخباري ، ولا احد يرسل لي تحياته . تحياتك تكفيني .

اخـوك

- ١٣ -

١٣ - ٢ - ١٩٤١

عزيزي كمـال ،

لقد استعادت رسائلي ايقاعها المنتظم ، ولنأمل الا تفقده بعد الآن . ذهبت اليوم الى الحمامات الحارة ، واغتسلت . وقد اراحني ذلك لدرجة الخجل ، وانا اكتب لك هذه الرسالة ، من هذا الانتعاش ، لانه انتعاش الجسد ، والعظام ، واللحم البشري ، وقد غدت أكثر طراوة من الماء الدافىء ، وأكثر استرخاء الى حد بعيد ، وقد تدفأت بأشعة الشمس ، أثناء الطريق . فمنذ ثلاثة ايام نشعر وكأننا في فصل الصيف هنا . سوف تقول لي بأن ليس ثمة ما يدعو الى الخجل . بلى ، على العكس ، في ذلك ما يدعو الى الاحمرار خجلا . ان تكون أنت ، مثلا ، لا تشعر مثلي بهذه الراحة ، وأن تكون هـذه العافية التي تزعجني شخصية جدا وأنانية .

قرأت على بيرانيه رسالتك الاخـيرة التي تضمنت تعليقاتك على الرومنطيقية . وقد آلمتها هذه الرسالة كثيرا ، وقالت لي ان لديك هموما ، واعتبرت مآخذك علي بصـدد الرومنطيقية صحيحة جدا ، وختمت قائلة : « هذا ما قلته دائما » . باختصار ، كانت غاضبة جدا علي ، لأنها خمنت انك وحيد بكل ما كنت تقوله عن الرومنطيقية ، لكنها كانت غاضبة منك أيضا ، لأنك انحزت لرأيها فيّ ، وعندما رأيتها مستاءة جدا ، أعطيتها رسالتك قبل الاخيرة ، فقرأتها ، واستعادت

نظراتها رقتها ، وقالت : « انه يكتب جيدا ، هذا الولد الظريف » ، وهكذا انتهى كل شيء على ما يرام .

كمال ، تلفت انتباهي ، من آن لآخر ، قصائد لشعراء شبان من اليمين أو اليسار . وانا اقرؤها بالاهتمام الذي تتصوره ، وبأمل ، وحتى بحب ممزوج بالفخر . لكن شيئا من ذلك لا يروقني . ان مايكتبونه رديء جدا ، يا عزيزي كمال ... ذلك لأن الاخلاص ينقصهم ، قبل كل شيء ، ويبدو هذا وكأنه حقيقة عامة ، لكنه مهم جدا في الفن . نعم انهم ليسوا مخلصين ، واعلم انه من الصعب جدا أن نكون . لكن ثمة اخلاصا طفوليا يمنحه الشباب ، ونقصا في التجربة . حتى هذا الاخلاص لا يملكونه . انهم يتظارفون ويتخذون أوضاعا ، هؤلاء القذرون الصغار ، والأدعياء ، والمتشاعرون ، والنظامون . بينهم واحد لابأس به يدعى سفر آيتيكين .. لكنني لشد ما أخشى أن يبدأ هو الآخر ويحذو حذو النظامين المثقفين الادعياء . هذا النوع من النظم ليس خاصا بأسلوب مدرسة « الفجر الآتي »(١٨) أو الادبيات الجديدة(١٩) أو بأصحاب شعر المقاطع(٢٠) ، وليس شعرا غنائيا مقطوعا عن ينابيعه ، بل هو مرض المثقف البرجوازي الصغير ، يقفز وسط التيارات حيث لا نتوقعه الا قليلا ، وحتى وسط الالتزامات العقائدية الأشد صلابة ، في اقل الاشكال والتعابير مناسبة للنظم الشعري ، بالمعنى القديم للكلمة ... من جهة أخرى ، نلتقي هذا النوع من النظم في الخطب السياسية الأكثر بدائية وتظاهرا ، وموسوليني شخص يتعاطى النظم ، وخطبه « نظمية » من النوع الاكثر ابتذالا . فهو عندما يصرح : « اننا سننتزع قلب اليونان »

---

(١٨) مذهب أدبي في نهاية القرن التاسع عشر يدعو الى فن ثمين شكلي .

(١٩) مدرسة أدبية في نهاية القرن التاسع عشر متأثرة كثيرا بالادب الفرنسي ، كانت تجمع حول مجلة « ثروة الفنون » العديد من الشعراء والروائيين ، بعضهم من أصحاب المواهب .

(٢٠) مجموعة من الشعراء في الاعوام ١٩٢٠ ، تبنت الشعر المقطع .

يقدم أكثر الأمثلة نموذجية عن النظم المبتذل . اريد أن أقول بهذا ان النظم الشعري لا يعبر عن نفسه بآفاق زرق وغيوم وردية فقط . « حبيبتي في البطاقة » هذا من النظم . بهجت كمال(٢١) والشاعر الشاب عزت دينامو أيضا . . . نستطيع ان نقول ان الفاصل بين الغنائية الواقعية ، وهذا النوع من النظم ، لا يتحدد على أساس الكلمات والصور المستخدمة ، وحتى على أساس الأفكار المعبر عنها ، بل على أساس الوضع الاجتماعي للشاعر ، ومقدرته على تمثل المذهب الذي تبناه ، وتجريده من كل عقائدية ، في الحدود التي استطاع أن يحولها الى غريزة ، أي وفقا لفعله العملي ، واخيرا حسبما يكون شاعرا أو لا يكون ـ بالمعنى الاساسي للكلمة ـ . والآن عندما أعيد قراءة الكثير من القصائد ، دون أن أتكلم على نفسي ـ اذ يوجد الكثير من « النظم » عندي أيضا ، وحتى في قصائدي الأكثر خشونة ، وتلك التي يكون فيها أقل توقعا ، وفي أبياتي الأكثر صراخا ، حسنا قلت اننا لن نتكلم على نفسي ـ نعم عند باسترناك وماياكوفسكي ، يوجد « نظم » أيضا . وآسف اذ أجد لدى هؤلاء المعلمين منه أكثر مما عندي . . . يا عزيزي كمال ، يوم أن أستطيع التخلص من هذا « النظم » ـ ولسوف أستطيع ، يمكنك أن تثق بذلك ـ سأصبح شاعرا حقيقيا ، أثق بنفسي ، باخلاص هاوي الشعر الشاب ، الذي لم ينشر بيتا واحدا ، ولكنه مقتنع بأنه سيكتب أعمالا رائعة ، نعم ، سأكتب أشياء هائلة . وما أنصحك به الآن ، هو أن تعيد النظر ، من وجهة النظر هذه أيضا ، بكل ما تكتب . . . هذا « النظم » ليس هو الرومنطيقية . زولا كان من مذهب الطبيعيين ، لكن كان عنده الكثير من النظم . وكان عند بلزاك ، وعند شولوخوف خصوصاً ، الكثير منه . أريد أن أقول ان هذا الوله الشعري مرض يمكن أن يصيب أي مدرسة ، من التقليديين الى الواقعيين الجدد . ان صبية استنبول الرديئين هم « نظامون » بشكل مرعب ، على الاقل أولئك الذين ليسوا أصلاء .

---

(٢١) شاعر وطني من الكماليين .

كانت بيرايه تقول لي مؤخرا : « ناظم ، انت تعلم الناس اشياء كثيرة لكنك تفعل ذلك بشكل يجعلهم يعتقدون انهم وجدوا كل شيء بأنفسهم ، بانهم كانوا يعرفونه ، دون أن يلاحظوا انك انت الذي علمتنا اياه ... » والامر لا يتعلق بهذا الحكم ، فقد كانت زوجتي تقدم لي اطراء . لكنني أعتقد اننا اذا فكرنا في هذه الكلمات ، نستطيع ان نصل الى نتيجة مهمة دون أن نطبقها على شخصي . ان الواقعية الخلاقة ، النشيطة والفعالة المهذبة ، يجب ان تنتبه الى هذه الناحية من دورها . فاذا تأثر القارىء ، خلال العملية النفسية ، بالكاتب الواقعي ، مهندس النفوس ، فتشرب وتكيف وتحول ، حتى دون ان يلاحظ ذلك ، فانه يتأثر بسهولة اكثر ، ودون أن يبدي مقاومة . وكما ترى ، يا عزيزي كمال ، أنا ألح مرة اخرى على هذه النقطة . في رايي ، ان ما ينبغي وضعه في المرتبة الاولى في الادب الواقعي الجديد ، هو قدرة هذا الادب على التأثير ، وجهه التهذيبي ، إذاً يجب أن يرشد القارىء لكي يصبح أكثر نشاطا في الحياة من الناحية العملية ... لكن هذا يجب أن يتم بكثير من الحذق ، والا لا تكون الرواية رواية ، ولا القصيدة قصيدة ، بل هجوا أو موعظة أو نصائح ، الامر الذي لا يتعلق ، على ضرورته ، بالشعر ، ولا بالرواية ولا بالقصة . بينما عملنا هو الشعر والرواية والقصة . حسنا ، يكفي الكلام على الادب .

..

ارسلت لك ٥ ليرات واعتقد انه سيكون بامكاني ان ارسل لك ليرتين ونصف الليرة ايضا . لا تنس أن تشعرني بوصول كل هذا اليك . تحياتي الى المدير ، والى كل الذين سيسألونك عن اخباري . تحيات من أمين بك ، وارطغرل بك ، وابراهيم افندي ، وقرية باياار ، ومن ديمتري . سيرسل لك رشيد كمالي قصته ، ويكتب لك رسالة ، ويكتفي الآن بآلاف التحيات .

اخوك

ملاحظة : ارسل لك في طيه صورة أخذت مع بيرايه في باحة سجن بروضة .

- ١٤ -

عزيزي كمال ،

شكراً لله . لقد تسلمت رسالتك . كدت ارسل لك برقية . فقد تصورت انك مريض ، وكنت عصبيا وتعيساً . أنت تعرف كيف تصير حالتي في تشنقيري ، عندما كانت لا تصلني رسائل من بيرايه . وكانت الحال كذلك اليوم ، وفهمت بيرايه جيدا لماذا ارسل لها البرقيات دون توقف . لكن العاصفة مرت . وها انا هادىء الآن .

ارسلت لك خمس ليرات ، ثم ليرتين ونصف الليرة . أخبرني اذا تسلمتها كلها . سأرسل لك بعض الكتب أيضا ، في البريد القادم . وقد كنت تعيسا جدا ، وخجلا جدا ، لانني لم أستطع ان ارسل لك سكاكر وشوكولا ، وسأفعل ذلك في أول فرصة ، هذا الاسبوع . كنت قد وضعت لك « مبسم » سجائر في احدى الصحف ، فهل تسلمته ؟ اذا لم يطلق سراحنا قريبا ، فسألجأ الى كل الاساليب لنقلك الى بروصة. وسنجد ما يلزم لندفع لك نفقات السفر ، فلا تهتم . اذ انه من الحماقة ان تبقى هناك وحيداً . ولننتظر نهاية شهر نيسان . وسنلتقي حينئذ اما هنا ، واما في الخارج ... عندما كنت معك في تشنقيري ، كنت افتقد بيرايه . والآن بيرايه هنا ، وافتقدك انت . لقد كتبت لك رسالة سترسلها بنفسها . وقرأنا اليوم كمية كبيرة من القصائد . وتكلمنا عنك . أساساً ، أيها الاخ ، أنت الى جانبنا دائما .

انتقاداتك لقصيدتي صحيحة تماما ، و « كالمشمشة » عديمة النفع بدون شك ، و « خضراء تماما » ايضا ... وقد كنت سعيدا كالاطفال لان المنمنمة الشرقية كانت واضحة في جزء القصيدة الذي يبدأ بـ (على المشب) . عندما كتبتها ، كان امين بك الى جانبي ، فقلت له : « ما أريده هو أن أكون جالسا مع المحبوبة ، كما في منمنمة . » ولم يفهم

شيئا من ذلك ، لكنه ابتسم بأدب . ومع ذلك ، فكونك قد لاحظتها ، انت ، لا يدل على نجاحي بل ، ببساطة ، على انك ترى جيدا جدا مـا نسميه « شاعرية » ، وتحس بها كما لو كنت تلمسها باصبعك . لنعد الآن الى « النظم » . لقد قلت لك ما اعنيه بهذا التعبير . انت تطرح سؤالا ، عما اذا لم يكن من الواجب أن نحاول استخدام هذا التعبير ، أي استخدام « النظم » . في رأيي انه لا يمكن استخدام هذا العنصر في الادب الواقعي النشيط ، التهذيبي والفعال ، لانه ، قبل كل شيء ، « غير أدبي » ، على ما استطيع القول ، و « ديماغوجي » . في رأيـي أيضا ، انه من الناحية العملية ، وطالما اننا في اطار الادب الواقعي ، ينبغي ان نتجنب كل « ديماغوجية » . « فالديماغوجية » يمكن احيانا أن تكون سلاحا فعالا ، وحتى ضروريا ، ويجب أن تستخدم ضمـن بعض الشروط ، واذ ذاك يكون من الخطأ والتعصب الضيق الا نستخدمها لكن تأثيرها عابر لا يدوم ، بينما يكون الدور التهذيبي للادب الواقعي ثابتا يزداد باستمرار ، ويتعمق ، ويستطيع الاقناع بالشرح ، ومـن هنا ، يكون فعالا في التطبيق . باختصـار ، أريد ان أقـول بأن الادب الواقعي ، كما افهمه ، ليس وسيلة للتحريض . فالتحريض يلعب في الحياة أيضا دوراً فعالا وتهذيبيا ، هذا صحيح . لكنه يمارس مع عناصر « أدبية » اخرى .

كنا نتحدث منذ أيام مع سميك . فهو في سبيل كتابة قصة ستكون جيدة ، على ما اعتقد . وقد سألني عن الفرق بين الرواية والاقصوصة والقصة . وفكرت في ذلك ، واعتقد انك كنت تقول لي في احدى رسائلك: « ساجيرديره »(٢٢) قد تجاوزت المائة صفحة . واظن ان رواية ستخرج منها ، ولكن الفرق بين الرواية والقصة ، هل هو في عـدد الصفحات ، لا أدري » سأكتب لك ما أرى في ذلك دون ترتيب ، ولوهلة التفكير الاولى انا أكتب اليك كما افكر ، كما انني افكر ، ببسـاطة ، بصوت عال ، عندما

---

(٢٢) « الساقية الصماء » عنوان قصة سيجعل منها كمال طاهر رواية فيما بعد .

أتحدث اليك . يبدو لي أن الفرق بين القصة والرواية ليس كميا بل نوعيا وذلك ليس فقط بين القصة الطويلة أو القصيرة ، وبين الرواية ، بل أيضاً بين هـذه الانواع وبين الشعر . ولانني ، اساساً ، بدات ارى الفرق هكذا بين الشعر والأنواع الأدبية الأخرى ، احاول أن أحذف الفارق في اللغة ، الذي يشكل بالنسبة الي ، قبل كل شيء ، معضلة كمية . كانت توجد ، الى الآن ، لغة شعرية ـ دون اعتبار المدرسة التي تنتمي اليها القصيدة المعنية ، فهذا لا يضير في الأمر شيئاً ـ لغة شعرية إذاً ونثر يتميزان جيداً عن بعضهما البعض . زيادة على ذلك ، ونتيجة لخصائص تركيب الجملة التركيبية ، عندما كنا نضع الفعل في بداية الجملة او في وسطها ، كانت اللغة تصبح لغة شاعرية . وبينما يتمتع النثر بامكانيات واسعة ، من اللغة المحكية الى تعابير المؤلفات العلمية ، تبقى اللغـة الشعرية محصورة في قالب بعض الأساليب . لذلك من الضروري أن نمنح اللغة الشعرية امكانيات واسعة ، كتلك التي يتمتع بها النثر ، وأن نلغي التمييز بين اللغة الشعرية والنثر . وهذه مسألة شكلية ... ان المضمون هو الذي يحدد الشكل ، لكننا نعلم جيداً بأن الأشكال التي يحددها المضمون ، يمكن ان تؤثر جدلياً على هذا المضمون، وان تمارس تأثيراً محافظاً ، رجعياً ، على المضمون الذي يتبدل ، وإن كان ذلك من وجهة نظر الكمية فقط . لذلك ، إذا اعتبرنا أن لا فرق بين اللغة الشعرية ولغة النثر ، فماذا يكون الفرق إذاً بين الشعر والرواية والقصة ؟ سأشرح لك ذلك بمثال : نستطيع أن نصور منظراً بقلم الفحم، أو بالألوان المائية ، أو بالألوان الزيتية ، من صورة منقوشة ، أو من صورة ضوئية الخ .. فالرسام الواقعي يستطيع أن يعيد تصوير الواقع، في كل هذه الأنواع ، بالأبعاد نفسها ، والأحجام نفسها ، والطول نفسه . لكن احدى هذه الأعمال تكون رسماً زيتياً ، والأخرى مائياً ، والثالثة فحمياً الخ . لنعـد الى الرواية . يمكن للرواية أن تكون من ثلاثمائة صفحة ، والقصة كذلك . فالفرق ليس في عدد الصفحات . ستقول لي أن ليس ثمة رواية من صفحتين ، بينما القصة يمكن أن تكون من صفحة

واحدة ، بل من نصف الصفحة . هذا صحيح . هذا « الحد الأدنى » صحيح أيضاً بالنسبة للرسم . فالمنظر المرسوم بالقلم يمكن أن يتقلص الى سنتمتر أو سنتمترين مربعين . وعلى العكس ، إذا استعملنا الرسم الزيتي ، فإنه لا يمكننا حصر المنظر نفسه في سنتمترين مربعين ، حتى لو استخدمنا أسلوب المنمنمات ... أما فيما يتعلق بالتصوير الضوئي، فإنه يستطيع أن يقلص المنظر نفسه الى نصف السنتمتر المربع ... هذه الحدود الدنيا ، لاحظ أن الأمر لا يمكن أن يتعلق بحدود قصوى ، تتأتى بكل بساطة من الخصوصيات التقنية في تنفيذ الأنواع ، وهي نادرة في التطبيق . أنا لا أتصور قصة من سطر واحد . حتى ولو كان هذا ممكناً ، فإن الأمر يصبح رهاناً ، حتى ولو تعلق بقصة من نصف صفحة ، كذلك الحال هي في الرسم . إذاً ، كقاعدة عامة ، لا يأتي الفرق بين الأنواع الأدبية ، في رأيي ، من عدد الصفحات . وها أنا أفكر للتو ، بأن أعمالاً من مائتي صفحة ، وثلاثمائة ، وحتى اربعمائة صفحة ، قرأتها كروايات ، وأعجبت بها ولا أزال ، كانت في الحقيقة قصصاً ، بينما أعمال من مائة صفحة ، مائة وخمسين ، وحتى خمس وسبعين أو خمسين صفحة ، قرأتها كقصص ، كانت في الحقيقة روايات . في هذه الشروط ، ماذا يكون الفرق بين الرواية والقصة ؟ يبدو لي انه الفرق نفسه ، مثلاً ، بين الرسم الفحمي والزيتي والمائي الخ .. يجب أن نبحث عنه في التمايز . فما هو هذا التمايز في رأيي ؟ سأقول لك ذلك في رسالتي القادمة . هذا الأسلوب ، أنت الذي دشنته . وهو ليس سيئاً : كأنه رواية مسلسلة .

تحيات الى كل الأصدقاء ، هناك . أرغب كثيراً في رؤية تشنقيري ، يا كمال . فأنا أفضل السهوب على منظر بروصة اللدن ، فهي تجعلني جاداً ورزيناً . احترامي للمدير ...

انتظر رسالتك بفارغ الصبر ، يا عزيزي كمال .

- ١٥ -

٣ / ٣ / ١٩٤١

عزيزي كمال ،

تسلمت اليوم رسالتك المؤرخة في ٢٣ / ٣ / ١٩٤١ ، وأجيبك عليها فوراً . ينبغي أن تكون قد وصلتك ، في هذه الأثناء ، رسالة لم تجب عليها بعد ، كذلك رسالة وقصة من رشيد كمالي . لا بد أن كل ذلك قد وصلك الآن . وافرض أنك تسلمت رسالة بيرايه أيضاً .

في رسالتي الأخيرة ، كتبت لك كل ما كان يمر في ذهني حول موضوع الفروق بين مختلف الأنواع : من الرواية ، الى القصة ، الى القصة الطويلة ، الى الشعر الخ .. لكن دون استخلاص النتائج منها ، ها أنا اتابع إذاً : ففي ميدان الرسم ، ليس الحجم ولا الموضوع هما اللذان يصنعان الفرق بين الرسم بالفحم والرسم بالزيت أو بالماء أو بالتقنيات الأخرى . فمن الممكن معالجة الموضوع نفسه ، بالأبعاد ذاتها ، بواسطة هذه الأنواع المختلفة . إن ما يصنع الفرق هي التقنية المستخدمة في كل نوع ، عندما نعالج الموضوع ، إنه اللون ، انها الاضاءة في الألوان الخ . . . وهكذا عندما يعالج منظر ما بالفحم ، يكون اللون هو التأليف بين الأبيض والأسود ، هو الوحدة بين هذين اللونين المتنافرين . لهذا يضع هذا الأسلوب ، بشكل أساسي ، هذين العنصرين في المستوى الأول ، لمنظر ما مطروح . في الرسم بالزيت ، تكون الألوان أكثر عدداً ، والغزارة نفسها في الألوان توجد في اللوحة المائية ، لكنها تكون خفيفة ، وغير كثيفة كما في الرسم بالزيت . والآن ، إذا طبقنا هذا المثل على الادب ، يبدو لي أن معالجة موضوع ما في الرواية ، هذا يعني التوسع والبناء المستند الى عدد ما من الخطوط الكثيفة ، بينما تكون الخطوط ، في القصة ، متشابكة حول خط واحد كثيف . هاك إذاً لماذا لا يكون عدد الصفحات هو الذي

يهم ، فموضوع مبني على خط واحد كثيف ـ وكما قلت سابقاً ، يمكن أن يكون ثمة خطوط رفيعة أيضاً ـ ويعالجه العدد نفسه من الصفحات ـ وثمة حد أدنى من الصفحـات الضرورية بالطبع ـ يصبح رواية . ملاحظة أخرى أيضاً . يمكن جمع عدد معين من القصص حول موضوع واحد ، دون أن يشكل مجموعها رواية . إن كون الخطوط الكثيفة ، الأحداث الأساسية ، في الرواية ، عديدة ليس نتيجة للاضافة البسيطة. إن الرواية وحدة متميزة نوعياً . ووفقاً لهذا المعيار ـ وقد حددته للتو وبصورة تقريبية طبعاً ـ تكون (تشاليكوشو)(٢٣) لرشاد نوري قصة طويلة . وكذلك (كيزيلدجيك دالأري)(٢٤) . بينما « الدون الهادىء » مثلاً ، لشولوخوف ، بكل أجزائها ، هي رواية . لكن لو لم يكن هناك إلا الجزء الأول ـ لأن التقسيم الى أجزاء هو نوعاً ما تقني ـ لكان الكتاب قصة (رغم أن هذا الجزء الأول يحتوي على ثلاثمائة صفحة ونيف) .

لنتناول الآن مسألة تعريف الواقعية . سألخص هـذا الموضوع هكذا : إن الواقعيـة الحديثة في الأدب هي التطبيق الواعي للماديـة الجدلية . وبالنسبة لهذا المفهوم الفلسفي ، فإن العلاقة بين الروائي والموضوع هي علاقة نشيطة ، ومجرد تصوير الواقع تصويراً فوتوغرافياً يكون بالتالي غير كاف . إن دور الروائي ، وفقاً لهذا المفهوم الفلسفي ، يجب أن يكون نشيطاً ، وأن يتدخل في الموضوع ، أي في الواقع الذي يبحث عن تقديمه . وحسب هذا المفهوم دائماً ، يجب الا يكتفي الوعي بأن يعكس الحقيقة بصورة آلية ، فهو يعالجهـا ويحللها ويؤلفها من جديد . لذلك فإن الكاتب الواقعي يحلل موضوعه ثم يعيد تركيبه ، ويؤمن له شكلاً هندسياً ، وهيكلاً أساسياً ، ويعمل على اعطائه الشكل والتأليف الأكثر فناً . لهذا السبب ، فإن القصة التي ظهرت مؤخراً في « يني آدم » ـ (الانسان الجديد ـ المترجم) ـ لا علاقة لها بالأدب

---

(٢٣) « المليك » رواية ظهرت عام ١٩٢٢ للكاتب رشاد نوري ، وعرفت نجاحا كبيرا .

(٢٤) « أغصان القرانيا » (١٩٢٢) رواية لرشاد نوري .

الواقعي . سأحدثك ايضاً ـ إنما باختصار ـ عن « النظم » . ألا تذكر انني قلت ، وأنا أحلل هذا العيب ، ان أحد الأسباب التي تقود اليه ، كان انعدام الاخلاص . لقد تحدثت ، انت أيضاً ، عن الاخلاص . وهذا صحيح جداً . فمن المستحيل إن يصبح شيء ما يتصف بالاخلاص « نظماً » ثمة شيء من الغنائية في الأغاني الشعبية . لكن بعضها يفقد اصالته ويصبح « نظماً » ولا نستطيع حياله شيئاً . ثم توجد أشكال من « النظم » مؤلفة بكثير من الصنعة ومن فن الصياغة ، وخصوصاً في أدب الديوان(٢٥) . وهي هنا شعر بارع جداً ، ولكن ماذا تريد انهـا « نظم » . وعندما يصنع « النظم » بموهبة ، فهو لا يصبح بذلك عملاً فنياً ، بل على الأكثر ، عملاً ماهراً ومفخرة . إن المقدرة الكبرى في الفن هي ألا تظهر هذه المقدرة التي يجب أن تكون وسيلة لا غاية في حد ذاتها . هكذا فقط يمكن أن نتوصل الى الاخلاص الفني ، دون أي قدر ، مع ذلك ، من السطحية . فالطفل الذي يرسم المنظر الذي يراه ، بشكل مقلوب تماماً ، هو مخلص ، لكن هذا الاخلاص لا يكفي لجعل هذا الرسم عملاً فنياً . لنعد الآن الى الواقعية . بالنسبة للمادية الجدلية ، ينبغي أن نلاحظ الظواهر المادية والروحيـة في حركة صيرورتها . والكاتب الواقعي يجب أن يقدم كامل الحركة في الموضوع الذي يستعيده لنا ، بشكل فني . ستقول لي أن بلزاك كان واقعياً كبيراً ، لكنه من وجهة النظر الفلسفية ، لا علاقة له مطلقاً بالمادية الجدلية . هذا صحيح . لكن ما يجعل من بلزاك واقعياً هو أنه ، بسبب كونه وفياً للواقع ، قد استخدم المنهج الجدلي دون أن يدرك ذلك . وفرنسا في عصر محدد ، بماضيها وحاضرها وبذور مستقبلها ، هي التي تنعكس في رواياته ، بينما نحن لا نجـد ذلك كله عنـد زولا الطبيعي . والفرق بين بلزاك الواقعي ، والكاتب الواقعي في أيامنا ـ كمال طاهر مثلاً ـ هي الضرورة بالنسبة لهذا الأخير ، في أن يفعل بوعي ما كان الأول يفعله دون ادراك .

(٢٥) شعر تركي كلاسيكي متأثر كثيرا بالادب الفارسي .

ولهذا السبب تماماً ، ينبغي على واقعية الروائي الواقعي الحديث أن تذهب الى أبعد مما ذهبت واقعيـة بلزاك الملكي . ومثل بلزاك هـذا نستطيع أن نجده اليوم في حقول عدة للعلوم . كثيرون من علماء الحياة ، بالرغم من استخدامهم منهج المادية الجدلية في ابحاثهم ، هم مثاليون ، ورجعيون من وجهة النظر الفلسفية . حتى انهم يحاولون استخدام النتائج التي يحصلون عليها في أبحاثهم العلمية للتدليل على صحـة فلسفتهم . لنستمر في شرح الواقعية وفقاً للتعريف الذي قدمته لها : بالنسبة للجدلية ، ليست الوقائع مجردة بل حسية . بالنسبة للكاتب الواقعي أيضاً ، بالنسبة الشاعر مثلاً ، ينبغي أن تكون مسألة الحقيقة الحسية هذه ، أحد الأسس للشعر الواقعي . بإيجاز ، تلد الواقعية الجديدة من التطبيق الواعي للمادية الجدلية الفلسفية . فإذا درسنا هذا الموضوع عن كثب أدركنا أن الأسلوب نفسه قد خضع للتأثير . إن السؤال « كيف ينبغي أن يكون أسلوب الشعر الواقعي ، أسلوب الرواية الواقعية ؟ » تحدده وجهة النظر الفلسفية التي تحدثت عنها في ما تقدم. لكن ، لننه هنا هذا الموضوع الذي لا أستطيع الاستطراد فيه مع الأسف اكثر من ذلك .

كتابك « ناس البحيرة » سيظهر على حلقات في يومية « التان »(٢٦). وقد سبق أن تحدث عنه كل من ناجي سعدالله ورفيق خالد وأولوناي(٢٧). ولا يمكنك أن تتصور كم يجعلني كل هذا سعيداً . وعندما قرأنا اليوم الاعلان في الجريدة عن « ناس البحيرة » كنت وبيرايه ، فخورين وسعيدين كما لو أنه ولد لنا طفل . شكراً أيها الأخ ، لأنك أتحت لنا هذا الفخر وهذا الفرح . انا لم اعرف الاستمرار الحياتي . لي فعلاً طفلان أحبهما كثيراً ، لكنهما ليسا من صلبي بيولوجياً . لقد منحتني فرح « الأبوة الفكرية » . ان تطور كتلة من الأجنة الفنيـة لديك ، يخيل الي أنني

---

(٢٦) جريدة يومية تقدمية يديرها صبيحة وزكريا سرتل .

(٢٧) كان رفيق خالد روائيا وكاتبا للقصص القصيرة ، وأولوناي صحفيا .

حملت بها وهيأتها ، سيكمل وجودي بكل وجودك . حتى انني أشتهي أن أتسلق مكاناً عالياً جداً وأن أصرخ : « إن مؤلف « ناس البحيرة » كما تعرفون جيداً ، سيكتب أيضاً الكثير من الأشياء الجميلة . حسناً : كل هذا أنا الذي زرعت بذوره : » . فالأبوة البيولوجية ينبغي أن تكون شيئاً من قبيل هذا التذوق . ولهذا السبب ، دون شك ، يبدو كل الأولاد ككائنات فريدة في عيون أمهاتهم ... والأمر هنا لا يتعلق بإحساس أفلاطوني ، بل بالتعبير الحقيقي جداً عن الصراع من أجل الاستمرار والحماية وانتصار النوع والجنس والعرق . إنني افهم الآن لماذا انشغلت بالعديد من الشبان الذين لا يساوون شيئاً مع الأسف ، أمثال نائل والآخرون . وافهم أيضاً لماذا حكمت على نفسي أن أستمر في هـذا الجهد . فالموضوع لا يتعلق هنـا بمشاعر غيرية مزعومة ، باكتشاف المواهب الشابة ، والرغبة في مساعدتهم مثلاً ، بل بالصراع من أجـل استمرار نوعي وجنسي . أنت تعرف هذه العبارة ، « أن تستطيع الموت وعيناك مغمضتان » . فيها غريزة حيوانية مخيفة ــ ليس بمعنى الذم ــ وهي نفسها التي تجعلني اقول : « سوف أستطيع أن اموت وعيناي مغمضتان » . لكـن عليك أن تعمـل كثيراً يا كمـال ... أن تعمـل اكثر ايضاً ...

لا أدري كيف ستجد القصة التي يرسلها اليك رشيد كمالي . إنه يكتب الآن واحدة أخرى ستكون جيدة بالتوكيد . وما ان تسمح لي الظروف ــ إذا سمحت ــ سأطلقه هو الآخر ، قنبلة أخرى بعدك انت . إنه لا يزال شاباً وتنقصه التجربة . وعليه قبل كل شيء ، أن يتعلم لغة أجنبية . وهو يعمل على تعلم الفرنسية حالياً . وبعد عام أو اثنين ، إذا سار كل شيء على ما يرام ، سيولد كاتب جديد .. لنأمل أن كل شيء سيسير على ما يرام ... تحياتي الى المدير . أعانقك .

اخوك

- ١٦ -

١٣ / ٣ / ١٩٤١

عزيزي كمال ،

تسلمت الصفحات العشرين الأولى من « ساجيرديره » ، وأنتظر الباقي بصبر نافذ وبفضول . وقد قررنا الا نعطيك رأينا إلا بعد ان نقرأ نحواً من اربعين صفحة ، وقد اتخذنا هذا القرار مع بيرايه وكمالي . سنقول لك رأينا في كل ثلاثين أو أربعين صفحة . هاك ما قررته بيرايه أيضاً : « بما انني لم استطع بعد أن اكتب الى كمال ، سأقول لك رأيي في روايته ، فتكتبه اليه ، ويقوم هذا مقام رسالة اليه . » .

إن نشر « ناس البحيرة » في جريدة « تان » يتقدم بسرعة وستظهر بالتوكيد في المكتبات لانهم ينشرون منها اعمدة طويلة .... انني مجنون من الفرح ، واقرأ مراراً ، بشراهة ، ولذة ، وافتخار ، أولى هذه القصص ، تلك التي طالما قرأتها علي ، والتي اتذكرها جيداً ، حتى انني استطيع ، ما ان اقرأ بدايتها ، اكمال العديد من جملها عن ظهر قلب .

نحن ننتظر حصتنا . ما ان تقبض المال عن كتابك الأول الكبير ، حتى ينبغي عليك ان ترسل لنا الدبس أو العسل وانا افضل الدبس .

ارسل لك صورتين اخذتا هنا . أنا جميل اليس كذلك : أسد حقيقي كما ترى .... ابراهيم من قرية يايالار في هيئة غاوماكر ، أمين بك امبراطور الصين ، ورشيد كمالي ، الذراع الضخمة ، وفي الخلف ارطغول بك ، وديمتري ينفجر ضاحكا . انها الانتصارات اليونانية الاخيرة التي جعلته مرحاً الى هذا الحد .

احذرك بأن هذه الرسالة ستكون قصيرة . اذ انني إذا وضعت الكثير من الاوراق في المغلف ، حيث يجب ان احشو صورتين كذلك ،

لزادت نفقات البريد . وبما ان المعالجة بالمياه المعدنية قد ضعضعت ميزانيتنا بشدة . فقد اصبحت حريصاً على قواعد التوفير .

رشيد كمالي يبعث لك بتحياته وينتظر جواباً على رسالته ، ونقداً لقصته كذلك . اليوم أيضاً كرست نفسي للرسم . فقد تهيأت « لمعرضي » المقبل ـ لا تندهش لذلك ـ سأنظم لنفسي معرضاً ، أنا ايضاً ، واناقس الرسامين بصفتي شاعر / رسام . منظران وصورتان شخصيتان . لكنني اعود الى الشعر منذ الغد . واعتقد جيداً بأنني لم امس بعد المقاطع المختلفة للقصيدة الكبيرة ، لكن قبل ذلك سأرسل لك دراسة أو دراستين صغيرتين .

اتساءل ما اذا كان وزير العدل الجديد ، حسن بك ، هو نائب وزير الخارجية السابق ، صهر خالتي منور . أود معرفة ذلك كثيراً وسأقوم بالتحري عنه . ما اذا كان هو حسن بك هذا ، سيكون مفيداً لي بالتوكيد ، نظراً للقرابة . . .

تحدثت هنا عن مشكلة نقلك الى بروصة . لننتظر شهراً آخر ، وربما ثلاثة اسابيع . لقد قام أحد المعتقلين بطلب نقله الى تشنقيري ، ويبدو ان مبادلة ما قد تكون ممكنة ، شرط تحمل نفقات السفر . سأعطيك المزيد من التفاصيل في رسالتي القادمة .

هل لديك أخبار من اخيك ، ذلك الذي في سينوب ؟ وهل كل شيء على ما يرام هناك ؟ قد استطيع الكتابة اليهم في الاسبوع المقبل .

جاءت رسالتي على شكل فقرات متعددة . بودي كثيراً ان اراك من جديد لأنني افتقدك بشدة . تحياتي الى المدير والى كل الذين يسألون عن أخباري . اخوك .

أرسل لك كذلك صورة اخذت دون علمي أثناء قيامي بالرسم ، ستجد إذاً ثلاث صور في هذه الرسالة . ارسل أنت واحدة على الأقل .

تلقيت في هذه اللحظة عشرين صفحة اخرى من قصتك . سأكتب لك رسالة طويلة في الاسبوع القادم ، ايها الأخ .

- ١٧ -

٩٤١/٣/٢٦

عزيزي كمال ،

لم اتمكن من الكتابة اليك هذا الاسبوع ، فقد كنت مريضاً . وقد فضلت الانتظار كذلك ، لأقول لك رأيي في روايتك التي قرأتها بيرايه أولاً . أنا مدين لك إذاً باسبوع من المراسلة ، وسأوفيك هذا الدين . قبل التبسط طويلاً في الموضوع الأدبي ، لنصف أولاً كل ماله علاقة بحياتنا اليومية « التافهة » . ارسلت لك خمس ليرات هل تسلمتها ؟ كما ارسلت مجلات وصحفاً هل وصلتك ؟ آمل ان يتحقق نقلك الى بروصة (وهو مسألة ليست تافهة بالنسبة الي بل على مستوى الادب من الاهمية) . وأنا سعيد به جداً ، إنما يتوجب علينا أن نصبر أيضاً بعض الشيء .

ستكتب لك بيرايه بصورة مستقلة ، لكن اليك ما قالته لي بعد قراءتها الصفحات الستين الاولى :

« انها جميلة جداً ، ومثيرة للاهتمام جداً ، وقد قرأتها كلها بشغف ، وتعلمت اشياء كثيرة . لكن كمال مستعجل دائماً ، وهذه العجلة تكشف عن نفسها في روايته . فهو لايترك للقارىء فرصة قراءته بهدوء ، وهضم كل شيء . . . لدي بعض الملاحظات الاخرى أيضاً ، وسأكتب له بنفسي » . أنا لم أطلب إليها إطلاعي على ماستكتبه لك ، لكي لاأؤثر في آرائها . لكن مهما يكن ما تكتبه لك ، فقد كان انطباعها الاول رائعاً . لقد كانت

متحمسة ، مثلها عندما كانت تنصحك ، هل تذكر ، بقراءة الرواية عن الأم الصينية . اقول هــذا كملاحظة بسيطة بشكل عابر . أما رأيي انــا فيهــا :

فينبغي أولاً أن اتوقف عند بعض التفاصيل :

آ ــ الحوارات الاولى بين وحيد ومصطفى واسماعيل اللص طويلة.

ب ــ انحياز مصطفى الى نائل ، وخيانته لوحيد ، مباغتان لدرجة أن القارىء يفاجأ بهما تماماً .

ج ــ عندما كانوا أمام مقر الفتيات ، سمعوا دق طبلة السحور . وبعد قليل رؤوا أن حرس الحراج قد انهوا وجبتهم وناموا بعمق ، مما يجعل الزمن المنصرم بين الحدثين قصير جدا .

د ــ نفهم بصورة متأخرة جداً ان شهرين قد مرا بــين الحوادث المذكــورة .

هـ ــ تعليقات اسماعيل اللص حول الطبيب والصيدلي ورئيس الحرس تتكرر . فإذا كان هذا التكرار مقصوداً لإبراز الفكرة الثابتة ، كان من المتوجب الإلحاح على ذلك بأسلوب آخر تماماً .

توجد أيضاً عيوب صغيرة أخرى من هذا النوع ، وستلاحظها اذا ما قرات ماكتبته مرة او مرتين . لكن كل هذا من قبيل التفاصيل ، لنأخذ ماهو جوهري :

آ ــ نلاحظ فوراً أن الكتاب يبدأ على شكل قصة وأنه محكوم عليه أن يبقى كذلك . وهو ، كقصة ، وشرط أن توازن جيداً عدد الصفحات، عمل ناجح ، جدير بك حسب رأيي . إنه بداية ، وحتى تطور عمل فني ، كالذي انتظره منك . لكنه ليس رواية . تستطيع ، يقيناً ، أن تجعله

من ثلاثمائة صفحة ، ويمكن ان ينظر اليه ، على اساس عدد الصفحات، على انه رواية ... كثير من القصص سميت هكذا . ففي الادب الفرنسي مثلا ، بعد الحرب العالمية الاولى ، وصفت قصص صغيرة ، مضخمة الى مائتين أو اربعمائة صفحة ، بانها « روايات » . وبهذه المناسبة ، لـدي ملاحظة: اذا كانت بيرايه قد أحست بعجلة ما في كتابك، فذلك لانها أخذت تقرؤه كرواية. لو قرأته كقصة لما لاحظت هذه العجلة. وقد سألتها ما إذا كانت هذه العجلة موجودة في هذه الرواية التي اعجبتها كثيراً عن الصين، فردت بالايجاب واضافت : « لكن عند شولوخوف مثلا ليس ثمة شيء منها » . هذا أكيد ، لأن « الاراضي المفتوحة » رواية ، بينما « الأم » « لبيرل باك » قصة جعلوا منها رواية بالقوة ، هذا كل شيء ...

ب ـ لنتكلم بشكل محسوس : من الخصائص المشتركة بين الرواية والقصة والحكاية ، هي أننا نقرؤها باهتمام وفضول . إن عملاً لايقـرأ بفضول ، ولا تقلقك نهايته ، ليس رواية ولا قصة . لذلك فإن كـون « ساجيرديره » تقرأ باهتمام هو في صالحها ، لكن هذا ليس ميزة تجعل منهـا روايــة .

ج ـ قلت لك في احدى الرسائل ان الفرق بين الرواية والقصـة لايتأتى من عدد الصفحات بل من بنية نسيج العمل المبحوث فيه وانتشار هذا النسيج . سيكون من الاسهل علي تفسير مسألة الخطوط السميكة والخطوط الرفيعة باستخدام صورة النسيج ، صورة اللحمة . ماذا كان كان ينقص « ساجيرديره » ، في رأيي ، ليتوفر لها نسيج الرواية ولحمتها؟

١ ـ في إطار عائلة وحيد ونائل ، كان ينبغي أن ترفع العداء والشقاق والخلافات ، بين الافراد الذين يحتلون اوضاعا اجتماعية مختلفة ، الى المستوى الأول ، المساوي لما تكون عليه العلاقات العاطفيـة مصطفى / بهار / عائشة ، أو الخصومة وحيد / نائل كذلك . ان اسماعيل اللص يثير اهتمامنا منذ الصفحات الاولى . كان ينبغي ان نشعر بالاهتمام

نفسه ــ وحتى اهتمام اكثر حدة ايضا ــ نحو الصراعات القائمة داخل عائلة وحيد ــ نائل . وهذا يعني ان هذا الخط كان ينبغي ان يرسم بقوة اكثر ، وليس كفصل بسيط ، كعنصر مرتبط بالمنافسة الغرامية بين نائل ووحيد . ان عدم بروز هذا الخط ، مع كون كافة التفسيرات ، حول خصوصيات العائلة ، قد قدمت لنا في جملة او جملتين فقط ، يضعف هذا الخط ويجعله ثانويا . وكل هذا يجعل ساجيرديره تبدأ بلحمة قصة .

٢ ــ في كل ماقرأته حتى الآن ، كان العمود الفقري للقصة ، والعنصر الذي يثير الاهتمام والفضول ، كما قلت أنت نفسك ، هو العلاقات الجنسية . فلو استطاع تطور الصراعات والمشاجرات الخ بين مختلف فروع العائلة ، الى جانب هذا العنصر الاساسي ، ان يشكل عمودا فقريا ثانيا ، ان يثير الاهتمام ، لاكتسبت ساجيرديره عمودين فقريين ، خطين « سميكين » ، واقتربت أكثر من الرواية . ان ما انتظره منك ، مع ذلك ، هو رواية حقيقية ، لها اربعة أو خمسة اعمدة فقرية ، اربعة أو خمسة عناصر تستطيع ان توقظ فضول القارىء .

٣ ــ او ان ساجيرديره كانت نسجت في شكل حركة الرواية ، لجاءت معالجة العلاقات وحيد ــ نائل ــ مصطفى ، والتحولات الواقعةعلىنفسية مصطفى ، اكثر قوة ، مع كل عواملها الحاسمة ، ولكان من الممكن ان تصور لنا نفسية هذا الصبي الذي ينتمي الى عائلة فلاحية محددة تماماً ، هذه النفسية التي تقوده الى الوشاية بصديقه وحيد ، لا كمأساة كبيرة ربما ، بل كظاهرة جديرة بالاهتمام .

٤ ــ خذ مثلاً . يوجد فصل مهم جداً ، هو فصل الهاتف . فيقصة ما ، في نسيجها ، في لحمتها ، ينبغي ان يقدم الفلاح الصغير الذي يهتف للمرة الاولى في حياته ، في هذا الاطار ، كما فعلت انت . لكن من اجل لحمة معدة لرواية، ينبغي الا يرسم هذا الفصل بخط خفيف الى هذا

الحد والا يكون مجرد ذكرى بسيطة . كان ينبغي الالحاح على هــذا الحدث كحدث ، وليس كذكرى بسيطة .

٥ ــ ان هذا العمل منسوج في لحمة قصة ، وتتوفر فيه الشــروط المطلوبة للقصة ، الى درجة ان الخصوصيات المحلية والعلاقات مع دوائر المالية الخ . ــ تندمج عضويا في العمل ، بل تبقى في خلفيته ، في سياق تقنية القصة . مثال : في نسيج الرواية ، يكون عشاء الفتيات بين بعضهن البعض ، عشية الاعراس ، فصلاً مهماً ، ويروى بالتفصيل . وينبغي عدم الاكتفاء باعطاء بعض التفسيرات بشكل عابر . لكن في نسيج القصة ــ النسيج الذي استخدمته أنت، من الصحيح ان يقدم هذا العشاء وقصص « الباش ــ آغوات » وجمعيات الحرفيين ، كما فعلت ، بدون تفاصيل ، وكما يتناسب مع لحمة القصة .

٦ ــ باختصار ، لا أعتقد بأن ساجيرديره ، على هذا الشكل ، يمكن ان تصبح رواية . انها قصة فعلاً . حتى لو كتبت عنها اربعمائة صفحة.

ان الجانب الاشد استرعاءً للانتباه ، والخصوصية الاكثر روعة ، هي تفرد الحوارات . ان جرسها رائع . تهاني . لقد أديت اللغة الفلاحية لضواحي تشنقيري ، دون الوقوع في التقليد ، في اسلوب الحكــواتي الشعبي . لقد تغلبت هنا على صعوبة كبيرة . مرحى لك .

أنا أفكر في هذا : ان احدى الميزات الاكثر أهمية لدى الكتاب الذين اعطوا اعمالا عظيمة عن طبقة الفلاحين ، كتولستوي وتشيكوف وغوركي وشولوخوف ، هي انهم استطاعوا ان يفهموا ويصفوا لنا الازمــات والاعماق النفسية التي نجدها لدى الفلاح كما عند المثقف ، بتجليات مختلفة ، ولكن بالحدة نفسها ، وغالبا بتعقيد أكبر مما لدى البرجوازي الصغير المتعلم . . . في رأيي ان الفلاح ، في مختلف شرائح الطبقة الفلاحية، كائن احواله الروحية ، بعيداً عن أن تكون بسيطة ، هي على العكس ،

عميقة جداً ، ومعقدة جداً . وينبغي ان تلح على هذا بصورة خصوصية. دائما في أدبنا ، لم يقدم الفلاح الا سطحياً . بدون أي عمق . في الأدب الفرنسي ،الفلاح كائن تبرز لديه غريزة الملكية فقط ، بينما اجتهد تولستوي ، ان يقدم الفلاح الروسي ، بكل ردود فعله الناشئة عن روابطه بالارض . ولهذا السبب قيل عنه هنا انه كان « الكونت الذي يعرف الفلاح بشكل أفضل » أما عندك ، فان دراسة نفسية الفلاحين في العلاقات بين الجنسين تتعمق أكثر فأكثر . وقد سبق ان تحدثنا عنها مطولاً ، لكن عليك ان تجتهد في تقديم مظاهر الفلاح الاخرى بالشدة نفسها ، هذه المظاهر التي هي أيضاً مهمة ، وحتى أكثر اهمية .

واذا حكمت وفق ما قرأته منها حتى الآن ، فان ساجيرديره تستطيع أن تبقى كما هي . وسيعطي هذا قصة جيدة . أما اذا تغير النسيج ، وعاش الأشخاص أنفسهم ، الفصول نفسها ، في لحمة رواية ، تستطيع ساجيرديره أن تصبح رواية . ولكي تصبح هكذا ، ينبغي في رايي أن توضع الفصول التي تركت في الظل ، كما أرى ، في الضوء الساطع.وسوفتخطيء اذا تصورت أنه بامكانك أن تفعل ذلك فيما بعد . أنت تعلم جيداً أن الأمر لا يتعلق هنا بمجرد اضافة بسيطة ، بل بنوعية مختلفة ، بلحمة أخرى .

نقطة أو نقطتان أيضا من الأهمية الثانوية ، لكن لا يمكن الاستغناء عنهما حتى فيما يتعلق بالقصة . لقد قرأنا أربعين صفحة حتى الآن ، لكننا لا نعرف بعد شيئا عنمنازل القرية ، ونجهل حتى مظهرها الخارجي ، ولا نعرف شيئا عن أسلوب الناس في لباسهم ، باستثناء العمرة والسروال . والأمر كذلك بالنسبة للحيوانات . نعم ، ان الحيوانات المسروقة هي في مجرى السيل ، لكن باستثناء قامة أحد التيوس . بالنسبة للأخرى ، مواشي القرية ، هل الحيوانات كبيرة ، سليمة ، ليست لدينا أية فكرة عن ذلك .

يبدو لي أن أحد الأسباب التي تمنع ساجيرديره من تجاوز اطار القصة هو حرصك على تجنب كل شبه مع الرواية التي كنا بدأنا كتابتها سوية . الك الحق . . . ليس من السهل ، في السجن ، وعلى أساس الملاحظة فقط ، كتابة روايتين على التوالي ، تعالجان كلاهما قرى منطقة تشنقيري التي لا تتشابه قط .

لو كنت أنا أنت ، لأنهيت ساجيرديره على الايقاع نفسه ، كقصة . وستكون أول سرد للحياة في القرية ، مكتوب عن وعي على شكل قصة . يحب أن يخصص عند نشرها أنها قصة ، وسنرى عندئذ ، للمرة الأولى ، ما هي القصـــة . . .

تحياتي الى المدير . أعانقك بشوق . تحيات من أمين بك وارطغول بك وديمتري وابراهيم الذي من قرية يايالار . . أشتهي كثيراً ان أراك يا كمال ، يا أخي .

- ١٨ -

٩٤١/٤/٨

عزيزي كمال ،

لم أتلق بعـــد مجمع الصور الكاريكاتورية للرســام توغو . نحن بانتظاره . وسنكون جد مسرورين لو تمكنت من ارسال ملخص « الحرب والسلم » . ان سميك لم يقرأه بعد ، وقد تكون هذه القراءة مفيدة له .

لقد ذبحوا كتابك « ناس البحيرة » ، لكن لا تقلق ، فالكتاب ، حتى في هذه القراءة في هذه الحال ، لا يزال جميلا جدا ، وجديرا بك . ابعث لي بـ «ساجيرديره » عندما تنتهي منها .

قرأت « سورغون »(٢٩) لرفيق خالد ، أولا هذه ليست رواية بل قصة ... ثانيا انها سيئة ... إنه يفتقر الى المعارف ، حتى الأكثر ابتدائية منها ، والضرورية لكتابة قصة . انه يكتب حتى اليوم مثل الروائيين الفرنسيين ، وفوق ذلك مثل أسوئهم . ليس مثل زولا أو موباسان ، كلا ، إنه عاجز عن ذلك ، اذ أن تقنية بول بورجيه تتحد عنده بفن الروايةالفرنسية الأكثر ابتذالا لما بعد الحرب ، والأسلوب مؤسف .. فهنا وهناك أوصاف وصور مشوشة بشكل سيء ... ولا يوجد غالبا اي رباط عضوي بين الوسط والأشخاص والأحداث . فالاشخاص لا يعيشون ، وهم مصطنعون . باختصار ، إنها رواية رديئة لدرجة تجعل الحديث عنها غير مفيد .

بعد قراءة هذه الرواية ، أصبحت كاتبا أكثر معزة في عيني وقلبي . تشجع يا كمال انني لا أبادل مقطعا واحدا من سارجيرديره « بسورغون » بكاملها . ان صباح الدين علي(٣٠) ، وحتى ، كيف يسمى هذا الشاب ، سعيد فائق(٣١) هما روائيان وقصاصان أفضل بكثير من رفيق خالد .

اما أنا فانني استرخي في كسل مرعب ... انني لا أرسم ولا أكتب شيئا . اني أقرأ فقط . وأجد انني قصرت في القراءة لمدة طويلة . اود أن إقرأ دون توقف ، لكن عيني متعبتان ، أستخدم القطرة .

كنت قد تركت كتاباً للدكتور حكمت ، وأرجوه أن يرسله لي الى عنواني هنا .

---

(٢٩) « المتقي » رواية لرفيق خالد كاراي .

(٣٠) (صباح الدين علي ١٩٠٧ – ١٩٤٨) روائي شهير . مات مقتولا عندما كان يحاول أن يغادر تركيا سراً .

(٣١) سعيد فائق اباسيانيك (١٩٠٦ – ١٩٥٤) روائي وشاعر وقصاص ذو موهبة كبيرة ، جدد فن القصة في تركيا .

مرة اخرى ، ستتأخر رسالتي ولن تكون طويلة . اعذرني خلال هذا الشهر كله . اكتب لي انت مطولاً وبانتظام . وفي الشهر القادم ، سأكفر عن نفسي حتما .

بدات مجلة في الظهور في أنقرة « يورت ودنيا »(٣٢) تلقيت الاعداد الاربعة الاولى وسأرسلها لك فور قراءتها . انها ليست سيئة .

لم اتمكن في الشهر المنصرم أن أرسل لك سوى / ٥ / ليرات . اني آسف لذلك . استحالة مادية . يعلم الله كم أعوزك المال هناك .

تعود بيرايه الى استنبول اليوم أو غداً .

هكذا تسير الحياة . الى اللقاء وحظاً سعيداً .

تحياتي الى المدير والى كل الذين يسألونك عن اخباري ، أعانقك بشوق يا أخي ، يا عزيزي كمال .

تحيات من رشيد وأمين بك وارطغرل وديمتري وابراهيم الذي من قرية يايالار .

- ١٩ -

٤/١٥/٤١(٣٣)

عزيزي كمال ،

علي ، قبل كل شيء ، أن اقول لك إني حزين لأنك تخليت عن « ساجيرديره » . انت مخطيء . عد اليها فورا . ويجب أن ترسل لي

---

(٣٢) « الوطن والكون » مجلة دورية ذات اتجاه تقدمي .

(٣٣) التاريخ الصحيح هو بالطبع ٤١/٤/١٥ .

خمس عشرة صفحة كل اسبوع . لعلك كنت تبحث عن حجة لتترك كل شيء . هـذا مستحيل ولن أوافق عليـه أبداً ... عليـك أن تنهي « ساجيرديره » ...

في عيني ما يشبه الرمص . لهذا استخدم القطرة ، والحال افضل الآن .

الفلسفةتثير اهتمامي من جديد ، وأنا أقرأ كل كتب الفلسفة التي أجدها . يبدو أن ثمة رواية « لديديرو » ، منشورة عام ١٧٦٢ تدعى « حفيد رامو » ولم أسمع بها أبداً . كم أجهل من أشياء . انا حانق على نفسي كثيرا لشدة جهلي . كان انجلز يقول عن هذه الرواية أنهـا « مأثرة الديالكتيك » وقد قام « غوته » بترجمتها الى الالمانية . حسنا. انا مستعد أن أعيش على الخبز الجاف ، مدة شهر ، لكي اتمكن من قراءة هذه الرواية لديديرو . ان تطبيق الجدلية في هذه الرواية ــ تطبيق عبقري حسب قول انجلز ــ هو مسألة مهمة . سأكتب الى بيرايه لأطلب منها أن ترسل لي هذا الكتاب اذا وجدته في مكتبة « هاشيت » .

لقد التقيت رفيق خالد ، مرة واحدة على مـا أظن ، عندما كنت صبياً . ما تصورت قـط أنه يمكن أن يهتم بي ، وبأشعاري ، أو أن يعرف حتى أنني شاعر . والحال ان نسخة « سورغون » التي أرسلها لي أهداها الى : « شاعرنا الكبير ، عزيزنا ناظم حكمت . » كنت قـد رجوت ناجي فعلا أن يطلب من رفيق خالد نسخة من الرواية . لعـل هذا هو السبب في أن المعلم كتب اهداء لطيفا ومطربا الى هذا الحد . سأعترف لـك بأنني لست مستاء أن يبلغني بأن رفيق خالـد يتذوق شعري ، لكننا ننتمي ، انا وهو ، الى عالمين جد مختلفين حتى أن ضمير التملك (نا) في شاعرنا ، جعلني أمتعض قليلا .

اطلب إذاً الى حكمت أن يرسل لي كتابي عن الفلسفة الى هنـا ، الى عنوان السجن . أنوي أن أكتب قصيدة فلسفية طويلة ، أطـول

ما يمكن . لقد كتبت واحدة او اثنتين في شبابي ، ويجب أن أعيد الكرة ، ويهمني ان أرى ما اذا ثمة فرق سيكون .

أود ان اتقبل تجربتك في الاسلوب ، لكن كنزوة . لقد فعل صباح الدين علي الشيء نفسه . لكن في مرحلة معينة من تطور الكاتب ، تأتي النتيجة معاكسة تماما ، فيصبح الامر من قبيل « الاسلوبية » بالمعنى الاكثر سوءاً للكلمة . أما في ما يتعلق بأسلوب دستويفسكي ، الموصوف بقلة الاكتراث ، فالآراء تختلف : يرى البعض أن دستويفسكي قد يكون استخدمه عن قصد ، ويرى البعض الآخر أنه كان يكتب هكذا ، لأنه لم يكن يستطيع ان يكتب بشكل آخر ، أي أنه كان مخلصاً . انما ينبغي الا ننسى ان المضمون عند دستويفسكي هو العنصر الجوهري الذي يحدد شكل الاسلوب . فاذا كان الاسلوب عند تولستوي وغوركي بسيطاً جداً ، فذلك لأن الاثنين يكنّان الاحترام للانسان ، للقارىء ولأن المضمون عندهما شفاف وصادق دون أي اعتلال . لهذا ، وبالرغم من انني أتمنى لك النجاح في هذه التجربة ، ينبغي أن أعترف لك أن تكرارها ، في رأيي ، قد يكون دون فائدة .

رحلت بيرايه .

انا بشوق شديد لرؤية تشنقيري ثانية .

كنا نتحدث يوماً مع بيرايه عن مناخ بروصة وتشنقيري فقالت لي : « انت عذب كسهل بروصه حيث ينبت كل شيء بسهولة . انت تستطيع أن تكتب كثيراً بعناء قليل . لهذا فان مناخ تشنقيري ، وهو نقيض روحك تماماً ، يعجبك الى هذا الحد . أما أنا فقاسية كمناخ تشنقيري ولهذا أحب مناخ بروصه . لهذا أيضاً نحن متحابان » ... هل هذا صحيح ، لا ادري . أما أنت ، يا عزيزي كمال ، فانك من بروصه فعلا ، خصوصاً فيما يتعلق بالكتابة بعناء قليل ... كاتب آخر لكي ينتج بمقدارك ، ينبغي أن يتحمل ضعفين أو ثلاثة أضعاف من العناء .

بين نواقصي واحدة تحزنني أكثر ما يكون ، وهي جهلي في العلوم الطبيعية ، في الكيمياء والفيزياء وعلم الحياة الخ . ــ جهل مدعاة للفضيحة . من جهة أخرى ، توجد هذه النقيصة عند كل الذين ينتمون الى معسكرنا ــ وأنا أتحدث عن المثقفين الاتراك . انا أقرأ الآن « المادية والنقدية والتجريبية » ، باللغة الفرنسية ، ومعلومات المؤلف في ميدان العلوم الرياضية توحي لي بالاحترام . يجب علينا نحن أن نسد هذه الثغرات في أقرب وقت ، اذ يخيل الي فعلاً أنك أكثر جهلاً مني في هذا الميدان . ان في كون الكتاب الذين يرغبون في تطبيق المادية الجدلية على الفن ــ وعلى وجه التوكيد كل الذين يفعلون ذلك أيضا على علم الاجتماع والفلسفة ــ ولا يعرفون شيئاً عن الاكتشافات حتى الاخيرة منها في العلوم الرياضية ، نقصاً يقارب عدم الاكتراث نحو المادية التاريخية . من المستحيل معرفة الفلسفة المادية الجدلية بحق وشمول دون معرفة العلوم الرياضية بشكل جيد . ومن المستحيل أن يكون المرء كاتباً واقعياً بالمعنى الحديث للكلمة دون أن يفهم الفلسفة المادية .

رحلت بيرايه ثانية . . . أتشوق لتكرار ذلك لك دون انقطاع . اننا غير مهيئين أن نفعل أي شيء اذا كنا عاجزين عن أن نكون عشاقاً . ان كل الرجال العظام الذين أحبهم واحترمهم كانوا عشاقاً .... لقد أحبوا . . . ولم يكونوا متيمين بالعدالة فقط ، اذ لم يكن الحب هنا بالمعنى المجرد ، العام ، كلا ، كانوا يحبون امرأة بلحمها وعظامها وروحها . أنا فخور بالتشبه برجالي العظام ، من هذه الناحية على الاقل .

لقد تغلبت على الخوف من الشيخوخة . او الاحرى انني اعتدت هذه الفكرة ، واعتبر نفسي فتياً هائلاً . لا تقلق .

أنا مغتاظ جداً لأنكم تضطرونني للكتابة بالابجدية القديمة ، فتذهب سطوري في الاتجاه المقلوب . مع الابجدية اللاتينية ، ونظراً لشكل

الحروف ، يلاحظ ذلك كثيراً . لكن الابجدية القديمة غير مقروءة بحد ذاتها واذا لم تكن الاسطر منتظمة يصبح ذلك مخيفاً . فوق ذلك ، لقد نسيت الاملاء تماماً .

في ساعات فراغي ، في موعد الاخبار ، صباحا في الساعة ٨ ثم الساعة ١٢ والدقيقة ٥٠ ، ومساء الساعة ٧ والدقيقة ٣٠ وحتى أحيانا الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ ، اجلس أمام المذياع . يذيعون أحيانا احدى اسطواناتنا في تشنقيري ، وخصوصاً عندما أسمع « يسقط الثلج ، ناعما جدا » ارغب بشدة في أن أرى تشنقيري ثانية ، وغرفتنا ، والمر الذي تفوح منه رائحة البول ، والاصدقاء هناك ، وصلعتك والانف الدقيق جدا للطبيب . يستحيل علي أن أنسى الناس المرتبطين بذكرياتنضالي والايام السيئة . في هذه اللحظة احب حتى الاشخاص الاكثر غرابة . أريد القول بأنني لا أستطيع التوصل الى الشعور بأنني عدوهم . لكن الذين انستني اياهم بعض الظروف ، فلن تستطيع اي ذكرى أنتجعلهم ظرفاء بالنسبة إلي . كنائل مثلا . حتى المهاجع في سجن بروصه هذا، حيث رقدنا سوية فيما مضى ، لم تجعلني أفكر فيه أبداً . لقد تذكرته هذه اللحظة ، لانني كنت أبحث عن مثال . لكن إذا نسينا شخصاً ، فهذا لا يعني اننا نصبح أعداءه .

لقد كتبت لك هنا رسالة طويلة جدا ، ودون أن أقسر نفسي على ذلك . إن مرض علي قابنطان قد أحزنني ، مثلك ايضا .

أرسلت لك مجلات وصحفاً وخمس ليرات . سأرسل لك أيضا في أول فرصة ٢٫٥ ليرة . تأخرت في ارسال الصحف لانني تسلمتها بتأخير انا نفسي . والمال كذلك ... لم أقبض بعد الى الآن ما يدينون به الي عن (توسكا) .

رشـيد كمالي يبعث لـك بمودته . تحيـات من أمـين وارطفرل وديمتري . ابراهيم ــ الذي ــ من قرية ــ يايالار أجريت له عمليـة البواسير وهو في المستشفى .

تحيات الى المدير والى كل الذين يسألونك عن أخباري ، والـى الدكتور حكمت . ان المذياع يطلق في هـذه اللحظة إحدى اغنياتنا . أعانقك ، أيها الأخ ، بشوق .

هاك عنوان بيرايه ...

- ٢٠ -

٤١/٤/٢٩

ما من رسالة منك . أرسل الاخبار برقيا .

- ٢١ -

٤١/٤/٢٩

كمال ،

شكراً لله ، فقد تسلمت رسالتك . كنت قـد كتبت الـى ناجي سعدالله ارجوه أن يهتم بالمال الذي ندين به لك . وتسلمت جوابه . وها أنا انسخ لك المقطع الذي يتحدث فيه عنك :

« أعرف أنك تقرأ «التان» بانتظام. ما رأيك بقصص جمال ماهر(٣٤)؟ أليس هذا الرجل رائعاً ؟ ان هذا يتدبر أيضا وضعه المادي . لكن خليل لطفي كان يعتقد انني مؤلف هذه القصص . وهذا التفصيل الذي كنت أعتقده دون أهمية ، سبب لنا المتاعب ، لأن خليل لطفي حسـم من

(٣٤) واحد من الاسماء المستعارة المتعددة التي اضطر الى استخدامها كمال طاهر .

السلفة التي كان يجب أن اقبضها عن القصص مبلغ ديني تجاه دار النشر ، مما سبب تأخري في ارسال المال الى كمال . أنا مدين له بالمزيد . كذلك أرسلت له الخمس والعشرين ليرة التي اعطونيها لك . انا مدين لك إذاً بهذا المبلغ الذي دفع لي كأتعاب عن الطبعة الثانية من روايتك « التفاحات الخضر » . بعث « ناس البحيرة » ، التي كتبها كمال ، بثلاث ليرات للحلقة . بالنتيجة ، وبما أن المجموع يبلغ احدى وخمسين حلقة ، فان المال لن ينقصه لفترة من الوقت . وحتى ذلك الحين ، يمكنه أن يكتب شيئا جديداً . إذاً تستطيع أن تكون مطمئنا من ناحيته ... »

هذا إذاً ما يكتبه ناجي الي .

لاشك انك قبضت المال وهذا سوف يستمر . تسلمت البارحة مبلغ الترجمة عن « توسكا » . وأرسلته الى بيرايه . انا مطمئن لأن المال لن ينقصكما لا انت ولا هي . انما همي الوحيد في الدنيا ، لكن أعلمني فورا ما إذا كنت قد تسلمت المال من ناجي ، لكي أشعربالاطمئنان التام ...

في ساجيرديره ، اظن انه قد يكون حسنا تقديم شروط معيشة عائلة خوجه ، وحتى بالتفصيل ، مع التفاصيل حول الميراث ومراسم الجنازة . يمكنك ارسال هذه القصة الى « اولوس »(٣٥) ، أو الى فالح رفقي(٣٦) ، أو الى تان أيضا . لكن قبل ارسالها أنى يكن ، ينبغي أن تبعث لي بنسخة منها . قد يكون جيدا ان نتناقش بها فيما بيننا . ما أريده هو أن يشكل نشر كل من كتبك حدثا حقيقيا .

---

(٣٥) جريدة يومية لحزب الشعب الجمهوري وكان حينئذ الحزب الوحيد في تركيا .

(٣٦) فالح رفقي (١٨٩٤ ـ ١٩٧١) أحد مساعدي أتاتورك المقربين ، صحفي وباحث ذو موهبة .

أرسل لك مجلات وروايات . ارسل لي انت مجموعة صور توغو . وأذا وصلتك « يابان »(٣٧) أرسلها لي أيضا .

لقد كدرني أن أعلم بأنك ترددت طويلا قبل أن تبدي لي رأيك في قصائدي . منذ متى تلزمك الشجاعة لكي تكتب لي بأنك تجدها رديئة ؟ عندما لا يعجبك شيء ما ، ينبغي ألا يمنعك شيء عن الصراخ به ، حتى الى أعز الكائنات لديك . أنت تعلم بأنني أنا نفسي دون شفقة — على قدر ما أستطيع — نحو ما أكتبه . قد أشعر بالشفقة على قصائدي يوم أصبح مقتنعا بأنني عاجز عن نظم احسن منها . وستكون تلك الشفقة ، هي التي سأشعر بها لموتي شخصيا كفنان . في الوقت الحاضر ، هذا الشعور غريب عني تماما . انا غاضب جدا على قصائدي ، لكنها لا توحي الي بأية شفقة ، وانا اجلدها قدر استطاعتي لأجعل منها شيئا جيدا ... نعم « يونس الاعرج » ليست رديئة عموما وفيها مقاطع جيدة ... لكنها في مجموعها رديئة ... انها قصيدة رديئة ، ماذا ... « الموسوعة » كذلك ... قصيدة رديئة ... من حيث الشكل قد تذكر هذه القصائد بأوكتاي واورخان والي(٣٨) بمعنى اني كتبتها عن طريق التوسع ببعض المقاطع في « البرقية التي جاءت ليلا » و « بنرجي » ، وطبقت عليها من جديد ، بعض مبادىء هذه القصائد ، مدفوعة الى حدها الإقصى ، لكن الامر هنا ليس في العودة الى « البيت المنقوش » ، الى « العالم الحيواني والنباتي والعاطفي ... الخاص بميدان فـن

---

(٣٧) « الغريب » (ظهرت عام ١٩٣٢) وهي رواية شهيرة للروائي الكبير يعقوب قدري فره عثمانوغلو (المولود عام ١٨٨٩) وهي تصف الاوساط الفلاحية كما يراها مثقف تركي خلال حرب الاستقلال .

(٣٨) اوكتاي رفعت (١٩١٤) ابن عم ناظم حكمت واورخان والي (١٩١٤ — ١٩٥٠) شاعران موهوبان جدا أسسا مع مليح جودت اندآي (١٩١٥) « المجموعة الغريبة » التي تمثل الاتجاه الشعري الاكثر اتباعا حتى أيامنا هذه ، بعد اتجاه ناظم حكمت .

المنمنمات والشعر » (؟ :) . في رسائلي السابقة ، شرحت لك مطولا ما يجب عمله في الشعر . وأنا أفهم الآن الأخطاء التي ارتكبناها أو بالاحرى ارتكبتها أنا عندما كنا نناقش في التشكيك والدحض في تشنقيري ، وأحاول أن أشرحها لك . ما يجب أن أفعله الآن هو أن أكتب القصائد ، أن أريك بقصائدي ما يتوجب عمله في الشعر ، والا أصبح كل تعليق نظري ثرثرة بعيدة عن التطبيق العملي . قليلا من الصبر أيضا ، يا عزيزي كمال ، فسأرسل لك قصائد لن تكون رديئة . لكنها لن تكون لا « تارانتا بابو » . ولا « الملحمة » ولا « الموسوعة » ولا « يونس الاعرج » ولا حتى « المذياع » التي أعجبتك مع ذلك ، ولا « ريح الجنوب » ولا « البستان » التي ينبغي ان نقرأها ثانية لتقول لي ماذا ترى فيها ، لكنني أكرر لك مرة أخرى ، ان اورخان والي واوكتاي طورا ، من وجهة نظر شكلية ، مبدأ قديما من مبادئي . أنا شخصيا ، في أحد البحوث ، دفعت بهذا المبدأ الى حده الاقصى . والحال ان اي مبدأ يدفع الى حده الاقصى ينقض نفسه ويخسر كل معناه . انهما يستمران في الهذيان ، وسيستمران طالما تقيدا بهذا الشكل ، وطالما ان المضمون لديهما لن يتغير . أنا رجعت الى وراء ، وسأتقدم في الطريق التي ارسمها لنفسي . واذا كنت ألح بهذا المقدار على هذه النقطة ، فلانه في الغد ، عندما نصبح أحرارا ، سنجد انفسنا في خندقين متقابلين مع أوكتاي واورخان والي والآخرين ، لأنهم سيضطرون الى الالحاح على هذا الشكل ، طالما أن مضمونهم لم يتغير .

كمال ، ان تكتب رواية فهذا من حقك المطلق . وانت مصيب في انك قررت كتابة روايتك الاولى في سلسلة « الحي الهادىء » ، غير انك يجب أن تغير هذا العنوان الذي يذكر الى حد كبير « بالدون الهادىء ».

لقد خرج ابراهيم من المشفى ، وصحته جيدة ، ويرسل لك تحياته . امين ، وارطغرل وديمتري يعانقونك ويبعثون بتحياتهم . وقد وصلتني رسالة من سعيد بك وهو يبعث بتحياته اليك .

كانت بيرايه مريضة هنا قبل هذه الأثناء ، واستمر هذا وقتاً غير قصير في استنبول . شكراً لله ، أن حالتها جيدة الآن . وقد شفيت عيناي تماماً .

ان تكونهذه الرسالة طويلة كثيراً . ان سمّيك يرسل اليك قصته وقصائده ، وسيكون المغلف مكتظاً تماماً .

ما هي أخبار الرفاق في سينوب ؟ لم أستطع حتى الكتابة اليهم ، لكنني سأفعل ذلك فوراً .

تحياتي الى المدير والحراس والى كل الذين يسألونك عن اخباري .

أستمر في قراءة مؤلفات عن الفلسفة . أما الكتب العلمية فسأرسلها لك تباعاً بعد قراءتها ، مع رواية ديدرو أيضاً . لقد استطعت الحصول على كتاب جيد في الفلسفة ، وأدون بعض الملاحظات . في رسائلي القادمة سأبدأ بارسالها لك شيئاً فشيئاً . ومن ثم ، فقد عثرت على ملخصات صغيرة حول بعض المذاهب الفلسفية . وسأرسلها لك أيضاً .

كنت قلقاً من صحتك ، ثم علمت من المذياع بالهزة الأرضية في تشنقيري ، فأبرقت اليك ، وسأتسلم جواباً ، دون شك ، قبل أن تصلك هذه الرسالة ، فأنت تعرف جيداً كيف أقلق في هذه الحالات . أرجو الا تتأخر بعد الآن في الكتابة الي ، بدعوى انك لا تجرؤ ان تقول لي بأن قصائدي رديئة . الشعر : انني ابصق عليه .

لنصبر شهراً آخر ، وربما أقل ، ومن ثم يتوجب علينا القيام بمساع جدية لنقلك الى هنا . فأنت لا تستطيع أن تتصور كم أرغب في رؤيتك ثانية .

نقل نوديه ، والدواء الذي نصحني به لعيني ، وميله للعرائض . فكرت بحكمت بانفعال . أعطه الرسالة التي كتبتها له .

اخـوك

٧ / ٦ / ١٩٤١(٣٩)

كمال ، يا أخي ،

ها انا أجيب على رسالتك المؤرخة في ٢٩ / ٤ / ١٩٤١ . ولنبدأ بالأخبار : أتى ناجي سعد الله ، وعابدين(٤٠) ، وعزت عادل(٤١) ، مدير مركز الاصلاحية الزراعية في امرالي ، لزيارتي . أرسل لك صورة نظهر فيها جميعاً . ويظهر بالقرب من ناجي مديرنا تحسين بك ، وعزت عادل الى جانبي ، والى جانب عابدين طبيب الأسنان لدينا . انهم يبعثون بمودتهم اليك والى مديرك . وقد وعدوني بأن يفعلوا كل ما في مقدورهم لنقلك الى هنا . سيرسل لك ناجي قميصاً . سنكون أحراراً عما قريب، إن شاء الله ، وسنستعيد ، كتوفيق فكرت(٤٢) « الأيام المظلمة التي مرت كلحظة حلم » . خالي في استنبول ، وناجي ينوي الذهاب لرؤيته . وقد سبق لنا أن لاحظنا معك ما يلي : عندما يكون الانسان في السجن ، يزداد اهتمامه بالأحداث ، ويكون ملماً بها أكثر بكثير من الذين في الخارج ، فليس ثمة خبر أو معلومات لم نكن نعرفها أو في مقدورنا أن نتوقعها . اذاعة انقرة تعطي بأمانة كبيرة كل الأخبار العالمية . يكفي أن نصغي الى نشرة الأخبار لنفهم كل ما يحدث وحتى كل ما سيأتي . والحال اني أجد أن الآخرين « في الخارج » لا يستمعون حتى الى المذياع بالقدر نفسه من الانتظام كما نفعل نحن . توجد أشياء كثيرة للعمل ،

---

(٣٩) التاريخ الحقيقي هو ٧ / ٥ / ١٩٤١ .

(٤٠) عابدين دينو (١٩١٣) رسام وكاتب يعيش حاليا في باريس .

(٤١) عزت عادل ، حقوقي اجرى اصلاحات تقدمية جدا في نظام السجون في تركيا .

(٤٢) توفيق فكرت (١٨٦٧ ــ ١٩١٥) شاعر كبير في نهاية القرن التاسع عشر ، مجدد علم العروض التركي ، يدافع في قصائده عن أفكار انسانية وينتقد علنا الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد .

كل يوم ، في الخارج ، حتى أن الناس يضيعون في هذه التفاصيل . اريد أن اقول بأن معتقلاً يقرأ الجرائد ، ويصغي الى الاذاعة ، ويملك حساً سليماً ووعيا ومحاكمة ، هو من وجهة النظر هذه ، اكثر حرية . انه يستطيع فهم الامور بشكل افضل . لعلي احاول ان أعزي نفسي فقط ، لكن شيئاً من الصحة يوجد في هذه التعزية .

كنت أقول لك في رسالتي الأخيرة ان ارسال القصائد لك كان يمكن أن يكون أكثر صدقاً من بناء النظريات حول الشعر ، لكن الملاحظات التي تبديها لي تضطرني للعودة الى نظريات ومبادىء لا جديد فيهـا بالنسبة اليك ولا الي . أولاً : ان ما تقوله حول الشخص الذي ينام في الحديقة العامة صحيح . وملاحظاتك حول « الموسوعة »(٤٢) صحيحة في جزء وغير صحيحة في الجزء الآخر . وكما سبق أن قلت لك ، أنا ايضاً لا أحب « الموسوعة » . لكني كما ارى الآن ، إن القواعد التي نستخدمها لنقد هـذه القصيدة ، التي نجدها نحن الاثنين رديئة ، مختلفة . وينبغي ، قبل كل شيء ، تحديد هذا الاختلاف . يبدو لي انك تحكم على الموسوعة باعتبارها مجموعة قصائد مثل « الأبيات الثمانمائة والخمسة والثلاثون » خاصتي مثلاً . لكنها بالنسبة الي قصيدة واحدة . ويمكنني ان أقول بأن كل « شخصية » في الموسوعة هي بيت من القصيدة ذاتها . وحسب مفهومي للبيت والقصيدة ، أن اجتماع هذه الأبيات أو تلك لا يشكل جمعاً أو حصيلة بل معادلة جبرية ، مسألة رياضيات ، بناء تنعقد فيه روابط داخلية ، ويكتسب مجموع هذه الأبيات كلهـا صفة جديدة . كما هي الحال مثلاً في أية واحدة من قصائدي القديمة ، بعض الأبيـات خافتة وبعضها لامعة ، بعضها صماء وبعضها رنانة ، بعضها من مقطع واحد وأخرى من ثلاثين ، هكذا أيضاً يخلق مجموع هذه الأبيات المختلفة القيمة ، ظاهرة جديدة نسميها قصيدة ، وهكذا

---

(٤٢) عنوان قصيدة لناظم حكمت .

ايضاً حيوات مختلف الشخصيات في الموسوعة — بعضها يشبه شاهدة القبر ، والأخرى أكثر تفصيلاً ، بعضها يحاول فقط أن يعطينا فكرة عن الحياة وأفكاراً عن الشخصية ، والآخر أيضاً يصفها مع بيئتها — وهي مجتمعة في كل ، ينبغي أن تشكل وثائق ، وتؤلف قصيدة واحدة ، وتكتسب صفة جديدة ، وكان يمكن أن تقدم لنا السمات الأساسية والناس لمرحلة تاريخية محددة . انما حسب مفهومي للشعر ، كانت ستبقى في حدود هذا الشعر . سأضرب الك أول مثل يخطر لي : في « أغنية شاربي الشمس »(٤٤) بيت (ههنا اغنية) « لا وجود له » اذا اعتبرناه بمعزل عن الباقي ، لكن عند يحيى كمال لكل بيت « وجود » بمفرده ، وبالمقابل ، امكانيات القصائد حيث كل بيت « موجود بشكل مستقل عن الباقي ، تبقى محدودة ، في حين انه بالنسبة للمبدأ الآخر ، تكون هـذه الامكانيات أكثر اتساعاً بكثير ، نعم ، كما هي الحـال في « الموسوعة » ، أكثر الشخصيات ، اذا أخذت بصورة مستقلة الواحدة عن الاخرى ، لا وجود لها » . في رأيي ، يا عزيزي كمال ، ان المبـدأ صحيح . لن انسى مطلقاً ، انك كنت قد صرحت بصدد البيت الرابع والستين في قصيدة « سليم وكتابه » ، بأن بيتاً مستقلاً من هذا النوع ليس بيتاً . هنا تختلف مفاهيمنا ، في مفهوم البيت بالذات . وبعد ، فقد سألتني اذا كان بالامكان قراءة مقطع من قصيدة بشكل مستقل عن الباقي . « في بدر الدين »(٤٦) ، نستطيع ان نأخذ أي مقطع وان نقرأه بصورة مستقلة عن المجموع . » كما كنت قد قلت لي . هذا صحيح يا عزيزي كمال ، في « بدر الدين » كما في « الملحمة » ، كل مقطع يمكن أن يقرأ على حدة . لكن كل هذه القصائد الطويلة ، ومن بينها بدر الدين ،

---

(٤٤) عنوان قصيدة لناظم حكمت .

(٤٥) يحيى كمال بياتلي (١٨٨٤ — ١٩٥٨) آخر شاعر تركي من اتباع الديوان ، كان من اوائل معلمي ناظم حكمت وشجعه في ميله الى الشعر .

(٤٦) قصيدة ملحمية كبرى لناظم حكمت .

ضعيفة اذا اخذت « كقصيدة مستقلة » . في رأيي أن « الرقم الرابع والستين » يمكن ، وفقاً للشروط والحاجة ، أن يستخدم كبيت « مستقل » ، بشرط أن يقدم المجموع كمية ما لا يمكن الاستغناء عنها . ومع ذلك ، في الأعمال التي تكون كاملة بصورة عامة ، من وجهة نظر نوعية ، الا يمكن أن توجد مقاطع تمكن قراءتها بصورة مستقلة عن الباقي ، ومع هذا ، بدون هذه المقاطع ، كان العمل سيكون وكأن « لا وجود له » . لقد قمت أنت نفسك ، بهذه التجربة ، وأنت تعرف ذلك جيداً ، فالكتاب الذين يتحولون من الشعر الى النثر ، الى الرواية، والقصة ، « ينقلون » في البداية كل جملة بالعناية نفسها التي نوليها للبيت ، وبالحرص حتى على المفهوم القديم للبيت المستقل . لكنهم يقلعون عن ذلك شيئاً فشيئاً فيما بعد . ذلك لأنه في الرواية والقصة ، قد اختفى اليوم مفهوم الجملة البراقة ، والمقطع البراق ، كما اختفى في المسرح مفهوم الاسهاب . عند تولستوي ، في « الحرب والسلام » ، وفي « آنا كارنينا » ، نصادف مقاطع براقة تنفصل عن الباقي . (واختيار هذه المقاطع متصل طبعاً بالمفاهيم الاجتماعية ، وهكذا بالنسبة لشريحة اجتماعية معينة ، المقطع الأكثر بريقاً في آنا كارنينا هو مقطع الانتحار ، وبالنسبة لشريحة أخرى ، هو مقطع الزراعة والريف) . نعم ، في هذه الروايات ، نلاحظ الكثير من القطع البارزة ، لكن تولستوي عندما بنى روايته ، لم يبنها من أجل هذه المقاطع . بينما عند خالد ضيا(٤٧) نرى بوضوح كيف أن المعلم يبتعد عن الموضوع ليتمكن من كتابة مقطع «باراني الماس » . لنلخص : أن البيت والمقطع والقطعة لا تشكل الأساس ، نقطة الانطلاق . نحن لا ننتظر من الجملة ، من بناء الجملة ، والبيت ، والقطعة ، أي من « الشكل » ، ان تجدد الأساس ، المضمون ، فنحن نعرف أن المضمون هو الذي يحدد الشكل . والشكل أليس له إذاً تأثير على المضمون ؟ نعم ، بالتوكيد ، إنما كمياً . ان الأبيات والجمل والقطع

(٤٧) (اشاكليجيل ١٨٦٦ ـ ١٩٤٥) روائي مشهور .

التي تنفصل عن الباقي ليست إلا مظاهر هذا التأثير الكمي . فاذا كانت الجمل ، جميعها ، في رواية ما ، أكثر بريقاً الواحدة من الأخرى ، نبتعد عن الواقع . ففي الواقع يوجد « الباهت » ويوجد « البراق » . ومن تلاقي الضدين « الباهت » و « البراق » يلد الواقع . لنعد الى موضوعنا : كانت « الموسوعة » قصيدة رديئة ، لأن العنصر الشعري ، في المجموع ، كان غير كاف ، وليس لأن حيوات بعض الشخصيات كانت واردة فيها الواحدة تلو الأخرى ، مقتضبة كشواهد القبور . ان الرجل الذي ينام في الحديقة رديء ، لأنه مصنوع من بيت واحد . فبيت واحد لا يصنع قصيدة . لكن ما لا أستطيع فهمه ، هو لماذا وجد هواة الأبيات « المستقلة » هذه القصيدة رديئة ، ان بيت « رجل في غاية الملل ينام في الحديقة » جميل بالمقدار نفسه كبيت « لا أحد يفتح بابي غير النسيم » . بالطبع ، يا عزيزي كمال ، أنا أكتب لك كل هذا غير آخذ في الحسبان عدداً من العوامل ذات الأهمية الثانوية ، لأكون واضحاً ووجيزاً ، بما أننا لا نناقش الا مسألة واحدة . فلكي نحدد القانون ، يكون المنهج المجرد لا غنى عنه أحياناً .

باختصار ، نحن من رأي واحد : « الموسوعة » قصيدة رديئة . سأحاول ، اذا وجدت الوقت اللازم ، أن أجعل منها شيئاً يسرك ، دون التخلي عن المبدأ الأساسي مع ذلك .

ولنصل في الحديث الى « ناس البحيرة » التي لك : هذه القصص تروق لي حتى الآن ، وحتى كما نشرت . نحن نعرف جيداً ما هو عيبها : انه في واقعة نشر أربع قصص على التوالي ، الواحدة في ذيل الأخرى ، حيث تهيمن مسألة العلاقات الجنسية ، وكون هذه العلاقات الجنسية في القصص الأربع ، معروضة في مظهر واحد . مع ذلك ، يوم أن تظهر

« ناس البحيرة » في مجموعة من القصص عن الحياة في القرية ، هـذه العيوب لن تعود موضع ملاحظـة . على الخصوص ، لا تقلق ، ستبقى « ناس البحيرة » اجمل اربع قصص في الأدب التركي .

سأرسل الك كتباً ومجلات وصحفاً . تحياتي الى المدير ، والى كل الذين يسألونك عني . أعانقك بشوق ، أيها الأخ ، يا كمال العزيز . تحيات من كمال ، وارطفرل وامين بك وديمتري .

* * *

٢ ـ مـالاطيـا

أيـار ١٩٤١ ـ ١٩٤٤

٢٠ / ٥ / ١٩٤١

كمال ، يا أخي ،

تسلمت ، الواحدة تلو الاخرى ، البرقية التي تخبرني فيها بحاجتك الى المال ، هذه البرقية التي ضربتني في الصميم ، فأرسلت لك اليوم خمس ليرات ، والبرقية التي تبشرني بنقلك الى مالاطيا . ومنذ « البرقية التي أتت ليلاً » ، جلبت كل البرقيات الي انباء سيئة دائماً . وسارعت الى كتابة رسالتين الى ناجي ، حتى انني توسلت اليه ، وأكثر ، للقيام بالمساعي لدى وزارة العدل ومديرية السجون ، بواسطة أصدقاء كتاب ونواب ، مثل خالدة أديب وأكاكوندز الخ .. لنقلك الى بروصه . وكتبت أنا نفسي الى مدير السجون ووزير العدل ، ابن خالي العتيد . صفية(٤٨) موجودة في بروصه منذ البارحة . ستقدم حفلاً غنائياً هنا في السجن ، ثم تذهب الى انقره . رجوتها ان تحدث صدري ارتم(٤٩) وجودت كريم ومعارفها الآخرين بشأنك . أثر هذا تلقيت الرسالة التي كتبتها لي اثناء الطريق . وانا أجيب على هذه الرسالة . أما انت فقل لي أولاً ما اذا تسلمت رسالتينا ، إحداهما بالبريد المسجل على الأرجح وتحتوي على مقاطع من قصة سميك وعلى خمس ليرات بحوالة برقية . ارسلت لك كذلك رواية ومجموعة من القصص بالفرنسية ، مجلات مجلدة فهل تسلمت كل ذلك ؟ كتبت للمرة

(٤٨) صفية أيلا ، مغنية معروفة جداً .

(٤٩) صدري ارتم (١٩٠٠ — ١٩٤٣) روائي تقدمي ، نائب في تلك الفترة .

الثالثة الى ناجي ليرسل لك فورا بعض المال وقميصا . بيرايه لا تزال في استنبول ، وقد تسلمت بالتوكيد هداياك ، لكنها لم تكتب لي شيئا بعد بهذا الصدد . قالت لي بأنها أرسلت لك رسالة ثانية . سيحولونها لك دون شك من تشنقيري . وقد تكلمت هي أيضاً مع ناجي على المال الذي ندين به لك . انها تتحدث الي كثيرا عنك ، في رسائلها الأخيرة . يبدو أنها كادت تبكي عندما علمت بأن لا فلس واحدا لديك . تذكرت الآن أني في احدى رسائلي الأخيرة كنت قد أرسلت لك صورة مأخوذة مع مدير الصلاحية امرالي وناجي سعد الله فهل تسلمتها ؟ أخبرني بذلك ، مع الأجوبة الأخرى على اسئلتي ...

وأنا ، لكي لا أتغير ، لا انظم أبياتا ، انما افعل ما هو أفضل ، انني اقرأ بانتظام . الفلسفة على وجه الخصوص . وأحاول زيادة معارفي العلمية . ومن وقت لآخر أرسم ، انما نادرا . وقد حققت قدرا جيدا من التقدم . وقد عثرت على قصائد ماياكوفسكي المنشورة عام ١٩٤٠ ، مجموعة في مجلد واحد وأنا أقرؤها الآن . سادلي لك باعتراف ، لا تكرره لأحد : انني أتعرف على ماياكوفسكي مجددا . فباستثناء بعض القصائد التي سمعته يلقيها في الماضي ، هذه هي المرة الأولى التي أقرؤه . أما في ما يتعلق بمفاهيمه حول الفن ، فانني أوكد لك مع الأسف انني في بداية اكتشافها . غير أن القاعدة التي تقول بأن الشروط المتماثلة تلد الأفكار نفسها مؤيدة هنا في خطوطها العريضة . لذا ستغفر لي أنني وكدت في الماضي تحت وطأة الالتباس فقط ، انني اعرف ماياكوفسكي واعماله ، في حين أنني كنت أجهله تماما : في النهاية ، فقد قمنا بالعمل نفسه ، ماياكوفسكي وأنا ... بالطبع ، لقد قام به بصورة أفضل ، في كثير من المجالات ، ولكن ، وما فائدة التواضع المصطنع ، في مجالات أخرى ، وان كانت اقل أهميــة ، قمت بذلك بأفضــل مما فعل ... وهكذا .. أحكي لك كل هذا ، ولك فقط ، للمرة الأولى والأخيرة ، دون شــك ..

انتظر بفارغ الصبر « ساجيرديره » في شكل قصة . لقد قدرت صفية كثيرا « ناس البحيرة » ، وقالت لي بأن القصص راقت كثيرا للقراء ، وهذا بالطبع لا يزيد في قيمة « ناس البحيرة » ، لكنه مع ذلك رأي قارئ . ويمكن اعتبار صفية قارئة من نوعية عالية .

لم يعد يشغلني الا الهم السار بأن أنتظر وصولك ، والبرقية التي ستخطرني به . أريد فعلاً أن يصلني ، ولو لمرة واحدة ، خبر سار برقيا.

تصلني أخبار من خالي الجنرال . وهو يؤكد لي إننا سنصبح احرارا عما قريب .

كنت أضفت كلمة أحكمت في احدى رسائلي الأخيرة . هل سلمته اياها ؟ أعلمني بذلك ...

سميك يرسل لك تحياته . وكل أصدقائك هنا كذلك . انني أنهي هنا رسالتي وسأرسلها فورا . وأريد لرسالتي الأولى الى مالاطيا أن تصلك في أقرب وقت . اعانقك بشوق ، وأنتظر جوابا سريعا ، أيها الأخ .

- ٢٤ -

كمـــال ،

هذه رسالتي الثانية الى مالاطيا . وقد تسلمت اثنتين منك ، احداهما وضعت في البريد أثناء الطريق ، والأخرى في مالاطيا نفسها .
اصغ الي جيدا : لقد كتبت أربع رسائل الى ناجي ، الواحدة تلو الأخرى ، بشأن نقلك الى بروصه ، وقد هتف الي هذا اليوم :

ان المدير العام للمؤسسات الاصلاحية ، بهاء أريكان ، والنائب صدري ارتم ، وآكا كوندز ، قد جرى الاتصال بهم .

عليك أن تحرر فورا طلبا موجها الى المديرية العامة للمؤسسات الاصلاحية ، تطلب فيه نقلك الى بروصه قائلا :

١ ـ انك مريض ومناخ مالاطيا لا يناسبك ، وانك حصلت في الماضي على الافراج المشروط بسبب المرض .

٢ ـ وان لك خالة تقطن بروصه وتستطيع العناية بك وتأمين حاجاتك .

ارسل هذا الطلب الى ناجي سعد الله الذي يقوم بتحويله . واذا استطعت الحصول على شهادة من الطبيب الشرعي أو من المشفى وربطها الى الطلب ، فسيكون ذلك أفضل .

سيقوم ناجي سعد الله ، بنفسه ، بتقديم الطلب والشهادة الى بهاء وبتحويلهما منه . أخيرا سنلتقي ثانية ، يا كمال ، يا ولدي، يا أخي .

تحيات من جميع الأصدقاء .

هذه رسالة مختصرة جداً ، لوضعها في البريد في أقرب وقت .

- ٢٥ -

٩٤١/٥/٣٠

عزيزي كمـال ،

تسلمت رسالة ثانية من مالاطيا مع صورتك . وهذه هي الرسالة الثالثة التي أبعث بها اليك الى مالاطيا . كانت الثانية مختصرة جدا ، كحديث هاتفي تقريبا ، أعيد عليك محتواها : اثر الرسائل المختلفة التي أرسلتها الى ناجي والمساعي التي قام بها بنفسه ، تقرر أن تكتب استدعاء موجهاً الى المديرية العامة للسجون ، تبين فيه عدم استطاعتك تحمل مناخ مالاطيا ، وتصرح أن لك خالة في بروصه يمكن لها أن تقوم

بأودك ، وترفق بـه شهادة صحيـة اذا أمكن ، وترسـل الجميـع الى ناجي سعد الله الذي يقوم بتقديم الاستدعاء باليد الى بهاء اريكان ، ويؤمن بذلك نقلك الى بروصه ، في أقرب وقت ...

ساروي لك شيئا مضحكا : انني اقرأ الآن كتيب خالدة اديب « تاريخ الأدب الانكليزي – من البدء حتى المرحلة الاليزابيتية » . ثمـة شاعر مولود عام ١٣٣١ أو ١٣٣٢ في الجنوب الغربي من انكلترا ، اسمه ويليام لانكلانـد ، من رواد الثورة الديمقراطيـة البرجوازية . وعمله الأكثر عبقرية واهمية والذي ، حسب خالدة أديب ، مارس التأثير الأكبر على الأدب الانكليزي ، هو قصيدة عنوانها : « حلم الفلاح ، المزارع بطرس » . بدأ لانكلاند في كتابتها عام ١٣٦٢ ، وعمل بها طيلة حياته . يبدأ هـذا العمل بقسم تمهيدي ويصف « الساحة المفطاة بالناس » التي تمثل بالنسبة اليه رمز الكون . على هذه الساحة المليئة بالناس ، يسلط الشاعر النور الآتي من تلال « مالفرن » والذي يتغير باستمرار . ويصف لنا ، الواحدة بعد الأخرى ، الشخصيات الموجودة في الساحة . بعضها يحرث الأرض ونادراً ما يجد الفرصة للهو ، وبعضها الآخر يزرع، ويكسب بعرق جبينه المال الذي يسرقه منه الكبار ليبذروه. والدين يتبخترون في ثيابهم الجميلة ، والنساك ، والباعـة المتجولون ، وشعراء القرون الوسطى ، والمشعوذون ، وبائعو المطرزات ، والعديد من الحجاج المزيفين ،مع أو بدون سعوف النخيل في أيديهم ، والرهبان الزاعمون الزهد في الدنيا مع نسائهم ، يروحون ويجيئون في الساحة ... فجأة يتغير المنظر ، ويظهر الملك وفرسانه . وهكذا دواليك . وقد توقفت خالدة أديب عند الفرسان ... وبالرغم من اختلاف الاسم والمنظر فان هذه اللوحة الوهمية من القرن الرابع عشر تصف لنا الواقع حقيقة ... « ان القرن الرابع عشر في انكلترا ، من وجهة النظر الاجتماعية ، هو عصر يتحد فيه الظلم بالدسيسة . ولانكلاند ، الذي رسم الفقراء ببطونهم الخاوية وظهورهم العارية ، مع آلاف فضائلهم ورذائلهم ، ترك لنا كوميديا إلهيـة عن الانسان الفقير » .

. والآن سأشرح لك لماذا أكتب لك كل هذا. أولا ، كنت قد كتبت شيئاً سميته «تاريخ القرن العشرين» وأردت ان اجعل منه قصيدة مستقلة ، قصيدة عظيمة ، ثم ادخلته في النهاية في بينيردجي(٥٠) . هل تتذكرها ، تذهب الشخصية الى السينما وتشاهد هناك مرور مختلف الطبقات الاجتماعية. وتبدأ القصيدة هكذا : « سحبتني القابلة من خاصرة أمي ، وقمطتني ببطاقة سينما » . عند لانكلاند الحلم ، وعندي السينما ، عنده ساحة مليئة بالناس،وعندي قاعة السينما والشاشة. فاذا وضعنا جانباً خصائص القرنين الرابع عشر والعشرين، الفنية منها على الخصوص،تكون القصيدتان مبنيتين على المبدأ نفسه ... شاعران نقديان من طبقتين مختلفتين وعقيدتين مختلفتين ، لكن المضمون هو نفسه ، أي ان الامر ينصب على وصف المجتمع في عصر معين بواسطة الرموز ، مع طبقاته الاجتماعية وخصائصه ... هذه هي النقطة الاولى . انت تعرف اني كنت قد بدأت في كتابة قصيدة عنوانها « هم ، وهو ، ومغامراتهم » ، وتعرف موضوعها ، كما تعرف ماهي « موسوعة الرجال المشهورين » . هاك الخلاصة التي استنتجها : في القرن الرابع عشر ، يختار شاعر ثوري، المجتمع بالمعنى الاكثر شمولا ، كمضمون شعري من اكثر المضامين الشعرية اهمية . في القرن العشرين ، يدور الشاعر الثوري لطبقة ثورية اخرى ، حول الموضوع نفسه ، انطلاقا من وجهة نظر اخرى . لذلك ، يا عزيزي كمال ، سأستمر في كتابة «هم ، وهو ومغامراتهم » بكل قواي. من جهة أخرى ، سأعيد كتابة «الموسوعة» بشكل وبناء واسلوب ، جديدة كل الجدة . في الوقت الحاضر ، حددت إذاً لنفسي مهمة انجاز هاتين القصيدتين . بالطبع ، لكي تنتهي « هم ، وهو ومغامراتهم » يجب أن أكون قد مت ، أريد ان اقول بأنني سأتابع كتابة هذه القصيدة حتى الموت . لكن الامر ليس كذلك بالنسبة « للموسوعة » . وبما ان هـذه القصيدة يجب ان تكون لوحة لمرحلة معينة في بلد معين ، فبامكاني على الاقل انجاز قسم منها من الآن والى ان اموت .

---

(٥٠) لماذا قتل نفسه بينيردجي ؟ قصيدة عظيمة لناظم حكمت .

كنت قد وعدتك بارسال الملاحظات التي انوي كتابتها حول كتيب الفلسفة . وبما انني استمر في اخذ الملاحظات ولاازال بعيدا عن الانتهاء من تصنيفها ، فسأبعث لك ببعض الملاحظات في كل واحدة من رسائلي ، لا على التعيين ، وابدأ إذاً :

١ ـ الكون الفيزيائي موجود بشكل مستقل عن الفكر الانساني ، وكان موجودا قبل الانسان بزمن بعيد .

٢ ـ الشعور والفكر الخ .. هي نتاج المادة ، أي نتاج الكون الفيزيائي . انها وظيفة جزء معقد بشكل خاص من المادة يسمى باسم الدماغ الانساني .

ان المادة هي مفهوم « لمقولة » فلسفية تدل على واقع موضوعي مقدم للانسان بواسطة حواسه . وهي تستعمل للدلالة على هذا الواقع . ان حواس الانسان تنسخ هذا الواقع الموضوعي ، تصوره وتعكسه . ووجود الواقع الموضوعي ليس متصلا ، خاضعا لحواس الانسان . ان المثالية تنكر واقع عالم فيزيائي مستقل ، غير مرتبط بالشعور والحواس ، وبالتالي ، تنكر المادة ، المفهوم الذي وضعته الفلسفة للتعبير عن هذا الواقع . أما المادية فانها تعلن ان المادة ، وهي تؤثر على حواسنا ، تنتج الشعور . فالمادة هي الواقع الموضوعي الذي تزودنا به حواسنا . وينبغي عدم الخلط بين بنية المادة ، أي خصائصها ، الذرة ، الالكترون ، الاثير ، الخ ... وبين معضلة نظرية المعرفة ، مصادر معرفتنا ، وجود الواقع الموضوعي الخ . يقولون لنا (ماك) (ارنست ماك فيزيائي وفيلسوف نمساوي : المترجم) : لقد اكتشف الانسان « عناصر الكون » التي هي الاحمر والاخضر والجامد والسائل والطويل والرنان الخ .. عندما يرى الانسان ما هو احمر ويشعر بما هو جامد ، هل يكون قد تزود بالواقع الموضوعي أم لا ؟ اذا كان الجواب بالنفي فاننا نقع في الذاتية واللاأدرية والكمونية . واذا كان الجواب بالايجاب ، فمن الضروري اعتبار هذا الواقع الموضوعي الذي تزودنا به حواسنا ، كمفهوم فلسفي ، مفهوم معروف منذ زمن بعيد يسمى مادة ..

فيما مضى كانت العلوم الطبيعية ترد ابحاثها عن العالم الفيزيائي الى ثلاثة مفاهيم نهائية : المادة ، والكهرباء ، والأثير . اما الآن فقد ردت المادة الى الكهرباء واحتفظ بمفهومين فقط : الكهرباء والاثير ...

تتصور الفيزياء الحديثة الذرة كنظام شمسي مصغر تدور فيه الالكترونات السالبة حول الكترون موجب بسرعة محددة فائقة الكبر . باختصار ، ترد العلوم الرياضية اليوم الكون الفيزيائي الى عنصرين أو ثلاثة بدلا من عدة دزينات . وهكذا يقودنا العلم الى وحدة المادة ، بينما يؤكد بعض الفيزيائيين والفلاسفة الذين يعتمدون على نظرياتهم ان «المادة قد أفلست » . في الحقيقة ، ان الحدود القديمة لمعرفة المادة ، وبنية المادة ، تختفي ، ومعرفتنا لهذه المادة تتعمق وتتسع . وخصائص المادة التي كانت تبدو لنا قديماً مطلقة وثابتة واساسية (الوزن النوعي وغيره) هذه الخصائص تعتبر من الآن فصاعدا ، شرط الوجود للمادة في بعض الحالات فقط . إذاً فالمادة الفلسفية للمادية لاتزال صالحة ، لان الخاصية الوحيدة للمادة ، التي تعني قبول المادية الفلسفية ، هي في انها واقع موضوعي ، وفي انها موجودة بمعزل عن شعورنا وعن احاسيسنا .

هذا ما يكفي لهذا اليوم ... يجب ان احدثك عن غرفتنا التي ستشرفها قريبا ، لنأمل ذلك ، بحضورك . لقد عملنا على طلي السقف باللون الابيض ، والجدران بالازرق الفاتح . وطلينا الرفوف بالازرق مما احدث زاوية زرقاء تماما . لدينا عبر النافذة حديقة تغطي كل الافريز وتنبت فيها كل انواع الزهور . هذا يعني اننا ملأنا هذا الافريز بالتراب وزرعنا فيه الاشتال . الارضية مرتفعة الى مستوى النافذة تماما ، ثم ان باب المرحاض وباب غرفتنا مطليان بالدهان الزيتي ذي اللون الاخضر البترولي ... سنعمل في الايام القادمة على غسل الارضية بالماء الغالي للقضاء على البق ... باختصار ، ياعزيزي كمال ، لقد زينا غرفتنا بشكل جيد ، استعدادا لوصولك . وقد فعلنا كل مانستطيع لكي لا تفتقد مالاطيا .

قل لي ، هذا المجنون حكمت ، لا يمكنك أن تتصور كم يستدر شفقتي، لماذا غضب مني هكذا فجأة ، وتوقف عن كل مراسلة ؟ قص علي هذا إذاً.

تحيات من الجميع ، مديرنا ونائب مديرنا ينتظرانك .

- ٢٦ -

٤١/٦/٩

ارسل اخبار صحتك برقيا .

- ٢٧ -

عزيزي كمال ،

لم تخطيء العادة ، مرة اخرى تسلمت رسالتك غداة اليوم الـذي بعثت اليك فيه ببرقيتي . انت وبيرابه ستجعلانني مريضا بكل قصص البرقيات هذه . حبا بالسماء : هل تسلمت رسالة مني أم لا ، اكتب بانتظام كل اسبوع ، ولو بضعة اسطر . ولنأمل انك ستصل الى بروصه قريبا ويزول عني هذا الهم .

ينبغي ان اعطيك بدءا الاخبار المتعلقة بي . طلب ارطغرل محسن مني « سيناريوين »(٥١) . أنهيت الاول في يومين . وهو حكاية . اما الثاني فسيكون مأساة (تراجيديا . من المترجم) يمثلها محسن ، وقد وجدت الموضوع ولخصته وارسلته له ، فاذا اعجبه سأنهيه أيضا . لكن باكمال، حتى من أجل سيناريو اضطررت للعودة الى دراسة حكاياتنا الشعبية القديمة . وهذه هي المرة الثانية . وقد توصلت الى الخلاصة التالية : في حكاياتنا الشعبية ، في كل التي جمعت حتى الآن ، تترافق الواقعية والعنصر السحري ويندمجان. لنخذ مثلا، حكاية تاجر الحلاوة الجميل :

---

(٥١) مؤسس المسرح التركي الحديث وممثل ومخرج .

انها تتضمن قصة المؤذن الذي يقع في حب فتاة يراها من أعلى المئذنة ، ابنة الرجل الطيب الذي سافر الى مكة للحج وعهد بها اليه ، فيقنعها بالذهاب معه الى حمامات السوق حيث تفرك راسه وعينيه بالصابون الفزير وتضربه «علقة». كل هذه الحكاية واقعية بشكل مخيف وذات صبغة هزلية عجيبة. ثمة شيء آخر ايضا. ان العنصر الهزلي في هذه الحكايات يتجاوز بكثير كوميديا موليير ، اما العنصر الدرامي فهو شكسبيري ... ان العواطف الانسانية تأخذ فيها، مع تعبير ذلك العصر ومضمونه، الاشكال الاكثر ارهابا والاكثر عريا ودرامية ... ان كون الاسطورة والعنصر العجيب يتصلان بهذه العناصر الدرامية ، يجعل العمل اكثر رهبة واكثر هزلية ايضا .

هذا الاسبوع ، بعد أن انهيت السيناريو ، تركت الفلسفة — في الوقت الحاضر — واندفعت الى الشعر بالخطى السريعة . وكما قلت لك في رسالتي الاخيرة ، بدأت أدفع شخصياتي في « موسوعة الرجال المشهورين » الى العمل . وسأقص عليك شيئا . عندما قرأت « الموسوعة » على بيرايه ، سألتني ما اذا كان كل هؤلاء الناس سيصبحون شخصيات لرواية أو لمسرحية . في الحقيقة ، وصفت بعض الشخصيات في ذروة عملهم ، انهم يحيون ، وبعضهم الآخر ، على العكس ، ليسوا الا شواهد قبور ، كما لاحظت لي في احدى رسائلك. سأحاول، باضافة مئات الشخصيات اليهم ايضا ، وباجتهادي في ايجاد الصلة بين الاحياء والأموات ، أن أصف في كل واحد ، وباختياري النماذج الاكثر تميزا، أناس مرحلة محددة جيداً من تاريخ بلادي . لقد كتبت الآن ثلاثمائة بيت . وأجريت الحساب بأنه سيكون فيها عشرة آلاف .

أتت صبيحة سرتل(٥٢) لرؤيتي . لقد أحبت كثيرا « ناس البحيرة » وأثارت القصص حماسها . ولهذا زاد تقويمي لها . لا أعني كتابك بل

(٥٢) صبيحة سرتل (١٨٠٨ — ١٩٦٨)صحفية وكاتبة ، زوجة الصحفي زكريا سرتك ، وقد توفيت في الاتحاد السوفيتي .

صبيحة . قابلت صفية وزير الدفاع الوطني ، صفوت اريكان ، وشخصيات أخرى ، ووعدها الجميع بنقلك الى بروصه . عندما علمت صبيحة بذلك ، هتفت الى صفية لتشكرها . وانا اكتب اليك كل هذا لتعلم كم يهتم زملاؤك الصحفيون بمصيرك .

بيرايه ليست هنا . أنها في أرنكوي . اكتب اليها . هل لديك بعض المال ؟ اخبرني بذلك فورا .

في ما يتعلق بالملاحظات حول الفلسفة : انت تطلب الي ان أعطيك شروحا حول تعابير « تزودنا بها أحاسيسنا » و « الواقع الموضوعي » : لنأخذ أولا الواقع الموضوعي : هذا يعني الواقع الموجود بصورة مستقلة عن وجودنا ، أي عن وجود الانسان الذي يملك الحواس ، عن الوعي ، اي الوعي الانساني ـ الوعي يوجد عند الانسان فقط ـ إذاً الواقع الذي كان موجودا قبل الانسان والذي سيبقى موجودا حتى لو اختفى العرق الانساني عن سطح الكرة الارضية . ان الفلسفة المثالية لا تقبل واقعا كهذا . فهذه الفلسفة ، شوبنهور مثلا ، يعتبر أن « العالم هو ارادة » وريهانكه « ان الكون هو فكر وخيال » . حسب هيغل الكون هو الفكر المطلق ، وحسب شوبه الواقع هو الوعي . حسب المادية ، هناك أولا الواقع الموضوعي ثم الاحساس ، ثم الفهم ، ثم الوعي . حسب المثالية الاساس هو الوعي ، وحسب ماك والآخرين هو الشعور . انهم لا يقبلون الواقع الموضوعي الذي هو مصدر الشعور ... اذا كان هذا الشرح لا يكفيك فاصبر قليلا . سأرسل اليك هذا المقطع من الكتاب الذي أجهزه ، كما هو ، في رسالتي القادمة . اي انني سأصنف ، بأفضل ما أستطيع ، الملاحظات التي أخذتها حول هذا الموضوع ، لكي أرسلها اليك . لكن اذا فهمت جيدا ما هو الامر ، سأستمر في أرسال ملاحظاتي اليك قبل تصنيفها .

انتظر وصولك بفارغ الصبر ، يا كمال ، يا أخي .

- ٢٨ -

عزيزي كمال ،

تأخرت قليلا في الكتابة اليك هذه المرة ، لأنني أردت أن أرسل لك قصيدة صغيرة ستقرؤها بعد قليل . انك لن تتصور ــ بل الارجح انك ستتصور بسهولة ــ كم أسعدتني اللوحة التي رسمتها لي في رسالتك الاخيرة عن مشاريعك وأعمالك التي شرعت بها . ماذا تريد ، اذا كانت القصة تزعجك الى هذا الحد ، فلا تكتب منها بعد اليوم . ومع ذلك ، فهي جنس صعب جدا وسلاح هائل . انا لا اقول لك هذا لأدفعك الى كتابة القصة ، لكنه صحيح . القصة الجيدة دون عيب هي كرباعية(٥٣) بدون عيب . انها لا تنسى . لكن بمـا أنك لا تريد حتى تجربتها فـلا تكتبها . . . انك لم تحدثني في الماضي ابدا عن روايتك عن مالاطيا . أود كثيرا أن أعرف مخططها . فهذا يشغلني كثيرا . . .

لقد توجهت أنا أيضـا الى الكثيرين من أجـل نقلك . أنت تعرف اليافطة المعهودة : الناس لا يقدرون السعادة الا عندما يفقدونها ، شيء من هذا القبيل ، انه مفهوم عام ، لكنه صحيح ، من وجهة نظر معينة بالطبـع .

قال لي يوما أحمد هاشم(٥٤) : « تجنب وخف أن تكرر نفسك .» انا أفهم هذا الخوف عند هاشم ، فهو كان يستطيع أن يشعر به ، لا لأنه يكرر نفسه ، بل بسبب ما كان يكرر ، أي الخط العام لشعره . لقد كانت اشياء بسيطة جدا ، لا تستحق أن تكرر ، وفقدت كل بريقها بمقدار ما كانت تكـرر . كان يستطيع إذاً أن ينصحني بتجنب هـذا الخطر . لكنني أعتقد أنه بالنسبة لنا ــ للذين يريدون أن يكونوا كتابا

---

(٥٣) شكل شعري من أربعة أبيات تكون القافية في البيتين الاولين والبيت الاخير هي ذاتها .
(٥٤) أحمد هاشم (١٨٨٤ ــ ١٩٣٣) شاعر رمزي مبدع ينادي بالفن للفن .

واقعيين ماديين جدليين ـ خوف كهذا غير وارد اطلاقا . ان ما نريد أن نعبر عنه ، الأفكار التي تؤيدها هي على درجة من التداخل والعمق والتعقيد بحيث ينبغي أن نخاف ، نحن الآخرين ، ليس من تكرار أنفسنا ، بل على العكس ، من عدم التكرار بشكل كاف . لأننا بتكرار أنفسنا فقط ، في التطبيق ، نستطيع أن نستثمر هذا الينبوع الذي لا ينضب . لقد أسأت التعبير ، لكنك بذهنك المتوقد ستفهم ما أريد أن أقول . أستطيع أن أعطيك مثلا : كنت قد كتبت قصيدة عام ١٩٣٩ في نظارة استنبول ، أعبر فيها عن سعادتي بمجيئي الى العالم ، وحبي لهذا الكون ، ولأرضه ، وللصراع الذي يجري فيه ، وللخبز والحرية ، وقلت أيضا انني لست وحيدا في العالم ، وانني اخترت ، في هذا الصراع ، معسكري ، صراحة ودون خوف . هل تتذكرها ؟ والآن في هذا العام ١٩٤١ كتبت قصيدة أخرى ستجدها في طيه . هنا أيضا ، الدافع الاساسي هو فخري أن اكون انسانا من القرن العشرين ـ وانه يكفيني أن أكون في هذا المعسكر حيث أنا ـ معسكر ونضال القصيدة الأولى أيضا ـ وهكذا دواليك . لكن الموضوع واسع ، في رأيي ، بحيث ينبغي ، لكي نفهمه ، في كل عمقه وتداخله ، ومن كل جوانبه ، أن نكرره مرات عديدة . وهذا يصح ليس بالنسبة لشاعر واحد فقط ، بل من أجل شعراء عديدين ، وبمقدار ما نكرره نتوصل الى فهمه بصورة أفضل . باختصار ، أنا أنسخ لك الآن قصيدتي الجديدة :

الانتماء الى القرن العشرين

ـ أن نرقد الآن ،

ونستيقظ بعد مائة عام ، يا حبيبي ...

ـ كلا ،

ان عصري لا يخيفني ،

فانا لست فاراً .

عصري بائـــس ،

عصري مشـــين ،

عصــري شـــجاع ،

عظيـــم ،

وبطـــل .

انا لم اندم ابداً انني جئت باكراً جداً الى العالم .

إنني من القرن العشرين

وانا فخـــور بذلك .

يكفيني

أن أكون حيث أنا في القرن العشرين

أن أكون في معسكرنا

وان اقاتل من أجل عالم جديد ...

ــ بعد مائة عام يا حبيبي ...

ــ كـــلا ،

قبل ذلك بكثير رغم كل شيء ،

القرن العشرون ،

الذي يموت ويولد من جديد

وتضحك ايامه الاخيرة بقوة

(ولياليه المخيفة التي تنتهي بصرخات الفجر) ،

سيكون مليئاً بالشمس

كعينيك ، يا حبيبتي ...

هذا كل شيء . أنوي أن أعود الى هذا الموضوع مرات عديدة أيضا . ان البحث عن ملجأ في الماضي هو هروب ، لكن « الاقلاع » وانت تحلم بالقرن المقبل ، هو هروب أيضا . اذا كنا نفهم قرننا جيدا بكل بؤسه وعظمته ، بعناصر موته وتجدده ، اذا كنا نشارك بفعالية في صراع قرننا ، بانضمامنا الى معسكر الحياة ، واذا كنا نعتقد باخلاص ان قرننا سيصل الى السعادة ، حينئذ نعم ، سيمكننا القول اننا عشنا . والان تصور كم هي الامكانات التي يمكن ان يقدمها هذا الموضوع ، كم هي هائلة ، وغنية ، لا تنضب حتى لو كررتها دون توقف ، في الرواية والشعر والقصة . اني افكر جديا في ان اطلب الى عصمت اينونو(٥٥) الاذن بنشر « الملحمة الوطنية » . هذا عرض مهم . من ناحية اخرى ، لديك من وقت لآخر افكار نافذة بقدر ما هي مفحمة .

ابنتي سوزان(٥٦) مريضة . اخشى كثيرا ان يكون ذلك بداية سل . بيرايه تطلب مني أخبارك في كل من رسائلها . تحيات من كل الذين أرسلت لهم التحية .

اما تزال غرفتك هي ذاتها ، أم لديك واحدة اخرى ؟ اعانقك ايها الاخ .

- ٢٩ -

١٩٤١/٦/١٧

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٤١/٦/١١ . لاشك انك تسلمت رسالة وقصيدة رشيد كمالي ، ورسالتي الطويلة . والى ذلك ، فقد أرسلت اليك اليوم رزمتين من المجلات . كمال ، لقد كتبت الى ناجي

---

(٥٥) عصمت اينونو معاون مقرب من اتاتورك ، رئيس الجمهورية في ذلك الحين .
(٥٦) ابنة زوجة ناظم حكمت آنذاك .

لاطلب اليه ان يرسل لك بعض المال . لكن أعلمني اذا لم يكن لديك شيء فأحول لك برقيا . أتت صبيحة لرؤيتي ، وهي تقضي فترة معالجة في بروصة بالحمامات الحارة . انها تبعث اليك بكل مودتها .

سأقص عليك شيئا . كان أمين بك يقرأ بصوت عال قصة سعاد درويش(٥٧) . وكنت أنا استمع . وقرأنا هكذا نصفها ، فصرح أمين « اننا نرى جيدا كيف ستنتهي القصة » فكررت انا : « نعم ان النهاية واضحة» . ولم أتابع. وكان رشيدكمالي قد قرأ القصةفي الليلة السابقة. واليوم ، عندما تسلمت رسالتك ، طرحت عليه السؤال : « ماذا يجري في نهاية القصة ؟ » فاعترف لي بانه لم يتمكن من قراءتها حتى النهاية، وأنها أزعجته ، وانه كان واضحا كيف ستنتهي . هذا واقع ... كنت دائما على قناعة بانه لكي تكون القصة قصة حقيقية ، والرواية رواية حقيقية ، ينبغي ، قبل كل شيء ، ان تمكن قراءتها باهتمام . فكما ان امكانية التنفس هي الشرط الاولي والاصلي والاساسي وغير القابل للجدل من أجل الحياة، كذلك فان الرواية والقصة يجب، قبلكل شيء ، ان تثيرا اهتمامنا ، وان تجرفانا . فاذا لم يتوفر هذا الشرط ، فالرواية ليست رواية ، والقصة ليست قصة . هذا الاهتمام ، وهذا الفضول ، لا يتضمنان فقط وبالضرورة عقدة بوليسية . فالموضوع ، والاحداث، والشخصيات ، والاسلوب الذي تمزج به هذه العناصر المختلفة ، كل شيء يجب أن يبنى بشكل تمكن معه قراءة العمل دون أحاجي وضربات مسرحية ، ودون ان يجعلك تقول : « اننا نرى جيدا كيف ستنتهي القصة » من الاسطر الاولى او الفصل الاول . سأذهب الى أبعد من ذلك : في ما يتعلق بي أنا ، لا أستطيع قراءة الروايات ، خاصة منها تلك المبنية على خط أو خطين بارزين ، اذا كنت أعرف موضوعها ، باستثناء روايات ارسين لوبين ، أو دون كيشوت ، والاعمال من هذا

---

(٥٧) سعاد درويش روائية .

المستوى ، أو انني لا أشعر بالحاجة الى قراءتها على الاغلب . وهكذا فان كتاب « تاتارجيكا » لخالدة أديب لايزال هنا ولم ألمسه ، حتى انني لا أرغب في مد يدي نحو الرف لتناوله . ثمة شيء حقيقي في ما يقوله عابدين دينو . الفعل والحركة هما أحد المبادىء الاكثر اهمية في الفن . وكل الروائيين الكبار ، بلزاك ، تولستوي ، غوغول ، سرفانتس وآخرون ، قد أسسوا أعمالهم دائما على الفعل .

لنعد الى قصة سعاد درويش . كبداية ــ وحسبما قرات منها حتى الآن ، وسوف لن أستطيع مع الأسف أن أستمر الى أبعد من ذلك ــ انها ليست سيئة الى هذا الحد في نهاية الأمر ، مرحى لسعاد : شرط أن تعمل جيداً ، وأن تأخذ عملها بجدية ، وأن تكون لديها الشجاعة لتطبيق « الواقعية » الجدلية ، المادية ، وأنا لا أتكلم على الشجاعة السياسة ، بل على شجاعة الكاتب الشريف . فاذا توصلت الى أن ترسم الناس كما هم وكما سيصبحون قريباً ، اذا كانت قادرة على أن « تعطينا » شخصيتها المفضلة ذاتها بضعفها ــ الضعف الذي لا تتخلى عنه كثيراً ــ وفضائلها البسيطة بقدر ما هي عجيبة ، فسيكون لها شأن في المستقبل. لكني سأقول لك بكل إخلاص بأنه ، في رأيي ، لم يستطع أحد أن يساوي رشيد كمالي ، في ما يتعلق بوصف الأوساط العمالية ، وهو لم ينشر شيئاً حتى الآن . مع ذلك ، اكرر لك بأنني أحمل التقدير لما تفعله سعاد.

لنتكلم الآن على القصائد : يا عزيزي كمال : يجب أن أقول لك بادىء ذي بدء ، بأنه في كل ما يتعلق بالقصيدة ، والرواية ، والقصة ، والرسم والموسيقى ، أي باختصار في كل فروع الفنون الجميلة ، انا كانسان من القرن العشرين ، كانسان حسي من القرن العشرين ، أطرح على نفسي هذا السؤال : « ماذا يمكن أن يهمنا نحن ــ بمن فيهم أنا ــ اذا كان شاعر يكتب قصيدة الى محبوبته ، واذا كانت هذه القصيدة تخصهما وحدهما ، واذا كان الشاعر عاجزاً عن أن يصل حبه ببعض مظاهر أو خصائص القرن العشرين التي تهمنا كلنا ــ وأنا بينهم ــ ماذا

يهمنا من هذه القصيدة ، نحن رجال القرن العشرين ، ماذا يهمني أنا..؟ ان القرن العشرين قرن رائع . ان الشاعر أو الكاتب أو الرسام الخ . الذي يعيش في القرن العشرين ، لا يكتسب من الأهمية الا بنسبة ما يقدمه من انعكاس ملموس ، كلي أو جزئي ، لعصرنا . ان الشاعر يكتب قصيدة ، ويقول لنا ، مستخدما هذه أو تلك من التوريات ، هذه أو تلك من الصور ، بأنه فان . ماذا يهمنا أو يهمني من هذا ؟ لكنه اذا عرف أن يصل هذه الصفة ، بأنه سيموت يوماً ما ، بأحد مظاهر القرن العشرين ، وان كان أقلها شأناً ، واذا فعل ذلك بتفاؤل أو حتى بتشاؤم، عندئذ انا أقرؤه ، نعم : اذا كان يتكلم بأمل ، بفرح ، فلأنه يحدثنا عن اناس متفائلين وفرحين من القرن العشرين ، عن المستقبل : أما اذا كان ، على عكس ذلك ، متشائماً ، فلأنه « يمثل » صوت المحكومين بالفناء (بالاختفاء) في القرن العشرين . لكن شعراً مجرداً ، دون رابطة واضحة، ملموسة ، مع مختلف البلدان ، والطبقات والصراعات التي يزخر بها هذا القرن العشرون نفسه ، أنا لا أريد قراءته . لأن هذا الشعر ، هو أيضاً ، وان كان بصورة غير مباشرة ، تعبير قسم ما من إنسانية القرن العشرين . ولماذا ينبغي علي أن أهتم بأشياء قيلت بصورة غير مباشرة ، محجوبة ، في حين أن ثمة أشياء كثيرة يجب أن تقال ، واضحة ، قوية . اني أقرأ بودلير . انه يرتبط علناً ، مباشرة ، وليس بصورة مضمرة ، بكل جوانب القرن التاسع عشر التي كانت تنهار . اني أقرأ بلزاك ، لأنه يجسد أوساط القرن التاسع عشر ، ويحمل في أحشائه عناصر القرن العشرين . باختصار يا عزيزي كمال ، ان الكتاب الذين يدفعونني الى طرح هذا السؤال على نفسي : « ماذا يمكن أن يؤثر علي كل هذا ؟ » هذا السؤال الذي أصبح ، منذ بعض الوقت ، المحك الذي استخدمه ، ان الكتاب الذين يجعلون هذا السؤال ضرورياً ، هم أولئك الذين لا يستحقون مشقة قراءتهم في هذا القرن العشرين الرائع .

بدأت في كتابة القصيدة التي أنوي أن أضع لها عنواناً « مشاهد انسانية في تركيا العام ١٩٤١ » ، أو شيئاً ما من هذا القبيل . اني أكتب

خمسين بيتاً في اليوم . ستنتهي القصيدة خلال ستة اشهر ، وتحتوي على ١٠٠٠٠ بيت . حتى الآن ، لم أحد عن المخطط ، فقد كتبت ٦٥٠ بيتاً . في ما يتعلق بالشكل ، أنا لا أهتم بتراكيب الجمل ، بأشكال الأفعال ، بمسائل القافية الخ . اني أستخدم كل هذه العناصر كأداة ، اذ ينبغي أن تعبر عن المضمون بأحسن ما يمكن ، بأسهل ما يمكن ، وبأتم صورة ممكنة — وليس بأطرف أو أحدث ما يمكن . لقد قلت وداعاً للأبحاث الشكلية التي تجرى بصورة مجردة ، منفصلة عن المضمون ، المضمون ، المضمون قبل كل شيء ، والشكل الذي يؤمن القالب الأكثر مطابقة ، والأكثر بساطة ، والأكثر شفافية للمضمون . ان القفازات الأكثر ملوسة ، والأكثر بساطة ، والأكثر انطباقاً هي القفازات الأكثر ملاءمة للأصابع الدقيقة الجميلة . ان النساء الثريات ذوات الأصابع البشعة المضغوطة يحاولن تجميل أيديهن بقفازات مزخرفة . والأصابع النسائية المشوهة من العمل هي على قدر من المأساوية والتأثير بحيث أنها لا تحتاج الى قفازات . وكذلك الأمر بالنسبة لبعض المضامين ، فالقفاز الوحيد الذي يلائمها هو جلدها الخاص . سنكون قد نجحنا بمقدار ما يمتنع الشكل عن أن يصبح قفازاً ، بمقدار ما نكون قد حولناه الى جلد ؛ بمقدار ما نكون قد توصلنا الى دفع المضمون الى المقام الأول. أنا أعلم بأن هذا صعب جداً . فالحل الوحيد هو السير من المضمون الى الشكل . طبعاً دون أن ننسى التأثير المضاد للشكل على المضمون ، من وجهة النظر الكمية .

كمال : أنا أشعر انني بكامل لياقتي ، كملاكم ، كمصارع ، كلاعب كرة قدم ، كطيار . لو لم أكن أتماسك لكتبت مائة بيت في اليوم ، لكنني اراقب نفسي . وفي حين انني أشعر بأنني محكوم بالاعدام كالآخرين ، أرتجف أحياناً لفكرة أنه يمكن أن يحدث لي شيء ما بعد ستة أشهر ، قبل أن أتمكن من انجاز هذه القصيدة . كم أنا سعيد يا كمال بأن يكون لي صديق مثلك ، أستطيع أن أكتب له كل هذه الأشياء .

رشيد كمالي يعمل جيداً ، بترتيب ومنهجية . أنا مسرور جـداً منه . انتظر بفارغ الصبر القصص التي كتبتها مؤخراً . أنت مجبر على كتابة أشياء عظيمة . وستكتبها . تشجع يا كمال : لنفرح من أعماق سجوننا ، لأننا أتينا الى العالم في القرن العشرين . إنها سعادة حقيقية أن نولد في هذا القرن ، وأن نحتل مكاننا في معسكرنا . أنا فخور لأنني ولدت في القرن العشرين .

لك تحيات المدير وأمين السر . كل شكري للمدير لديكم ، من أجل الانسانية التي يظهرها لك . تحيات من الجميع . تعال بسرعة .

- ٣٠ -

عزيزي كمال ،

قبل كل شيء ، بعض الأخبار حـول نقلك : عندما ذهب الصحفي ناجي سعد الله الى أنقره ، كمندوب الى مؤتمر الصحافة ، قبل أسبوع تقريباً ، وعده المدير العام للمؤسسات الاصلاحية بهاء أريكان ، والنائب آكا غندوز ، بالاهتمام بقضيتك . لكنني عرفت ذلك بصورة غير مباشرة. ناجي ، على ما يظهر ، لا يريد ان يكتب لي شيئاً قبل الحصول على نتيجة نهائية . توجهت مرة أخرى الى بهاء أريكان ، والى الناس الذين اعرفهم في وزارة العدل . لنأمل بأن كل شيء سيترتب .

كنت سعيداً جداً إذ علمت بأنك استقررت في زنزانة جديدة ، لكنني اسفت لأنهم سحبوا منك جهاز الراديو . هنا يوجد اللاسلكي في عـدد كبير من القاعات . ولدينا أيضاً جهـاز مشترك في الباحة المغلقـة . تحيات الى رفاقـك في الزنزانة . اذا كانوا يحملـون لك التقدير ، فسيسعدون سجيناً آخر على بعـد مئات الكيلو مترات ، لا يعرفون حتى اسمه .

كنت قد قرأت قصة لسعيد فائق ، يطرح فيها بصورة مشوشة المعضلة التالية : هل كنت توافق على هدم جامع السليمانية اذا كنت تعلم بأن حياة انسانية تتوقف على ذلك ؟ هذه المعضلة التي تبدو مخيفة للوهلة الأولى والتي لا يتوصل سعيد فائق الى حلها ، قد حللتها أنت تماماً ، باستخدامك المنهج الجدلي ، في الرسالة التي تتغنى فيها بمدحي ... ذلك لأن سعيد فائق يعتبر الانسان تجريداً فإنه لم يتوصل الى تجاوز الصعوبة ـ كما هي الحال دائماً . أنت محق تماماً : أن يصاب احد رجالنا العظام بالبرد ، وألا يستطيع أيضاً متابعة القتال ، هو أكثر درامية من هدم محطة كهربائية . من جهة أخرى ، ان وضع الذين رأوا انفسهم محرومين من امكانية الموت دفاعاً عن باريس هو درامي ايضاً . ان العجوز الصغير العظيم كان كائناً انسانياً ، وهتلر كذلك . وليس ثمة نصب في العالم لا نرضى بهدمه كي نجعل الأول يعيش ساعة اضافية(*) . اما الآخر ، فقيمة وجوده ضئيلة لدرجة أن مصير غصن من شجرة كرز أكثر اهمية الى حد بعيد . وحتى على العكس من ذلك ، لكنّنا فعلنا اي شيء كي نراه « ينفق » بأسرع ما يمكن . كل هذا بدهي . باختصار ، حسناً تفعل لو انك تكتب قصة تشرح ، في العمق والتفصيل ، الفكرة التي كنت تعبر عنها في هذه السطور . ماذا يوجد في العالم مما يمكن الا نضحي به كي نجنب رجال معسكرنا أصغر العوائق ؟ لكن من جهة أخرى ، اذا تبين انه من المحتم أن يموت الآلاف من رجالنا في سبيل نقطة استراتيجية من النضال ، إذاً ، يصبح موتهم ضرورياً .

انتظر قصتك بفضول كبير . أرسل لي أيضاً مخطط الرواية .

ابنتنا تتحسن قليلاً . سأنقل الى بيرايه كل ما تقوله عنها في رسالتك . هل تعلم ، يا كمال ، بأن كل ما تقوله لي عنها يجعلني سعيداً

(*) اشارة الى ستالين . (المترجم)

جداً ؟ لكنك أحياناً تقول عني أشياء تجعلني أستحي وأنا أقرؤهـا . وهكذا تتحدث عن الموتى الثلاثة الكبار الذين يرتفعون أكثر فأكثر ، ثم عني . راقب نفسك قليلاً يا كمال ، وإلا انتهيت بأن أوبخك .

أبعث الك في هذه الرسالة بالقصيدة التي كنت بدأتها ثم تركتها منذ ستة شهور .

كمال : سيكون الأمر رائعاً عندما تصبح هنا . بيرايه تسألني عن اخبارك في كل رسائلها . عما قريب ، ستكون قد مضت ثلاثة شهور لم أرها فيها . انها لا تستطيع مغادرة استنبول لفقدان المال .

ابراهيم من قرية يايالار موجود هنا ويرسل لك تحياته . تحيات أيضاً من كل الرفاق . حسناً ، ابدأ الآن بقراءة القصيدة :

حدثَ هـنا مسـاءَ ثلاثاء .
كانت المدينـةُ مشعةً ،
والجـو جميـل .
والجمهور في حديقـة البلديـة ،
ياكل المثلجـات ،
يشرب عصير الليمون ،
ويستمع الى نشرة الاخبـار .
طفـلٌ بكـى .
كلبُ مـلازمِ الشرطةِ
يركض نحو البـاب .
فجاةً ، المراة ذات الرداء الأزرق
تسأل عن قوة أكبر الدبابات ،

وتغطي فمهـا بيدهـا البيضـاء

مـن الهلـع ،

واسـتاذ الفيزياء ذو النظارات

يشرح التفاصيل لابنته العاجزة

عـن آليـة مكبر الصوت ،

حين سقطت ورقة من شجرة الكستناء .

وتمخط رجـل

بحيـاء .

وفي الساعة السادسة وعشر دقائق تماماً

وقـع الحـادث

الـذي اتحدث عنـه .

بيرايه وكمال وانا ،

كنـا خـارج الحديقـة .

مكبر الصوت موجود في الحديقة ، في مواجهتنا ،

مكبر الصـوت مطلي باللـون الاخضر .

مكبر الصوت في أعلى القمـة

من سارية حديدية ، عارية ، طويـلة ،

يتكلم بصوت امراة رخو :

ـ أثنـاء الاشتباك تكبد

العـدو خسائر كبيرة ،

جيشـاً مدرعـاً كامـلاً ...

ـ لا تخافي يا عجوزي :

انك تنظرين بغرابـة
الى الموتى المهجورين على الجبهة .
الموتى ليسوا خطرين .
تعالي إذاً من هنـا ،
لدينا كلمتان نقولهما لك ،
خمس دقائق ،
سنتحدث ، نحن الآخرين ...
أنا ماقيو ،
انا جون ،
أنا هانس ،
انا جيلبير :

مجرّدُ جنودٍ اربعة
امـواتٍ احيـــاء :
كمال تحت حدبته ،
كمال ينفخ بغضب .
وعينا بيرايه الخضراوان الموشاتان بالذهب ...
لدي انا فكرةٌ ان ادونَ ملاحظاتٍ ...
وكلّ ما قيل هذا المساء ،
ها أنا اذكره لكم كلمةً كلمة :
ـ أربعـةُ جنـودٍ
امـواتٍ احيـاء .
لـم تعـد لهم أيـدي .

لـم تعـد لهـم رأس .
وفي قيـظ الظهـيرة ،
سقطوا على الأرض منبطحين .
لقد غطينـا رؤوسنا بأيدينـا .
ومرت الذبابات على أجسـادنا ...
لـم يعـد ثمـة جسـد .
لكننا لا نقلق الا من أجل الأيدي والراس .

انا جيلبير ،
كنت فخوراً بيديّ
الهائلتين الشعرانيتين .
كم مرة رأيتهما على ركبتي ،
تعبتين تفكران .
كانتـا دون شـك أكثر دهـاء مني .
انا ، جيلبير ،
انا فـلاح بريتاني .

انا ماثيو ،
كنت احب رأسي كثيراً .
ففيها كان قلبي .
صائماً ثلاثة أيام في الاسبوع ،
انما واثق منهـا ،
فقد كانت تنتصب على جذعي
بشاربيها الرفيعين الأسودين ...

أنا ماڤيو ،

موسيقار نابوليتاني .

أنا جــون .

يداي ،

كطائري قطرس

في نهاية ذراعي .

وندبــة حمــراء

في راحتي اليسرى .

أنا جــون ،

أنا حارس مؤن السفينة في مرفأ ليفربول ...

أنا هانس ،

عامــل تعديــن .

شهيرة هي ، ذريــة يــدي .

الأوليــان اللتــان شقيتا على أنوال مانشستر ،

وفي عــام ٨٩ في فرنسا تخضبتا بالــدم ،

وفي عــام ٤٨ كانتــا مع انجلز ،

وفيما بعد عندما كان أحد الرجال

يرى الحياة متشحة بالسواد ،

كان العم الكبير يقص عليــه ذكرياتــه

عن كومونة باريس .

شهيرة هي ، ذرية يدي .

لقد انتصر الآباء عــام ١٩١٧ ،

واعدم الأخوة بالرصاص في بافاريا ،

وقاتل أبناء العم عامين في اسبانيا .

الميدان الأكثر شهرة في التاريخ ...

انا هانس .

انا البروليتاري البروسي ...

- ٣١ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك المليئة بالنقد الطويل لقصيدتي . انت على حق في بعض النقاط ، وعلى خطأ في البعض الآخر ، فان ماتقوله حول القافية صحيح جداً ، وأنا أعرف ذلك جيدا . ملاحظة اخرى حول هذا الموضوع : اذا كانت القافية (لار) تتكرر اثنتي عشرة مرة في خمسين بيتاً ، فهذا ليس بكثير . لكن انطباعاً بأنها تتكرر اكثر من ذلك يحصل لدينا . ذلك ، في رأيي ، ليس لأن القافية هي (لار) ، بل لوجود التشابه في بنيةالجمل . أريد ان اقول انه توجد أبيات ــ وهي كثيرة جداً ــ لاتنتهي بـ (لار) وتشبه ، من وجهة نظر البنية ، تلك التي تنتهي بـ (لار) . وهذا مايسبب هذا التشابه الذي تشير اليه بحق . وقد لاحظت ذلك أناأيضاً . لكن ، كما قلت لك سابقاً ، سأجري هذه التصحيحات عندما أكون قد انجزت مقاطع كبيرة ، وربما العمل بكامله . يجب قبل كل شيء ان تتكاثر القصيدة ، وان ترتسم حدودها الخارجية وخطوطها الرئيسية . اما التفاصيل الدقيقة فتتحدد فيما بعد . سأقول لك إذاً بأن الملاحظة الثانية التي تبديها لي في رسالتك ليست معللة ، لان عدم المساس بترتيب الكلمات في هذه القصيدة ليس موضوع بحث ، بل على العكس ، عدد كبير من الكلمات والبنيات وحتى المقاطع الكاملة ستغير من مكانها ، وترمى حتى في سلة المهملات . لكن كل هذا ليس الا

من قبيل التفاصيل . لنأت الى المشكلة رقم واحد ، الى النقاط الجوهرية في مفهوم القصيدة نفسه : ١ ـ هل يستحق الامر ، هذه الايام ، ان نعمل في قصيدة طويلة من هــذا النوع ؟ ٢ ـ ألا يجب ، في القصيدة الحديثة ، ان نضع العنصر الخطابي في المقام الاول . سأحاول ان اجيب بادىء ذي بدء على السؤال الاول . لقد بدأت في كتابة هذه القصيدة منذ ستة شهور ، وعملت بها خمسة عشر يوما . ثم تخليت عنها فجأة ، مما يعني أنه رغم وجودي في السجن ، فقد حالت عمليا الشروط الخارجة عن السجن ، خلال ستة شهور ، دون أن أعمل في قصيدة من هذا النوع . هذا واقع يعطيك الحق فيما يتعلق بنصف النقطة الاولى في المشكلة التي تطرحها . أي ان قصيدة من هذا النوع ، حتى لو انجزت ، تكون محكومة بأن تبقى على شكل مسودة في الوقت الحاضر . غير اننا لايمكن ان نستنتج من هذا ، أن قصيدة من هذا النوع يجب الا تكتب . وكما انك يجب أن تكتب « ساجيرديريه » وقصتك عن الصديقين ، يجب علي أنا ان اشتغل بهذه القصيدة ، لأن الوسائل الموجودة بتصرفنا ، تؤمن لي امكانيات اكثر اتساعاً ـ كما نبهتني بحق ـ لكي أتلاءم مع الشروط الجديدة . لماذا ؟ سأجيب على هذا « السؤال » جزئياً في النقطة الثانية ، وجزئياً الآن ، لان هذا السؤال مرتبط ايضا بمشكلة الشعر الخطابي . لكن ثمة جواب آخر يجب أن يقدم في البدء . وهو انه في الشروط الحالية التي تتغير ، خارج البلاد وليس داخلها ، حيث تبقى بدون تغيير ـ فأنا لاأزال في السجن ويستحيل ان انشر أي شيء ـ أجدنفسي مضطراً لتحديد العلاقة بين المواطنين من بلدي ، في هذا العام ١٩٤١ الذي شكل منعطفاً للعالم أجمع ، ولبلدي ايضا من بينها . هذا التحديد هو إذاً أهم بكثير مما كان عليه منذ ستة شهور . ولم يسبق لي حتى الآن أن قمت بتحديد اكثر اتساعاً وأكثر تفصيلاً . هذه القصيدة تقدم لي امكانية ان افعل ذلك . أنت الذي تعمل في ميدان الرواية والقصة ، تقوم بهذا التحديد في كل سطر تكتبه ، مباشرة . ان الوسائل التي تمتلكها تلائم هذه المهمة بشكل أفضل بكثير من وسائلي التي هي شعرية . ينبغي علي ايضا ان

اشير الى نقطة ــ هي غير متصلة مباشرة بأساس المشكلة وغير جديدة ، لكن لاغضاضة من التحدث عنها ثانية ــ وهي لماذا اخترت الشعر وليس الرواية أو القصة أي النثر لكتابة تاريخ ماضي وحاضر ومستقبل الناس في بلدي ، في هذا العام ١٩٤١ ، تاريخ علاقاتهم . ذلك لأن تحديداً يستخدم السلاح الشعري يمتاز بطرح مشكلات اكثر اتساعا بكثير باختصار اشد ، ربما مع تفصيلات قليلة ، لكن بقوة ، عن طريق اعادة هذه المشكلات الى خطوطها الجوهرية . لو لم يكن الشعر يستخدم هذه الميزة لأصبح عقيما وتقلص ميدان عمله . لنأت الآن الى النقطة الثانية أي الى مشكلة الشعر الخطابي . اليوم ، دون شك ، ينتقل هذا النوع من الشعر الى المقام الأول . لكن هذا الشعر ، باكمال ، مرتبط بشكل وثيق بالمشكلات الحالية ، وهو ، من جهة أخرى ، نوع يجب ان يؤثر في التطبيق ويوماً بيوم . في الشروط التي أوجد فيها ، ومع امكانيات النشر التي أملكها ، فان القصائد الخطابية التي يمكن أن أكتبها لن تمس أكثر من قارئين أو ثلاثة .. لهذا ــ وبالمقارنة مع ما يمكن أن أقدمه في هذا الحقل ــ يخيل الي ان عملي يكون اكثر فائدة بكثير عندما اكتب قصائد يمكن ان تقرأ فيما بعد ، عندما تكون الشروط قد تغيرت ، قصائد تصف الحاضر لكنها تستطيع ايضا ان تفيد في المستقبل . لو كنت حراً لكتبت قصائد افضل بكثير من « الجدار هذا » ، وانزلتها الى السوق ، قائلا لنفسي ، هذا بالضبط مايجب عمله اليوم . لكن الشروط الخاصة بالسجن تمنعني اليوم من القيام بهذا النوع من العمل ، بينما تؤمن لي امكانية نظم قصائد ذات تأثير أكثر ديمومة ومضمون أكثر عمقاً . ينبغي الا تستنتج من كل ما أقوله لك هنا انني انكر ضرورة الشعر الخطابي ، حتى في قصيدة الحب الفنائية . ان « الرسالة » عنصر لايوجد الشعر بدونه . وسأجتهد حتما لاستخدامه على نطاق واسع في هذه القصيدة . اذا كان هذا العنصر قد انتقل لدي ، منذ بضعة أعوام ، الى المقام الثاني، فذلك يمكن تفسيره ، من جهة ، بكوني بعيدا عن الشروط التي تغذيه، أي قبل كل شيء عن امكانية نشر مؤلفاتي ــ أنت تعرف جيداً انني ما أن

وجدت في استنبول الوسيلة لنشر ابياتي ، وجد هذا العنصر مكانه فورا في القصائد التي كتبتها حينذاك ، بما فيها الملاحم و « آية »(٥٨) — ومن جهة اخرى بكوني افتش في الشعر الخطابي نفسه عن امكانيات جديدة واصوات جديدة . منذ بداية هذه الرسالة وانا اجتهد ، بأكثر ما يكون من الاختصار ،ان أحل أهم المسائل التي طرقتها بصدد قصيدتي الاخيرة. هل سترضيك شروحاتي ؟ لا أظن ذلك . لأن المسألة التي تطرحها هي راهنة جدا بالفعل . سأوجز نفسي بجملة اخيرة : سوف تكتب « ساجيرديريه » ، يجب ان تفعل ذلك ، وأنا ، سأكتب « مشاهد انسانية في تركيا العام ١٩٤١ » ، وينبغي أن أفعل ذلك ، وأنت وأنا ورشيد كمالي وكل الاصدقاء الذين يتعاطون ، في السجن ، الشعر والادب ، كلنا ملزمون بالكتابة ، وبجعل الناس يقرؤون أعمالا يمكن أن يكون لها تأثير على المسائل الراهنة. لننتقل الآن الى الأسئلة التي ترتدي أهمية ثانوية : أعتقد بأن قصيدتي ستكون من ستة آلاف بيت ، وربما أكثر من ذلك . ان أكثرية الأشخاص سيعودون للظهور ، من وقت لآخر ، في القصيدة ، لكي يعيشوا فيها « قدرهم » الاجتماعي . ما اريده هو أن يصبح ما يتبقى لنا من الكتاب ، عندما يقرأ وينتهي ، موجزا في شكل فني ، لوضعية الجماهير ، بكل طبقاتها وشرائحها الاجتماعية ، في بلد محدد تماما ، وصل الى العام ١٩٤١ ، ضمن شروط تاريخية محددة . إن صدفا محسومة كموت علي أو لقاء غالب وعمير ، تحصل في الحياة ، كما يبدو لي . هذا هو الواقع . أكثر من ذلك ، في رأيي ان هذه الاختصارات ضرورية نظرا لهدف القصيدة نفسه . بالطبع ، يمكننا أن نتناقش طويلا حول هذه التفاصيل . أشكرك مرة أخرى ، أيها الأخ ، على هذا النقد الجميل . والحال ، لولا هذه المراسلات ، لما سنحت لي الفرصة ولا الامكانية لصياغة أفكاري ونواياي ، والشر أو الخير الذي أعمله . والآن لنكمل الحديث في الشعر . في ما يتعلق بعملي ، في ملحمتي الكبرى ، يا كمال ، سأعود اليه في أول

---

(٥٨) — آية — وردت هكذا « يبدو انها عنوان قصيدة — المترجم » .

فرصة . شكرا على نصائحك . لكن يبدو لي انه ينبغي علي أولا أن أضع القصيدة التي أكتبها الآن على الطريق الصحيح ، ثم أعود فأضع الأخرى فيما بعد على النول . سأحاول أن أرسل لك ، في هذه الأثناء ، قصائد يكون فيها العنصر الخطابي مسيطرا . أنت تعرف جيدا ، أنك تملك الآن ، مع بيرايه ، الامتياز الحصري في ان تكونوا قرائي ونقادي ، وانه علي أن استغني عن القراء والنقاد اذا لم أتوصل الى ارضائكما . الجميع هنا يبعثون بتحياتهم لك . تمكنت أخيرا من الكتابة الى الرفاق في سينوب . أرسلت لك اليوم /٥/ ليرات . اذا كنت بحاجة المال أعلمني فورا لأرسل لك بعضا منه على الفور . اضطررت الى ملازمة الفراش لمدة أربعة أيام ، فقد كنت مصابا بالزكام . لا يزال عندي صداع . اتمنى لك أن تستعيد جهاز الراديو في أقرب وقت . من المرعب أن يحرم منه المرء ... أنا أستمع اليه صباحا وظهرا ومساء . جهازنا من طراز العام ١٩٣٦ ، ولا يلتقط أية محطة أخرى غير محطة أنقره ، لكن هذا كاف ... تحيات من مديرنا ، من أمين السر ، ومن رئيس الحرس . أنهم يأملون أن يروك قريبا . انتظر بفارغ الصبر القصة التي أنت في سبيل كتابتها . الى لقاء قريب .

- ٣٢ -

٩٤١/٦/٣٠

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تلقيت جوابيك على رسالتي ، الواحد تلو الآخر . في ما يخصني ، لم أكتب سطرا واحدا منذ أسبوع بكامله . لدي شعور بأنني أعوم في حلم لا نهاية له . ثمة لحظات أكون فيها غاضبا جدا ، لأنني لم آتِ الى العالم بشكل طلقة رشاش .. في هذا الحلم الكبير الذي يساورني ، أن يكون الانسان رصاصة ، هو أكثر فائدة من أن يكون شاعرا ، وحتى أن يكون مسمارا ، لا أدري أنا ، في سرداب حصن اسمنتي ، أن يختلط على

الأقل بالواقع ، بالحياة ، كمادة غير عضوية ، انما أكثر نشاطا من شاعر في سجن ، أن يستطيع هكذا أن يؤثر على الواقع : ان قصيدة ماياكوفسكي ، التي تحبها كثيرا ، انت أيضا ، والتي تبدأ هكذا « أيها الخطباء ، صمتا . . . » ، لا يمكن أن يكتب شيء آخر غيرها اليوم ، ولا أجمل منها . . . أنا أعترف ، مع ذلك ، بأن الآمال التي تغذيها حول القصيدة التي بدأتها ، وكل ما تقوله لي عنها في رسالتك الثانية ، قد أحدثت لي صدمة . لقد عدت الى نفسي ، ومنذ الغد ، سأعود الى أبياتي الخمسين اليومية . افهمني جيدا ، هذا الكسل الذي دام اسبوعا لم يكن باعثه الحذر أو الذهول . سببه أولا أنني فهمت ، للمرة الأولى ، انني في السجن ، فعلا . ثم ان رأسي وقلبي فقط بكل أسف هما اللذان يقاتلان على كل الجبهات في العالم ، فيمكنك أن تتصور الالم الذي أشعر به من ذلك . انه صراع لا يجعلني أواجه أي خطر ، أي خطر قاتل حقيقي . اني افكر في العالم أجمع ، في الناس ، في بلدي ، في وطني ، في كل الذين ينتمون الى معسكري . اني أثور غضبا الفكرة أنني لا أستطيع أن أتعرض للخطر ، بينما هذا الخطر هو بالنسبة للآخر الشيء الأكثر شيوعا ، والأكثر بساطة اليوم الى حد مضحك ، انني غاضب جدا لكوني لا استطيع أن أفعل هذا الشيء الذي ليس الا لهو أطفال ، لكنه وحده الشيء الحقيقي . لا يمكنك أن تتصور كيف كان يمكنني أن أموت بسهولة ، ببساطة ، بجدوى . ومع ذلك ، فان كل هذا لا يمنعني من أن افهم ضرورة تقسيم العمل التي تفرضها علينا الشروط من وقت لآخر . وهذا الكسل الذي دام اسبوعا يمكن أن يعبر عن نفسه ، على العكس ، على العكس تماما ، ببيت مليء بأمل رائع :

لكن هذه اللغة لا يفهمها القلب !

منذ الغد ، سأعود الى أبياتي الخمسين اليومية ، المائة حتى . . .
يجب أن أن أتجاوز الخطة . ان المهمة الملقاة على عاتقنا في تقسيم العمل هذا ، يجب أن نقوم بها ، حتى وان قل أن تكون مشرفة ، وأسوأ من

هذا ايضا ، حتى وان كانت سهلة ، يجب أن ننجزها ، ونحن نخضع لكوننا شخصيا في أمان ، يا كمال . من أجل بلدنا ، من أجل شعبنا ، عالمنا الخاص بنا ،من أجل الذين يخصوننا ، يجب أن نكتب أجمل قصائدنا ، أجمل حكاياتنا ...

سنتألم بشكل مخيف ، ونحمر خجلا من رفاهيتنا ، من الآمان الذي نحن فيه ، لكننا سنقول للشعب التركي والى كل الذين يخصوننا اجمل الأشياء التي نملك أن نقولها لهم . تحيات من الجميع .

- ٣٢ -

كمال ، يا اخي ،

كتبت عدة مرات الى ناجي في موضوع دراهمك . وقد الححت عليه أن يرسل لك قميصا واشياء أخرى أيضا . لكن ، في كل الأحوال ، سأرسل لك /٥/ ليرات في الشهر ، كالعادة . لقد خفضت خالتي ليراتها الخمس عشرة الشهرية الى عشر . بالمقابـل ، شقيقتي ترسل لي /٥/ ليرات . اذن ليس ثمة مشكلة . بيرايه حضرت وعادت . ولم نفعل شيئا غير التحدث عنك . لقد شعرنا اننا مسنون جدا ، لأن لنا أبنا عمره أكثر من ثلاثين سنة ، واننا فتيون جدا مع ذلك ، لأن لنا فيه ملء الثقة . لا نزال دون أخبار عن موضوع نقلك .... لكنني أريد كثيرا أن تأتي . أنا لا ارسل لك أية قصيدة الآن . اصبر قليلا .. ألم تتصور ؟ اذا كان الجواب نعم فأرسل لي صورا على الفور . سأرسل لك في بريد هـذا الأسبوع كمية من المجلات والصحف . سيكون لديك ما تقرؤه .

سأقول لك شيئا يا كمال : اذا تطابقت تماما كل العلاقات النفسية والذهنية والثقافية ، وكذلك الآراء ، بين كائنين اثنين ، تصبح الظاهرة التي ندعوها صداقة قوة هائلة . أقول لنفسي بأن العلاقات بيننا ، من الأسفل الى الأعلى ، وفي كل المقاييس ، على قدر من الصفاء والنقاء

كألوان الموشور ، ولها الانسجام نفسه .... وقد ظهر هذا بشكل أفضل عندما وجدنا أنفسنا بعيدين عن التأثير الثانوي جدا للتفاصيل اليومية ، عن ردود فعلنا العصبية . وقد فهمت الى أي حد نحن أصدقاء ، عن طريق تطبيق منهج التجريد على الزمن والمكان ، لتحديد القانون الأساسي لصداقتنا . ويبدو لي أننا لن نتشاجر بالقدر السابق عندما نلتقي ثانية ومن الممكن أن نسأم حينئذ بعض الشيء ، من وقت لآخر .

تحيات الى والدك والى الرفاق في سينوب ، فانني لا أستطيع الكتابة لهم . أطلب اليهم أن يعذروني ، فهم يعلمون جيدا بأنني كنت كتبت لهم ، دون أدنى شك ، لو كان ذلك في مقدرتي .

لا يمكنك أن تتصور كم هو حسن مزاجي ، وكيف أحافظ على برودة أعصابي ... بالرغم من عذاب يعصف في أعماقي ، أرى الحياة جميلة .. أحمل الابتسامة الذي يعرف بأنه الضاحك الأخير . حسنا ، وداعا وحظا جيـــدا .

حيات من مديرنا ، وأمين السر . تحيات الى مديرك ، كل من يعرفك هنا يعانقك . قل لي الا توجد أخبار عن حكمت ؟ ماذا يعمل هذا المجنون ؟ سميك يرســل لك تحياته .

– ٣٤ –

١٩٤١/٧/١١

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك . وهي قصيرة . لكنها كاملة . ستكون رسالتي أيضا قصيرة . انما كاملة ؟ فلا أعتقد ذلك . وأنا لا أقول لك هذا تواضعا ، على العكس ، بل عجرفة . أشعر بنفسي عاجزا عن كتابة رسالة قصيرة وكاملة ، لالك حتى ولا لبيرايه . أشعر بانني انسان لا يملك كلمة واحدة

يقولها لكما ، ولا امامكما . لو كنا سوية نحن الاثنين ، ماذا كنا سنقول الواحد للآخر ؟ ما ان يفتح أحدنا فمه ، يعرف الآخر ما سيقال . التفكير في الاشياء نفسها يجعل الناس صامتين . تبا : لقد تملكتني فجأة الرغبة في ان أزعق . لو كان ثمة مائة الف فم على الاقل تنشد اغنية ، باصوات قرار ، لكنت انضممت اليها صارخا بكل قواي ...الاحلام ، صور قصائدي الماضية تقفز تحت ريشتي ، أو على الارجح في ذاكرتي . عمري تسعة عشر عاما ، أعوامي التسعة عشر ...

ارسل لك ٥ ليرات هذا الاسبوع ، ومجلات أيضا .

سأرسل لك القصائد ، أو على الارجح الاقسام الاولى للقصيدة ، بعد اعادة نسخها بعناية ، ما أن يتوفر لدي الوقت لذلك .

ان الجملة التي كتبتها بشأن بيرايه كانت جميلة مثل صرخة ثورية . ستكون بيرايه قريبا هنا .

انه أمر مضحك ، لقد عدت ، دون أن الاحظ ذلك ، الى الابجدية اللاتينية شكرا .

ليس عندي شيء آخر أقوله لـك .

تحيات من الجميع . اخـوك .

- ٣٥ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتيك سوية وسعدت بهما جدا . وبما اننا نرسل لك بعض القصائد في هذه الرسالة ، رشيد كمالي وأنا (أنا ، بقية مشاهد انسانية) ، فقد أمتلا المغلف . لهذا ستكون رسالتي للاسف قصيرة

جدا . لنجب اولا على اسئلتك . ناجي ترك « التان » ، ويبدو انه في أنقرة . وقد كسر رجله هناك . وهتف لي ، هو وارطفرل شوكت . سررت بسماع صوت تاجي . وقد أخبرني أنه تحدث مع السلطة المختصة في موضوع نقلك الى بروصه ، فقدمت له بعض الوعود . حظا سعيدا . .

مضى عام على زواج سعاد درويش ورشاد فؤاد(٥٩) . حظا سعيدا لهما أيضا .

أما فيما يتعلق بما تقوله لي حول الكلمات الجديدة فأنا متفق معك ــ حول الجوهر . سنتحدث عن ذلك ثانية في رسالة مطولة .

أرسلنا لك بعض المجلات فأخبرني ما أن تتسلمها .

وصلتني رسالة من سينوب ، وسعدت بها جدا .

بيرايه مريضة منذ شهر . لقد تحدثنا بالهاتف . انها مصابة «بالكريب» وحرارتها ٣٩ ــ ٤٠ درجة ، وآلمني ذلك جدا . ان الايام التي سنستعيد فيها بهجة القلق من أجل تعاسات صغيرة من هذا النوع قريبة .

تحيات من ابراهيم ــ الذي ــ من قرية ــ يايالار ، ومن ارطفرل ، وكل الذين ارسلت لهم مودتك. تحيات الى رفاقك ، والاصدقاء الذين يشاطرونك الغرفة . انتظر رأيك حول جزء القصيدة الذي أرسلته لك . ان كون هذا المقطع وما سيليه غير مشذب كما يجب ــ خاصة من حيث الجرس ــ امر طبيعي تماما . بشوق ، اخوك الذي يفتقدك كثيرا .

- ٣٦ -

كمال ،

لانني شعرت بالحاجة لان أقص عليك ، بلغة شعرية ، ما أحس به عند التفكير باننا في السجن ، في حين انه كان يمكن أن نكون مفيدين لبلدنا ،

---

(٥٩) رشاد فؤاد ، ماركسي حكم عليه عدة مرات لآرائه السياسية .

فقد تأخرت قليلا في الكتابة اليك ، واستخدمت الابجدية اللاتينية في جوابي . إذآ ، استمع :

اقول ملاطيا ،
والكلمة لا تذكرني الا بحاجبيك المقطبين ...
بروصة : محطات المياه المعدنية
امازيا : التفاح
سينوب : مشغل مصطفي صبحي[٦٠]
دياربكي : بطيخ احمر وعقارب ،
لكن هناك في بلدتك
ـ في ملاطيا ـ
اي شيء له شهرة ؟
اي ثمر ، اية حشرة ،
الماء او المناخ ؟
فكر انني لا اعرف شيئا عن سجنك .
لا شيء سوى غرفة ،
ونافذة وحيدة ،
مرتفعة جداً ،
قرب السقف .
انت في داخلها هناك ،
مباشرة ...
سمكة صغيرة جدا

---

(٦٠) مصطفى صبحي مؤسس الحزب الشيوعي التركي في الاتحاد السوفياتي .

في قمقم طويل ضيق .

قد لا تسرك المقارنة .

خصوصاً هذه الأيام ،

يجب أن تقارن نفسك بأسد في قفص .

انت على حق يا كمال طاهر ،

وانا مثلك ، حتماً ،

نحن أسود

ـ أنا لا أمزح ،

وافضل من ذلك

نحن رجـال ،

ونعرف جيداً ما هي طبقتنا ،

وعصرنا ـ

لكن قفصاً من حديد أو قمقماً من زجاج ، لا يهم ،

انها تتشابه والشيء ذاته

خصوصا هذه الايام

ـ اولئك الذين في الداخل ابرياء ، هادئون ،

يعرفون هذا جيداً .

خصوصاً هذه الايام .

ان تضحك لكلمات امين وسارير الحلوة ،

مذاق الكتب المحبوبة والطماطم ،

والنوم رغم البق

ـ وبفضل ثلاث ملاعق ادونيل في اليوم ـ

وحتى دون رسالة منك ،

يا كمال بن طاهر ،
ان نسمع ونلمس ونرى ضياء النهار ،
انا لا اغفر لنفسي
اي فـرح ،
سوى فرح حبي لزوجتي ...
حساسية زائفة ؟
كـلا :
الا استطيع الكفاح ،
حتى بمقدار طلقة مسدس ،
فمـلا .
انت تعرف هذا جيداً ،
وحده لا يشعر بالعذاب ،
ذلك الجريح في المعركة ،
واولى الحريات
حرية ان تقاتل :
قلبي مثقل بالألم ،
وابدو هادئاً ...
انت تفهم اليس كذلك ،
والحال ان ما اقوله لك هنا ،
هي كلماتنا العادية ،
كلماتنا في كل يوم
التي تتكرر غالبا

ومانزال نكررها ايضا .

في هذه اللحظة ، في كم من الاماكن ، وكم من الرجال ،

يلعنون باشفاق ايديهم العاجزة ، الجامدة على ركبهم ،

ويكررون

هذه الكلمات ...

انت تعرفها جيداً ،

لكن لا يهم ،

ساقولها لك مع ذلك .

العزاء البائس في ان نتكلم ، ونشرح ،

عندما نعرف اننا عاجزون . .

نعم ، ربما ،

وربما لا ...

كلا ، اطلاقا :

ـ اهذا عزاء ، حبا بالسماء :

هذا بكل بساطة

تخبّط ، والراس منكسة ،

زمجرة ، صراخ ، زعيق يا كمال : ...

٢٥/٨/١٩٤١ سجن بروصه

عزيزي كمال !

يبدو أنهم يهتمون بنقلك الى بروصه . وقد كتبت أنا نفسي رسالة الى بهاء أريكان ، المدير العام للمؤسسات الاصلاحية .

هل تسلمت الخمس ليرات التي أرسلتها لك ؟ أوجه اليك بهذا البريد نفسه رزمتين من المجلات . أخبرني حالما تتسلمهما .

يجب أن تأتي بيرايه هذه الأيام . إنه لأمر مضحك ، يا كمال ، كثيراً ما أتساءل لماذا أنا لست عجوزاً جداً ، ولماذا انت لست ابني ، الأكثر ذكاء ، ولدي الشقي .

استطعت الحصول على الكتاب الذي نشره سعيد فائق تحت عنوان « المطرقة » من غير المجدي أن تطلبه مني ، فأنا لا أستطيع إرساله لك . لأنه إعارة ، وينبغي أن أرده في أقرب وقت . إننا نلتقي بألفونس دوديه حتى عند هذا الفتى . الحساسية وعدم التماسك يمتزجان ويختلطان عنده . فليأخذه الشيطان ، أود كثيراً أن أضربه « علقة » ، هذا الأحمق ، لأعيد له ، الى رأسه ، التوازن ، لأنه سيكون كاتباً جيداً ، بشرط أن يصبح أكثر عقلانية . لكن عليه قبل كل شيء أن يتخلص من موقف الهاوي شبه الشاعري ، الشاذ . وبين كل الأشخاص الذين تزدحم بهم بابيالي(٦١) ، لا يوجد واحد يوجه له صفعة قوية على رأسه ، ليساعده على الرؤية الواضحة ، بل على العكس ، يتغنون بمديح الفتى البائس ، الذي يزداد هيجاناً . هل يمكن للانسان أن يكون فناناً حقيقياً إذا كان لا يعرف كيف يبني كلاً واحداً ، ويقيم التناغم ، هندسة الكل ؟ اشكر مديرك ، وأمين السر ، ورئيس الحرس ، والنائب العام الذي يهتم بأمرك .

تحيات الى كل الأصدقاء . تحيات الى الرفاق في سينوب . ما هي اخبار حكمت ؟

- ٣٧ -

عزيزي كمال ،

هذه المرة ايضاً أتأخر في الجواب . هذه المرة ايضاً أرسل لك قصيدة . أنا مستمر في كتابة الملحمة عن حركة التحرير الوطني ، التي

---

(٦١) حي الصحافة وبيوت النشر في استنبول .

أعجبت كثيراً خالي علي فؤاد باشا وعصمت باشا ، كما تعرف جيداً . أرسل لك مقطعاً منها ، قصيدة يتحدث فيها مناضل ، عشية النصر . هل ستعجبك ؟

حول الانتصار

لنقـاوم الألـم
ونحن نضغط على جرحنا بأيدينا المخيفة
ونحن نعض على شفاهنا حتى تدمى .
الأمـل بعـد اليـوم
صرخـة عارية ، لا رحمـة فيها ...
والنصر
سننتزعـه بقـوة ايدينـا
وننسى معـه المغفـرة .
الأيـام قاسـية .
الأيـام تاتي باخبـار المـوت .
فالعـدو قاس ،
لا يشفق ،
وماكـر ...
رجالنـا يموتون وهـم يقاتلـون
ــ رغم انهم ربحـوا حـق الحيـاة ،
وعلى الأرض اكثر من اي امرىء آخـر ،
كانوا بهـا جديرين ــ
رجالنـا يموتون

ـ أرهاطـاً ـ

كما لو كانوا يتظاهرون في يوم عيـد

مع أغنيـات ورايات ،

شباناً دائماً ولا مبالين ...

الأيـام قاسية .

الأيـام تاتي باخبار الموت .

واجمـل الأكـوان ،

أحرقنـاه بأيدينـا ،

ونسيت اعيننـا الدمـوع

ـ واختفت الدمـوع من اعيننـا

تاركة إيانـا حزانى لكـن وقوفـاً .

وهاكم لمـاذا

نسينا المغفـرة ...

الهـدف المبتغى ،

سنبلغـه في الدم .

والنصر ،

سننتزعـه بأظافرنا ،

وننسى معـه المغفـرة ...

سجن بروصه في ١٩٤١/٩/١٣

« اختفت الدموع من أعيننا » هذا البيت كان في الأصل « واختفت الدموع » . لكن الناس أعلنوا أنهم لم يكونوا يفهمون منه شيئاً ، فجعلت منه « واختفت دموعنا » ، فقالوا أيضاً انه غير مفهوم ، فجعلت منه

« واختفت الدموع من اعيننا » . ما رايك فيه ؟ اريد ان اقول بأن دموعنا تذهب تاركة إيانا « حزانى قليلاً لكن واقفين » . الأمر لا يتعلق بالدموع بالمعنى المجـازي ، بـل بالمعنى الحقيقي . ينبغي قطعـاً ان تعطيني رايك فيـه .

عزيزي كمال ،

أرسلت لك ثماني ليرات . هل تسلمتها ؟ كنت مريضاً خلال أسبوع كامل . قشعريرة والتهاب قصبات ، حتى أني لم أستطع أن أكتب الى بيرايه . ارسلت لي برقية . وقد سرني هذا ــ لمرة واحدة لم أكن أنا الذي يبرق . اجبتها ببرقية أيضاً ، انني كنت مريضاً وانني تحسنت . كانت مريضة هي أيضاً . عندما تسلمت برقيتي ، اعتقدت انني مت ، فجاءت وحرارتها ٣٨ درجة ، فلم تبق إلا يوماً واحداً وعادت الى السرير . قرأنا سوية ما تقوله عنها في رسائلك . وأعلنت انا « انني غاضب جداً من كمال ، إنه يكتب اشياء جميلة جداً ، وصحيحة جداً ، عن الكائن الذي احبه ، أكثر من أي شيء آخر في العالم ، بحيث لا يترك لي شيئاً اقوله . » ابتسمت بيرايه ، سعيدة ، ثم قالت « كمال يفهمني أفضل مما تفهمني أنت ، لأنني افهمه افضل بكثير منكم جميعاً . » لقد أرسلت لك رسالة عندما كنت لا تزال في تشنقيري ، لكنك لم تجبها . أكتب الى أختك . القد كتبت من أجل قميصك ، ودراهمك ، وقميص نومك ... أرسل لك صورة اخذت مع صانع الحلوى وصانع المرطبات وأرطغرل ــ حفلة ريفية حقيقية . أنا مفعم بالأمل ، اصمد جيداً ، دون شفقة ، وكلي إيمان . تحيات من مديرنا وامين السر ورئيس الحرس . تحيات الى مديرك ، وامين السر ورئيس الحـرس ، والى الأصدقاء الذين اعرفهم بفضل صورهم . اعانقك يا عزيزي كمال .

- ٣٨ -

٢٥ / ٩ / ١٩٤١

أبعث بأخبار صحتك برقياً .

- ٣٩ -

كمال طاهر ، أيهـا الأخ ،

تسلمت الرسالة الطويلة التي كتبتها لنا ، رشيد كمالي وأنا . بعثت اليك برسالة مماثلة مطبوعـة على الآلة الكاتبة ، قصيرة ، مع قصيدة طويلة . لقد تسلمتهما دون شك . في القصيدة ، يتعلق بالأمر « بمغامرات خوري فقير والشيطان في كنيسة شمالية » . ينقصهـا شيء ما ، أعرف ذلك جيداً ، لكنني سأتممه ، ربما السنة القادمة ، في مثل هذه الفترة . يجب أن نصبر قليلاً حتى يتمكن الخوري أن يحكي عن نضال وانتصار الذين يريدون هدم (: ؟) الحضارة ، ضد الذين يقاتلون من أجل الحفاظ على هـذه الحضارة . سوف تقول لي أن الخوري كان يمكن أن يحكي لنا على الأقل كيف يقاتل هؤلاء الناس . لم أتمكن من تقرير ذلك . أريد ان أجعل الأب المحترم يحكي ليس فقط عن النضال بل عن نتيجة هذا النضال أيضاً . حسناً ، اخيراً ، لنعـد الى المشاكل اليومية والنثرية . كنت قد أرسلت لك بعض المجـلات ورواية فرنسية سيئة . هل تسلمتها ؟ غداً أرسل لك خمس ليرات . أقول غداً ، لأنني أكتب هذه الرسالة لك ليلة الجمعة ، ١٧ تشرين الأول . والساعة حوالي التاسعة . لقد حملوا الي رسالتك للتو ، بينما كنت أستمع الى الأخبار . هاك إذاً لماذا سأرسل لك الخمس ليرات بالبريد غداً صباحاً ، مع هذه الرسالة . ان فكرة التوجه الى أصدقائنا ومعارفنا من الكتاب جيدة جداً . وقد استطعت بهذه الطريقة أن أجعلهم يرسلون لي كتاباً أو كتابين لخالدة أديب .

لقد اسرعت كثيراً في الاعلان عن انتقالي الى الأشياء التافهة . انا أسحب هذه الكلمات . نحن نهتم بنقلك . حسناً تفعل إذ تكتب الى خالدة اديب في هذا الموضوع ، والى رشاد نوري وصدري أرتم الخ . لا يمكنك أن تتصور كم ارغب في رؤيتك . سأتحمل السجن بشكل أفضل لو كنت هنا . وبما انني اعتدت على الأرق فسوف لا أبالي بضوضائك ، ولن الاحظ حتى حماقاتك التي لا تصدق ، لأنه لم تعد لي أعصاب . سأقول لك شيئاً ما : في شهر تشرين الأول هذا من عام ١٩٤١ ، وفي سجن بروصه هذا ، ان الأشخاص الذين أشعر بغيابهم بشكل ملموس هم بيرايه وأنت وزميل قديم في الجامعة ، هو الآن بعيد جداً ، وميت ربما ، ونادراً ما فكرت به حتى الآن . ربما لم أحدثك عنه ابداً . لأنه كان زميلاً في الجامعة فقط . لكنه او أتى ليراني الآن لكنت سعيداً جداً. وأكثر ما يضحك في الأمر ، هو انني لا أذكر حتى اسمه . اعرف أنه كان من القوقاز . وكا نله « قلبق » أصفر بعرض اصبعين وندبة على خده . أخيراً لا يهم . من المؤكد أنني سأكون سعيداً جداً ايضاً لرؤية والدتي ، ومسروراً جداً لرؤية سامية(٦٢) وأحفادي ، لكن العيش معهم وجهاً لوجه ، تحت هذا السقف ، أكثر من أسبوع ، لن يكون بالنسبة لي مسرة كبيرة . أنا أقول لك الحقيقة ، وأنت تعرف ذلك . سأكون سعيداً ايضاً أن اعيش مع الرفاق في سينوب ، وسعيداً جداً حتى . لكن ليس في القاعة نفسها ، بل في قاعتين متجاورتين تطلان على الممشى نفسه ، نعم ، بشرط أن آكل معهم ، وأعمل معهم ، لكن ليس أن أعيش وجهاً لوجه معهم ، في حين أنه سيكون رائعاً أن أعيش وجهاً لوجه مع بيرايه ومعك وهذا الزميل من القوقاز ، في احدى قاعات سجن بروصه.

أنا مسرور من رشيد كمالي ، ويزداد سروري كل يوم ليس لأنه لا يرتكب حماقات ، انه يفعل ذلك ، وحتى كثيراً ، انه يشبه ، كأخ شقيق ، كمال طاهر منذ عامين ، وحتى كمال طاهر في تشنقيري . لكن

---

(٦٢) شقيقة ناظم حكمت .

ان اعيش منه في الغرفة نفسها لا يزعجني . اعتقد جيداً انني أستطيع العيش معه عاماً أو عامين عند الحاجة ــ وليتقص لساني ــ في هدوء تام . تذكرت انه يوجد أيضاً محمد ، ابني ، وهكذا إذا خفضت الى الحد الأدنى عدد الأشخاص ، فذلك لأنني بدات في الايام الأخيرة أحب الناس جمهرة ، وأكرههم جمهرة أيضاً .

يمكنك أن تكون راضياً عن غنائية القصائد التي كتبتها الى بيرايه ، وأرسلتها لي في رسالتك الأخيرة ، يا كمال طاهر . ان كون كلمة غنائية قد استثمرت لتغطية الابتذال الأكثر دناءة لا يشكل دليلاً على أن الغنائية سيئة في حد ذاتها . ان غنائيــة سليمة وصلبة ــ كغنائية قصائدك ــ هي احدى أسس كافة الفنون . لا يمكن للمرء أن يكون شاعراً ولا روائياً ، إذا لم يكن غنائياً بالمعنى الصحيح للكلمة . فعند أكبر الواقعيين نجد جانباً من الغنائية الصلبة . ان المشكلة هي في حجم الغنائية ، في ما يقوله الكاتب ، في المضمون . أخيراً لنتجاوز ذلك . لكن ينبغي عليك الا تصرح دون تفكير بأنك تكره الغنائية . توجد غنائية عند كل « المثاليين في حياتهم » .

لقد أعجبني جداً نقدك لقصة رشيد . انك تبدي فيه ملاحظات ــ كما على الأثداء والصدر والشخص الذي يداعب أصابع رجليه ــ تجعلنا نرى جيداً انك تعمل الآن بوعي شديد رغم انك تدعي العكس . لكنني سأشدد على نقطة مهمة . في رأيي ، هذه القصة كانت قصــة مناخ ، انما في إطار الذوق الواقعي . والآن انقدها من وجهــة النظــر هذه . لقد فهمت اليس كذلك ؟ انها قصة يندفع أشخاصها الى المقام الثاني ــ كأفراد ــ ومناخ علاقاتهم وبيئتهم الى المقام الأول . تصور إذاً أن القصة قد كتبت بهذا القصد وانقدها من وجهة النظر هذه . سيكون نقداً شيقاً وتمريناً جيداً لك ، ويستفيد منه سميك . لقد كتب سعيد فائق ، كما تعرف ، قصصاً بهذا القصد نفسه . لكننا لا نجد في أساس قصصه أي قدر من الواقعية ، بل حداثة حمقاء ، مصطنعة،

وفلسفة مثالية . ما ينبغي عمله الآن ، هو أن نبين كيف يجب أن يكتب مناخ جديد على أساس واقعي . عليك إذاً أن تقول رأيك في هذه المشكلة ، في معرض المثال المتوفر لديك .

اصغ الي جيدا ، انا لا أصف بالجودة ما اجده رديئا ، من أجل أي شيء في العالم . قصيدتك كانت جيدة . وقلت لك انها جيدة . فلو كانت رديئة لأعلنتها رديئة . لذلك عندما كتبت لي بأنني « تفضلت بامتداحها » كنت تقول حماقات . هذه القصيدة تشكل مثلا ممتازا متطورا جدا ومشغولا جدا ، للشعر الواقعي ، يفتح آفاقا جديدة في هذا الحقل . لن اقوم باغداق « التشجيعات » عليك في سنك هذه ، إذا كنت تكتب شيئا رديئا . هذه القصيدة كانت جيدة .

تحيات الى مديرك وأمين السر ورئيس الحرس . نقلت تحياتك الى مديرنا وامين السر ورئيس الحرس . وهم يرسلون لك تحياتهم . تحيات الى كل الاصدقاء في السجن . لك تحيات الاصدقاء هنا .

كمال ، أنا قلق بسبب الرطوبة في غرفتك . إذا لم تتمكن من المجيء في أقرب وقت ، فاستعمل منقل نار ، لكن احذر التسمم بغاز الفحم . انتقلنا مع رشيد كمالي الى غرفة التمريض ، بناء على طلبنا ، لوجود مدفأة هناك في الشتاء . نحن ثلاثة في غرفة واحدة . هو وأنا وارطغرل . ارطغرل يعمل في غرفة التمريض ، ونحن مرتاحون فيها جدا . لدينا أسرة والغرفة مضيئة . آه ، اللعنة ، أنت هناك تعيش في الرطوبة ، انني أرجو مديركم ووكيل النيابة أن ينقلا اقامتك . أنت الطري العود أصلا — الى مكان أكثر راحة . يمكنني أن أكتب الى بهاء في هذا الموضوع ، إذا أردت . يا اله الرحمة : اعانقك يا عزيزي كمال .

- ٤٠ -

كمال ، أيها الاخ ،

اكتب لك هذه الرسالة على الآلة الكاتبة ، لكي تقرأها بسهولة ، وها أنا ذا قد تخلصت ، في الوقت نفسه ، من هذه الابجدية العتيقة والرجعية .

أولا : كنت قد أرسلت لك رسالة مع صورة وقصيدة قصيرة . هل تسلمتها أم لا ؟ اعلمني بذلك أرجوك ، لان رسالتي ، بعد مرورها بالمراقبة، قد سلمت على ما يبدو الى أحد الزائرين ، لتصلك بسرعة ، وقد يكون هذا الشخص قد سرق الطوابع عنها ، ولم يضعها في البريد .

ثانياً : كتبت ، هذه الايام ، فضلا عن هذا الجزء من قصيدة كبيرة ، قصيدة اخرى طويلة . هل ينبغي ان ارسلها لك ، وهل تملك الصبر لقراءتها ؟ إذا لم تكن في حالة تسمح لك بقراءة الشعر ، فلن ارسلها لك بل اتركها الى حين ترغب في ذلك .

ثالثاً : هل لديك أنباء عن أخيك وعن الرفاق في سينوب ؟ كيف حالهم ؟وهل يكتب لك حكمت ؟هل عندك أخبار منه ؟ طرحت عليك هذا السؤال عدة مرات ، لكنك لم تجب ابدا .

رابعاً : نهتم حاليا بنقلك الى بروصة . لنامل ان تسير الأمور على ما يرام . سأرسل لك بعض المال خلال اسبوع ، وفي البريد بعض الكتب والمجلات الخ .

يا كمال ، ان القصيدة التي كتبتها من اجل بيرايه اعجبتني جدا . ليأخذك الشيطان اذا هجرت الشعر . كنت قد كتبت قصيدة في تشنقيري حول منظر ليلي هل تذكرها ؟ انها هذا النوع الذي طورته

في قصيدتك دون أن تشعر بذلك ربما . كما لم تكتف بتطويره فحسب ، بل اضفت اليه غنائية جيدة وصحية . في قصيدتي ، كانت توجد لوحات ، على وجه الخصوص . وبعد ، فقد استخدمت القوافي بشكل جيد . مرحى لك . ولك وحدك استطيع أن اكتب كل شيء بهـذه الصراحة ، وعن الدور الذي ألعبه في كل ذلك . فأنا ، ككاتب ، اعتبرها أنجح قصائدك . باختصار ، وباستثناء بيت أو بيتين — من السهل تصحيحهما لكن دون ان يستحق ذلك هذا العناء — قصيدتك ثمرة ربيعية ، جديدة ، طازجة ، ومزة . أكرر : ليس من حقك أن تهجر الشعر . كما أنني سأبدأ ، بجدية صارمة ، بكتابة الروايات والقصص عندما اتجاوز الاربعين .

طرحت عليك كومة من الأسئلة ، واطلب بشدة أجوبة مرقمة ، وحالا . أجبني فور تسلمك رسالتي ، في المساء نفسه . وأرسل لي القصائد إذا كان لديك منها .

بيرايه في استنبول . وقد سقط محمد وجرح في وجهه . أرسلت لها قصيدتك ، والله اعلم كم ستسر بها . أما أنا ، فاشعر كل يوم انني أكثر لياقة ، وممتلىء بالامل واليقين . أعانقك أيها الأخ .

- ٤١ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك . ينبغي أن تكون قد وصلتك واحدة ثانية في هذه الاثناء . وجوابك دون شك في الطريق . كنت قد أرسلت لك ٥ ليرات لا بد أنك تسلمتها . أرسل لك اعداداً من (سيس) (٦٣) ستصلك قريبا . طلبت من ناجي سعد الله وسعاد درويش أن يرسلا لك روايات بالفرنسية . ان المساعي انقلك تتقدم .

---

(٦٣) مجلة ادبية ذات اتجاه تقدمي .

كنت سعيدا جداً لما قلته عن قصيدتي الطويلة . لو لم أكن أعرف حدودي ، لو لم أكن أعلم انه من الضروري أن أكون مضطرا لكتابة اشياء افضل ، وأكثر كمالا ، لو لم أكن أعرف طموحاتي الخاصة ، لكنت ، للمرة الاولى في حياتي ، فخورا بما كتبت . لكنني ، يا كمال ، أعلم انه من واجبي أن اكتب أشياء أفضل بكثير مما كتبت حتى الآن ، أن أكتب كما لو كنت أقاتل . والواجب المؤدى في النضال يجهل كل فخر ، انه الواجب فقط . ان أكثر ملاحظاتك صحيحة ، وسأجري التصحيحات الضرورية . لكن البيت (لقد أسكروهم) الذي صدمك ، نعم ، هؤلاء الأوغاد ، وافهم جيدا مـاذا تعني هذه الكلمة ، لن اغير شيئا في البيت ، رغم ان هؤلاء الاوغاد يقومون بالهجوم ، حتى دون أن يكونوا قد شربوا ، كقطعان من الحيوانات . هذا البيت ، بالنسبة لي ، هو صمام تنفيس ، يمنعني من أن ألعنهم ، هم وآباؤهم وأمهاتهم وأسلافهم وذريتهم ، وحيوانيتهم البائسة . من المستحيل ان نغفر لأمة كبيرة ، لشعب له تاريخ شريف ، يقتلون ويموتون هكذا بحقارة ، مهما كانت الشروط والالتزامات التي يواجهونها . ان الشرط الوحيد للغفران هو ان يديروا أسلحتهم ضد حكومتهم نفسها . قد لا أتكلم بطريقة علمية ، لكن في هذا اليوم ٢٦ تشرين الاول من العام ١٩٤١ ، ليس ثمة من علم يجيز لي أن اغفر — في هذه اللحظة التي أكتب رسالتي — للعمال الألمان ، أن أجد لهم عذرا . وهكذا ترى جيدا لماذا أصر على هذا البيت (لقد أسكروهم) ، فضلا عن أن هذه هي الحقيقة .

سأرسل لك في رسالتي القادمة مطلع القصيدة الكبيرة التي بدأت كتابتها ، والتي لم أمسها من شهرين أو ثلاثة .

لنتكلم قليلا عليك . روايتك « ساجيرديره » تتقدم ببطء كبير . انت لاتكتب القصص . عليك أن تنهي روايتك باسرع مايمكن ، وتكتب قصصا يمكن أن تنشر في (سيس) أو في (يني أدبيات)(٦٤) . ان القصص التي

---

(٦٤) مجلة أدبية ذات اتجاه تقدمي .

تنشرها هاتان المجلتان بائسة جدا . تحسن فعلا اذ تهب الى نجدتهم بالكمال . ارسل الي فورا ماكتبت حتى الآن ، واعطني التفاصيل عما انت في سبيل كتابته ، عما وضعته على النول .

« رومانسية » هي حتما « رومانسية » . خطأ في الطبع . كمال ، سأقول لك شيئا ولن يكون شيئا في الهواء . انني متفائل بشكل مخيف ، ولا يمكنك أن تتصور كيف تنزلق الأنباء السيئة علي دون أي أثر ، كأفعى على صخر ، حتى انني لا أشعر ببرودة الأفعى . وبالرغم من أنني لاأزال أعاني من الأرق ، فان اعصابي هي أصلب من أي يوم مضى . سيضحك كثيرا من يضحك في النهاية .

تحياتي الى مديرك ، وأمين السر ورئيس الحرس ، والى كل اصدقائك في السجن . أعانقك بشوق أيها الأخ .

بيرايه تحدثني عنك في كل رسائلها . انها لاتملك فلسا هذه الأيام ولا تستطيع المجيء لرؤيتي . تحية لك من سميك .

مديرنا وأمين السر ورئيس الحرس يهدونك تحياتهم ، وكل أصدقائك هنا يعانقونك .

- ٤٢ -

كمال ، أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك ، وسررت بكل ما تضمنته ، وبصورتك في المقام الاول . من جهتنا ، أنا ورشيد ، فقد أرسلنا لك صورتنا ، غير أنها بشعة جدا بالمقارنة مع صورك . شيئا مالايعمل في عدسة آلتنا للتصوير . الى جانبي وذقنه في يده ، هو السيد محمد علي أمين السر لدينا ، وفي الخلف بالزي العسكري ، رئيس الحرس ، والى جانبه الحارس . باختصار نرسل لك صورة المساجين والحراس في سجن جمهوري وديمقراطي

حقا . فرحتي الثانية ـ وأقول الثانية لأني لم اقرأ رسالتك الا بعد أن شاهدت صورتك ـ هي وعدك بأن تعود الى العمل . أما الثالثة فهي اعتبارك لي مواطناً جيداً . والرابعة هي اخباري بأن ناجي قد قرر فعلا أن يكتب عملا جديا ، وأن يذهب الى زيارتك في ملاطيه خصوصا . وهكذا سيكون بامكانه ان ينجو من الكحول ، عدوه الأسوأ ، ويجد الفرصة للقراءة . ان يحيا ثلاثة أو أربعة أشهر ، بالقرب من صديق مثلك ، هي فرصة لم تكن في الحسبان بالنسبة لناجي . أجبره بشكل خاص على القراءة ، على الاقل كتيبات في الفلسفة . اما بالنسبة إلي، فإني سأساعدك من هنا ، وفي حدود امكانياتي ، على انجاز هذا العمل الجيد .

انجزت أول الكتب الاربعة . وها انا أرسله لك . وهو يحتوي الآن أكثر من ٣٣٥٠ بيتاً . طبعاً ، سيزداد عدد الابيات أو ينقص نوعا ما بعد التصحيح . سأرسل لك ، دفعة واحدة ، الصيغة النهائية للكتاب الأول بعد التصحيحات ، فتقرأه عندئذ من البداية الى النهاية . لكنك ستقدم لي خدمة كبيرة ، من أجل تصحيحاتي ، لو تفعل ذلك منذ الآن ، وتقول لي رأيك فيه . أرجوك الا تتخلف عن ذلك .

عندما تكلمت ، ذلك اليوم ، مع رشيد كمالي ، صرحت له ـ لم أعد أعرف في أي مناسبة ـ بأنني لن أكتب القصائد بعد اليوم . أنا لا أريد أن العب بالكلمات . ان هذا الكتاب المؤلف من ٣٣٥٠ بيتا ونيف ، والذي اكتبه حاليا ، ليس كتاب شعر . فيه عنصر شعري ، وحتى أحيانا ، من وجهة نظر تقنية ، قوافٍ . لكن يوجد فيه أيضا بالمقدار نفسه ، نثر ومسرح وحتى سيناريو ، كما لاحظت أنت . ان العنصر الطاغي الذي يحدد المجموع ليس العنصر الشعري ، ولا العناصر الاخرى . اريد أن اقول بأنني اعتقد انني قد تخليت عن الشعر ، واصبحت شيئا آخر . اسمع ، سأشرح لك ذلك بشكل افضل . ان هذا ليس عملي الشعري

الأول الذي يتضمن شخصيات وعقدة . كان ذلك في (بنرجي) و (ترانتابابو)(٦٥) الخ . لكن في هذه الاعمال ، كان يوجد ، هنا وهناك ، نثر وقطع من النثر . كتابي الوحيد الذي يسرد قصة ، إنما دون نثر ، هو (الجوكوندا)(٦٦) ، وهو قصيدة . في (بنرجي) كما في (بدر الدين)، ازدواجية من الشعر والنثر ، دور ومجال للشعر ، ودور ومجال للنثر . هنا لم تعد هذه الازدواجية موجودة . لكنها مع ذلك ليست قصيدة كالجوكوندا . ان الحوار هو مايمنعها بشكل خاص من ان تكون قصيدة. لكن هذا الحوار ، بالرغم من أنه ليس شعراً ، فهو ليس أيضا من النثر البسيط . باختصار ، الشيء الوحيد الذي يرضيني في هذا الكتاب هي وحدته . ذلك اننا لانجد فيه ازدواجية الشعر/النثر . وهذه الوحدة ليست مصنوعة من عنصر واحد كما في الجوكوندا ، انها وحدة عناصر متصارعة ، وقد أشرت الى ذلك جيداً في احدى رسائلك . طبعا ، انه المحتوى الذي حدد جدة هذه الوحدة في الشكل . اكتب لك كل هذا لألفتك الى انه ، للمرة الاولى في حياتي ككاتب ، زرعت دخناً وحصدت شعيراً ، كما يقول المثل ، والى أن كل هذا كان مفاجأة بالنسبة لي . لكنني راض عن هذاالشعير . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أرجو أن تأخذ كل ماقصصته عليك بعين الاعتبار ، عندما تقرأ الكتاب .

أنا مسرور جدا من أن قصائد رشيد كمالي تعجبك . أنت تعلم جيدا بأنني لم أخطىء ــ في مجال الفن ، وأنا لا أتحدث عن الآخرين ــ الا مرة واحدة حتى الآن . وذلك في موضوع المسكين نائل ف . ان هذا الولد لم يصل الى شيء مطلقــا ، ولا أزال أشعر بتوبيــخ الضمير لأنني شجعته ودفعته الى كتابة الشعر .

أرسلت لك بعض المال في الاسبوع الماضي . هل تسلمته ؟ سأرسل لك بعضا منه هذا الاسبوع أيضا . ثم أن صفية سترسل لك ١٥ ليرة في

---

(٦٥) قصيدة ملحمية لناظم حكمت .

(٦٦) قصيدة ملحمية لناظم حكمت .

الشهر ، اذ يبدو أنها مدينة لك ببعض المال . هل ترسله حقا ؟ وهل تتسلمه ؟ كذلك أرسلت لك بذة عتيقة هل تسلمتها ؟ أجب على كل هذه الأسئلة . هل تسلمت كتاب غوركي ؟

كمال ، هيا ابدأ بكتابة روايتك . أنجز (كلجي)(٦٧) وباشر بالرواية . سأكرر لك دون انقطاع « باشر بالرواية » حتى تبدأ بها ، لا أدري لماذا ، لكن عنوان الرواية التي سيكتبها ناجي ، بالاشتراك مع جودت شاكر(٦٨) ، لم يعجبني . انه عنوان على طريقة محمود يساري(٩٦) ولا تقل لي أن العنوان ليس مهما ، أنه يدلنا على العقلية التي باشر بها المؤلف عمله ، وهو جزء من العمل . لقد نقزت عندما قرأت العنوان . انه شاعري أكثر من اللزوم . شاكر شاعر عظيم . ان أحدا منا لم يعرف أن يكون شاعرا من طبقته ، بالمعنى الكلاسيكي للكلمة ، بالمعنى الغنائي . لكن الغنائية عنده مبالغ بها أحيانا الى درجة « النظمية » . أما ناجي فهو أيضا شاعر مقبول . لذلك عندما بلغني أن هذين الشاعرين اللذين يستخدمان النثر قد وضعا لروايتهم عنوان (قره قيز)(٧٠) ، قفزت من مكاني .

ارغب جدا في رؤيتك ، وعيناي تدمعان عندما أنظر الى صورك .

كل الأصدقاء يرسلون تحياتهم ، وأنا ، أعانقك بشوق ، أيا الأخ العزيز . تحياتي الى من يرسلون لي تحياتهم .

- ٤٣ -

كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك . لقد أثارت قصتك عن الصديقين فضولا كبيرا لدي . والتفاصيل والشروح التي تقدمها لي في رسالتك لم تزدني الا

---

(٦٧) (كلجي محمد) « محمد عفار السنابل » قصة صنع منها كمال طاهر رواية فيما بعد .

(٦٨) جواد شاكر معروف باسمه المستعار (صياد هاليكارنس) ولد عام ١٨٨٦ .

(٦٩) محمود يساري ١٨٩٥ ـ ١٩٤٥ مؤلف روايات شعبية .

(٧٠) السمراء الصغيرة .

فضولا . «ناس البحيرة » كانوا المنعطف الاول الكبير في مهنتك ككاتب ، وآمل أن تكون هذه القصة هامة ايضا من وجهة النظر المتعلقة بتاريخ أدبنا . واني لاتمنى ذلك ، اذ تبدو لي قصة الصديقين وكأنها تعلن مرحلة جديدة لديك . اني أحب كل ما هو جميل من وجهة نظر الانسانية التقدمية، واذا كتب هذه الأشياء أناس أحبهم ، أصبحت ، بشكل أكبر ، منبع محبة خفية بالنسبة إلي . انك تحتل ، أنت ، أحد الامكنة الأولى بين الناس الذين احبهم ، لذلك فان كل ماتبدعه من جميل وجيد للانسانية التقدمية يهمني ويسعدني لسبب مضاعف . بالمناسبة ، سأسجل هنا ملاحظة أوردتها حول نفسي . حتى الآن ، لم أكن غيورا أبدامن فنان ، او كاتب ، أو شاعر ، أو روائي الخ . وليس ذلك لاني أثق باعمالي ثقة عمياء متعجرفة ، بل لان العمل المذكور كان لواحد من فناني صفنا ، أو القريبين منا ، أو الذين « مهدوا » لفنانينا والذين احبهم أكثر بكثير من أن تختلط بهذا الحب غيرة فنان ، اما اذا كان العمل لاعدائنا ، فانني اعتبر هؤلاء الناس كائنات مختلفة تماما عنا ـ على سبيل المثال ، اذا كنا نحن اشجارا مثلا فهم هررة . سأشرح فكرتي بشكل ملموس اكثر : لم أكن ابدا غيورا من مكسيم غوركي أو من مايا كوفسكي أو من توفيق فكرت(٧١) ، ولم أحسد أبدا أي شاعر ـ وليكن من شعرائنا ـ من الادب التركي الحديث ، لانني احبهم ، وهذا الحب هو مثل الذي أشعر به نحو بيرايه . هل يمكن أن أحسد بيرايه ؟ من جهة أخرى ، لم يسبق لي أن حسدت أبدا أحمد هاشم أو بودلير أو ، لا أدري يحيى كمال . ذلك لأن جماليتهم هي عدوة جماليتنا ومن جنس آخر . وبعد ، فهناك الشعراء مثل « مولانا »(٧٢) أو فضولي(٧٣) وهم اليوم بعيدون جدا عنا ، وربما لهذا السبب لا أشعر انهم اعداؤنا ، بشكل ملموس ، بل ، بصراحة حتى ، يعجبونني ، انما فقط من وجهة نظر تقنية، وحتى أحيانا بعناصرهم الغنائية . فضلا عن ذلك ، يا كمال ، كلما مر

---

(٧١) انظر الملاحظة ٤٢ .

(٧٢) مولانا جلال الدين رومي ، شاعر صوفي كبير من القرن الثالث عشر ، وقد أسس ابنه ، وهو شاعر ايضا ، فرقة المولوية .

(٧٣) فضولي ، شاعر غنائي كبير من القرن السادس عشر .

الوقت ، فهمت بشكل أفضل انني قبل كل شيء مخلوق سياسي . بالطبع انا لا استخدم كلمة سياسي بمعناها الاكثر دقة . لهذا يوجد لدي ـ دون حساب الغيرة الجنسية ـ اما الحب واما الكراهية والعداء ، انما لا يوجد حسد مطلقا . وهذه الخصوصية نابعة ، ربما ، من كوني ، من اجتهادى لاكون ـ ، ماديا في الفلسفة ، ومثاليا في الحياة .

لماذا كتبت لك كل هذا ؟ ربما لما وصلني من ثرثرات برجوازية صغيرة اطلقت حولي . لكنني مسرور من اطلاعك على هذه الملاحظة حول ذاتي .

ارسلت لك / ٥ / ليرات . رشيد كمالي بعث اليك بمجلات وباحدى قصصه . هل تسلمتها ؟ اذا وصلك المال والقصة ، اخبرني ، ارجوك .

كنت قد وعدتك بأن أرسل اليك كل اسبوع مقاطع من « مشاهد انسانية » . لم أستطع أن أفي بوعدي فقد اصبت بالزكام طيلة الاسبوع ، وانت تعلم انني لا استطيع العمل عندما أكون متوعكاً . سأجتهد في رسالتي القادمة أن أنسيك اخلافي بوعدي وذلك بأن أرسل لك نصوصا مضاعفة .

لقد كتبت ، أنا ايضا ، لنوري طاهر ، وذلك منذ اكثر من خمسة عشر يوما ، ولم أتلق جوابا . كونك لم تتلق شيئا ، أنت ايضا ، يقلقني . اذا لم تكن قد تلقيت رسالة ما ، فابعث له ببرقية ، ولا تتخلف ، من فضلك .

مضى أكثر من ثلاثة اشهر لم أر خلالها بيرايه . انها تكتب لي مرة في الاسبوع . ونتحدث عنك .

ان رشيد كمالي وابراهيم ـ الذي من ـ قرية يايالار ـ وارطغرل يبعثون لك بمودتهم .لا أدري أن كنت قد كتبت لك هذا،رشيد(وارطغرل) وانا في المستوصف ، في غرفة مستقلة مريحة . ارطغرل يدير المستوصف

ونأكل نحن الثلاثة سوية . كل تحياتي الى رفاقك في الزنزانة ، او بالاحرى كل تحياتنا .

كمال ، ابعث الي بقصتك ، على الاقل ما كتبت منها حتى الآن ، اذ يبدو لي ان امتياز ، أن حق قراءة قصصك ، وهي قد وضعت لتوها على النول ، يعودان إلي .

بلغنا أن (أدبيات) قد منعت بسبب اجراء شكلي ما . نحن ايضا لم نتسلم (سيس) . لست واثقا من ذلك ، لكنني اعتقد بان (سيس) ايضا قد توقفت عن الصدور .

لو انك تمكنت من المجيء الى بروصه ...

قل لي ما هي اخبار الدكتور حكمت ؟ .

في هذه اللحظة الدقيقة ، اي اليوم الواحد والعشرين من الشهر

الثاني عشر من العام ١٩٤١ الساعة ٩/٣٠ مساء ، وانا أكتب هذه السطور ، تتجه كل افكاري بعيدا الى مكان ما . ساستمع كالعادة الى نشرة الأخبار الساعة ١٠/٣٠ ــ انني أستمع اليها بفرح هذه الأيام ، وأقولها لك بصراحة ، انني أهزأ بالأموات والخرائب والحرائق ، فالنصر قوي بحيث ينسينا كل المآسي .

لا يزال لدي متسع كبير على الورقة ، لكنني مضطرا الى اعطاء الرسالة حالا الى رئيس الحرس لكي تذهب بالبريد صباح الغد . اقد تاخر جوابي يومين . اعانقك بشوق أيها الاخ .

اخـوك

١٩٤٢/١/٢٠

كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتيك ، الواحدة بعد الاخرى ، ولا بد ان رسالتي ، مع القصائد ، قد وصلتك . اما هذه المرة ، فانني لا ابعث اليك بقصائد ، لكي اتمكن من الثرثرة معك مدة اطول .

انا مريض منذ اربعة ايام ، وقد تحسنت حالي الآن . ومع هذا فانا لا ادري لماذا هزني الخريف والشتاء بعض الشيء . بيرايه ووالدتي اصيبتا بالمرض ايضا لمدة طويلة ، اعتن بصحتك جيدا ، اذ ينبغي على فرد واحد على الاقل من العائلة الا يكون سقيما .

ان الشاعر (أشرف)(٧٤) انسان رائع ، وانت مصيب اذ تصفه بانه واقعي . في حواره مع نامق كمال(٧٥) تبدو واقعيته ــ تجب الاشارة الى وجود عنصر الشك ايضا في هذه الواقعية ، شك فوضوي ــ واضحة تماما . أنا لم أفهم شيئا قط في الفوضوية ، أما مذهب الشك فانه الأكثر غربة عني في العالم ــ ومع هذا ، وبالرغم من وجود هاتين الميزتين عند اشرف ، فانني معجب جدا بواقعيته . لقد احببته دائما ، لكنك جعلتني ازداد تقديرا لــه ــ ان شرف اعــادة اشرف الى مكانتــه الأولى التي يستحقها في تاريخ الواقعية ، شرف هذا الاكتشاف الشجاع والعــادل ، يعــود لــك .

في ما يتعلق بنامق كمال :

---

(٧٤) أشرف شاعر هجائي من القرن التاسع عشر .

(٧٥) نامق كمال (١٨٤٥ ــ ١٨٨٨) شاعر وروائي ومؤلف مسرحي وناقــد وصحافي ، وهــو الوجه الرئيسي في مجموعــة « العثمانيون الشباب » وهي حركــة حرة تناضــل ضــد الاستبداد .

١ ـ المهم في مجال دوره كرائد ثوري ، اذا اردنا الحكم على ميزة ومدى هذا الدور ، هو الا نقرأ المقالات التي ظهرت حول الكاتب ، بل مقالاته نفسها ، خصوصا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وان يدرس حياته جيدا .

٢ ـ من جهة اخرى ، ومن حيث المبدأ ، يجب أن ندرس كل شخصية بشكل ملموس ، وهذا يعني :

آ ـ بالنسبة الى المرحلة التي عاش فيها .

ب ـ وهذا معناه أنه يجب ، خصوصا منذ تطور الراسمالية ، أن ندرس كل شخص سياسي ، كل مفكر ، كل فنان ، كل عالم الخ . ضمن الشروط التاريخية والاجتماعية والاقتصادية الخ . في بلده وعصره ، وفي اطار الطبقة التي ينتمي اليها ، والتي يخدمها من جهة ، ومن جهة اخرى ، ان ندرسه ايضا في الاطار والشروط التاريخية والاقتصادية والثقافية والثورية الخ . العالمية أو على الأقل الاوروبية في عصره .

٣ ـ فضلا عن ذلك ، ينبغي ان ندخل في الحساب الامكانيات الفردية والفيزيولوجية للشخص المعني . ويجب أن يكون الامر كذلك بالنسبة لنامق كمال . يجب أن يدرس في اطار الامبراطورية العثمانية لذلك العصر ، اطار أوروبة ذلك العصر ، كما من وجهة النظر المتعلقة بامكاناته الشخصية والفيزيولوجية . في رأيي ، ان الاخطاء التي ارتكبت حوله ناتجة عن عدم اعتبار هذه الشروط الثلاثة . أن ندرس نامق كمال مع اعتبار الامبراطورية العثمانية فقط كوسط اجتماعي ، دون اوروبة ، يعني أن نأخذ الامبراطورية العثمانية على أنها جزيرة روبنسن ، وهذا خطأ . ففي تشكل الضمير الرائد عند نامق كمال ، ليست الحقيقة الاجتماعية في الامبراطورية العثمانية هي التي لعبت دورا فقط ، انما

الحقيقة الاجتماعية في اوروبة ايضا ، في فرنسا وانكلترا على وجه الخصوص . كان نامق كمال يعرف فكتور هوغو وجان جاك روسو والاقتصاديين الانكليز . والآن ، اذا تناولنا المسألة من وجهة النظر هذه ، يبدو الدور الريادي الثوري البرجوازي لنامق كمال واضحا . لكن ليس ثمة عبقرية عند هذا الرائد – (كان انجلز عندما يقارن نفسه بماركس يصرح : كان هو عبقريا ، وأنا على الاكثر موهوبا . وفيما بعد، نجد عند لينين مقاطع عدة حول عبقرية ماركس ، كما عند ستالين حول عبقرية لينين ، لهذا ، وكماركسي ، أنا أعتقد بالعباقرة ، في المفهوم الماركسي –) . حسنا ، ليس في رسالة نامق كمال شيء عبقري ، مما يعني القول بأن هذا الرائد ليس ثوريا حقا . كان نامق كمال ، عموما، رائد الجناح اليميني لطبقته ، النظام الذي يتكلم بلسانه . ان هذا السيد « المنظوم » يحدثنا ، هو نفسه في كتاباته ، عن الرعب الذي تملكه من الحركات الشعبية والعمالية في أوروبة ، وخصوصا من الحركات الجماهيرية في فرنسا ، وكيف كان يلوم هذه الحركات ، ويشيد في كتبه بالنظام البوليسي الاستبدادي لنابوليون الثالث . بكلمة واحدة ، عندما نقول عن نامق كمال بأنه لم يكن رائدا عبقريا فان هذا يعني انه : من منظور شروط ١ – الامبراطورية العثمانية في تلك المرحلة ٢ – ظروف أوروبة في المرحلة ذاتها ٣ – الشروط النفسية للكاتب نفسه والمتصلة بفيزيولوجيته – ليس رائدا ثوريا جدا . ومع ذلك ، فقد غدت شخصية نامق كمال ، لهذه الاسباب أو تلك ، صورة اسطورية ، بطولية ، خصوصا بين سكان المدن والضواحي ، وهذه حقيقة لابد من أخذها بالحسبان ، في بعض اللحظات العملية التكتيكية . باختصار ، اذا لم تتمكن برجوازيتنا من أن تجد ناطقا لها ، رائدا عبقريا ، فهذا ليس ذنبنا ، ومن غير المفيد أن نكون ملكيين أكثر من الملك . ينبغي أن نعيد الى نامق كمال قيمته الحقيقية . وهكذا ، عندما يقوم اليوم المنصريون – أنصار الجامعة التركية – الهتلريون ، من زبائن مقهى (بلاتان) بمهاجمة نامق كمال وينعتونه بالألباني ، عدو

سلالة آل عثمان الماسوني الخ . ، ينبغي أن نتصدى للدفاع عنـه ، من أجل كل المظاهر الايجابية في شخصيته ، تماما كما كنا البارحة نقـوم بالعكس ، عندما كان متعصبونا القوميون يزعمون أنه ديمقراطي ، ثوري أكبر مـن ماركس . آه ، يا لـه من نهـج رائع ذلك الـذي يسمونه الديالكتيك :

أما فيما يتعلق بالنبي عمر ، فثمـة ميزتان في اسطورته حسـب رأيي : ١ ـ النشـاط البطريركي (الأبوي) المثالي الذي يبحث ، في اطار علاقات مجتمع الرّحل ، عن حماية هذه العلاقات ضد علاقـات التجارة الكبيرة والملكية العقارية الكبيرة اللتين كانتا تتطوران بسرعة . ٢ ـ الطرائف المتعلقة بشخصية عمر نفسه ، والتي حولتها الطبقـات المضطهدة فيما بعد الى أساطير ، في اطار علاقات التجارة الكبرى ، والملكيات الواسعة ، والعبودية وحتى سلع المانيفاتورة ، التي نسـميها حضارة الاسلام . هذه الاساطير هي التعبير عن جزء مامن الايديولوجيات والنزع والاهداف التي كان مقدرا لها أن تظهر حتما عند هذه الطبقات المضطهدة في اطار وشروط الاسـلام . ضمن وجهة النظر هـذه على الخصوص ، وكسلاح للنضال ، تصبح اسطورة النبي عمر ظاهرة جديرة بالدراسة العملية ، حتى في بلدنا ، فقـد غدت عندنا هذه الاسطورة في القرن الماضي سلاحا استخدمه محمد عاكف(٧٦) ضد تطور الرأسمالية، وبقي للاسف أغلب الاحيان رجعيا ، بينما، في بعض اللحظات التكتيكية، تستطيع هذه الاساطير أن تصبح ، بصورة جيدة ، سلاحا تقدميا ، ثوريـا .

اعتقد بأنني أبالغ في الادعاء بعض الشيء منذ بداية رسالتي هذه. أنت تعلم بأني أحب العالم وليس المدعي . فالمدعي يكرر ما حفظه غيبا، والعالم يطور ما تعلمه بوضعه موضع التطبيق ، وباستخدامه كمنهج،

---

(٧٦) محمد عاكف (١٨٧٣ ـ ١٩٣٦) شاعر وطني ، مؤلف النشيد الوطني التركي .

اي أنه خلاّق . نحن بحاجة الى علماء ، والى مدعين أيضا ... أما أنا فأفضل العالم . ومع هذا ، فان هذين التعبيرين ، العالم والمدعي، قد لا يكونان علميين جدا ، لكن ماذا تريد ، عندي ادعاء وليس عندي معرفة ...

يجب أن تولي قصتك (كلجي محمد) كل الاهمية التي تستحقها. وبالرغم من أنه قد انصرم أكثر من عام في هذه الاثناء ، ومن أنني لم أقرأ الا مسودة هذه القصة ، حتى أنها لم تكن مسودة ، بل ملاحظات بسيطة ، فقد احتفظت بكل مذاقها . لهذه القصة ، وخصوصا في بنائها ، ايقاع غريب يجب ألا تفقده .

كونك تصنع من شخصيات قصصك « مفكرين » لا يرعبني مطلقا ، ان الفلاح التركي ، ككل الفلاحين ، «مفكر» رائع . المسألة كلها هي مسألة عيار الصياغة ، بحيث تكون الفكرة هي فكرة فلاّح تركي بصورة ملموسة . وهنا يمكن التعبير عن الرغبات والاهداف بشكل أكثر وضوحا .

نسخت كل ما قلته لي عن بيرايه في رسالتك الاخيرة كما هووارسلته الها . وقد قلت لها « أنت أكثر جمالا عندما تحردين ، وكنت أعتقد أن لا أحد غيري قد لاحظ ذالك ، لكن « خبيثنا » الصغير عرف أن يراه . لهذا فأنا غاضب عليه غضبا شديدا ، لكنني ازددت حبا له من أجل ذلك . »

قل لي كيف هي أحوال أخيك الاصغر ، الذي في استنبول ؟ هل تصلك رسائل من والدك ، من المنزل ؟ وكيف هي أمك ؟ لماذا لاتحدثني عنهما أبدا ؟ وصلتني رسالة واحدة من سينوب ، وكتبت لهم مرة أخرى ، لكني لم أتلق جوابا منذ ذلك الحين .

أنا مسرور جدا اذ علمت بأن مذياعكم يعمل من جديد . كل تحياتي الى زميلك في الزنزانة ، الى مديركم ، الى رئيس الحرس ، والى كل الاصدقاء . مديرنا وأمين السر ورئيس الحرس يبعثون اليك بمودتهم . ومن الفلاح الذي ــ من قرية ــ يابالار ، ومن ارطغرل ، كومة من التحيات ، ملأى بالشوق . كتبت لك حتى التخمة . أنا راض عن نفسي . الى اللقاء وحظا سعيدا أيها الأخ .

- ٤٥ -

١٩٤٢/١/٢٩

كمال ، أيها الأخ ،

لم اشفَ بعد تماما ، فهذا الزكام الملعون ، وأوجاع الرأس ، والوهن ، تستمر . وقد وجدت للتو أني لم أكتب سوى مائة بيت في عشرة أيام ، بينما أنا أحترق من الرغبة في العمل . لهذا انوي أن أكتب اربعمائة ، وخمسمائة بيت هذا الاسبوع ، وأن أرسلها لك في رسالتي القادمة .

كان في رسالتك الاخيرة هبوط واستياء من النتائج التي حصلت عليها ، وهي ناتجة من الارهاق دون شك . أنا أفهم جيدا هذا الهبوط ، ومن المستحسن ان يكون الانسان مستاء مما فعل ، انما أحذر من الا تؤمن بما تفعل ، وتحاشَ عدم الثقة في نفسك . ان ما تفعله عمل أدبي جيد جدا يجب أن تؤمن به ، وأقول لك ، أنا ناظم حكمت ، وبكفاءة كاملة ، وبتحمل تام لمسؤوليتي ، انك تستطيع ان تثق بنفسك . من النادر أن أرفع لهجتي بهذا الشكل ، وأنت تعرف ذلك ، لكنك تعرف ايضا ، انني على قدر كاف من الشجاعة ، عندما تتطلب الشروط أن أرفع صوتي ، لكي أفعل ذلك دون أي خوف . ان شروطا تاريخية واجتماعية ووطنية وفيزيولوجية محددة وملموسة تماما ، قد أمنت

وتؤمن لك الامكانيات الاكثر ملاءمة ، في اطار الأدب التركي والعالمي . ليس من حقك أن تتخامد . ستكون ، أنت على وشك أن تكون ، حتى أنك الآن ، أحسن كاتب قصة عندنا ، وعليك أن تصبح غداً ، أفضل روائي ، وسوف تكون كذلك . هذا الحكم غير القابل للاستئناف ، أحيطك به أيها الصديق العزيز .

لو لم يكن هذا الزكام ، ونقص الهمة في هيكلي ، والنخر في جمجمتي ، لكتبت هذه الايام اشياء على درجة هائلة من البساطة . هذا الزكام الملعون . لقد فهمت أن الانتصار على الزكام أصعب من الصراع ضد اربعمائة بيت من الشعر .

بيرايه ترسل لك أكواما وأكواما من التحيات . انها غاضبة مني قليلا هذه الايام . والذنب ذنبي . لكنه ليس ذنبي تماما ، كيف أشرح لك ، لقد جرحت بيرايه بسبب حالة نفسية تظهر عندما نحب شخصا فوق القواعد العادية ، فيأخذ ذلك ، للاسف ، شكل التقريع الغبي ، والشكوك الحقيرة . وبما انها تعرف أن تحب الناس بتجسيدهم في شخصي ، فانها تغضب قليلا من الانسانية جمعاء ، عندما تغضب مني . لذلك فهي عندما تكتب لي : « لقد افسدت أسعد أيامي » أفهم أنني قد ارتكبت حماقة خطيرة . أخيراً ، لدي الشجاعة لكي أعترف بأنني مذنب . في كل حال ، سأتمكن من المصالحة مع زوجتي . لكن ، رغم كل شيء ، من اللطيف أن نفكر بأن الاشياء تتدبر في العالم بشكل نستطيع معه أن نشعر من جديد بآلام وأفراح هذه السيكولوجية المعقدة للحب والحنان .

ناجي لم يعد يعمل في (تان) . لماذا ؟ لا ادري . سأكتب لك حالما أعلم بالسبب . ينبغي أيضا أن أعرف أين ينوي أن يعمل . في اولوس ربما . يبدو أن رجله قد تحسنت وأنه عاد الى استنبول . بعثت لك بخمس ليرات . أخطرني عند وصولها لك . نحن هنا في فصل الشتاء ، والثلج ، كما في ملاطيا .

لا أزال دون جواب من سينوب وانا قلق جدا .

تابع باهتمام في المذياع برنامج (أصوات الوطن) ، و (الموسيقى التركية الكلاسيكية) ، هذين البرنامجين الناجحين لمسعود جميل(٧٧). في رأيي أن الموسيقى التركية الحديثة والأبرا التركية يجب أن تعودا الى منابعهما . كتبت في هذا الشأن الى مسعود جميل ، واريد أن أناقش ذلك معك . هذه المسألة لا تشترك في شيء مع المفهوم الذي ينادي بأن يقلد الأدب التركي الشعراء الفلاحين . أنها تنطرح تماما كمسألة الادب التركي في أن يجري التعبير عنه في اللغة التركية الاكثر اتساعا .

هذه الرسالة التي بدأتها هذا الصباح ، سأنهيها مساء ، بعد أن أستمع الى الاخبار . لقد عملت بعض الشيء بعد ظهر اليوم ، وقد أعمل هذا المساء أيضا . تتملكني رغبة غريبة في الضحك لمجرد التفكير بأن حلفاءنا الانكليز قد خسروا بنغازي مرة أخرى ، لكن في الشروط الحالية ، يختلط الكثير من الغضب في هذه الضحكة . (إينتش كيبازيليكتير تزو ؟)(٧٨) هذه هي الكلمة المناسبة في هذا المقام .

في رسالتي القادمة ، آمل أن أتمكن من ارسال أحسن مقطع من (مشاهد انسانية من العام ١٩٤١) اليك ، بالرغم من أنني لا أحب هذه الطريقة في تجزئة العمل ، ولا الذهنية التي تختفي وراءها .

تحياتي الى كل من يسأل عن أخباري لديك . أعانقك بشوق أيها الأخ .

اليك ما لاحظته للتو من مقطع لقصة طويلة ظهرت في (تان) بتوقيع اسماعيل كمال الدين وهي تشبه قصصك . حتى أني اظن بأنها احدى قصصك ، لأن كمال سولكر كتب الي بأن (تان) في سبيل نشر اثنتين من قصصك . استعلم عن الموضوع بالكتابة الى ناجي سعد الله ، بواسطة عمر رضا في « الجمهورية » .

---

(٧٧) مسعود جميل موسيقار وباحث في الموسيقى .

(٧٨) تعبير عامي أرمني/تركي يعني : يا الها من افضيحة ؟

٩ / ٢ / ١٩٤٢

كمال أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك المؤرخة في ٢٩ / ١ / ١٩٤٢ ، وقرأت أيضاً ما كتبته الى رشيد كمالي . لقد أعجبتني أفكارك جداً . قد لا تشعر انت بذلك ، لكن تحولاً مفاجئاً قد حصل لديك في الأيام الأخيرة ، وهو هام جداً . لقد نضجت فجأة ، بعد تطور طويل بالطبع ، وأنا فخور بذلك وسعيد ، أنت تشكو من قلة قرائك ، وتصرح بسخرية مرة ان على الانسان أن يصنع المدرعات والطائرات ليجد الزبائن . النكتة جميلة ومرة . لكن القصص التي تكتبها ستكون غداً ، إن لم يكن اليوم ، مدرعات معركة أكثر حسماً بكثير . لا عليك إذاً ولا تأسف من أنك لا تستطيع صنع دبابات أو طائرات قاذفة !

في سياق اللغة التركية الصافية ، ثمة مظاهر وطنية تعصبية وجافة ، لكن هذه الحركة تؤمن وستؤمّن للغة التركية كلمات جديدة سيجرى تبنيها وتصبح متداولة . أي نوع من الكلمات ؟ انها : ١ ـ كلمات مثل (ايمسر) (كوتمسر) تستخدم بشكل شامل في كافة أرجاء الأناضول ، وليس في مقاطعة واحدة فقط ، لكنها لا تستعمل في اللغة المحكية أو المكتوبة في استنبول ، ٢ ـ تعابير يسهل فهم معناها . لكن وبشكل طبيعي ، كما سبق وقلت لك ، ان كل هذه التجديدات ، باعتبار أنها غير متداولة إلا بين المثقفين ، فهي محكومة بأن تبقى محدودة . لماذا ؟ لأن لغة الكتابة الوطنية ، كما تعلم جيداً ، تتشكل في لحظة بروز الظاهرة المسماة « بالأمة » ، أي عندما تخلق البرجوازية لنفسها سوقاً موحدة . من وجهة النظر هذه ، كان للغات الكتابة الوطنية في أوروبة ماض ينسحب على قرنين أو ثلاثة على الأكثر ، بينما

عمر لغتنا نصف قرن فقط . والمرحلة التي تاتي بعد تشكل هذه اللغة الوطنية المكتوبة هي المرحلة التي ينقسم فيها المجتمع الى طبقات . ثمة نقطة تجب الاشارة اليها أيضاً : من الغباء أن ننكش كلمات مثل (أولوس) بدلاً من / ملة / أو أن نخترع تعبيراً ما ليحل محل / حكومة / مأمور / الخ . لماذا ؟ لأن هذه الكلمات هي تعابير يفهمها ويستخدمها الفلاح أو العامل في تركيا بسهولة دون انزعاج وحتى دون أن يقول لنفسه انها كلمات غير تركية . أعتقد بأني عرضت لك أفكاري باختصار حول هذه المسألة ، وحددت لك المحك الذي ينبغي أن نستخدمه . والحال أنك تعرف كل هذا جيداً .

تلقيت رسالة من سينوب . لا يمكنك أن تعرف كم سعدت بها . لقد أرسلوا لنا بعض البضائع . وقد وجدنا لها الزبائن . سنبيعها ونرسل لهم المال .

أرسلت لك خمس ليرات هل تسلمتها ؟ لقد بعثت بها في ٢٨ من الشهر الماضي ، وسأرسل خمساً أخرى بعد بضعة أيام .

لم تصلني رسائل من بيرايه منذ أسبوع ، وقد مرضت والدتي مرضاً شديداً وهي الآن أحسن حالاً . لا لزوم للقلق . ما الأخبار عندك ؟ كيف هي حال أبيك وحماتك وأخيك ؟

كمال لا تهمل (كلجي محمد) خصوصاً . انتظر (السمكة الصغيرة) بفضول ، لكن دون أدنى شك . اني أنتظرها بثقة .

ستكون هذه الرسالة قصيرة لأنني أرسل معها في المغلف نفسه سبع عشرة صفحة من الشعر ، وهي القسم الأخير (الذي لم ينته بعد) من كتابي . إذا وجدت الوقت ، اقرأ من البداية كل ما أرسلته لك حتى الآن وأخبرني برأيك .

تحياتي الى زميلك في الزنزانــة ، وطبيب البلدية القدير ، والى المدير ورئيس الحرس ، والى كل حراسك . لك تحيات الفلاح الذي ـ من قــرية ـ باپالار ، ومن أرطفرل والمدير وأمــين السر ورئيس الحرس . بشوق .

- ٤٧ -

١٩٤٢ / ٢ / ١٢

عزيزي كمال ،

تلقيت قصتك « الســمكة الصغــيرة » وســابدأ بهــا مــع كــل تقديري ومحبتي .

١ ـ هل هذه القصة ناجحة ؟ كلا .

٢ ـ هل يمكن لهذه القصة أن تنجح ؟ نعم .

٣ ـ لماذا فشلت هــذه القصة ؟

آ ـ لأن الكاتب لم يفهم المسألة الجوهرية التي يطرحها في هــذه القصة ، ويحاول أن يجد لها حلاً ، أو على الأرجح ، لأنه لم يدرك ماهية المسألة ، أو حتى لو أنه فهمها ، لم يعرف كيف يرفعها الى المستوى الأول ، ولم يتمكن من فرزها من المسائل الثانوية كعنصر اكثر اهمية ، وكأساس للقصة نفسها . لهذا يوجد في بناء القصة غرابة الشجرة التي تكون رأسها وأغصانها في الأسفل ، وجذورها في الأعلى . لهذا السبب ، نجد في هذه القصة الطويلة المؤلفة من مائة وخمسين صفحــة ، وفي الطريقة التي قسمت بها هــذه الصفحات ، أن القليل منهــا مكرس للمسألة الجوهرية التي كانت يجب أن توضع في المستوى الأول ، والكثير منها للمسائل الأخرى . ولهذا السبب أيضاً ، كانت مغامرات شخصيات

القصة ، والتحليلات النفسية ، وافراحها وآلامها ، عديدة ومختلفة في كل ما يتعلق بالمسائل من الدرجة الثانية وحتى من الثالثة ، ونادرة ورتيبة فيما يتعلق بالمسألة الجوهرية .

ب ـ ما هي المسألة الجوهرية في القصة ؟ ماذا يجب أن تكون ؟ للاجابة على هذا السؤال ، لنعدد المسائل المطروحة في القصة : ١ ـ في الشروط الاجتماعية الملموسة لمدينة استنبول عام ١٩٣٣ ، هي العلاقات بين الجنسين ، التحولات في الأخلاق والعادات في أوساط الحرفيين ، وأصحاب المتاجر الصغيرة (خصوصاً الحرفيون الذين أنهوا المدارس المهنية) وانصاف البروليتاريين ، ٢ ـ دائماً في الشروط الاجتماعية نفسها ، هي العلاقات الاقتصادية بين أصحاب المتاجر الصغيرة ـ من الأدق دون شك استخدام تعبير الحرفي بدلاً من صاحب المتجر الصغير ـ نعم إذاً ، العلاقات بين الحرفيين ، والعلاقات بين الحرفيين وتجار الجملة ، وبين الحرفيين والعامل ، والظواهر الاجتماعية والنفسية التي تلد من هذه العلاقات الاقتصادية ، ٣ ـ دائماً في المرحلة نفسها ، قصة شاب أنهى المدرسة المهنية ولا يأمن جانب النساء ، ونحن نعرف جيداً لماذا .

ج ـ والآن ما هي المسألة الجوهرية ؟ كيف يجب أن نسوق القصة ، وعلى أساس تطور ومجرى أية مسألة ، لتصبح هذه القصة أصيلة وتجذب القارىء وتوقظ فضوله ؟ في رأيي أن المسألة الجوهرية هي التي أشرت اليها أعلاه تحت الرقم (٢) . فالسمكة الصغيرة هي اسماعيل ، هي رجب ، هي بائع تاجر الجملة اليهودي ، أما السمكة الكبيرة فنحن نعرف من هي . انها صاحب المعمل ، وتاجر الجملة اليهودي . كان يجب أن نرى في القصة كيف تبتلع السمكات الكبيرة السمكات الصغيرة ، وأن نتابع باهتمام هذه العملية . كان ينبغي أن نلمس في كل عمقها ، الظواهر النفسية للأحداث ، المتمثلة في الجهود والمقاومة المبذولة ضد هذا الابتلاع ، وهزيمة الضحايا وأدوار الخداع التي يمارسونها على

بعضهم البعض الخ . كنا تمكنا عندئذ من قراءة مأساة واسعة لا مناص منها ، وكانت المسائل الأخرى تنتشر حول هذه المأساة ، إنما بارتباط دائم بهذا الأساس . وهذا الأساس وحده هو الذي كان سيمكنك من كتابة مائة وخمسين صفحة جديرة بك .

د ـ والحال ، أنا أعلم انك عندما أرسيت الأسس ، ورسمت مخطط هذه القصة ، كان في ذهنك موضوع « الصديقان » . وكان ينبغي أن تكون قصة قصيرة ، مبنية على حكاية امرأة . بعد ذلك ، جاءت فكرة (السمكة الصغيرة) لتنضم الى المخطط القديم ، وكنت لا تزال عندئذ في تشنقيري . لهذا استحال عليك من جهة ، التخلي عن المخطط القديم، ومن جهة أخرى ، وبالرغم من أن موضوع (السمكة الصغيرة) قد برز الى المستوى الأول في رأسك ، فانه لم يبرز الى هذا المستوى في ذهنك. وهذا هو السبب في أن (السمكة الصغيرة) ليست قصة ناجحة .

٤ ـ لقد قلت لك بأن (السمكة الصغيرة) يمكن أن تصبح قصة ناجحة ، كيف ذلك ؟ بصعود الموضوع الجوهري (السمكة الصغيرة) الى المستوى الأول ، عن طريق تعميق الشخصيات ، رجب وصهره واسماعيل وتاجر الجملة اليهودي ، وحتى صاحب المعمل ، وذلك بمعالجتهم ، ليس بشكل جاف ، بل مع الالحاح على كل المآسي البسيكولوجية التي تحصل حول الموضوع . عندئذ فقط يبرز عبد الله بكل قامته ، وهو الشخصية الاكثر حيوية وحقيقية في القصة . وحول الموضوع نفسه دائماً ، لا تنس بأن شخصيتي عدالات وسميحة ، وإن جرت معالجتهما على المستوى الثاني ، لم تهبطا من السماء ، بل إن عائلتيهما كانتا في الماضي « سمكتين صغيرتين » جرى ابتلاعهما . وهما أيضاً وحقيقة سمكتان صغيرتان ابتلعتا . إذاً ، إذا جعل موضوع « السمكة الصغيرة » في المستوى الأول حقاً ، وعولج في الشروط التي عرضتها لك أعلاه ، يمكن للقصة أن تقرأ بالأهمية نفسها لرواية

مغامرات . صدقني يا كمال . إذا لم تقرأ القصة باهتمام ، فانها ليست قصـــة .

لنتكلم الآن قليلاً على اللغة . انها عالية جداً من حيث الألوان ، والصور تتتابع فيها دون انقطاع . توجد كلمة (مثل) كل جملتين أو ثلاث ، وحروف (في) متبوعة بالزمن الحاضر ، الواحد تلو الآخر ، في حين أن ما يلزم (للسمكة الصغيرة) هو الصور المتتابعة دون ألوان ، والمناسبة للمآسي التي تحصل دون ضجيج . إن الضجـة تناسب شخصية عبد الله فقط ، انما بشرط أن تعالج دون بقـع مبرقشة ، بصبغات مشعة واضحة وأساسية . وعندئذ فقط ، وفي الصور التي تسيّج القصة ، يمكن أن تصبح ألوان شخصية عبـد الله بسيطة ، ومشعة ، ونقية ، ومشبعة بإجلال عظيم .

والآن تفصيل أو تفصيلان : ١ ــ ان علاقـات اسماعيل بالنساء ليست واضحة . ان كل حركاته ، من ذهابه للنزهة مع عذالات ، الى ارتياده السينما معها ، ومضاجعتها بعد ذلك فوراً ، تدلنا ، بالرغم من الأثر الذي تحدثه ذكريات العجوز عائشة ، على أنه يحب النساء وله تجـربة في ذلك . أنا لم أستطع أن أفهم جانب الدب الصغـير لدى اسماعيل . من جهة أخرى ، ان هذا النموذج ، ممن ينفرون من النساء، ليس حالة مرضية ، انه يصبح شخصية فيلم . أخيراً ، هناك الكثير من التفاصيل أيضاً ، لكنني لن ألح عليها ، لأنني مقتنع بأن البناء خطأ من حيث المبدأ .

والآن ، وراء هذه القصة الفاشلة ، يوجد كمال طاهر الذي فاز مع ذلك . بما وكيف ؟ في هذه القصة ، استطاع كمال طاهر أن يغوص الى أعماق الكثير من الأشياء ، وهو يمسك بظواهر بسيكولوجية عميقـة جداً ، وذلك في تفاصيل دقيقة جـداً ، تجعلنا في آن واحد غاضبين بشدة ، لأن القصة بنيت بشكل سيء ، وسعداء لأن كمال طاهر قد كبر .

انا لا اكتب لك كل هذا لأجعلك مسروراً ، فثمة أشياء لا نكتبها دون أن نؤمن بهـا .

أرسلت لك خمس ليرات منذ بعض الوقت ، وسأرسل لك غـداً المبلغ نفسه . وعليك أن تبلغني بوصول المبلغ الذي بعثت به منذ خمسة عشر يوماً ، وذلك الذي أرسله غداً ، كما أرسلت لك بعض القصائد في رسالتي الأخيرة . وصلت البضائع من سينوب ، وبعنا القسم الأكبر منها فوراً . سأرسل لهم ما لهم غداً . بيرايه وأنا نفكر بك بشوق .

- ٤٨ -

٢٠ / ٢ / ١٩٤٢

عزيزي كمال ،

أولاً ، لقـد اسفت لأنني لم أكتب لك هذه الرسالة قبل وصول رسالتك المؤرخة في ١٥ / ٢ / ١٩٤٢ ، ثم غضبت من نفسي بشدة لأن هذه الفكرة راودتني .

لنتكلم في البداية على « السمكة الصغيرة » . لقد مضى أسبوع على قراءتي هذه القصة . ماذا بقي منها لدي ، أية شخصيات ، اية مأساة أو مهزلة مخيفة للعلاقات الانسانية ؟ أي نوع من الأمل ؟ ان الشخصيات التي بقيت حية في ذاكرتي هي : لاز الشاب ذو الأنف الكبير ، الذي ينسج « الجرابات » ، واليونانية الشابة ، وتاجر الجملة اليهودي ، وخصوصا كاتبه ، أستاذ الميتم الذي يموت من السل ، وشرطي المخفر ، وسميحة وعبد الله ... ان كون جميع هذه الشخصيات ـ وبعضهم لا يظهر في القصة إلا قليلاً ـ لا تنسى ، وبالرغم من أن هذا لا يفيد شيئاً في خطأ البنيان الذي حدثتك عنه في رسالتي الأخيرة ، يدل على

أن القصة يمكن أن تصبح عملاً حقيقياً ناجحاً ، إذا بنيت بشكل صحيح، بفضل بعض الجهود وشيء من الشجاعة . هناك أيضاً الفتاة ذات العنق الأعوج . هذه أيضاً لا انساها ، بينما نسيت اسماعيل والمرأة «الصاعقة» التي لم أعد أذكر حتى اسمها .

لننتقل الآن الى العلاقات بين الشخصيات : لقد نسيت تماماً المغامرة التي حصلت بين اسماعيل وهذه المرأة ، في حين انه يخيل الي انك كتبت العديد من الصفحات حول هذا الموضوع . العلاقات بين لاز الشاب وشقيقته ، نعم ، اني أذكرهما في حين أنك تحدثت عنهما قليلاً . العلاقات بين اسماعيل وتاجر الجملة اليهودي وصانعي السكاكين الآخرين ، ومع عبد الله ، وكون اسماعيل يحاول أن يخفي عنه نقاط ضعفه ، كل هذا اذكره بشكل تقريبي . لكن كما قلت لك في رسالتي الأخيرة ، انها هذه الجوانب بالذات ما ينبغي علي أن أذكره . فيما يتعلق بنوع « الملهاة ـ المأساة » ، من الغريب أنني لم أعد أذكر فيها إلا علاقات الحب البرجوازي الصغير السخيف ـ الغنائي ، بفضل كتاب « رسائل حب » .

إذا كنت أكرر لك كل هذا ، فلأنني سأبدأ العمل على مسوداتك ، لكي أوضح بشكل ملموس آرائي حول التركيب ، وحول الاقتطاعات التي ينبغي اجراؤها في الطول . وسأعلّم لك الأمكنة التي يجب عليك اضافة شيء ما فيها . سأعيد لك المسودات ، وعندما تعيد قراءتها ، وتضيف ما ينقص ، وتنقص ما يجب إلغاؤه ـ إذا رأيت أن ملاحظاتي صائبة ـ تصبح « السمكة الصغيرة » قصة جديرة بك تغني أدبنا . وللتو أطرح على نفسي هذا السؤال : كيف يكون ممكناً أن يتدبر كل هذا بهذه السهولة ؟ لماذا تستطيع قصة كبيرة مبنية بشكل سيء أن تنتقل بسهولة من الفشل الى النجاح ، أي الى الموقع المناقض تماماً ؟ انه موضوع يخص الديالكتيك . يتعلق الأمر هنا ببناء خطأ ، ولأن في داخل الفشل تراكمت عناصر النجاح الى درجة أصبحت معها نقطة واحدة ،

قفزة واحدة : كافية لكي يتحول الفشل الى نجاح . من المهم ، أليس كذلك ، أن نرى الديالكتيك بتحقق بمناسبة هذه المعضلة أيضاً ؟

أرسلت لك مع هذه الرسالة بقية « مشاهد انسانية في بلدي » . يخيل الي أنني سبق وبعثت اليك بالصفحة الأولى لهذا المقطع ، ولكن بما انني لست واثقاً من ذلك ، فقد أرسلتها من جديد . كل ما قلته عني ، بعد فرز ما له علاقة بالمشاعر الذاتية بأعصاب باردة ، يعطيني الشجاعة ، ويدفعني الى العمل بطاقة أكبر . سأبعث برسالتك كما هي الى بيرايه ، وهذا الموقف ليس له علاقة البتة مع علاقات بيرايه ــ ناظم ، انه موقف رجل يريد أن يمتدح أمام زوجته .

كتبت الي بيرايه في رسالتها الأخيرة تقول : « كيف تتدبر أمرك مع المعيشة الغالية ؟ هل لديك ما يكفي من النقود ؟ ماذا يفعل كمال ؟ يبدو أن الطقس بارد جداً هنــاك ، ويقيناً أن الولد المسكين ليس لديه أي مــال » .

كل تحياتي الى زميلك في الزنزانة الذي تعرفني به كل رسالة منك أكثر قليلا . ابراهيم الذي ــ من قرية ــ باياباز يعانقك ، وكل الذين أرسلت لهم تحياتك يحيونك بدورهم . أعانقك بشوق أيها الأخ .

ملاحظــة : أجب على رسالة آقا غوندز . انني تعيس جداً لمجرد الفكرة بأنك لن تستطيع الانتقال الى هنا ، حتى انني اجتهدت أن أنسى الموضوع حتى نهاية هذه الرسالة .

ـ ٤٩ ـ

١٩٤٢ / ٣ / ٨

كمال ، أيهــا الأخ ،

أنا مدين لك برسالة ، وفقاً لترتيب مراسلاتنا ، وسأسدد لك هذا الدين في أول فرصة .

سأقوم حالاً بإرسال « السمكة الصغيرة » الى بيرايه دون أن أمسها ، لأنك دافعت عنها ، وكأنها ليست عملاً من أعمالك ، وبقدر من الشجاعة والاخلاص جعلني أبدا بالتشكك . قد تكون على حق ، وقد نكون مخطئين أنا ورشيد كمالي تحت تأثير عملنا الخاص ، لأننا نكتب هذه الأيام أشياء يبرز فيها الطابع الاجتماعي بخطوط كبيرة . وبما أنني أثق بحكم بيرايه أكثر منك حتى ، فمن الأفضل أن تقرأها هي أيضاً .

بعد قراءة رسالتك ــ والحال ان هذا الشعور ، وحتى هــذا اليقين ، موجودان عندي منذ زمن طويل ــ قلت لرشيد كمالي ، في اليوم الذي يكتب كمال طاهر قصصه ورواياته بهذه اللغة المباشــرة والعالية الالوان التي يستخدمها في رسائله ، سيكون قد حل معضلة اللغة ، انا أعرف انه أمر صعب جدا ، لكنك يوم أن تنجزه ستكون قد توصلت في اسلوبك الى قمة الاخلاص . في رأيي ــ ومن وجهــة نظر الاسلوب ــان كل ما اعطاه كمال طاهر من جديد الى الأدب التركي ــ في الوقت الحاضر ــ سيكون واضحا يوم ان تنشر رسائله . كما ، اني احتفظ بكل رسائلك ، وأتساءل أحيانا عما إذا لم يكن علي أن أعيدها إليك لكي تتمكن من دراستها ، والاستفادة منها من وجهة نظر اللغــة الروائيــة .

كمال ، ابدا بالرواية . إذا كان بناؤها العضوي جيدا ، والحبكة جيدة ، أصبح من الأهمية بقليل أن تكون دائرة نشاطها ضيقة . ابدا حالاً بالرواية وحظاً سعيداً . الكن لا تنسىَ دينْي عليك : ينبغي أن تهديني روايتك الأولى . ابدا بالرواية .

احببت كثيراً كل ما كتبته الى رشيد حول الاجيال الجديدة ، وافكارك حول هذا الموضوع . إن التغييرات في الاخــلاق والعادات في بعض الأوساط ، خصوصا في المدن والضواحي ، واضحة جدا . الكن كم هو صعب أن نحدد التحولات في الأخلاق لدى الجماهير العريضة للفلاحين ، يا له من عمل معقد لا يمكن انجازه إلا على مراحل .

سأبعث برسالتك الى بيرايه التي ستسعد بها جداً . إننا نسعد بالاشياء نفسها في غالب الأحيان : هي وأنا .

اخطرني حالما تتسلم الخمس ليرات التي ارسلتها لك . كتبت الى ناجي طالبا اليه ان يسدد لك دينه ، هل فعل ؟ كنت قد بعثت ـ وقلت لك لماذا ـ برسالتك الأخيرة الى بيرايه . هل تدري مـاذا كان تأثيرها ؟ بعد قراءتها ، كتبت إلي بيرايه تقول : « إنها فضيحة أن يكون كمال مفلسا . انا في قطيعة مع ناجي . اكتب اليه انت وقل له أن يبعث ببعض المال الى كمال » . وكما ترى ، بدلا من أن تهتم بالمدائح المصبوبة على زوجها ، لم تعلق اهمية إلا على مسألة عملية الى حد بعيد ، على الجمل الأخيرة في رسـالتك . إنها على حق . وأنا لست إلا شخصية تستحق السخرية .

ابعث لك في طيه بجزء من القصيدة . كتبت ٢٣٠٠ بيت . سيحتوي الكتاب الاول على ٣٠٠٠ بيت ويحمل هذا العنوان : « محطة حيدر باشا ومقطورة الدرجة الثالثة رقم ٥١٠ » . سيكون للكتاب الثاني أيضا ٣٠٠٠ بيت وعنوانه : « محطة حيدر باشا والقطار السريع » . والكتاب الثالث ٣٠٠٠ بيت بعنوان : « سجن ومستشفى في السهوب » والرابع أيضا ٣٠٠٠ بيت بعنوان : « الطريق واستنبول » . وهكذا ستشكل « مشاهد انسانية في بلدي » مجموعة من ١٢٠٠٠ بيت مؤلفة من أربعة كتب كل منها يتضمن ٣٠٠٠ بيت . ليس هذا إلا مشروعا أوليا . تمنّ لي عملا جيداً .

انتظر « كلجي » بفضول وثقة . كمال ، ابدأ بالرواية :

تحياتي الى مديركم والى أمين السر ورئيس الحرس . الكل هنا يبعثون بتحياتهم اليك .

ابراهيم افندي من ـ قرية يايلار ـ يبعث اليك بتحياته .

لقد بدأت اشعر بالمحبة تجاه زميلك في الزنزانة . إني اعانقه . واقبل يدي الجدة العجوز . اعانقك بشوق أيها الأخ .

— ٥٠ —

١٩٤٢/٣/٢٠

كمال ، أيها الأخ ،

بعثت اليك بطقم عتيق جداً لكن يمكن اصلاحه ، وخمس ليرات . اعلمني فور تسلمك اياها . كانت في رسالتك نقطة أو نقطتان أود التركيز عليهما . أولا أنا سعيد بانك قررت إنجاز وترتيب (كلجي) . إن (لاقط الحصيد) : (المسنبل) في ادبنا هو الفلاح الشاب الأول الذي ينتمي الى وسط فلاحي معروف جيداً ومحدد بصورة حقيقية . لهذا فانه سيعيش . ثانيا يخيل إلي أنك تتردد في البدء بكتابة الرواية . لا تتردد ، خصوصاً ، يا كمال ، ابدأ بكتابة روايتك حتى لو عزفت عند الحاجة عن الحجم والعمق ، متناسيا على الخصوص شولوخوف . البدء بكتابة الرواية يعني وضع المخطط لها . ضعه إذاً ، وإذا اردت ، أرسله إلي ، ويمكن عندها أن نناقشه . عليك بمتابعة الكتابة في ساجيرديريه . وبعد ، فأنا مسرور أنك عالجت مرتين بجدية كبيرة في رسائلك موضوع « الجيل الجديد » — دون نسيان الصبغة الملموسة المحددة لما يعينه هنا هذا التعبير — وظاهراته التي لم تكن تنعكس ، حتى الآن ، إلا في المجلات الهزلية ، وبالشكل الاكثر رجعية وابتذالاً ، بينما هي ، بالفعل ، احداث وظاهرات تنبغي دراستها بعناية . بعدئذ ، وفي ما يتعلق بمسألة اللغة ، أنا سعيد بأنك فهمت بأن الأمر لايتعلق « بأسلوب معقد » ، بل بالأسلوب الاكثر مباشرة وصفاء واخلاصاً ، بالاسلوب — واكرر لك ذلك — الذي توصلت اليه في رسائلك . عندما نتقدم الى القارئ تحت هذا المظهر ، بغير خربشة ولا تصنع ولا ادعاء

ولا بوهيمية ، انما باستقامة ودون عدم اكتراث ، سيكون ذلك سببا اضافيا لكسب احترامه . نقطة اخرى : ملاحظتك حول « مشاهد انسانية » مصيبة تماما ، لكنني أفعل ذلك وفقا للمخطط ، ذلك لأنه اعتبارا من بدايات القرن العشرين ، ألم تكن المرحلة ألامبريالية هي فترة الحروب الامبريالية والثورات وحركات التحرر الوطني وانهيار الراسمالية الخ ؟ ثم ، في عام ١٩٤١ بالنسبة لتركيا ، ومنذ بداية القرن العشرين ، ألم تكن الحرب بالنسبة لرجال بلدنا هي الخوف الأهم والموضوع الذي يتحدثون عنه أكثر من أي شيء آخر ـ الحرب ضد ايطاليا ، حرب البلقان ، الحرب العالمية الأولى ، وحرب التحرر الوطني . لقد سبق وقلت لك ذلك ، بما انني سبق وحددت في مخططي كل شيء ، فإن أحداث الحرب الكبرى أو حرب التحرير الوطني ـ على شكل ذكريات ـ تأتي غالبا وبقوة في المرتبة الأولى . وهذا سيستمر . وبما اننا نتحدث عن ذلك ولا أستطيع أن أرسل اليك أبياتا في هذه الرسالة ـ اعتقد جازما انني سأتمكن في المرة القادمة ان أبعث اليك بحوالي ٦٥٤ بيتا أي خاتمة الكتاب الأول ـ فانني سأشرح لك مخططي وما أنوي عمله ، بحيث تستطيع أن تقارن بين ماعملته وما كنت اريد أن أعمله ، وستكون انتقاداتك مفيدة لي من وجهة النظر هذه أيضا : ١ ـ أريد ان يشعر القارىء ، بعد أن يقرأ هذه الابيات الاثني عشر الفا ، انه قد اجتاز حشدا جماهيريا . ٢ ـ أريد أن يتمكن تعبير ملموس مالهذا الحشد أن يعطي القارىء الوضع الاجتماعي لتركيا في خطوطه العامة ، وفي مرحلة تاريخية محددة ، ليس تحت مظهر محنط بالطبع ، انما في مجراه وتسلسله الديالكتيكي . ٣ ـ أريد في المستوى الثاني ان ترتسم الشروط العالمية التي تؤطر المجتمع التركي في مرحلة محددة . ٤ ـ وعلى هذا السؤال : من أين نأتي ؟ أين نحن ؟ أين نحن ذاهبون ؟ أن اجيب : في أملاكي الخاصة وبأقصى الامكانيات. هذه النقاط الأربع تشكل معضلتي الاساسية ، والخطر هو أن اقع في التخطيطية . ولكي أنجو من ذلك ، من الضروري أن أقدم الشخصيات والأحداث في مظهرها الأكثر تنوعا .

لننتقل الآن الى المخطط التقني: ١ ـ يشكل الكتاب الاول،مدخلا، لتقديم بروليتاريين مهلهلين وبروليتاريين وبورجوازيين صغار . في هذا الكتاب الكتاب الاول ، نتعرف كذلك على بعض الشخصيات الرئيسية . ٢ ـ والكتاب الثاني مدخل لتقديم برجوازيين صغار وبرجوازيين ، وستشكل « الملحمة الوطنية » جزءا من هذا الكتاب لتفسير ظاهرة ما مع هدفها ونتائجها ، وانا اعرف جيدا جدا كيف ادخلها اليه ، لكنني لا أقول لك ذلك لاجعل منها مفاجأة . في هذا الكتاب الثاني أيضا نتعرف على بعض الشخصيات الرئيسية . ٣ ـ ستجري مقارنة بين شخصيات الكتابين الاولين ، وذلك بتناول مسافري القطار الاول ومسافري القطار الثاني على التوالي ، في نهاية الكتاب الثاني . ٤ ـ سيكون الكتابان الثالث والرابع توسعا في الكتابين الاولين . بلدة في الاناضول وقرية ومدينة (المدينة هي استنبول) ... هذا هو إذاً المخطط التقني . ولكي أنجز هذا العمل بشكل جيد . فقد عملت حسابي بأن علي أن أخرج ـ لفترة تقصر أو تطول ـ ثم اعيدها الى المستوى الخلفي ، حوالي ثلاثمائة شخصية متفاوتة الأهمية . البعض منهم سيعودون الى الواجهة من وقت لآخر،حتى النهاية.كفى ! هذا ليس الا خدعة تؤمن عنصرا ثانيا للاهتمام، وهو ليس ضروريا البتة للمسائل الجوهرية .

الله يعلم لماذا كانت بيرايه تتخيلك في اماسيا . وهذا يعود في رأيي الى انها لم تسمع قط بملاطيا وانها كانت تتذكر اماسيا حتى في شكلها القديم اماسيه ، بفضل « ملحمة بدر الدين » . لهذا فقد أوصت ناجي والآخرين ان يرسلوا لك كل شيء الى اماسيا . وقد دهشت جداً عندما تسلمت رسالتك ، وطلبت مني عنوانك فأعطيتها اياه . ان زوجتي العزيزة تكتب في رسالتها الاخيرة : « اعتن بنفسك جيدا ، وبصورة خصوصية لاتمت قبلي . » وبما اني لا أعرف كلمة حب اجمل ، فلم أتمالك من نقلها اليك .

رشيد يعمل . في الخارج . وهو سعيد بذلك جدا . وفي بعض خصاله صورة منك . ربما انت صورته . لكنك في النهاية أكبر منه سنا .

ولانه يشبهك من هذه الجوانب الصغيرة فان حبي له يزداد من اجل هذه السيئات .

تحياتي الى السيد نوري ، وقبلاتي ليد الجدة . تحيات من ابراهيم افندي ، من قرية ـ يايالار ، ومن أمين ـ من ـ سارير ، ومن ارطغرل .

ابعث اليك بروايات فرنسية . ماهي الروايات التي ارسلها اليك آفا غوندز ؟ نحن نكتب بانتظام الى سينوب . سأنقل الى نوري طاهر كل ماقلته لي . اعانقك بشوق أيها الاخ العزيز . انتظر مخطط الرواية و (كلجي) .

(حاشية للرسالة المؤرخة في ١٩٤٢/٣/٢٠ . على ورقة مستقلة) .

فكرت بهذا للتووها أنا اكتبه اليك . نشرت مجلة (يوسل) مقابلة مع خالدة اديب . وهذا سؤال من ضمن الاسئلة الاخرى : « ماهو رأيك بالكتاب الشباب في هذا العصر ؟ » وهاك ما أجابت به خالدة أديب : « اذا أخذنا أعمالا مثل تارنتا ـ بابو ولماذا انتحر بنرجي ؟ ووضعنا جانبا بعض المقاطع التي هي دعاية ايديولوجية ، فان بين الشباب من الكتاب من نستطيع ان نصفهم منذ الآن بالعباقرة » .

قرأت هذا بالصدفة ، اذ أن رشيد هو الذي دلني عليه . لقد اثار فيّ هذا الجواب شعورا معقدا جدا . أولا أزعجتني كلمة « عباقرة » . أنا على يقين ان خالدة اديب لم تكن تمزح ، لكنني اتساءل عما اذا لم تكن قد تصرفت بدافع « الرأفة » . ثم أنت تعرف ان سماعك توصف « بالعبقري » لاول مرة في حياتك ، ومن قبل شخص لايتطرق الشك الى جديته وحتى الى ذوقه الادبي وثقافته العامة ، هو شيء غريب حقا. ثم تساءلت للحظة ، لحظة قصيرة جدا : « هل هي على حق ؟ » ، وفي اللحظة نفسها مر امام ناظري كل المعلمين الكبار الذين نعتبرهم ، انت وأنا ، أهلا لهذه الصفة ، وقلت لنفسي : « كلا ، أنا لا استحق هذا

الوصف » ، وشعرت عندها بالراحة . بعد ذلك قرأت المقالة مرة ثانية وفوجئت بأنها ذكرتني بين الشباب ، وقد أغاظني هذا وسرني أيضا . بعد ذلك ، وربما فورا ، ضحكت لحكاية « الايديولوجيا » هذه . آه ياسيدتي العزيزة ، لست الا حمقاء فأنا لست عبقريا لكنني كاتب جيد ، وأنا مدين بهذا قبل كل شيء الى ايديولوجيتي . واذا لم يكن عندكم ، انتم ، كتاب جيدون فان هذا يتأتى من أن ايديولوجيتكم هي اليوم فاسدة لدرجة أنها لم تعد تقدم أي مضمون للفنان القدير. هذه «خبرية» اليك .

- ٥١ -

٤٢/٤/١

كمال ، يا اخي ،

قرأت بغبطة واهتمام أفكارك حول « الرواية » . أنت تقول أشياء صائبة جدا . والامر هكذا حقا . فمن الرواية الى الشعر ، مرورا بالرسم والموسيقى ، كل أعمال الفن الكبيرة تقص علينا « حكاية » الانسان « المحسوس » . لكنني لست موافقا على نقطتين :

١ ــ لست واضحا بشكل كاف عندما تتكلم على « النموذج » . فالنموذج يمكن ان يكون تجسيداً لطبقة محددة في مرحلة محددة ــ والمثل الاكثر نجاحا في ذلك هو دون كيشوت . وأنت تفهم ذلك بهذا الشكل . لكنني لم اتمالك من قولها مرة أخرى . مع ذلك ، هذا لايعني ان مرحلة ما لاتستطيع ــ وان بشكل محدود ــ ان تطبع كل الطبقات ببعض الخصائص المشتركة . هذا ممكن . ففي المجتمع الاقطاعي ــ حيث العلاقات الاجتماعية بسيطة نسبيا ــ نلاحظ بسهولة اكبر بعض الخصائص المشتركة لكل الطبقات ، والمترتبة على البنية الاقتصادية للنظام الاجتماعي : احترام كبير للأب ، للشيوخ الخ . انما لاينبغي ان نستخلص

من ذلك اننا نستطيع ان نخلق نموذجا مشتركا لكل الطبقات ، نموذجا يشخص مرحلة تاريخية بكاملها . وانت لاتفكر بذلك طبعا ، اذ يصبح غير حقيقي ومجرد ومصطنع .

٢ ـ انت تقول لي بأن « الرواية تحتاج ، حتى قبل الموضوع ، الى النموذج الذي يبرز بشخصه مظهرا للمرحلة » . انا لست موافقا على هذا التصنيف . هذه ازدواجية . الموضوع والنموذج وحدة ويجب اعتبارهما كوحدة . فالنموذج يعمل داخل الموضوع وفي داخله فقط يستطيع ان « يتنمزج » . والوحدة هنا هي وحدة البيئة والجسم كالسمكة والماء وحتى اكثر من ذلك . خذ دون كيشوت والنموذج دون كيشوت . ان الهجوم على الطواحين الهوائية والمركة ضد العمالقة ، كل هذه التفاصيل تشكل جزءا من الموضوع ، وهي مجتمعة تشكل الموضوع ، أي ، فيمرحلة انهيار نظام الاقطاع/الفروسية ، المغامرة الحزينة لقروي نبيل رأسه محشوة بروايات الفروسية القديمة في مرحلة تشكل الرأسمال التجاري والملكية المركزية. أريد ان اقول بأن مقولة «النموذج أولا وبعدذلكالموضوع» يمكن أن تقود الى نفي وحدة الموضوع/النموذج ، وكما نراه اليوم في بعض الروايات الفرنسية ، الى جر الكاتب الى « نفسانية » مجردة ثرثارة ومصطنعة .

غير هاتين الملاحظتين ـ وقد سقت الأولى لأكون اكثر وضوحا مع ان الثانية تبدو لي أكثر اهمية ـ أشاطرك افكارك بكاملها حول عنصر الزمن .

في ما يتعلق « بنسيان شولوخوف » ، انها ذكرى دفعتني الى كتابة هذه الكلمات . في تشنقيري ، عندما كنا نعمل معا في مشروعي روايتينا ، كنت تبحث دون انقطاع عن « الأحداث الاجتماعية الكبرى » على طريقة شولوخوف . أريد أن أقول هنا بأنه من الممكن أيضا الا نختار مباشرة ، كأساس للرواية ، حدثا اقتصاديا / اجتماعيا واحدا على درجة من الأهمية لاثارة الاهتمام لدى مجتمع بأكمله . وللرواية الأولى التي

ستكتبها ، من غير المفيد ان تجتهد في البحث عن هذا الرباط المباشر والقوي جدا والواضح جدا ، كأساس لها .

« السيد واللص » و « قسم النساء » هما موضوعان « نموذجيان » يستحقان التوسع الى قصتين كبيرتين . انا واثق انك لن تجعل البروليتاري الرث شخصية مثالية في دور اللص . وأعرف جيداً ، بالرغم من صداقتك له ، ان سعيد فائق والكتاب من أشباهه لا يعجبونك، اليوم على الأقل .

لدي القناعة بأنك جاهز للرواية ، شرط أن تحدد حجمها وفق الشروط الحالية . سأجعل من واجبي أن أكرر لك ذلك في كل من رسائلي، حتى تبدأ بهـا .

مضى خمسة عشر يوما ولا أستطيع الكتابة ، بالرغم من الضجيج الذي رافق وعودي لك . أو انني بالأحرى لا أستطيع التقدم في الكتابة . لماذا ؟ لأنني أكتب عن شخصيتين أو ثلاث جاء دورها ، وتطلب مني ذلك أن أفكر كثيرا وأتعب جدا قبل تحقيقها . اذا انتهيت من احداها على الأقل ، من الآن حتى الغد ، أرسلت لك المقطع . والا سيكون ذلك في المرة القادمـة .

بيرايه كانت تنوي المجيء ، وكنت قد قررت أن أعطيها « السمكة الصغيرة » هنا تجنبا لكل احتمال ، ثم فكرت أن أرسلها لها بالبريد ، وها انذا كاذب تجاهك وتجاهها ، وهي تطالبني دون انقطاع بالقصة . اعذراني انتما الاثنان . غدا اجازف وابعث لها بالبريد بـ « السمكة الصغيرة » .

أرسلت لك /٥/ ليرات ، وبذة عتيقة ، ومع البذة رواية ، ومجلات فرنسية وتركيـة . بيرايـه بعثت لك بصُـدَر من الفلانيـلا ، هل تسلمت الكل ؟

الطقس بشع هنا ايضا . انام بشكل سيء وانا مريض اليوم . رشيد يذهب كل يوم للعمل في الخـارج .

تحياتي الى النقيب في مازمانوغلو ، الى رئيس الحرس ، الى المدير وامين السر . كل الاصدقاء هنا يبعثون بتحياتهم لك . أنا أشكر الجدة على صلواتها وأقبل يديها . الذي ـ من ـ سارير ، والفلاح ـ من ـ قرية ـ يا يالار ، وارطفرل ، وكل الذين لا تعرفهم ولكنهم بدؤوا يعرفونك ويحبونك لكثرة ما اتكلم عليك ، يهدونك تحياتهم . .

كم انا بشوق لرؤيتك يا كمال . وكم من أشياء جميلة تقولها لي في رسالتك . في منزلنا الخشبي على البوسفور ، وبين الكتب أي بين الناس ، والحديث عن آلام وأفراح وبطولات الرجال من ماضينا . باختصار، ان رسائلك هي رسائل ساحر . أتمنى لك أن تكون على هذه القوة من السحر والفتنة في أعمالك . أعانقك بشوق أيها الأخ .

- ٥٢ -

كمال ، أيها الأخ ،

وصلت بيرايه . وأنا سعيد . وتكلمنا عليك . وقد أعجبها كثيرا القسم الأول من « السمكة الصغيرة » . وقالت ، في ما يتعلق بالباقي : « ان ولدها الكسول ، كما هي الحال دائما ، تسرع كثيرا ثم اكتفى وأغلق النهاية . » انها تعيسة لأنك تحمل دائما هذا العيب . باستثناء الثياب الداخلية ، أرسلت لك /٧/ ليرات . قل لنا اذا تسلمت الكل . اننا نتكلم عليك كثيرا بحيث يخيل لنا انك الى جانبنا .

بعد قراءتي رواية غوركي ، قلت لأورهان رشيد الشيء نفسه بالضبط الذي كتبته لنا في رسالتك . حتى انه هو الذي لفت نظري الى ذلك . وسأقول لك رأيي في هذا الموضوع : ان شخصيات هذه الرواية

لغوركي « نموذجية » بشكل مبالغ فيه ، وأنت نفسك لفتني الى ذلك . ومن ثم قرانا ، هل تذكر ، احدى قصصه عندما كنا لا نزال في استنبول. ووجدنا أن الشخصيات والبيئة وحتى البلدة ، تشبه الى حد كبير ، في جانب منها في الرواية ، مثيلتها في القصة . لكنها كانت أفضل مع ذلك (القصة التي قرأناها سوية) . ثم لاحظت في قصص غوركي لهذه المرحلة ، اننا نجد العناصر المساعدة واللحظات المؤثرة نفسها :

١ ـ المناخ الرومانطيقي والجو الشاعري اللذين تخلقهما اغاني المشردين .

٢ ـ الحوارات حول الموت قرب نعش المتوفى الخ.. لكن رغم كل شيء ، في هذه « العاصفة على المدينة » ، هذا الانتظار لشيء ما في روسيا القيصرية ، عند مرحلة معينة ، عشية التحولات الاجتماعية الفائقة الأهمية ، قد جرى تصويره بقوة وجمال ـ بالرغم من الطرافات التقنية في الرواية . أن غوركي هو دائما ورغم كل شيء معلم كبير . باختصار ، كنت سعيدا اذ وجدت ان انطباعاتنا الأولى عن هذه الرواية متقاربة جدا وحتى متماثلة .

ارسل لك بقية « مشاهد انسانية في بلدي » مع قصيدة غير تامة لاورهان رشيد . غير انني اخطأت في توقعاتي . كنت حسبت ان الكتاب الاول « المقطورة من الدرجة الثالثة رقم ٥١٠ » سيحتوي على ٣٠٠٠ بيت . والحال انه سيحتوي على ٤٠٠٠ اذ انني مع المقطع الذي انجزته لدي الآن ٢٧٠٠ . وهذا سيجعل الفرق حوالي الالف بيت في الكتب الاربعة .

لننتقل الآن الى المسألة الاكثر أهمية : في رايي أن عنوان روايتك الاولى ، الرواية التي ستنجح بها بسهولة ، ينبغي أن يكون « شارع انقرة[٧٩] . إنت تعرفه جيدا ، هذا الشارع ، بارباب عمله وصحافييه

(٧٩) مركز نحي الصحافة في استنبول .

وعمال الطباعة والآلات فيه ؛ والحمالين والسائقين والحلاقين والمطاعم البائسة والوراقين والمكتبات والطلاب والزبائن وكل الايديولوجيات الممثلة فيه . فاذا رسمت لوحة واسعة عميقة لشارع انقرة ، مع سلسلة التطورات التي تجري فيه ، تكون قد وصفت الهيكل الاجتماعي والايديولوجي لتركيا في مرحلة معينة وفي قطاع معين . لقد عرفت فيه اشخاصا رائعين ، وعرفتهم جيدا جدا .

ابدأ بالرواية بدون تأخير جديد .

اذا بدا لك شارع انقرة موضوعا مبهما ، استطيع أنا ايضا ان أدون ذكرياتي عن بعض البيئات وبعض الشخصيات التي لا تستطيع تذكرها أنــــت .

تحياتي المليئة بالشـــوق .

من بيرايه أيضا التي تعانقك .

كنت انتظر بصبر نافذ ان تعلن لي انك بدأت الرواية .

- ٥٣ -

كمال ، ايها الاخ ،

تسلمت الرسالة التي بعثت بها الى بيرايه مع الصورة . وها انت مرة أخرى تكتب اشياء جميلة حقا قرأتها بسرور .

سأقول لك رأيي في مسألة الرواية والقصة :

في الشعر ، يوجد النظم الحر بالمعنى الذي نقصده . ومن البديهي أن الكلام على الشعر الحرهو خطأ ، فالمسألة ليست في الاسم ، ولنقل أن ثمة تقنيات استعملها في الشعر ويستعملها الكثيرون من الشعراء

الشباب ايضا ، وهي تؤمن لنا امكانيات جديدة . هذه التقنية ماذا قدمت عموما ، من ناحية الشكل ؟ أنا مثلا ، ما هي الموجبات التي قادتني الى هذا الشكل الجديد ، بالرغم من كل ما زعموه ، لم يكن الشكل الذي استخدمه ماياكوفسكي ، او على الاقل لم يكن فقط الشعر الحر الخاص بماياكوفسكي ، او بالشعر الروسي عموما ، بل شيئاً آخر تماما . وبما اننا غالبا ما تناقشنا مطولا حول هذا الموضوع ، فانني لن اطيل فيه . الشعر الحر ، كما افهمه ، ليس اصلاحا ، ولا فوضى ، ولا ثورة . أي أن الامر ليس تعديلا للاشكال القديمة ، ولا نفيا كاملا لكل القيم . وهكذا فانني لم ارفض القافية بشكل كامل - بما أننا لا نتكلم هنا الا على الشكل - ولا الشعر الشعبي ، ولا تناسق الشعر الكلاسيكي ، ولا الصورة ، ولا العطر الخ . لانه كما اننا لانصل الى حد النفي ، من حيث مضمون القيم التي كدستها مختلف الطبقات الاجتماعية بفضل القفزات التقدمية التي استطاعت تحقيقها خلال تاريخ الانسانية ، فاننا أيضا ، عندما نفدد الاصول النظرية للماركسية ، نذكر الفلسفة الالمانية الكلاسيكية وعلم الاجتماع الفرنسي والاقتصاد الانكليزي الكلاسيكي ، أي اننا نعترف للماركسية بأصلين برجوازيين وأصل ثالث برجوازي صغير ، ولم نكن نستطيع أيضا ، بالطبع ، انكار كل شيء عندما يتعلق الامر بالشكل الجديد الذي ينبغي اعطاؤه لمضمون جديد . لكن هذا لم يكن يعني مجرد اصلاح للقيم القديمة . ولان مضموننا ثوري فقد استطاع ان يصبح حقيقة بفضل قفزة نوعية ديالكتيكية ثورية ، وليس بفضل اصلاح للقيم القديمة . واليك السبب الذي من اجله اكرر لك هذه الحقائق البسيطة: نحن نستطيع أن نفعل في الرواية والقصة ما فعلناه في الشعر . هكذا ، في الشعر القديم ، كان التناسق والبحر والقافية عناصر شكلية ذات أهمية قصوى ، نحن لم نرفضها ، لكننا قلبنا نظامها ، وفقا للحاجة ، ووضعناها ، حيناً في المقام الاول ، وحيناً في المقام الاخير ، وعلى هذا المنوال ، يكون الحدث في الرواية والقصة ، بالمعنى القديم الكلاسيكي ، في المقام الاول دائما . وكانت تقاس قيمة الرواية والقصة - وحتى المسرحية - بقية الحكاية .

وكما انه كان لا مفر ، لمضمون شعرنا الجديد ، من تحريره كليا من طغيان البحر والقافية — وانا لا أتكلم على ما ليس الا تصنعا — سيكون على الرواية الجديدة ايضا أن تتحرر من طغيان الحدث .

تتحرر الرواية والقصة من طغيان وشكلية الحدث ، بالمعنى الكلاسيكي للكلمة ، عندما تعالجان قضايا ثورية بمقدار اكثر او أقل ، انما واسعة جدا وعميقة . وها انا أقدم لك عليها بعض الامثلة :

في روايات دوستويفسكي الكبيرة ، يحتل الحدث المقام الاول اكثر بكثير مما هو عليه في أهم روايات تولستوي . فرواية الحرب والسلم التي انهيت ترجمتها من مدة قريبة ليست لها « حكاية » بالمعنى الكلاسيكي للكلمة ، ولا نهاية . ورواية الام لغوركي هي أيضا رواية يلعب الحدث فيها قليلا ، والامر كذلك بالنسبة للعديد من قصصه . حتى عند زولا يكون « الحدث » في المقام الثاني . وفي عدد كبير من قصص تشيكوف ، وفي اكثرها نجاحا ايضا ، لا توجد « حكاية » تقريبا .

بالمناسبة ينبغي ان أقول لك بأن قصة رشيد المسماة « الموت » قد أعجبتني جدا لهذا الجانب بالذات .

لنعد الى موضوعنا :

ان عنصر الحدث إذا يرجع أكثر فأكثر الى المقام الخلفي ، خصوصا اعتبارا من القرن التاسع عشر ، عند كل الكتاب التقدميين الذين يعالجون قضايا اجتماعية — وهذا التطور يصل ذروته عند شولوخوف. من الضروري أن ندرس هذه الظاهرة بصورة واعية ، وألا ننساها عندما نبحث عن شكل المضمون الجديد . أما أن نكتفي بذلك فهذا يعني الوقوف عند مرحلة معينة ، حتى ولو كانت تشكل خطوة الى الامام ، تماما كما اكتفى ماياكوفسكي بكسر وزن البيت الروسي . أما القضية الثانية

فها هي : لقد حان الوقت اليوم لكي نناقش ونتساءل عما اذا كان مبدأ الوصف الدقيق للخصال ــ المبالغ بها اغلب الاحيان لتصبح مهمة ــ يشكل حقا مبدأ مطلقا في الرواية .

انا لا أقول إنه ينبغي الذهاب الى نفي النموذج ، لكن يجب علينـا أن نعيده الى المكان الذي يستحقه ، أن نخلعه عن العرش الذي لا يهتز والذي احتله حتى الآن في الرواية ، ذلك انه يجب الا يكون أكثر من فان بسيط ، رجل حقيقي ، مثلنا جميعا . فالرواية والقصة لا ينبغي ان تبنيا بالضرورة حول « حكاية » حول « نماذج » . يجب أن نبني الرواية والقصة ، بنماذجهما وشخصياتهما وحكايتهما أو « أحدوثتهما » المدروسة ديالكتيكيا ، على انعكاس الحياة ــ المحدد بشكل فني ــ التي نختلط بها ، نحن أنفسنا ، بشكل نشيط .

كيف نسلك هذا السبيل ؟ يا الهي ، انت تعرف جيدا يا كمال اني لست منظرا . وخلال حياتي كلها لم اتكلم هكذا مطولا على النظريات الا معك ، ومن ثم مع رشيد . والحال ، في رأيي ، انه متى وضعت المبادىء الجوهرية ، نصل الى حل التفاصيل من خلال العمل .

في رسالتي الاخيرة قلت الك ما أعتقده في قضية المضمون . فاذا أضفت اليها ملاحظاتي هذا اليوم حول التقنية ، كان بامكانك أن تحصل منها على خلاصتين أو ثلاث مفيدة . سأكون سعيدا جدا لو تمكنت من ذلك ، واستفدت منها بشكل ما .

لك مشاعر الود من بيرايه . نسخت لها ما قلته عنها في رسالتك ، وأرسلته ، فكانت سعيدة به جدا ، لهجة الام التي تخشى أن تدلل أولادها كثيرا . كتبت تقول « أنا سعيدة جدا جدا ، ليس من أجلي ، بل من أجل كمال . اذا استمر يعمل هكذا ، سيصبح أكبر روائي عندنا ، وسأكون فخورة به » .

كنت سعيدا جدا اذ علمت ان النائب العام الجديد لديكم قد أهتم بقضيتك . ما اسمه هذا الانسان الشريف ؟

تحياتي الى كل اصدقائك بمن فيهم الكردي الشاب .

اعانقك أيها الاخ ، انت ذكي حقا .

رشيد يدرس الفرنسية بجد . وانا مأخوذ بذلك .

- ٥٤ -

١٩٤٢/٥/٥

كمال ، أيها الأخ ،

سافرت بيرايه .

سررت بصورتك جدا . لا يمكن تخيل صورة تشبه الصديق الحقيقي الى هذا الحد ، الصديق الطيب ، القوي ، المرح ، كمال طاهر . عرضتها على الجميع ، الذين لا يعرفونك والذين يعرفونك ، وتصورتهم يعجبون بك عندما كانوا يعجبون بصورتك .

أبعث اليك بمقطع قصير من تتمة القصيدة . لقد اخطأت للأسف بحوالي الالف بيت في توقعاتي . ستحتوي الكتب على ٤٠٠٠ بيت لكل منها وليس على ٣٠٠٠ ، مما يصل بالمجموع الى ١٦٠٠٠ بيت . عندما تنتهي الكتب جميعها سنرى ما هو طويل جدا أو مختصر جدا ، فانت على حق .

سررت لما كتبته لي عن رشيد كمالي . ارغب في ان يكون الشخص الثاني ، بعدك انت ، الذي لم اخطىء في شأنه ـ وأنت تعرف أنني ما كنت

غراً في هذا المجال . إنه يتقدم بسرعة . وانتقاداتك كانت في محلهـا . وهو سيقوم باصلاحها .

والآن لنتكلم عليك : اصغ الي جيدا يا كمال طاهر ، أنت ، بعـد بيرايه ، الصديق الأقرب الي في الدنيا ، أنت أخي ، أنت ولدي ، شيئا ما لمحمد ابني . لذلك لو كنت على مسيرة شهر مني لاستطعت أن أحزر كل ما يجري لك ، كما لوكنت الى جانبك . أنت عصبي المزاج جدا هذه الأيام لاسباب تتعلق ، لنقل ، بداخل السجن وخارجه . من الأسباب المتعلقة بالخارج ، ومن اهمها ، انك دائما مستعجل جدا في توقعاتك . وبما ان ما تتمناه لا يتحقق فورا ، فانك تصبح عصبيا ، وانا أرى ذلك . ان محاولة تشجيعك في هذا المجال ، حتى او أتت من قبلي، هي من قبيل الوقاحة . لكن مـا يجب أن يحصل سيحصل وبشكل جيد ... أحد الاسباب المتعلقة بالسجن نفسه وأهمها هو أن ورشتك ككاتب لا تؤمن لك المردود الأعظمي الذي تتمناه . اسمع يا كمال ، ينبغي الا تفكر بكتابة رواية « يمكن نشرها اليوم » . من جهة ، عليك أن تكتب أشياء يمكن نشرها الآن ، لكن من جهة أخرى ، ابدأ بالرواية ، ولا تفكر بالجانب التقني الأشياء ، ولا تسأل نفسك عما اذا كنت ستستطيع نشرها أم لا . أنت ترى بأنني لا أتوقف عن الكتابة ، دون أن أطرح على نفسي هذا السؤال . ابدأ بكتابة روايتك عن « شارع أنقرة » يا كمال ، أرجوك ، كنت امرتك بذلك لو كانت بيننا علاقات من هـذا النوع . بامكانك أن تكتب رواية رائعة عن شارع أنقرة وانت في هذه الحال العصبية . كمال ، تماسك وابدأ بالعمل .

سررت كثيرا اذ علمت أن جواد شاكر يشاركني الراي في رسائلك . جواد انسان مثقف جدا ، وهو يحسن التعرف على النوعية بسرعة .

وجدت مجموعة قصص لغوركي . انها بيرايه التي أحضرتها لي ، وفيها بعض القصص للمعلم لم أكن أعرفها . ان غوركي كاتب رائع

وانسان رائع ، خذ مثلا . لقد كتب قصة عن الحياة في القرية ، فالانتاج القروي والمناظر هي في المقام الثالث ، لكن الفلاحين ففي المقام الأول ، بصفتهم كائنات انسانية . ان هذا بديع . سأرسل لك الكتاب فتقرأه وتعيده الي لكي أتمكن من اعادته الى بيرايه . أنت تعرف أن ثمة كائنات وكتب تحبها بقدر حبها لي ، حتى انها تفضلها علي ، دون أن يثير ذلك غيرتي ، ويأتي غوركي في مقدمة المفضلين لديها . لقد أوصتني بأن ابعث اليك بالكتاب لتقرأه وتعيده اليها بعد ذلك .

لا ادري ان كنت قد تعرفت اليها . كانت لي خالة اخت أمي . انها حماة وزير العدل ، والدة أوكتاي رفعت . لقد توفيت المسكينة . كانت المرأة التي أحبها أكثر من الجميع في عائلة أمي .

ارسلت لك اليوم بعض المال . أخطرني حالما تتسلمه . اقمنا هنا نولا للنسيج ونحن خمسة شركاء ، وأنت واحد منهم . من الآن فصاعداً، سأرسل الك حصتك بانتظام . ها أنت تملك نول نسيج ، وكل تمنياتي لك في مهنة النساج .

منذ زمن طويل ، لم أتلق اخبارا ، مثلك أنت ، عن نوري طاهر . لقد بعت كل البضائع التي أرسلوها الي ، وأنا أرسل لهم المال بشكل منتظم . لكن ولا رسالة . انني أتعزى بالقول إن سينوب بعيدة والمسافة طويلة جدا .

من آن لآخر ، أفكر بهذا المجنون الدكتور حكمت . يا له من رجل غريب ، من جهة سليم وايجابي ، ومن الاخرى شخصية حقيقية من شخصيات دوستويفسكي . لقد سافر ودفن نفسه ولم نعد نعرف شيئا عنه . انه صعب الامساك كالسمكة . أحيانا أشفق عليه . في النهاية هذا لا يهم .

كل تمنياتي بمناسبة الأعياد . ومع أمنيتي بأن نحتفل بها مئات المرات يا كمال ، ابدأ بكتابة روايتك . أرجوك .

تحيات من كل الذين أرسلت لهم تحياتك ، وتحياتي الى الذين أرسلوا تحياتهم الي . ما هي أخبار جهاز الراديو خاصتك ؟ هنا نستمع اليه بانتظام . اعانقك أيها الأخ بشوق .

— ٥٥ —

كمال ، أيها الاخ ،

تسلمت الرسالة التي كنت تبدو فيها عصبيا جدا . لقد كانت انتقاداتك لقصيدتي مفيدة ، وأشكرك عليها . عندما أشير الى كل النقاط التي لا أتفق معك عليها ، سأبرز كذلك تلك التي أشاطرك الرأي فيها . ولأن كلمة « اغتصب » هي أقوى من « غش » ، وفيها قدر أكثر من الشهوانية ، فقد فضلت استخدامها . ومع هذا يخيل الي أن ما يصدم هنا ليس الكلمة بل الفعل . انه اغتصاب فتاة صغيرة في أرض خالية . لكن ، ماذا تريد ، هذه أشياء تحدث كل يوم في عالمنا الحديث . والحال، ثمة أشياء كثيرة أيضا تصدم الانسان . لهذا لن أغير الكلمة . لنتناول شخصية بصري شنر . لقد ادخلت الخوف فيها لأنني أنا الذي أقص مغامرته . لو كان هو الذي يقصها لأخفى هذا الخوف . انه خائف بالتوكيد . لهذا سيبقى هذا المظهر كما هو . فيما يتعلق بخاتمة الجزء الأول ، أردت أن يكون العنصر الذي يثير الاهتمام ، ليس الانتحار أو الموت بحادثة لشخص مجهول ، بل كون الناس في عالم اليوم يعتقدون قليلا جدا بامكانية الحادثة البسيطة ، ويفضلون ويعتمدون دائمافرضية انتحار الشخصية الموضوعة في طريق مسدود . اذا لم انجح في اظهار ذلك فالذنب ذنبي . أريد أن أقول إنه ليس من خطأ في هذه الخاتمة ، لكن من الجائز أن المعنى لم يبرز بشكل كاف . ان أكثر المسافرين في

المقطورة /٥١٠/ ، والطالب من بينهم ، سنلتقي بهم من جديد في الجزء الثاني ، في صورة موازية للمسافرين والزبائن في مقطورة المطعم . عندها سأتوسع في شخصية الشاب الذي أثار اهتمامك كثيرا ، عندما يأتي الكلام على رفيقــه في الصف الذي في مقطورة المطعــم التابعة لقطار اكسبريس انقرة . انتقاداتك لاستخدام كلمتي (و) و (ولكن) من قبل الشخص ذي الوجه التتري صائبة جدا . سأنتبه جيدا لهذه التفاصيل عندما أصلح الكل في المرة الاخيرة . اما في ما يتعلق بطريقة قراءة هذه القصيدة ، فاني أرجوك ، اقرأها ببساطة شديدة وبأقل ما يمكن من التفخيم ، كما لو كنت تقرأ نثرا . هذا ما أفعله أنا . واعتقد بأن القراءة مع القليل جدا من التفخيم ، قراءة نثر مسجع اذا استطعت القول ، هي النوع الأنسب لمضمون القصيدة . باختصار يا عزيزي كمال ، كل ملاحظاتك على هذه التفاصيل في الجزء الأول كانت وستكون مفيدة جدا لي . لكني سأكون سعيدا جدا لو كنت تستطيع أن تبين لي تأثير هذا الجزء الاول بمجموعه عليك ، جو هذا المجموع .

منذ اسبوع بكامله وأنا كسول بشكل مخيف ، بشكل سلطاني . ان الحر الذي استمر اسبوعا وذكرني بحر تشنقيري قد هدني تماما . في الغد وليس بعده ، سأعود الى العمــل ، فقد برد الجو قليلا . هــذا هو السبب في اني لا أرسل لك شيئا جديدا في هذه الرسالة . اعذرني.

انتظر بفارغ الصبر روايتك (كلجي محمد) . أنا متشوق للتعرف الى قصة نوري طاهر ، خصوصا وانها أعجبتك . اذا استطعنا جميعا ، ونحن في سجوننا ، ان نهيء أجمل الاعمال من أجل الغد ، فان السنين التي نكون قد قضيناها هنا لا تذهب عبثا .

لقد كنت على صواب في رسالتك الأخيرة عندما قلت : من غير المفيد أن نتواضع ، أنت دون شك من وصف أول فلاح تركي حقيقي .

أعتقد بأنك أسأت فهم ما حصل لناجي سعد الله . ناجي موجود منذ شهر في نظارة التوقيف في استنبول . لقد حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر بسبب مقال اعتبر مشينا بحق السفير السابق في موسكو على ما أعتقد ، وبما أنه كان قد حكم بأربعة أشهر مع وقف التنفيذ ، فانه سيسجن فعليا عشرة أشهر على ما ترى . أرسلت أقول له بأن يطلب نقله الى بروصه للاستشفاء بالمياه المعدنية ، ولا أدري ان كان سيحصل على ذلك . في كل حال ، يبدو أنه على ما يرام في استنبول ، وان صفيه والزملاء الصحفيين يذهبون لرؤيته كل يوم . جريدةالاستقلال تنشر مقالاته الشاعرية جدا عن بودروم ، وهو يعمل في روايته (كراكيز) .

اليك هذا النبأ . أهداني رشيد كمالي أرنبا اسمه مرجان . أبيض كالحليب . ذكي جدا وودود فتبنيته . وهو لا يزال فتيا جدا . عندما يكبر قليلا سنجد له رفيقة أمينة .

بيرايه تسألني في كل رسائلها عما تكتبه . وأنا أقص عليها الاكاذيب لكسب الوقت . أرسل الي الزملاء في سينوب من أجلها (طاولة زهر) هي روعة في الجمال . لم أرسلها اليها بعد . ستسر بها جدا .

كمال ، أنا بشوق شديد لرؤياك ثانية . لقد فهمت بأني أحب هذه المدينة كما نحب صديقا .

كيف يعمل جهاز مذياعك ؟ هل تسمعون الاخبار ؟ أنت لم تعد تعطيني منذ مدة طويلة أخبارا عن زملائك في الزنزانة . الا تزال في الغرفة نفسها ؟ صف لي باختصار حياتك اليومية والاماكن التي تنصرم فيها . لك تحيات أمين وأرطغرل وكل معارفك . قد يكتب اليك رشيد وهو يبعث اليك بتحياته المليئة بالشوق في حال أنه لم يكتب اليك . أعانقك من كل قلبي ايها الاخ .

- ٥٦ -

« مقطع من رسالة تنقص بدايتها »

... فجأة ، وعندما أضيف الى ذلك ، السؤال الذي يحدد « هذا الاسبوع » شعرت بشيء من القلق .

ان الصداقة ، صداقة القلب والرأي والعمل ، الصداقة التي تولد بين الذين يعملون بالاسلوب نفسه في كل الميادين ، هي أجمل العواطف الانسانية .

ان تمكن اورهان رشيد من الخروج الى العمل كان ذلك مفيدا جدا له . ان من أجل فنه وان من أجل نمو عزيمته .

وبالرغم من أنه يثير غضبي من وقت لآخر ـ تماما كما كنت تفعل أنت في الماضي ، لهذا فأنا أحبه أيضا لانه يذكرني بك ـ فأنا مسرور جدا بصداقته وبطريقته في العمل وبموهبته .

أنا واثق من (كلجي محمد) . أرسلها الي فورا . ان كل السوء الذي تقوله والذي سوف تقوله أيضا عن عزيزي (كلجي) يؤلمني . من جهة أخرى ، هذا يجعلني أشك بذوقي الادبي . (لقد اتخذت قراري ، سأستخدم من الان فصاعدا الاسم « كوسكو » والفعل « كوسكو لانماك » بدلا من « صبحي ») . انتظر « كلجي » بفارغ الصبر .

أصبح خطي أكثر تشويشا . لقد قدمت الي ريشة غراب ، فثبت فيها ريشة فولاذية ، وأنا أكتب لك هذه الرسالة كشاعر من القرون الوسطى ، وريشة الغراب ، السوداء والناعمة كالحرير ، تداعب دون انقطاع رأس انفي الاحمر المدبب .

أنا مسرور اذ علمت أنك غالبا ما تذهب للجلوس أمام بوابة السجن. لقد رأيت البوابة مرة اخرى ، ومخفر الحرس والشمس والذئاب الصغيرة ورجال السجن ـ لم أستطع التعود على كلمة اصلاحية ـ في تشنقيري . بالرغم من كل شيء ، ان سجن تشنقيري بالنسبة الي هو احدى أحلى الذكريات في حياتي .

هل تصلك رسائل من والدك ووالدتك وراتب ؟ وافني باخبارهم . اني أعانقك . تحياتي الى كل الذين يسألونك عن اخباري ويرسلون الي تحياتهم . تحيات من كل الذين ارسلت لهم تحياتك .

- ٥٧ -

كمال أيها الاخ ،

لم أعثر للاسف على بداية رسالتي الاخيرة . كنت قد اعدت كتابة احدى الصفحات ويقينا اني أرسلت هاتين الورقتين ومزقت الباقي . والسبب في ذلك هو هذا الحر المفاجىء الذي يخبلني . من الصحيح ان الحر لم يكن بهذه الشدة حينذاك ، لكنني دون شك كنت مخبولا تماما . اليك هذا النبأ قبل كل شيء : ناجي يشرف بحضوره سجن التوقيف في استنبول . ويبدو أنه يعمل هناك في روايته « مرحبا كراكيز »(٨٠) . من جهة اخرى ، بعض العاملين في مجلة (يني أدبيات) أحيلوا الى المحكمة العرفية بموجب المادة ١٤٢(٨١) . وقد بدأت محاكمتهم . سيفرج عنهم حتما .

أنت قاس على نوري طاهر دون فائدة . وتتملكك العادة عندما تستطيع ان تفلت الزمام ، خصوصا تجاه أصدقائك ، لهوسك في

(٨٠) سلاما يا سمرائي .

(٨١) هي المادة المتعلقة بالنشاطات التخريبية ، من قانون العقوبات التركي والمأخوذة من قانون العقوبات الفاشي .

تضخيم كل شيء ، في أن تجعل من البرغوث جملا . هذا مفيد وضار في الوقت نفسه . هكذا مثلا عندما تهاجمني يكون ذلك حسنا لان انتقاداتك لا تحطمني بل على العكس تساعدني على أن اصلح نفسي . لكن ان تهاجم نوري طاهر فهذا خطر جدا لانك قد تدمره . لهذا السبب شعرت بالحاجة الى تعديل المقطع الذي يخصه في رسالتي . لكنك مع ذلك تسلمت الصيغة الاولى لهذا المقطع . اذاً أرجوك عندما تكتب اليه أن تنسى أنك أخوه الأكبر .

ارسل لك في طيه بداية القسم الثاني من « مشاهد انسانية من بلدي » وانتظر بفارغ الصبر انتقاداتك للقسم الاول . أعرف جيداً انه من الصعب الحكم على القسم الاول من كتاب يحتوي أربعة أقسام ، خصوصا مع تقنية هذا البناء . لكن بما انني قلت لك ما أنوي عمله ، وأعطيتك المخطط التفصيلي للكتاب ، وأنا أثق بغريزتك الادبية ، فأنا مقتنع بأنك ستتجاوز هذه الصعوبة بما يحقق لي أكبر قدر من المكاسب . لهذا فأنا انتظر انتقاداتك بفارغ الصبر ، لانها ستفيدني أيضا في أقسام الكتاب الاخرى .

سأكتب منذ الغد الى المحامي اسماعيل حقي بالامير في انقرة بشأن هذه المرأة المسكينة التي سممت عرضا زوجها ، والتي لا تفتأ تكرر وعيناها مسمرتان في الارض : « أنا خائفة ، أنا خائفة » . لقد نسيت للاسف اسمي المحاميين الاخرين وعنوانيهما بالطبع . اذا كان اسماعيل حقي في انقرة فليس ثمة مشكلة . سيهتم بنفسه بهذه القضية . كان هناك في المدة الاخيرة ، لكن دعوته الى خدمة عسكرية كانت واردة . فليأخذك الشيطان يا كمال . لماذا حشوت قلبي بهذه المرأة التي تتأمل الأرض وهي تكرر قائلة انها خائفة ؟ في قلبي المئات بل الألوف والملايين من الناس مثلها . واحدة زيادة واحدة بالناقص ستقول لي . لكن لا . هذه المرأة هي رصاصة الرحمة بالنسبة الي .

غدا أرسل لك « الأبله » لدستويفسكي . وقد أرسلنا لك بالبريد كتاب غوركي وبعض المجلات . هل تسلمت كل ذلك ؟ غدا ارسل لك أيضا بعض المال . لا تنس أن تخطرني عندما يصلك .

تحياتي الى المرأة التي تنظر الى الارض وهي تكرر قائلة : « أنا خائفة ، أنا خائفة » . أعانقك أيها الاخ .

– ٥٨ –

كمال طاهر ،

هذه الرسالة تقوم مقام برقية .

بعثت برسالتك كما هي الى المحامي اسماعيل حقي بالامير . قراءتها كانت تكفي الاهتمام بهذه المرأة المعرضة للموت . وقد كفت بالفعل . لقد كتب الي قائلا : « سأذهب بنفسي الى جلسة محكمة النقض . لكنني موجود في أنقرة حتى بداية تموز فقط . اذا وقعت الجلسة في هذه الفترة فما من مشكلة. لكن ينبغي أن يرسلوا الي فورا الوكالة . اسماعيل حقي بالامير ، محام في نقابة استنبول العنوان : ميدان الاطفائية بناية الاوبرا رقم ٥ انقرة .

لدي شعور بأن رسالتي ستصلك بسرعة أكثر اذا كانت قصيرة ، أو على الارجح ليست لدي الشجاعة للكلام على شيء اخر في هذه الرسالة سوى على مأساة هذه المرأة التي تكرر قائلة وعيناها على الأرض انها خائفة .

تحياتي الى رشيد . أعانقك ايها الاخ .

كمال ، أيها الأخ ،

شكراً لله . لقد تسلمت رسالتك أخيراً . وكدت أموت من القلق . رسالتك وبرقيتك وصلتاني في اليوم نفسه، وسعدت مرتين، بفارق ساعتين . وللحال بدأت بقراءة روايتك . قرأت منها ستين صفحة دفعة واحدة . وسأتابع قراءتها قريبا ، بعد أن أكتب لك هذه الرسالة . أنا راض جدا عن الستين صفحة الأولى . فالحوارات رائعة ، وسأكتب لك بعد غد رسالة على حدة ، مخصصة للرواية . لقد دمعت عيناي وأنا أقرأ اقتراحك بأن نبيع الرواية ونعطي حصيلتها الى بيبرايه . انها ليست بحاجة اليها في الوقت الحاضر ، أيها الأخ . لكننا سنفعل ذلك حتما ، إذا اقتضت الضرورة .

ابعث اليك بمقطع من ثمانمائة بيت ، تتمة « المشاهد » في مغلف الرسالة نفسه . إن ما تقوله في رسالتك الأخيرة حول هذا الكتاب صحيح جدا ، وهذا ما سأفعله . لكن ذلك سيبنيني ببطء ، تبعا لسير الكتاب ، وحول الشخصيات الرئيسية . لكنك على حق لأنني ، دون شك ، لم أحدثك عن أمر واقع « مخيف » : انني لن أنتهي من هذا الموضوع بأقل من ٣٠٠٠٠ بيت . هذا « مخيف » من وجهة نظر معينة ، غير أن ... ٣٠ سطر ، من جهة أخرى ، تشكل رواية كبيرة طبيعية . وبمعدل ١٠٠ سطر للصفحة يصبح المجموع ثلاثمائة صفحة . وبما انني لم أكتب بعد الا ٧٠٠٠ ، وان التقنية المستخدمة هي تقنية السيمفونية ، فان الصف الأول فقط من اللحمة الذي تراه أنت بحق ضروريا ـ أي وجوه بعض الشخصيات الأكثر أهمية ـ بدأ قليلا بالارتسام . من جهة أخرى ، إن العمود الفقري للكتاب هو لوحة التطور لبلد محدد ولشخصيات ملموسة في فترة معينة . لهذا فأنا مضطر لأن أرسم بخطوط كبيرة وقصيرة « مشهد » عدد كبير من الشخصيات . عندي خشية واحدة : أن أكون مملا . لكن كل الذين طرحت عليهم السؤال قالوا لي العكس ، في الوقت الحاضر . إذا توصلت أن أكون غير ممل حتى ما مجموعه ... ١٠ بيت ـ بما في ذلك اللحمة ـ يبقى ٣٠٠٠ بيت ، وبفضل عنصر من عناصر عقدة الرواية ، تكون لحمته ظاهرة جيدا ، يمكن تفادي هذا الخطر .

لننتقل الآن الى « اكتشافاتي الجديدة » (؟ ؟ ؟ : :) . هاك ما هو الأمر : في النظام الاجتماعي الرأسمالي ، ليست طبائع ونفسيات الناس مختلفة بلا حدود كما اعتدنا أن نزعم . فاذا لم ندخل التفاصيل في حسابنا ، نستطيع أن نصنف هـذه الطبائع ، بالنسـبة لخطوطهـا الأساسية ، في عشر أو خمس عشرة فئة (بشرط ألا نحبسها في حـدود جامدة لا يمكن اجتيازها ، كما لو كانت مقطوعة بسكين ، وأن نلاحظ أغلب الأحيان في هذه الفئة عناصر أو توابع الفئة الأخرى) . سوف تقول لي أني أكتشف أميركا من جديد . الحق معك . ستقول لي أيضا إن سبب ذلك بسيط : إنه ما يحصل بصورة طبيعية في مجتمع الطبقات ، مع شرائح مختلفة في هذه الطبقات . الحق معك هنا أيضا . لكن أن تكون محقا في قولك هذا كله يجب الا يمنعك من التفكير في هذه المسألة كشاعر أو روائي ، أو ككاتب . وفي الظروف الحالية المحسوسة لبلدنا ، سيكون من شأن تصنيف الطبائع وفقا للطبقة أو الشريحة الاجتماعية أن يسهل مهمتنا كثيرا . أي أن آفاقا واسعة جدا ستنفتح لنا اذا عملنا منهجيا وبصورة واعية ما عمله ويعمله كثيرون من الروائيين البرجوازيين والبرجوازيين الصغار — ليس عندنا بل في أوروبة واميركا — بشكل عبقري أحيانا ، إنما غير منهجي وغيرواع . مثال : لدينا مثقفون من أصل « فلاحي — ثري رأسمالي » وهي شريحة « تتكولك » (*) أكثر فأكثر . وبما أن شريحة الكولاك وعلاقاتها تنمو وتثري بسهولة وسرعة ، فان طبائع هؤلاء الشبان الذين يحتلون مكانا مهما أكثر فأكثر في مدارسنا العليا ، تتصف بالخصائص التالية : انهم متغطرسون ، يخلقون الشعور بانهم متصلبون الى أقصى حد ، انهم جريئون ، يكذبون بسهولة دون التفكير في العواقب عندما يتعلق الأمر بمصلحتهم الشخصية ، انهم معجبون جدا بالفخامة ، انهم وطنيون يحلمون بالغزوات ، ويترددون بين الدين والالحاد ، وبين الموقف المحافظ والعداء للتقاليد .

(*) تتكولك : تصبح من طبقة الكولاك (المترجم) .

وعلى العكس من ذلك ، فان المثقفين الآتين من شرائح او طبقات اجتماعية مثل تلك التي تنتسب الى الاقطاع المتداعي والبيرقراطية الصغيرة تنقصهم الارادة وتتغير نفسيتهم بسرعة وينتقلون بسرعة كبيرة من الأمل الى اليأس ومن الفرح الى الحزن ، ويستسلمون الى المصاعب، ويكذبون مع تبكيت الضمير . الاولون ، اي ابناء الكولاك الذين تحدثت عنهم اعلاه ، لا يعرفون كيف يسيطرون على أنفسهم ، بينما تكون هذه السيطرة على النفس نامية جداً عند الآخرين . وغالبا ما يختار الأولون مهنة الطبيب والمهندس ، بينما الآخرون يفضلون مهنا كالتعليم والأدب والفلسفة الخ .

فكر في هؤلاء المثقفين الذين رسمت لهم لوحة موجزة لك . لديك حتما معارف بين مثقفي الفئتين . ادرسهم . ستجد لديهم ظواهرنفسانية واخلاقية متشابهة في خطوطها العامة .

بيرايه ستستقر في شامليجا في نهاية هذا الشهر . وهي تسألني عن أخبارك في كل مرة . انت لاتستطيع أن تعرف الى اي حد تجعلني صداقتك سعيدا . والحال انني أعترف لك بأنني لااستطيع أن احب كل الحب كائنا لايفهم ولا يحب بيرايه وهي لاتفهمه ولا تحبه . وانت تعرف جيدا بأنني احب بلا حدود ، أيها الأخ .

انا راض جدا عن رشيد كمالي . انه يتقدم بالفرنسية رغم كل شيء . انه يعمل في عدة أشياء في وقت واحد ويتقدم بخطوات عملاقة . انا اثق به . لقد قطع في سنة واحدة اكثر مما يمكن أن نقطعه في خمس .

ارسل لي اخبارا عن المحكومة بالاعدام . تحياتي الى كل أصدقائك الشبان . والى المدير وأمين السر ورئيس الحرس . قبل عني ابن امين السر . اكتب لي . واجبني حالما تصلك هذه الرسالة . سأكتب رسالة مستقلة عن روايتك .

كمال ،

كنت سعيدا جدا اذ علمت بأنك تحضر للعمل في ساجيرديريه . لي الحق ، كلنا لنا الحق بأن ننتظر منك اشياء أجمل من بعضها البعض ، وهذا واجب عليك . انتظر ساجيرديرايه بفارغ الصبر ودون خوف .

أبعث اليك مع هذه الرسالة بتتمة (المشاهد) . سأقدم لك فيها ــ وسيستمر هذا بعض الوقت ــ شخصيات على قدر من القذارة ، فقراء يثيرون اشمئزازي واكرههم الى درجة الرغبة في قتلهم ، ومع ذلك يثيرون شفقتي ، وأنت تعرف أغلبهم ، لكني لااريد أن تشفق عليهم . يبدو لنا أن رشيد كمالي كان قد أرسل لك قصائده في رسالتي الأخيرة . انه غير واثق من ذلك ولاأنا . لذلك أخبرنا اذا تسلمتها حتى لا تقلق بعد الآن .

ارسل اليك بعض المال . اخطرني حالما تتسلمه .

حضرت بيرايه مع ابنتي سوزان وبقيتا يومين ثم رحلتا . عهدت اليها بروايتك (كلجي محمد) التي هي أيضا روايتنا . وهي حتما تقرؤها الآن . لم أتسلم بعد أية رسالة . سوف تقول لي الى أي حد أحببت (كلجي) وانا مقتنع بأنها ستحب هذا الكتاب . سأكتب لك في ذلك .

يبدو أن علي كنتان ونوري وأفني(٨٢) يكتبون جماعيا قصيدة كبيرة عن البحر . أنا مسرور جدا بذلك . اذا كنا نعمل بأمل من هذا النوع ــ خصوصا هذه الأيام ــ فكيف يمكن أن ينهزم حلفاؤنا ؟

مرجان(٨٣) (أرنبي) يرسل تحياته الى محبوس(٨٤) .

---

(٨٢) من المحكومين في محاكمة ناظم حكمت ويقضون عقوبتهم في سينوب .

(٨٣) مرجان اسم الارنب الذي كان يربيه ناظم .

(٨٤)محبوس اسم الهر الذي كان يربيه كمال طاهر في سجن ملاطيه .

نحن مضطرون لأن نكتب كل يوم أشياء أكثر شجاعة وأكثر جمالاً وأشياء أكبر . ان الشعب التركي وكل شعوب العالم قاطبة يطلبون منا ذلك . ها أنت ترى اني لم أعد أشعر بأني ذلك « الأسد المسجون في قفص من حديد » كالعام الماضي . أشعر بأنني معبأ كجندي يقاتل على الجبهة، وهذا الشعور يدفعني الى العمل ، الى النضال بعنف أكثر وبقوة اكبر .

باختصار ، قلبي مفعم بالتفاؤل ، هذا التفاؤل الذي لا يستسلم بل يحسب حساب الأسوأ ، ويصمد عند حصول الأسوأ .

تحياتي الى رشيد .

كل تحياتي الى أختي المحكومة بالاعدام ، والى نوري وزميلك في الزنزانة والى كل الأصدقاء .

- ٦١ -

كمال ، أيها الأخ ،

بعثت اليك بعشر ليرات هل تسلمتها ؟

« مشاهد انسانية من بلدي » عادت الى العمل جيدا . لدي مائتا بيت لم أرسلها اليك ولن اضيفها الى هذه الرسالة لكي أتمكن من ارسال مقطع كامل حالما يصل الى اربعمائة بيت . مع ذلك ، نبعث مع هذه الرسالة ، مني أنا قصيدة ، ومن رشيد مقاطع من قصصه . لا أدري كيف ستجد كل هذا . لاجديد في قصيدتي . أردت فقط ان أجعل منها لعبة تقنية : عناصر قديمة أو بالأحرى عناصر من لدني أنا في بناء موسيقي فاغنري مع صور من الشعر الشرقي القديم ، عبرت بها عن بعض حقائق الديالكتيك ، وحتى بعض الأمكنة العامة . كنت ، دون شك ، بحاجة الى هذا النوع من التسلية ، اذ شعرت بأنني قد ارتحت .

بقيت بيرايه وسوزان يومين . لم أتسلم شيئا بعد من بيرايه حول (كلجي) . وبما انني أرسلت ارنبي الى والدة بيرايه في استنبول ، فانني لم أستطع أن انقل اليه تحيات الآنسة محبوس .

هل من جديد في قضية المحكومة بالاعدام ؟

أعطني بعض التفاصيل عن السيدات السمر الجميلات .

للأسف ، ليست لدينا كتب نرسلها اليك .

الحياة هنا ايضا غالية جدا : ١٥٠ ــ ١٦٠ قرشا للحم ، /١٢٠/ قرشا الزيت ، ٣٢٠ قرشا السمنة ١٠ ــ ١٥ قرشا البندورة .

تحياتي الى مديرك ورئيس الحرس الجديد والحراس وكل الأصدقاء عندك .

لكم تحيات من مديرنا وأمين السر ورئيس الحرس وكل أصدقائك هنا .

لاأدري لماذا أخذت رسالتي هذا الشكل ، بينما كان في نيتي أن أكرر لك أشياء كثيرة نعرفها جيدا عن الشعر وخصوصا عن الشعراء الشبان . دون شك ، هذه النية لم تكن جادة كثيرا . سأقول لك فقط ، والاحمرار يعلو جبهتي ، بأن الكثيرين منهم ينتهون بتقليد ما فعلته انا في الماضي دون اكتراث أو حياء ، من وجهة نظر الشكل وخصوصا في الخطوط الجوهرية . لقد قطعت انا كل واحدة من مراحلي ــ حتى من وجهة نظر الشكل ــ وانا اجهد وأتصبب دما وعرقا ، مع كل الصعوبة المتمثلة في أن تقوم بهذا العمل للمرة الأولى في تاريخ اللغة التركية . أما هم ، فانهم يقلدون كل شيء ، بسهولة ، وللأسف بشكل سيء جدا ، لانهم لايتجاوزون الشكل .

نفدت أوراقي لذلك أنهي رسالتي . أعانقك بشوق يا عزيزي كمال .

- ٦٢ -

كمال طاهر ، يا أخي ،

لايمكنك أن تتصور بأي سرور وبأي فخر قرأت كل ماكتبته لي عن « الأبله » كل ما تقوله في هذا الموضوع ، دون استثناء ، خليق بكمال طاهر ، صحيح ، ومصاغ جيدا ، بقوة ومهارة . تهاني لذكائك أيها الأخ .

في هذا الشهر ، مثلك تماما ، أنا كسول بشكل مخيف .

لنبق دائما في موضوع « الأبله » : كما أنه سيكون من الغريب حقا بناء جامع ثان في السليمانية ، غريب وغير مفيد ورجعي ، حتى من وجهة نظر التقنية المعمارية ، كذلك فان اعادة صياغة « الأبله » أو نسخها ، أو أخذها كنموذج ، ليس من حيث المضمون بالطبع ، لأن الصفة الرجعية تكون عندئذ بديهية ، انما من وجهة نظر تقنية الرواية وحسب ، تكون في رأيي رجعية أيضا بالمقدار نفسه . ومنذ تاريخ تقنية الرواية في « الأبله » وهي التقنية العبقرية كما تبرزها أنت ، فقد تغيرت التقنية كثيرا في رأيي ، فأصبحت ، إذا صح القول ، ثورية ، وبناؤها وألاعيبها التقنية أصبحت أقل وضوحا . فكلما أصبح المضمون واقعيا أصبحت التقنية واقعية هي أيضا .

في ما يتعلق بفاوست : بالنسبة إلي « فاوست » كالخرنوب . ينبغي أن تمضغ وتبتلع حملا من الخشب وبعد أن « تعلك » كل هذا الخشب تحصل على مذاق رائع ، من عدة وجهات للنظر . ان فلسفة « فاوست » مثالية ، لكن الاسلوب المستخدم فيها جدلي . ففيها نستعيد كل الأهواء والرغبات لمرحلة تاريخية معينة . لكن « فاوست » ــ والمقارنة هنا متناقضة جدا ــ تذكرنا بشعرائنا في أدب الديوان . فبعد أن تقرأ كمية

من أزواج الأبيات البشعة والعادية وذات الذوق الرديء تكتشف في هذا الركام جواهر حقيقية . ثم ، وفي رأيي دائما ، فان البرجوازية الدولية مدحت بشيء من المبالغة « فاوست » وغوتة عموما ، بسبب روح المصالحة والنفاق التي تبرز في الرواية وعند الكاتب .

كتب خالد ضيا في « سون بوستا » دراسة مزعومة حولي .من المحتمل أن يكون قد فعل ذلك بحسن نية ، وبأحسن النيات في الدنيا وبأمل أن يخدمني . لكن هذه النية الحسنة تأخذ شكل ملاحظات بلهاء تماما . لم أغضب لذلك . لكنني أطلقت واحدة أو اثنتين من الشتائم الجيدة . وهذا كل شيء .

قرأت دفعة واحدة وللمرة كذا الجزء الثاني من رواية « الأم » لغوركي . ليس من الممكن ان نجد في العالم ترجمة أكثر رداءة . لكن شيئا صلبا في جوهره مهما حشرته في قالب سيء لا يفقد شيئا من قيمته . غوركي عزيزي وكبيري . في هذه الأيام خصوصا ، تثير قراءة « الأم » لديك الرغبة في البكاء من السعادة والأمل . انا لا أبالغ ، لقد بكيت عند كل صفحة تقريبا . ان الشخصيات الوحيدة التي تستحق أن نتحدث عنها هي أفراد عائلته ، وأبناء وأحفاد أبطاله . و « الأبله » ، لأن دوستويفسكي يحدثنا فيها عن شخصيات لا تستحق أن نصفها ، هي بالرغم من كل موهبة الكاتب ، عمل عبثي عقيم ، ذاتي وولد ميتا .

أهداني رشيد ارنبا ثانيا ، أبيض ، احمر العينين . اسميناه كذلك مرجان . وهو لطيف وناعم كهر صغير . اني أحب كثيرا أرنبي الصغير .

تحيات كثيرة من بيرايه . ستحضر الى بروصه خلال أسبوع أو أسبوعين . لقد كتبت هذه الرسالة في الثالث عشر من تموز من العام ١٩٤٢ . وهذان هما بالضبط السنة واليوم من الشهر ، وانا على يقين أنه في العام القادم ، وفي الفترة نفسها ، سنكون رغم كل شيء ، ممتلئين اشعاعا بالسعادة .

لم يتمكن رشيد من الكتابة اليك هذا الاسبوع . راسه لا تزال مخدرة بالقصة التي كتبها وهو يهديك تحياته كبقية الأصدقاء هنا . أعانقك بشوق يا عزيزي كمال طاهر .

- ٦٣ -

كمال ، أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك الجميلة جدا . وأنا سأكتب لك رسالة طويلة ، طويلة جدا لأحدثك عن بعض المكتشفات التي قمت بها . وسيكون ذلك في المرة القادمة . ستجد في طيه رسالة طويلة وقصصا من سميك وخمسمائة بيت تقريبا من « مشاهدي الانسانية » .

وعدني اسماعيل حقي أن يكون حاضرا في جلسة محكمة النقض . وهو رجل يلتزم بكلامه ، وموجود حاليا في كونيا وسينتقل من هناك الى أنقره . يؤسفني الا استطيع أن أقدم أي عون الى اختنا البائسة ، فأنا لا أعرف أية امرأة نائبة في المجلس .

إن بيرايه بسبب اضطرارها ألى الانتقال من « ارنكوي » لا تستطيع ارسال الكتب التي طلبتها منها ، لكني سأبعث اليك بملاحظات عن الفلسفة . تحياتي الى مديرك وأمين السر ورئيس الحرس والحراس . تحيات من مديرنا وأمين السر ورئيس الحرس . تحيات الى النقيب . أصدقاؤك يبعثون بتحياتهم .

أنا وبيرايه نعانقك .

- ٦٤ -

كمال ، يا أخي ،

أنا أشكرك . فقد جعلتني أعيش أحد أجمل أيام حياتي . أنا سعيد كما لو أتاني خبر انتصار ، كما لو أني رأيت بيرايه ، كما لو أن انتقالك

الى بروصة قد تحقق . « كلجي » رائعة . لأنها حقيقية ، ولأن هذه الحقيقة معروضة لنا من الزاوية ، والتقنية ، والفلسفة الأكثر صوابا . لهذا فان الغاء جملة واحدة من هذه القصـــة ــ باستثناء بناء جملتين أو ثلاث ، وبعض التكرار ، اي هفوات قليلة الشأن جدا ــ كنزع أحد الدعائم لنصب ما . ولهذا أيضا فانني أعارض نشرها الآن بشكل قاطع ، لأنك لو نشرتها الآن لألغوا منها أشياء كثيرة ، والأكثر جمالا حتما . ليس لك الحق في ان تفعل هذا يا كمال . « كلجي » ليست ملكك . فكما أن « جامع الحصيد » ملحمة وعظمة ، ليس ملكا لك ، كذلك فان القصة التي هي أكثر « حقيقية » من كلجي ــ لأنهـــا تحلله وتشرحه ــ ليست ملكا لك . ان الربح المادي الذي يمكن أن تحققه لك قصة كلجي مقلوبة رأسا على عقب لو وصل الى المليون فانك ترتكب خيانة بقلبك القصـــة هكذا . لكن ، يا كمال أعلمني في أقرب وقت بوضعك المادي ، بدخلك . ارجـــو الا تنسى ذلك . سأطلب من فالح رفقي أ ن يرســـل الي كتبـــا لترجمتها ، فاذا تحقق هذا تمكنت من ارسال مبلغ ما اليك . في كل حال ، من المستحيل شراء آلة كاتبة . ثم انك تريد نظارات دون أن تحدد لي درجة الزجاجات . اكتب لي ذلك فورا .

الخلاصة : كلجي لن تنشر . سأرسل « السمكة الصغيرة » الى ناجي سعد الله لينشرها في مكان ما ويرسل لك دراهمها .

كلجي هي أفضل حتما من « ناس البحيرة » . شكرا يا أخي الصغير .

سأعطيك شيئا من أخبارنا : أورهان رشيد كمالي كتب قصيدتين أو ثلاث جيدة . وهو في سبيل كتابة قصة طويلة من ثلاثة أجزاء . أعتقد بأن هذا سيكون جيدا . عدت الى كتابة « المشاهد » بعد العديد من المتاعب والعجز واعتقد أنني سأستطيع أن أرسل لك قطعة طويلة منها في رسالتي القادمة . بيرايه لم تصل حتى الآن ، لكنها لن تتأخر . لقد حضرت شقيقتي سامية وزوجها وأحفادي لرؤيتي .

ان مدعي عام محكمة النقض طلب الغاء الحكم القاضي باعدام هذه المراة لعيب في الأساس . سيكون المحامي حاضرا في النقاش وقد كتب الي ، وعنده أمل كبير . هذا نبأ سار لنا جميعا . أنت لا تستطيع أن تتصور كم تثير شفقتي هذه المراة .

انتظر بفارغ الصبر « الناس العراة » . كان عندي الكثير مما اريد قوله لك بشأن هذا الكتاب ، لكنني عدلت عن ذلك بعدما وجدت أن موضوع السجن قد عولج بجدية كبيرة في كلجي وبالشكل الصالح الوحيد الذي يستحق الدراسة ، وتوصلت الى استنتاج مفاده أن ليس ثمة توصيات بعد تقدم لك من أجل القصص التي تعالج هذا الموضوع .

أنت الكاتب الأول الذي جعل الفلاح التركي يتكلم ، ويعمل ، يفكر ، في كتاب . وأنا فخور بأنني ساعدت في تنشئة مؤلف كلجي ، وبانني وجهته احيانا ـهاأنت ترى بأنني أتكلم دون أي تواضع .

يخيل الي ، وانا في الحالة الذهنية التي عليها اليوم ، بأن كل ما استطيع اضافته الى ما تبقى من هذه الورقة ، لن يكون الا كلاما سدى ، باستثناء أن أكتب اليك بحروف كبيرة : اعانقك بشوق ، يا كمال طاهر ، يا أخي .

ملاحظة : ابني مرجان الأرنب يرسل تحياته الى هرتك محبوس .

- ٦٥ -

٤٢/٩/٢٧

ارسل اخبار صحتك ببرقية قبل الرسالة .

- ٦٦ -

كمال طـاهر ،

تسلمت رسالتك . سأعلم من الآن فصاعدا بأن البريد ينطلق عندكم يوم الاحد ويصلنا في أربعة أيام ، واذا لم ينطلق البريد يوم الأحد فنحن

هنا نهدر وقتنا في انتظاره . لكن هذا الاكتشاف هدأني وأتاح لي حساب اليوم الذي تصل فيه رسائلك ، وقد تبين هذه المرة أن حساباتي صحيحة .

نقلت الى بيرايه ، كلمة كلمة ، ما قلته لي عنها . والآن ها أنا انسخ لك ما كتبته الي : « ... لقد سرني حقا أن كمال يقلق علي . اشكره من طرفي . لقد غمرني بفرح كبير ... » .

انها تسكن الآن « شامليجا » وعنوانها : رقم ٩ ــ ١١ محلة التونيزاده ــ شامليجا ــ استنبول . سأكون سعيدا جدا لو تكتب اليها دون أن تنتظر جوابا ، مرة في الشهر مثلا .

شكرا على النبأ السار حول تقدم « ساجيرديريه » . انها تشكل منعطفا في تاريخ الرواية التركية . سيكون بامكانك أن تكتب في المستقبل كثيرا من الأشياء الجميلة ، لكن « ساجيرديريه » ستبقى أحد كتبك الأكثر شبابا والأكثر خلودا ، في حين انك تشبه كثيرا تلك الدجاجة الحمقاء التي لا تفهم شيئا من البيضة التي وضعتها للتو . لا أدري كيف ستكون التتمة ،لكن في الوقت الحاضر ، فان العلاقات الجنسية لا تحتل فيها المكانة الأولى مطلقا ، شكراً لله ، بل تركت بواقعية ومهاره حيث يجب أن تكون ، في المرتبة الثانية . ن ما يظهر في المستوى الأول، في هذه البداية،هو طابع المالك الصغير الأكثر بروزا في القرية ، والفلاح ، مرسوما بكثير من الصحة والوضوح ، مع الظواهر النفسية لهذا الطابع . ونجد فيها كذلك عداء لفردية الملكية الصغيرة ، ورغم كل هذا ، حبا للقرية . لقد أمسكت جيدا بكل هذا ، لذلك فان « ساجيرديريه » عمل ناجح ، كلاسيكي بمعنى ما ، يحلل في العمق سيكولوجية الفلاح الصغير والمتوسط . أيتها الدجاجة الحمقاء ، ان ما « بضته » هنا أعجوبة يجب أن تحسني تقدير قيمتها .. وبما أ نتركيا بلد اكثريتها من الفلاحين الصغار والمتوسطين ، وقد استطعت تحديد السيكولوجية

الكلاسيكية لهذه الشرائح ، فان هذا الكتاب سيأخذ مكانه بين المؤلفات الكلاسيكية لأدبنا . هل فهمت جيدا يا كمال طاهر ؟ لا تقم بعد الآن أبدا بأي تقدير خاطىء ومشوه « لساجيرديريه » قائلا بأن العلاقات الجنسية فيها هي في المقام الأول ، وما يشبه ذلك من الهراء .

لك عندي الآن نبأ سيء : هذه الرواية التي نملكها جميعا ، نعم جميعا ، طالما أنها لم تكتمل بعد ــ انظر كم أنا غاضب بشدة حتى ملأت بقع الحبر ورقتي ــوطالما أنه لم يصبح ممكنا نشر كل أجزائها الواحد تلو الآخر ، او ربما كلها دفعة واحدة ، هذه الرواية لا يمكن مسخها بدعوى نشرها على حلقات . أنت مفلس ، حسنا ، ولا حيلة لنا في ذلك ، وستبقى مفلسا . في حين أن رجالا ، من أشرف الرجال ، يموتون والابتسامة على شفاههم ، وهم يعلمون لماذا يموتون ، فان كمال طاهر لا يستطيع ان يسمح لنفسه بربح شيء من المال عن طريق تقطيع أوصال « ساجيرديريه » واخراجها فتاتا . مثلها مثل كلجي . ساجيرديريه يملكها الشعب التركي . ما أتمناه لك هو أن يكون كل ما تكتبه في المستقبل من هذا المستوى ،دون أن تكسب منه المال بسرعة . لكي تكسب بعض الفلوس ، اكتب شيئا آخر . حسنا ، لنتوقف عن الكلام في هذا الموضوع .

ان الاهتمام الذي توليه لشخصياتك هو اهتمام الروائي الواقعي الطبيعي بالقدر اللازم . لو كنت روائيا أنا لكان اهتمامي كذلك . المسألة هي انك تكتب الروايات ، وأنا أكتب شيئا يشبه الشعر . أرجوك ، يجب الا يتناقص اهتمامك ولا يزيد . انك في قمة الاستعداد يا كمال . لقد وجدت المعيار الصحيح يا عزيزي ، فلا ترتكب الحماقات، حبا بالسماء .

لدي مائتان أو ثلاثمائة بيت جديد من « المشاهد » ، لكنني أعتقد أنه من الخطأ أن أرسل اليك أقل من تسعمائة أو ألف بيت في المرة

الواحدة . سأتم الباقي حتى موعد رسالتي القادمة . أرسل الي البيتين الاخيرين من مقطع الدفعة الاخيرة حتى أعرف أين وصلت ، لأنني لم أعد أدري ماذا أرسلت والى من . سأدقق المقطع الاخير في ساجيرديريه، وأنت في « المشاهد » قبل وصول الرجل الكبير في الابيات التي تلي : « وانحنت رأس على نافذة عربة النوم في القطار » . امح كلمة « أحمر » في البيت « رأسه الاحمر الاصلع » وهذا البيت بكامله « وتبادلوا الاشارات مع ذوي المعاطف السوداء » ؟

في رسالتك ، كان المقطع حول قافلة « الغواني » وحديثك مع الفتاة الصغيرة رائعين . جميع رسائلك محفوظة بعناية ، وسأعيد لك هذه المقاطع كي تستعملها يوما ما في مكان ما .

أعانقك بشوق أيها الأخ ، وأحب كل الذين يحبونك . أن «محكومتنا» بالاعدام ستنجو حتما .

ملاحظة : عزيزي السيد ممدوح(٥٨) .

أبعث اليك بكل تمنياتي بمناسبة الاعياد ، واعذرني لتأخري في ذلك ، فالشعراء يشردون .

- ٦٧ -

كمال ،

أرسلت لك عشر ليرات .

شكرا على ما قلته لي عن « المشاهد » وعلى الأنباء التي وافيتني بها . هل تعلم بأنني لم اكتب سطرا واحدا منذ عشرة أيام لأنني كنت أنتظر جوابك وجواب بيرايه حول هذا المقطع الأخير ؟ ان رسالتك ، بالرغم مما تسميه نقدك التقني ، قد أثبتت لي بأنني قد حققت هدفي.

---

(٨٥) أمين سر في سجن ملاطيا .

لم اتسلم شيئا بعد من بيرايه . في ما يتعلق بانتقادك ، استطيع ان أوكد لك ، استناداً لمعلوماتي الخاصة من جهة ، ومن جهة أخرى لشهادة السيد علاء الدين الذي يشبه من يقول بأنه اله عربات المطاعم ، بأن اعتراضك ليس في محلـه . في عربات المطاعم « عندما ينتهي الطعام وتشرب القهوة » يجتمع المستخدمون في الزاوية التي أتكلم عليها . مع ذلك ، سأستخدم في المقطع الثاني من « الملحمة » ، بعد منتصف الليل ، الديكور الذي تتحدث عنه . أشكرك كثيرا على هذا الديكور المهم جـدا .

انتظر بفضول ، انما بثقة ، تطورات ساجيرديريه . دون مزاح ، أنت في سبيل كتابة أول رواية تركية حقيقية .

لماذا لا تجعل من حكاية افتتاح المعمل هذه رواية ؟ هيا يا كمال ، لماذا لا تكون هذه هي روايتك الثانية ؟

صبيحة سرتل أتت منذ وقت قريب الى بروصه لمعالجةالروماتيزم، وتلطفت بزيارتي . وقد وجدتها شابة جدا ومتحفزة جدا معنويا وبدنيا . انها ترسل لك تحياتها .

انا لا أتسلم رسائل من الرفاق في سينوب . لقد اكتفوا بارسال البضائع لي . وقد بعتها كلها . وسأرسل لهم المال . لكن لماذا لا يكتبون الي ؟

اذا كان عندك عنوان المحامي اسماعيل حقي فارسله لي فورا .

عندي رغبة شديدة في أن اراك ثانية . أرسل لي صورة . أنا لا أفوت أية فرصة هنا لأتحدث عنك الى سميك . اعتقد بأن « النموذج » الذي أجدت وصفه أكثر ما يمكن في حياتي ــ شفهيا ــ هو أنت ، وأن أفضل مستمع لي في هذا الحقل هو سميك . تحياتي الى الجميع . أعانقك يا أخي العزيز .

- ٦٨ -

كمـال ،

في هذه الرسـالة لن نتكلم الا على ساجيرديريه .

١ ــ قرات كل شيء دفعة واحدة ، ولم اشعر بالملل لحظة واحدة . بعد خمسين أو ستين صفحـة ، قراتها وقد نسيت انك انت الـذي كتبتها ، وحتى ان احدا ما قدكتبها .

آ ــ الشرطان اللازمان للرواية إذاً متوفران وقد مررت بتجربتهما.
ب ــ أهنئك يا عزيزي .

٢ ــ في الجزء المكتوب حتى الآن ــ بالرغم من مقطع الزفاف ولعبته « سنسنه » ــ هذا الكتاب ليس دراسة ولا وصفا للأخلاق والعادات. بل رواية تتسم بطابع الرواية النفسية .

آ ــ هذا حسن جدا . انها الشكل الاكثر صعوبة للرواية التيتعالج القرية والفلاح . لقد نجحت جيدا جدا .

ب ــ أهنئك أيها الأخ وأشكرك .

٣ ــ الشخصيات حقيقية بشكل عجيب . ان رجـل « ياموربن » يشبه كثيرا ذلك الشخص من « ياموربن » الذي كان معنا في تشنقيري، لكنه ليس هو تماما . وهذا لا يمنع « يامورينيك » من أن يكون حقيقيا مثل الآخـر .

آ ــ ان « حقيقية » كل الشخصيات ، حتى الاقل اهمية منها ، هي ما ينبغي البحث عنه قبل كل شيء في الرواية .

ب ــ لقد توصلت الى ذلك . برافو .

٤ ــ الحوارات ، نسبة العناية بالاسلوب « والعمق » والسخرية والحزن والفرح ، كلها محسوبة بعناية .

آ ــ فالرواية ــ حسب ما قرأت حتى الآن ــ تبنى على جدلية « الحوارات » وهذا صعب جدا . لقد نجحت هنا أيضا بشكل رائع .

ب ــ برافو ياعزيزي كمال .

٥ ــ بدا لي الزفاف فخما أكثر من اللازم . وقد يكون الشرح الذي تقدمه في ذيل الصفحة هو الذي يعطي هذا الانطباع . الغ هذا الشرح أو قلل من الفخامة . في رأيي ، من الافضل أن تترك كل شيء على حاله ، مع حوار قصير حول فخامة هذا الزفاف بحيث تقص علينا على لسان احدى الشخصيات ما تقوله لنا في الشرح . أعتقد ان ليس اعتراض آخر ، اذا اعتبرنا هذا اعتراضا .

٦ ــ بالرغم من أن كل صعوبات الرواية ، وهي صعوبات كبيرة ، قد جرى التغلب عليها حتى الآن ــ وبشكل بيضة كرستوف كولومب ــ فان ايقاع الرواية ، اذا بدا لك خفيفا نوعا ما ، فهذا :

آ ــ سببه المهارة التي يتغلب بها الكتاب على الصعوبات ، ولأنه اكتشف « طريقة بلع زيت الخروع ممزوجا بعصير الليمون » .

ب ــ في رأيي أن عظمة الرواية ستغدو واضحة عندما تتكون من ثلاثة أجزاء ، كما هو وارد في مخططك ، انما في كل واحد ، وعندما تمكن قراءة هذه الاجزاء الثلاثة في كتاب واحد .

٧ ــ لقد كتبت هنا رواية حقيقية، رواية صلبة ، حول سيكولوجية الفلاح ــ ربما كانت العقدة ، والمخطط قد بنيا لى ملمح واحد سميك ، أو على ملامح قليلة ، لكن هذا ليس مهما . لقد كان هذا ، أكرر ، من أحدث وأصعب ما ينبغي عمله عندنا . لقد توصلت الى ذلك فعلا ،

وفي تتمة الكتاب ، ستصل الى النصر عندما تزداد تعمقا ، أريـد أن اقول بانك ستصل الى عمق أكبر ، لأن الرواية ستزداد تطوراواتساعا والا فان شخصية الفـلاح الشاب من يامورين مثلا عميقة جـدا من البدايـة .

انك تقدم هنا عملا مهما لشعبنا ، لانصار التقدم في العالم أجمع .

ملاحظة : من المؤسف انك أهديتني الكتاب . لو اننا نشرناه الآن لما استطعنا أن نطبع هذا الاهداء . لكن في اليوم الذي سيظهر هـذا الكتاب بتوقيع كمـال طاهر سأطالب بما هـو حقي ، وعلى الصفحـة الاولى . أعانقك أيها الأخ .

- ٦٩ -

٤٢/١٢/٤

كمال ، يا أخي .

تسلمت رسالتك وكنت قلقا مرة اخرى . هنا أيضا لم يعد ثمـة بريد يومي . وبما انني أعرف هذا الآن ، فانني لن اقلق بعد اليـوم عندما تتأخر رسائلك ، على أن يكون تأخرا بسيطا فقط .

لقد أدهشتني حكاية راتب ، وانا افكـر في مختلف الاحتمالات ، وسوف نرى ما هي الحقيقة .

نوري طاهر والرفاق في سينوب لم يكتبوا لي منذ شهرين . غدا سأرسل برقية لهم ، فلدي بعض المال ــ ٣٨ ليرة ــ لهم ، ثمنا للبضائع التي بعتها لحسابهم .

اتت والدتي لقضاء اسبوع في بروصه ، وقد رسمت صورتين لي ، وخلال اسبوع كامل ، الأم وولدها ، هي ترسم وأنا أمامها ، نتخاصـم

دون انقطاع حـول فن الرسم . امي العزيزة تسافر بعد غد . انهـا تعانقك . سآخذ صورا ضوئية للوحتين لارسالهما اليك .

بعثت اليك البارحة بعشر ليرات . أخطرني عندما تصلك، وسأرسل لك عشرا اخرى خلال خمسة عشر يوما . يبدو أن ناجي سعد اللـه سيخرج من السجن هذه الأيام ، وحسب بعض الشائعات ، سيذهب فورا لأداء خدمته كجندي بسيط .

انا انتظر الجزء الثاني من ساجيرديريه ، كما لو كنت أنتظر بيرايه.

انا غارق منذ عشرين يوما في كسل امبراطوري مجيد ، فلـم أكتب خلالها سوى ثلاثمائة بيت جديد . سأعود الى العمل اعتبارا من يوم الأحد ، وقد يكون في استطاعتي أن ارسل اليك في بحر الأسبوع مقطعـا كاملا ، دون انتظار جوابك على هذه الرسالة .

هل أنت بحاجة الى حزام من الصوف ؟ عند الايجاب هل تريده اسود اللون أم رماديا غامقا ؟ اعلمني بذلك .

انك لن ترسل الي بعـد « عشـيق الليدي تشاترلي » ولا الكتب الأخـرى .

ان الجمعية الوطنية الكبرى قد أخرجت من السـجن ، بموجب عفو خاص ، طالبين قديمين في الكلية العسكرية ، رجعيين ، مطيعين بشكل أعمى متعصبين ، مجنونين يجب حجرهما ، كانا قد حرضا مدير الكلية وأساتذتها على الثورة بهدف اعادة سلطان هذا العالم ، وخليفة الكون الارضي ، على عرش العثمانيين الجليل ، وحكم عليهما ، تبعـا لذلك ، بالسجن لمدة عشرين سـنة لكل منهما ، بموجب هذه المـادة المخيفة رقم ٩٤ من قانون الجزاء العسكري . وقع هذا الحادث ، على ما يبدو لي ، منـذ ست سنوات . انا لا أكتب لك هذا لأغضبك بـل

لاضحكك ، حتى أنني لا أســـالك رايك في هــذه الكاية ، لأنني أعــرف ما هو وما سيكون ، لذلك لا تتعب نفسكِ بكتابته الي .

يحتاج رشيد كمالي لأقل من عشرة اشهر بقليل لكي ينهي سنواته الخمس . أنا سعيد جدا لأنني التقيته هنــا ، وضميري مرتاح لأنني قمت بواجبي تجاهه .

الى اللقاء يا عزيزي كمال . تحياتي الى أصدقائك ، وتحيات من أصدقائك . إني أعانقك .

– ٧٠ –

١٩٤٢/١٢/١٧

كمال ، يا اخي ،

تسلمت رسالتك للتو ، وهي احدى هذه الرسائل المفعمة باحتجاجاتك اللطيفة . انا احتفظ بكل رسائلك . هي ورسائل بيرايه . وهذا كل شيء في الأصل . وسأستخدمها قريبا . وكما ترى فقد أصبحت انسانا يفكر قبل كل شيء ــ وألفت انتباهك الى نسبية هذه « القبل كل شيء » ، بمهنته ككاتب . فمن اجل مصلحة مهنتي ، وبهدف تثبيت الواقع ، أنا استخدم في مخبري حتى رسائل زوجتي وأفضل أصدقائي . حتى ان رسالة نعمت في مقطع « المشاهد » الذي ارسلته لك منذ يومين ، هي صورة لرسالة كتبت فيما مضى من قبل امرأة لا تزال على قيــد الحيــاة .

لقد غادرت والدتي . ان ما قلته لي عنها هزني كثيرا .

من المحتمل أن تأتي بيرايه لرؤيتي .

كان كمال سولكر(٨٦) قد كتب الي بانهم أرسلو اليك اخاك راتب مع بعض الكتب والنظارات وثياب الخ . لذلك دهشت لعدم مجيئه وقلقت نوعا ما وأنا افكر بمختلف الاحتمالات السيئة . أرجو أن تخبرني فور وصوله حتى ولو لم يكن دورك في الكتابة الي ، فانا لا ازال دون اخبار من سينوب . انا قلق جدا بشأنهم .

كلفتنا وزارة التربية الوطنية ، زكي بشتيملر وانا ، بترجمة « الحرب والسلم » . سأبدا بعد الاعياد فورا بترجمة القسم الذي يخصني .

بعد الاعياد سأرسل الك عشر ليرات .

سيكون رشيد كمالي آخر « انجاز ـ فرد » لي ، آخر شخص حاولت أن اشذبه لاساعده على بناء نفسه . في هذا النوع من النشاط ، كنت انت نجاحي الكبير حتى الآن ، ولا يمكنك أن تتصور كم سأكون سعيدا لو توصل الى التشبه بك . لهذا السبب فانا أدقق كثيراً في قصائده ، كما كنت افعل في الماضي في قصصك ، حتى اكثر من ذلك ، لان الشعر هو المجال الذي اعرفه بشكل افضل ، وقد احرز رشيد تقدما كبيرا في وقت قصير . يمكن القول انه في هذه القفزة « غير الطبيعية » أحدث التراكم الكمي الناقص تأثيراً سلبيا على القفزة النوعية ، على التحول النوعي . عندما بدات العمل مع رشيد كان اقل استعدادا بكثير ، وأقل ثقافة مما كنت لديه انت في مرحلتك الأولى . لا تنسَ أنه كان أحد شعراء « ينني مكموا »(٧٨) . ثم أحرز تقدما مفاجئا ، خصوصاً من ناحية الشكل ، غير أنه لم يكن ، في قصائده خصوصاً ، مضمون يناسب هذا الشكل الذي يتقدم ، لان هذا النمو ، هذه الثورة في الشكل كانت اسرع من نموه من ناحية المضمون . انت تعرف السبب جيدا . لهذا لم يتمكن من ايجاد « صوت » خاص به ، لكنه سيكتشفه في النهاية حتما . أنا واثق من ذلك . أنه يتعرض حاليا لمعوقات النمو السريع جدا ، وهذا ما يجعلني

(٨٦) صحفي ونقابي .
(٨٧) مجلة دورية اسسها عام ١٩١٧ عالم الاجتماع ضيا غوكالب

أجد في قصـــائده نضجاً قليـــلاً حتى الآن ، فأنـــا أعرف جيـــداً كيف يكتب كل واحدة من قصائده ـ وحتى تلك التي تعجبك كثيرا ـ وتحت اي تأثير وبتقليد من وماذا (هذا التقليد ليس واعيا ، انه نتيجة هـــذا النمو) ونحن نتحدث معه بكل هذا . عندما يقرأ ما أكتبه لك هنا سيجد فيه احاديثنا المعتادة بصيغ مقننة اكثر قليلا . ماذا تريد يا كمال ، ان الشعر في رأيي أداة عجيبة ويرتب مسؤولية كبيرة ـ وأعتقد أن كل عامل يفكر هكذا بالاداة التي يستعملها ـ لدرجة انني مقتنع بان الانسان الذي يكرس حياته للشعر مضطر للوصول الى مرحلة أعلى من مرحلة « الشاعر الشاب » ومختلفة نوعيا . ففي ما يتعلق بالقصة ، وحتى بالرواية ، يمكن ان يكون الانسان كاتبا ، روائيا وسطا ، لكن الشاعر اما أن يكون شاعرا او لا يكون ، ليس ثمة خيار آخر ، وهذا يتأتى من طبيعة الاداة التي يستخدمها . قد اكون مخطئا ، وقد يكون هذا « شعور المهنة » لدي أو « كبرياء المهنة » التي تعبر عن نفسها بتقدير نزق مبالغ فيه للعمل الذي نقوم به ، اقتضته الشروط الحالية لتقسيم العمل ، لكن هذا هو رأيي فعلا ، وانا فعلاً قاس جداً على قصائد رشيد .

انتظر ساجيرديريه بفارغ الصبر . لقد قطع هذا الكتاب صلاتك معي ، وانا اتابعك بالنظر ، بخوف وفخر ، كطير اطلق صغيره الى الفضاء الواســع .

سأقوم فورا بتصوير اللوحات التي رسمتها والدتي . حتى اني كنت عازما على ذلك اليوم ، لكن الورق نفد من مصورنا .

رشد كمالي ، الجالس أمامي ، يدرس الفرنسية بجد . وهو يحاول أن يترجم سطرا سطرا « المادية التاريخية » لبوخارين . لقد وعدني بتحقيق تقدم نسبته ستين بالمائــة في الفرنسية من الآن حتــى نهاية « مسجونيته » التي تبقى منها تسعة اشهر .

صديقك « امين الذي مـــن سارير » يســـألني دون انقطاع كيف ستنتهي ساجيرديريه ، وهو يرسل لك مودته .

لا اخبار من حكمت . لقد احتاجني وكتب الي . فأجبته . ولم أتلق جوابا . انا أشفق عليه بشدة . يا له من صراع بين قلبه وعقله . ان عقله يأمره بأن يكون رجلا متصلا بالجماهير ، بالناس ، وقلبه وحيد . انه انسان لوحده ، انسان وحيد .

اعتقد بانني سأستطيع ارسال مقطع من « المشاهد » في بحر هذا الاسبوع . أخبرني ما اذا كنت قد تسلمت كل ما أرسلته لك هذا الاسبوع .

هنا ، ليس ثمة ثلج عندنا ، بعض التجمدات البيضاء فقط . كيف هو الطقس عندكم هناك ؟ أنت الذي تبرد كثيرا .

كل تحياتي الى زملائك في الزنزانة وأصدقائك . بشوق

اكتب الي ما أن تصلك اخبار من سينوب .

- ٧١ -

٤٢/١٢/٣٠

كمال طاهر ، يا أخي ،

تسلمت الرسالة التي بعثت بها الي بين بريدين . وهذا يعني أن لديك رسالة لم تجب عليها بعد . ارسلت برقية الى سينوب ، « نحن بصحة جيدة ، الرسالة تلي » ، هكذا كان الجواب . تسلمت بطاقةتمنيات من راتب طاهر . وقد دهشت كثيرا لأنه لم يأت لرؤياك ، سأحاول أن أعرف السبب ، في أول فرصة . ينبغي الا تتسرع في أحكامك ، حتى عند اليقين ، وخصوصاً في امورك الشخصية ، من الممكن الا يكون أخوك قد أصبح سيئا الى الدرجة التي تعتقدها . وحتى في هذه الحالة — اذا لم يكن ثمة ما هو متصل بالسياسة — أليس من الضروري أن نناضل حتى النهاية ؟

شكرا على كل ما قلته لي عن كتابي . سأغير كلمة «ماوزر » الى « بندقية ذات خمس طلقات » . وفي الحوار موضوع البحث ، سأجعل شخصية أخرى تتكلم . أنا بانتظار القصائد التي سترسلها الي .

تاجي سعد الله ليس جنديا . انه في الاناضول ، في زيارة صديق .

أرسلت لك للتو عشر ليرات . سيكون بامكاني ، من الآن فصاعدا ، أن ارسل لك بعض المال كل شهر ، بصورة أكثر انتظاما . سأبعث لك بخمس عشرة ليرة أيضا خلال يوم أو يومين . لقد وجدت بعض العمل . وليس في العالم غير شخصين ــ بيرايه ــ وأنت ــ أجدني الآن مضطرا لارسال المال اليهما ، وأنت لا تملك الحق أكثر من بيرايه في أن تكتب الي حماقات من نوع : « أنا عبء عليك » . فالآن ، أنا الذي وجدت طريقة لكسب المال وغدا سيكون دورك ، وبعد غد دورها ، لا تكتب إذاً بعد الآن هذا النوع من البلاهة .

كلفتنا وزارة التربية الوطنية ، زكي باشتيمار وأنا ، بترجمة « الحرب والسلم » . ينبغي علينا أن نسلم الجــزء الأول ــ الكتاب من أربعة أجزاء ــ في شهر نيسان ، وسيتم الدفع لنا فورا بعد ذلك . من جهتي سأقوم بترجمة آخر ٢٤٠ صفحة من الجزء الأول . في اليوم الثاني لعام ١٩٤٣ سأبدأ بالعمل لكن بما انهم يطلبون أن تكون المخطوطة مطبوعة على الآلة الكاتبة ، فأنا في سبيل البحث عن آلة عتيقة أدفع ثمنها بأقســاط شــهرية .

أنا مرسل لك صورة احدى اللوحتين اللتين رسمتهما لي والدتي . ان الاصل ناجح حقا ، لكن هذه الصورة الفورية شوهت الوجه وأضاعت تناسق الالوان .

رشيد كمالي إليك أيضاً بعض القصائد . لقد اعجبتني احداهــا بصورة خصوصية ، وسوف نرى أيا منها ستفضل أنت .

اليك بنبأ سيء : سميّك لا يعمل في دراسة اللغة الفرنسية بالقدر المتوجب عليه ، مثل واجب ، مثل معركة متاريس . انا اشكو منه إذاً في ما يتعلق بالفرنسية ، وليس لدي شيء آخر أؤاخذه عليه . خلال هاتين السنتين اللتين عشناهما جنبا الى جنب ، اظهر لي دوما صداقة أخوية .

كتبت ثلاثمائة بيت « للمشاهد » . سأكون قد كتبت ألف بيت بعد أسبوع ، وسأرسلها لك جميعها .

انتظر « ساجيرديريه » بفارغ الصبر . لم أتسلم قصة ليدي تشاترلي . بالمناسبة ، لقد ترجمت الى التركية ، لكنني أتساءل كيف ، كاملة أم حذفت منها بعض المقاطع ؟

بيرايه لم تصل بعد . أنت حاضر في كل رسائلنا .

لك التحيات من الاصدقاء والمعارف .

تحياتي الى أصدقائك . أقبلك بين حاجبيك المقطبين دائما ، أيها الأخ .

- ٧٢ -

كمال ،

وعدتك آخر مرة ، أن ارسل اليك « المشاهد » بين رسالتين ، وكما ترى ، ها انا أفي بوعدي .

ما هو عمرك : رشيد كمالي يريد أن يعرف ذلك .

لا أزال دون أخبار من سينوب . أكاد أنفجر غضبا .

هل اتى راتب لرؤيتك ؟

هذه ليست رسالة بل نوعا من برقية . سأكون مسرورا جدا لـو أجبتني ، باعثا برأيك في المقطع الذي أرسله اليك ، بين رسالتين أيضا .
بشــوق .

- ٧٣ -

كمال ، أيها الاخ ،

تسلمت الرسالة / السخرة والرسالة التالية . لدي الكثير مـن الاشياء التي ينبغي ان اقصها عليك . فلنبدأ بشكل منتظم :

حضرت بيرايه ، وقد هطل الثلج يوم وصولها . قضت خمسة أيام وخمس ليالي في غرفة صغيرة في الفندق ، باردة ، جدرانها مخربة ، ثم سافرت . تحدثنا عنك . لقد قرأت « ساجيرديريه » وأخذتها معها مصرحة بأنها ستقرؤها لأولادها . سألتها يوم سفرها كيف وجدت كتابك .
« رائعا » كان جوابها .

أحضرت اليهـا كذلك أحـدث قصائد رشـيد ، فأعجبتها ثلاث قصائد منها .

انتظر بانفعال ـــ خصوصاً بعد هذه الرسالة ـــ نهاية ساجيرديريه .

بدأت في ترجمة تولستوي . وقد فكرت طيلة أسبوع كامل في الاسلوب الذي ينبغي استخدامه في الترجمة . وتوصلت الى بعض الخلاصات . لكنني اذا وضعتها موضع التطبيق فثمة احتمالان : ١ ـــ لن أستطيع تسليم الترجمة في الوقت المحدد لأنه سيكون علي أن أعمل بشكل شاق . فاذا طبقت كيفما اتفق الخلاصات التي توصلت اليها سأتمكن من ترجمة سبع صفحات على الأكثر في الإسبوع ، أتلاحظ هذا ؟ سيكون من الصعب علي أن أجعل مكتب الترجمة في وزارة التربية الوطنية يقدر حق التقدير تجربة « أسلوبية » من هذا النوع .

لهذا قررت أن أترجم تولستوي بأسلوب الآباء ، هذا الاسلوب الذي يخضع **بناء الجملة** ، عند كبار الكتاب ، الى بناء الجملة التركية القذرة المسماة أدبية ، « كتبية » ، وهي الطريقة التي تجعل عندنا أسلوب كاتب مثل تولستوي (خصوصاً من ناحية بناء الجملة) مماثلا تماما لأسلوب كاتب مثل موباسان .

والآن سأقول لك باختصار ما هي الخلاصات التي توصلت اليها :

١ . ــ لدينا لغة تركية « كتبية » . يخيل الي أن هذه اللغة ولدت بعد مرحلة الاصلاحات : إذا حكمنا عليها وفق الترتيب الذي تتخذه عناصر بناء الجملة . (الفعل ، الفاعل ، المفعول ، الصفة ، الجملة المضافة) . فعند أفليا شلبي وكتاب المحليات القدماء ، يختلف بناء الجملة اختلافا كلياً ، وهو أكثر حداثة ، من هذه الناحية ، من بناء الجملة في النثر الحالي .

٢ . ــ عندنا ، إذا بنيت الجملة على هذا الشكل : « طاب يومكم قال كمال الذي خلع قبعته » تصبح بيت شعر (خاصة بالنسبة للشعراء الذين لا يستخدمون الوزن الكلاسيكي) . لكنك إذا قلت : « خلع كمال قبعته وقال طاب يومكم » تصبح نثرا . هل ترى كم هو سخيف كل هذا ؟ « البيت » و « الجملة » يتمايزان أيضاً ببناء مجموعة الجمل . وهذا الشيء النابي ليس موجودا في اللغات الأخرى . نحن إذاً نقول ابياتا من الشعر بصورة مستمرة عندما نتكلم ، خاصة الشعب . من أين تأتي هذه الازدواجية ؟ من أن اللغة المحكية عندنا متحركة ، ملونة ، حية . لكن نثرنا مصطنع بشكل غريب ، محشو بالقواعد . لهذا فان « البيت »، أراد ذلك أم لا ، مضطر لأن يأخذ ، كنموذج ، اللغة الحية التي تتحرك .

٣ . ــ في بناء جملتنا المسماة أدبية ، عندما نحاول التعبير عن علم النفس ، عن الكلام ، عن الحركة بواسطة التعليقات ، في جملة طويلة ، نحصل على حشو ركيك صعب على الفهم .

٤ . ـ منذ عدة سنوات ، قامت محاولة لقلب ترتيب الفعل والفاعل والعناصر الاخرى في الجملة . لكن هـذا البناء أخـذ شكل « تركية سالونيك » وأنجزه نهائيا كراكورت .

لقد شعرت بهذه الصعوبة في « المشاهد » أيضا ، فاضطررت الى استخدام الجمل بين قوسين أو خطين ، مع مختلف الامكانيات التي تقدمها . وبما انه لم يعترض احد بين كل الذين قرؤوا هذه القصائد ، فهذا يعني أنني نجحت . لكن ما هو سهل في الشعر ـ للأسباب التي بينتها لك أعـلاه ـ يصطدم في النثر ، وللأسباب ذاتهـا ، والعادات الموروثة ، بحذر عميق . ولكي نتغلب على هذا الحذر ، نحن بحاجة الى عمل كبير لا غنىعنه .

سأعطيك مثلا لترجمتي لتولستوي ..

....

ابعث إليك برسالة أمين . تحياتي الى كل الاصدقاء . بشوق .

- ٧٤ -

كمال طاهر ،

في هذا اليوم الواقع في ١٩٤٣/١/٢٥ ، الساعة الحادية عشـرة صباحا ، تسلمت الكتاب الثاني من ساجيرديريه ، وأتممت قراءته في الساعة الرابعة بعد الظهر . هذا يعني أنني أخذت بحبكة القصة كما حدث في الكتاب الأول . من وجهة النظر هذه ، لقد نجح الجزء الثاني إذاً . وتماما كالجزء الأول ، لقد نجح الثاني أيضا فيما يتعلق بالشخصيات وسير الاحداث . لكن من الضروري جداً أن تضيف الى هذا الجزء الثاني ملامح أخرى لشخصيات وحياة القرية . أريد أن أقول بأن غراميات مصطفى والخصائص السيكولوجية المتصلة بهذه الغراميات ، والتفاصيل

المقدمة عن القرية ، لا تكفي لتجعل من هذا الكتاب الجزء الثاني للرواية . سأسرد لك بعض العناصر التي أفكر بها في هذه اللحظة ، والتي لا بد من اضافتها الى هذا الجزء الثاني : الولادة ، الموت ، التعب ، العلاقات مع الدولة ، (مع الطبيب البيطري مثلا) . أعني انه في هذا الجزء الثاني ، يجب أن توصف المعضلات الانسانية – غير الجنسية بالقوة نفسها – على الاقل – التي وصفت بها علاقات الرجال بالنساء . وإلا حصلنا على الانطباع بأن الناس في الريف لا يفكرون إلا في الحب ولا يفعلون غير ذلك ، وهذا لأنك تصفه بصورة حقيقية جداً وبقوة ، في حين انه لا بد لك من أن تبين لنا ردود الفعل عند مصطفى ووحيد واسماعيل أمام الاحداث الأخرى . من هذه الناحية ، كان الجزء الأول أكثر نضجا بكثير .

في الروايات المبنية على صفة جوهرية واحدة – روايات بيرل باك مثلا – ورواياتك تندرج في هذه الفئة لأن لها نموذجا رئيسيا وهذا ليس عيبا – من الضروري ان نرى بطل أو أبطال الرواية – لأن الأساسي هنا هو البطل – أمام أحداث مختلفة ، لكنها متعادلة في الاهمية. وهذا بلاشك هو أحد الفروق بين الروايات ذات الشخصية الرئيسية الواحدة ، أي المبنية على خط جوهري واحد ، مثل بعض روايات تولستوي ، وبين الروايات حيث يقوم واحد مثل عزت محمد كراكورت أو السيدة لا أدري من ، بالشيء نفسه بطريقة فظة وغبية . تستطيع انت ان تجتاز ذلك بسهولة ، حينئذ يكون الجزء الثاني لائقا بالاول وكبيرا مثله . ينبغي أن اسجل ايضا انك في هذا الجزء الثاني قد حققت تقدما ضخما كروائي : ان حادثة فتح الحقيبة اعجوبة ، والمقاطع من هذا النوع ليست نادرة في الرواية . إن تكوّن الأحداث جيد أيضا : في حادثة البيض المكسور ، كان موقف مريم رائعا . ثمة ايضا «ضربات ريشة رسام» من المستوى نفسه .

ملاحظة اخرى ايضا : قصة التعويذة هذه غير مفيدة ، كأنها تكرار لحكاية عظمة الوطواط . فالشيخ يستطيع تماما ان يدفع مصطفى العمل

دون تعويذة ، دون اللجوء الى هذه الحبكة . وبعد ، يخبل الي بأن ردود الفعل السيكولوجيةعند اسماعيل الاعرج والملاحظات التي تثيرها عاهته عنده تتكرر بكثرة نوعا ما .

كل هـذه العيوب سهلة التصحيح ، ويجب ألا تفقـد الشجاعة خصوصاً ، لأنك في سبيل انجاز شيء مهم ، وستنجح فيه بسهولة لأنك على الطريق الصحيحة . وخصوصاً لاتترك الصعوبات تتغلب عليك .

الخلاصة : انا مرتاح للجزء الثاني وانتظر الثالث بفارغ الصبر . لايزال تدارك الثغرات التي تحدثت عنها اعلاه ممكنا بجمع الجزئين الثاني والثالث في واحد . سنرى هذا بعد قراءة الجزء الثالث .

انت مدين لنا بجواب على رسالتنا الاخيرة .

أنا منزعج : لدي كتابان للترجمة . احدهما هو رواية تولستوي وانت تعرف ذلك ، والآخر هو « بؤس الفلسفة » . أنا اعمل دون انقطاع في الترجمتين ، لكن بعد ترجمة سطر أو سطرين اترك الكل . أنا مشلول « بتدقيقية » رهيبة . والنتيجة : العمل لا يتقدم . ثم انني لا أتمكن من العمل في « المشاهد » . واشبه أكثر فأكثر حمار بوريدان . لكنني اعرف جيدا سبب هذا الكسل وهذا الغباء : هو الفرح الذي يحدث لدي دائما التأثير نفسه . أنا أعمل جيدا عندما اكون غاضبا جدا ، كأنما الصعاب والتعقيدات تحفزني . أما في أفراحي الكبرى فإني أصاب بالشلل ولا أعود اهتم لشيء ، الا لسبب هذه الافراح لهذا استمع الى المذياع حتى الواحدة أو الثانية صباحا . لقد فقد نومي من جديد كل انتظام واصبحت عاجزا عن الاهتمام بأي شيء بصورة جدية ، الا بفرحي ، الا انني سأتمالك نفسي في النهاية .

أرسـل الي أحمـد أمين يالمـان(٨٨) ، صـاحب « وطن » ، أحد

(٨٨) أحمد أمين يالمـان صحفي .

محرريه ليخبرني بأنه يريد شراء « ملحمة المشاهد » مني لنشرهـا في صحيفته . لم استطع قبول أو رفض هذا النشر فورا بالرغم من انه قد يقدم ميزات كبيرة ، انما مشاكل خطرة ايضا . طلبت مهلة للتفكير ، وانا أفكر بالامر ، فكر به أنت أيضا وأكتب لي رأيك .

ابعث اليك بحوالي أربعمائة بيت من « المشاهد » .

تحدثت اليك بتفاصيل أكثر في رسالتي الأخيرة . لقد أتت بيرايـه لرؤيتي وسافرت ، آخذة معها الجزء الاول مـن ساجيرديريه لتقرأه لاولادهـا .

بعد صمت طويل تسلمت اخيرا جوابا من حكمت . لقد اعطاني رقم ملف « نوديه »(٨٩) وطلب الي العثور على شخص ما في انقـره لمتابعـة القضية . لقد فعلت مابوسعي لمساعدته ، لكنني لاأعرف مطلقا مـاذا ستكون النتيجة .

لك رسالة من امين ـ الذي ـ من ـ سارير ارسلها لك هنا . كان ينبغي أن أرسلها اليك في المرة الأخيرة لكن لم يبق مكان في المغلف ، وأعتقد انني حشوت فيه خطأ قصاصة ورق . سأرسل لك بعض المال قريبا .

تحياتي الى كل الذين يسألونك عن اخباري . لك التحيات مـن أصدقائك هنا . رشيد كمالي يعانقك ، ويرسل لك احدى قصائده .

« عشيق الليدي تشاترلي » لم تصل بعد .

أين هو كتاب غوركي والأبله ، هل هما عندك أم عند الرفاق في سينوب ؟ لاتنس ان تكتب لي عن ذلك . هذه الكتب ليسـت ملكنـا وصاحبها يطالب بها .

---

(٨٩) انظر الحاشية رقم ١٠ .

اعانقك بشوق .

آمل أن أكون الى جانبك عندما تضع منتصراً رقم الصفحة ٥٥٨ ، وسأطبع على جبينك قبلة رنانة .

- ٧٥ -

٤٣/٢/٢

عزيزي كمال طاهر ،

تسلمت رسالتك البارحة واجيبك فورا . يجب ان تكون قد وصلتك رسالة لم اتسلم جوابا عليها بعد . حوالي الاربعمائة بيت من « المشاهد » ورسالة أمين ــ الذي ــ من ــ سراير . كل هذا ينتظر اجوبة .

اذا لم تكن قد تسلمت بعد العشر ليرات، فانه أمر مزعج ، خصوصاً واني بالغ التعاسة لعلمي بأنك مفلس . لكن ، اعتبارا من الشهر القادم ، سأجتهد لكي أرسل لك بانتظام ١٥ ليرة كل شهر .

سأرسل لك ايضا ، في الفرصة الاولى ، احدى اللوحات التي رسمتها والدتي لي ، اكتفي الآن بارسال صورتي مع رشيد ، التي ابدو فيها بشاربي الصينيين ، وعلى معطفي ياقة الفروالعائدة لمعطف والدتيالقديم .

لا أخبار من الرفاق في سينوب . كنت قد بعثت لهم بأربعين ليرة لقاء بضائعهم ، وبالرغم من أنني طلبت أن يخبروني ما اذا تسلموا هذا المبلغ أم لا ، لكي أرسل لهم قيمة المبيع الأخير ، فانهم لم يجيبوني بعد . هل وصل هذا المبلغ؟لاأدري . وأتساءل ماذا علي أن افعل . هؤلاء الشبان لطفاء جدا لكنهم متعبون .

لقد عدلت عن نشر الملحمة .

أنا أعمل بجهد في ترجماتي والنتيجة ليست كما ابتغي . ولكي بكون الأمر كما اريد يجب أن أعمل في صفحة واحدة ، صفحة واحدة في اليوم ، والشروط لاتسمح بذلك . ومع هذا فاني آمل ان الترجمة ستكون افضل مماترجم حتى الآن. كمال، بحق السماء ،لا تقرر انهاء خاتمة ساجيرديريه، فبامكانك ان تحشر فيها ، انا لا ادري ، مرضا مثلا أو وباء ينقض على القرية . أرجوك يا اخي ، قليلا من المثابرة ، تابع العمل . ان ساجيرديريه تستحق ان تصبح رائعة صغيرة ، وسيكون من الاجرام ان تختار الطريق السهلة .

هل لديك اخبار من راتب ؟ وهل تسلمت الكتب التي ارسلها لك سولكر ؟ أين هو « عشيق الليدي تشاترلي ؟ »

بلغني ان كريم سعدي وزوجته ودينو وبوز محمد وآخرون ايضا قد أرسلوا الى الاقامة الجبرية ، بصورة منفصلة ، حتى كريم وزوجته ، في زوايا متفرقة من الاناضول . هذا ليس سيئا من وجهة نظر معينة . ستكون لديهم الفرصة للتعرف على بلادهم بشكل افضل .

ذراعي تؤلمني جدا ، واعتقد ان سبب ذلك هو كثرة عملي في الترجمة. أعانقك بشوق . كل الاصدقاء يرسلون لك تحياتهم ، وعلى رأسهم رشيد.

- ٧٦ -

كمال ، ايها الاخ ،

أرسلت لك منذ أربعة أو خمسة أيام حوالة بخمس عشرة ليرة ، أخبرني اذا تسلمت الكل فأنت لا تحدثني عن الحوالة الأخرى .

أعطينا بنطالك الى الخياط . انه من الصوف ، لكن يمكنك ارتداؤه في الصيف أيضا . قميصك جاهز منذ زمن . اعتقد بأنني سأتمكن من

ارسال الكل بالبريد خلال بضعة ايام . لدي أيضا شيء أقوله لك بشأن مسألة « النموذج » .

لديك انطباع بأنني أنكر الدور النشيط للكاتب . كلا مطلقا . انني لم أنكر قط دور التركيب والتصنيف والبناء وحتى الخلق للكاتب . لكنني لا أرى الفرق بين بلزاك وزولا مثلما تراه أنت أبدا . ان الناحية الضعيفة عند زولا ، عندما نقارنه ببلزاك ، هي ذاتيته البرجوازية الصغيرة ، أي ان زولا ، من هذه الناحية ، أكثر نشاطا . ولأن هذا النشاط يزيد من بروز الناحية البرجوازية الصغيرة لديه ويجنبه موضوعية بلزاك « الرجعية » فانه أقل واقعية من بلزاك ، ثم إنه يخيل الي أن شخصيات بلزاك ليست مطلقا ما تسميه « بالنماذج التركيبية » . حسنا ، ليس هذا مهما ، لاننا لو تابعنا النقاش في هذا الموضوع لغرقنا في نوع من السكولاستيكية . الخط الرئيسي ، نحن نعرفه ، عاشت الممارسة ، التي تتيح تحقق التفاصيل ، وتحدد جدلية تطبيق الخط الرئيسي .

لنأمل أن يتحقق مشروع عملك في المعمل . فكرت في ذلك طويلا وفهمت أنني لن أستطيع مساعدتك للأسف .

انا أتابع الصراع مع هذه الترجمة اللعينة واكسر رأسي واعاند . لقد ضجرت منها لدرجة أنني لن أقوم بالترجمة بعد اليوم .

لو تعلم أية حماقة ارتكبت . لقد أرسلت الى سينوب الرسالة التي كتبتها الى بيرايه ، والى بيرايه الرسالة التي كتبتها الى الرفاق في سينوب . لا تستطيع أن تتصور كم ازعجتني هذه الحكاية .

كنت قد تحدثت عن روايتك وعن قصتك الى كمال سولكر وضباحات الدين علي . وقد أخذ كمال سولكر الاثنتين معه ويحاول أن يوظفهما في مكان ما . لكنني لم أقارنك بغوركي أبدا . والحال ، أن

المقارنات من هذا النوع تثير أعصابي . ان كمال طاهر هو كمال طاهر وغوركي هو غوركي . ان غوركي يمكن ان يكون كاتبا كبيرا لكن مقارنة كمال طاهر به لاتجعل هذا الاخير أكثر كبرا ، بل على العكس تجعله مثيرا للضحك نوعا ما ، في حين أن كمال طاهر كاتب ليس فيه ما يضحك ، وممتلىء بالوعود الرائعة .

أود كثيرا ان انهي هذه الترجمة ومن ثم « المشاهد » ، لأبدا روايتي بهدوء .

بدأ صباحات الدين علي رواية كبيرة . وقد قص علي موضوعها وفكرتها الرئيسية . سيكون شيئا مهما أن يتوصل الى انجازها . لن اقول لك ما هو الموضوع لأنني أخشى أن يؤثر ذلك عليك ، أو لا أدري ، ببساطة لأنني لا أرغب في ذلك ، أو على الأرجح كنت أفضل الا أعرف شيئا عن ذلك ، أنا نفسي ، حتى أتمتع بسرور المفاجأة كقارىء عادي .

رشيد يعمل دون توقف وايماني به يزداد يوما فيوما . وكما كتبت لك سابقا ، ما أخشاه لديه ليس انعدام المقدرة والاستمرار بل هبوط الارادة وعدم استجابة أعصابه . اذا استطاع أن يحسن استخدام ارادته واعصابه ، سارت الأمور على ما يرام . الحظ متوفر له : بعد شهرين تماما يكون قد خرج من السجن .

أعانقكم جميعا أيها الأخ .

بيرايه ترسل لك مودتها . هي نفسها أيضا تنساق وراء أحلام هذا العفو . أما أنا « فتشاؤمي » معروف جيدا ، وأنا افكر ، من وقت لآخر ، بالعفو ، واقول لنفسي سيكون هذا طيبا ، ثم أنسى كل شيء ، وانشغل بأعمالي قائلا لنفسي لن يكون ثمة عفو أبدا . اذا حصل هذا فهو أفضل ، والا فان عملي لن يتأثر بذلك .

الى اللقاء ، أعانقك مرة أخرى .

- ٧٧ -

كمال ، ايها الأخ ،

قرات بسرور رسالتك التي تفيض غضبا . والحال ، انني أحببت دائما ساعات غضبك ، وقد فتنني ما تقوله لي بشأن ساجيرديريه وروايتك القادمة .

أنا اعمل في ترجمتي ثماني ساعات في اليوم ، حتى يتوقف عقلي عن العمل . طبعا ، ان هذا الأمر لا يسير على ما أريد .

قيل لنا بأن ناجي يمضي وقته بالشراب ، لا أدري أين ، وأنه مثقل بالديون ، بالاضافة الى مشاكله مع خدمة العلم . باختصار ، أنه في وضع يدعو الى الرثاء ، وقد آلمني هذا كثيرا .

أرسلت لك البارحة عشر ليرات . وعليك اخطاري عند تسلمها . سينقصنا المال خلال شهر أو شهرين ثم تتحسن الحال عندما أقبض أجور هذه الترجمة . أصابت الضريبة الاستثنائية خالتي أيضا فهي منذ شهرين لم ترسل لي فلسا واحدا .

سأرسل لك خلال يوم أو يومين احدى لوحات صورتي . لكن بما أنني تركت شاربي ينموان وقررت الاحتفاظ بهما لأن بيرايه تريد ذلك ، فان هذه اللوحة لم تعد تشبهني مطلقا .

لا يمكنك أن تتصور كم أرغب في العودة الى العمل في « المشاهد » بعد الانتهاء من هذه الترجمة .

أنا سعيد لأن المحكومة بالاعدام لا تزال تعيش ، وأتمنى الا يصيبها مكروه . أكتب الي وأعطني التفاصيل عن دعواها .

لقد نقلنا تحيـات رئيس حرسك ، انهم يرسلون تحياتهم اليـه ويذكرونـه بامتنان .

رشيد كمالي يعمل في دراسة اللغة الفرنسية بجهد ويحقق تقدما ملموسا . أنا مسرور منه في ما يتعلق بالفرنسية .

كان الطقس جميلا منذ بضعة أيام لكنه بدأ يميل الى البرودة بعد ظهر اليوم . في هذه اللحظة بالذات أصابعي تتجمد على أزرار الحروف ، ففكر في حالتها كيف تكون . لكنها ، دون شك ، لم تعد تشعر بالبرد .

يكلف كيلو اللحم هنا ٢٠٠ قرشا ، والزبدة ٤٠٠ أو ٤٥٠ والبطاطا أكثر من ٣٥ ، الفاصولياء اليابسة ٧٥ ، والرز والزيت ١٦٠ والملفوف لا يمكن الاقتراب منه .

ثم ان البيضة تكلف ٧،٥ قرشا .

لا تنس بأن تقص علي ما سيقوله لك راتب .

أرغب في أن أكتب الشعر ، انما قصائد مختلفة تماما ، نقيضـة « للمشاهد » ، أشياء غنائيـة ، ناعمة ، سارة ، مليئـة « بالأحـلام الشاعرية » كما كنا نقول في الماضي . مع مرور السنين ، افهم بشكل أفضل ، أفهم بشجاعة أن الشعر الغنائي السليم ، الممتلىء أملا ، حتى الذي يشوبه قليل من الحزن ، ضروري للناس . ان الحذر منه واحتقاره هو مرض طفولي يساري . لكن هذه الترجمة اللعينة تقيد ذراعي ويدي لمدة شهر آخر . سأعترف لك بشيء ، يا كمال ، أنا لا أحب الترجمة ، حتى ان هذا العمل يغيظني .

سأحاول ان أحصل على كتب لأرسل لك بعضا منها .

ارفق برسالتي وجهي ذا الشاربين . لن تستطيع بعد الآن الادعاء بأن لي وجه طفل ، حاول أن تفهم هذه السحنة بحق الاله ! أعانقك . تحيات من الذين يحبونك ، وتحيات الى الذين يحبونك .

- ٧٨ -

عزيزي كمال طاهر ،

قبل كل شيء ، يجب أن أعلن لك بأنني اكتب هذه الأسطر على آلتي الكاتبة الخاصة ، فأنا أملك الآن آلة كاتبة موديل ١٩١٣ ، تزن نصف طن ، ويدفع ثمنها في المستقبل . وقد اقتضى الأمر أن أشتري هذه « الخردة » لأن وزارة التربية الوطنية تطلب أن تطبع ترجمة تولستوي على الآلة الكاتبة . لكني ، على كل حال ، مسرور جدا من آلتي هذه ، فاذا لم أتمكن من دفع ثمنها فأنا أستطيع دائما أن أبيعها ولو خسرت بذلك بضع ليرات ، وأحافظ على شرفي ، حسبنا يكفي كلاما على الآلة .

إنك لا تستطيع أن تعرف مدى نفاد الصبر الذي أنتظر به نهاية ساجيرديريه . ما تقوله في رسالتك معقول جدا . فمن الصحيح أن الحياة في القرية رتيبة جدا في الشتاء ، لكن غراميات بطلنا مصطفى على قدر من الحيويةواثارة الاهتمام لا نشعر معهما بهذه الرتابة. أما ما أخشاه أنا فهو أن تقع في الخطأ المقابل تماما لذلك الذي وقع فيه يعقوب قادري في « يابان » . كل شيء عنده قاتم ، وعندك كل شيء منير . لكن لننتظر النهاية .

اضطررت لايقاف العمل في « المشاهد » ، لأن الترجمة تأخذ كل يومي وترهقني . لا أعرف أن اعبر لك عن مقدار سعادتي عندما قرأت ما كتبته عن منظر السهوب في المقطع الاخير . كان يخيل الي جيدا أن هذا المقطع هو الوصف الاكثر نجاحا في كل ما كتبته حتى الآن ، لكنني

كنت اخشى أن يكون هذا شعورا أو حكما ذاتيا . لهذا فاني سعيد جدا لأن هذا المقطع قد اجتاز التجربة بنجاح . ما تقوله بشأن الفلاح الجالس على حماره ينبغي أن يكون صحيحا . فقد كنت قد اخترت هذه الصورة للفلاح الذي يغني على حماره الاعرج لتتناقض مع واقعية اللوحة في السهوب ، ولكني أرى بأنني لم أنجح . سأغير كل هذا .

ماذا جرى « لعشيق الليدي تشاترلي » ؟ تسلمت رسالة من سينوب . كمية كبيرة من الثرثرة ، وعدم اكتراث واهمال مخيفان لشؤونهم الخاصة . أنت تعلم بأنني أهتم هنا قليلا بهذه الشؤون . لذلك فقد وبختهم ولو تعرف كيف !

بيرايه تطلب مني الجزء الثاني . هل أستطيع ان أرسله لها ؟

تسلمت رسالتك التي تتحدث فيها عن مسألة الاسلوب ، وقد تسلمت جوابي دون شك . ان رواية تاريخية أرفع من « الحرب والسلم » لم تكتب بعد .

رشيد كمالي يدرس اللغة الفرنسية بجد كبير وهذا ما يسرني جدا . سأشعر براحة أكثر لو أعدته الى بيته بعد أن أكون قد جعلته يحرز تقدما كبيرا .

اعجبتني المقالة عن جمال طاهر(٩٠) كثيرا . لكن امتياز كتابة المقالة النقدية الاولى عن كمال طاهر لايزال من حقي دائما .

ما هي أخبار المحكومة بالاعدام ؟ لا تنس ، خصوصا يا كمال ، أن تحيطني بوضعها . كلا أنا لا أبيع « الملحمة » .

أن تكتب على الآلة الكاتبة ، فهذا رائع . ان وسيلة الإنتاج الوحيدة التى أبرر ملكيتها الخاصة في نظري ، هي الآلة الكاتبة .

---

(٩٠) لقب آخر لكمال طاهر .

هل عندك أخبار من راتب ؟ أعانقك بشوق . التحيات والمودة من كل الاصدقاء .

- ٧٩ -

كمال ، أيها الأخ ،

ثلاثة اشخاص دخلوا للتو في حياتي ، ليس ثلاثة فقط انما أربعة أو حتى خمسة ، اسماعيل الاعرج ، يعقوب بلا اذن ، مصطفى الذي من ياموربن ، عائشة ، فاديك ، محرم ، مريم ، وحيد ، حقي الحوجه. أعتقد أن هذا يجعلهم أكثر من خمسة . وقد تعرفت على قرية : قرية ياموربن . الناس فيها أحياء ، يعيشون وسيعيشون . لكنني أرجو أن تصغي لي والا تفقد شجاعتك . لو نشرت ساجيرديريه كما هي ـ سأقول لك شيئا غريبا . أحيانا تكون شخصيات الرواية باهتة لكن الرواية تعيش وهذا يعني أنها رواية ، وأحيانا ، على العكس ، تكون الشخصيات نابضة بالحياة لكن الرواية غير موجودة ، أو ضعيفة ، بينما الامر هو أن نجعل الشخصيات تعيش داخل رواية حية ـ نعم لو نشرت ساجيرديريه كما هي اليوم ، لكانت عملا متوسط النوعية ، ليس على الصعيد الوطني لأنها رائعة لأدبنا ، خصوصاً وأنها أولى رواياتنا الفلاحية الحقيقية ، بل على الصعيد العالمي ، رواية تعيش شخصياتها بقوة . لذلك فان عملية جعل الرواية حية في ساجيرديريه هي أقل صعوبة مما تتصور . أن العنوان واضح ، ساجيرديريه ، الساقية الصماء يجب أن تعيش كما تعيش هذه الساقية . سأقدم لك اقتراحا ملموسا ، عمليا : سوف تكتب ايضا ما يملأ دفترا أو أقل ، وتدخل فيه شخصيات جديدة ـ واقصد بالجديدة شخصيات لم نلتق بها بعد في الرواية ـ وتضيف مقاطع مختلفة ، حتى قصيرة جدا ، تعالج العلاقات بين هذه الشخصيات الجديدة والشخصيات الأخرى ، علاقات الكراهية والضغينة والحسد والدسيسة والغيرة والاستثمار ، مبنية على

العلاقات الاقتصادية للطبقات أو الشرائح الاجتماعية خصوصاً بين الفلاحين الفقراء والمتوسطين والاغنياء . عندئذ فقط تعيش « الساقية الصماء » في صممها ، مع صراعاتها واحقادها القبلية من بقايا الاقطاع ، ـ كل هذا يفيض من الكتاب ـ والتأثير الجديد الرأسمالية في علاقاتها الطبقية وبين الشرائح الاجتماعية . قد يكون من الصعب عليك أن تعود للعمل في هذه الرواية أو تتقاعس عن ذلك ، فمن المؤلم أن يعود الانسان الى بداية كل شيء بعد أن يكون قد قرر بأن الكتاب انتهى ، لكن تذكر بأنني في أكثر لحظاتي تفاؤلا ـ وانت على العكس تعتبرها تشاؤما ـ أمزق الرسوم مثلا التي أكون قد رسمتها وابدأ بها من جديد بعناد أكبر ، وسوف تفهم بأنك يمكن أن تصل الى الحالة الذهنية التي أصل اليها أنا . هذا ما انتظره منك يا كمال . بجهد قليل ، يمكن أن تصبح ساجيرديريه رائعة ادبية ، وسوف لن اغفر لك ابدا اذا لم تبذل هذا الجهد .

نحن ننتظر منك الروائع ، فبين يديك كتلة من الصخر يمكن أن تصبح روعة ، وهي فضلا عن ذلك منحوتة في خطوطها العريضة . كن مثابرا مثل مصطفى الذي من ياموربن وابدأ بتشذيب الصخرة .

لقد انهيت الجزء الذي يخصني من الكتاب الاول ، ويوم الثلاثاء ابدأ بنسخ النص ، ثم من الآن حتى شهر آب ينبغي أن أنهي الجزء المخصص لي من الكتاب الثاني .

غداً أرسل لك لوحة صورتي . لقد تأخرت في ارسالها قدر تأخرك في « عشيق الليدي تشاترلي » . أرسل الي هذا الكتاب بحق السماء :

بعثت اليك بعشرين ليرة على دفعتين . اخبرني ما اذا تسلمت هذا المال أم لا . سأرسل لك قريبا عشرا أخرى ، وما أن أقبض ، حوالي نهاية نيسان ، أجور الترجمة ، سأتمكن من ارسال ١٥ ليرة شهريا لك .

حتى انني استطيع ان أرسل عدة « شهريات » دفعة واحدة اذا كنت تفضل ذلـك .

أنا تعيس لأنه يستحيل علي أن أعمل في « المشاهد » . هل تذكر ، منذ زمن طويل جدا ، كنت قد تخليت عن الأدب والشعر مدة ستة اشهر ، واكتفيت بالعمل لماما في قماشة لوحتي عن الحرب الاسبانية ، وربطت نفسي كالحصان الى ناعورة ستوديوهات ايبكتشي ، وتحملت الى ذلك ، تأنيب الكثيرين منكم ، وتأنيبك أنت أيضا على ما أعتقد . وها أنا الآن أيضا أربط نفسي الى الناعورة لمدة أربعة أو خمسة أشهر ، ناعورة أكثر جاذبية واكثر فائدة لي دون شك ، لكنها سخرة على كل حالٍ . لا تظن بأنني أشكو ، بل على العكس ، ان الشعور الأبوي نـام جدا لدي ، فأنا احبكم جميعا ، وحتى والدتي احيانا ، كما لو كنتـم أولادي .

عندما افكر بكل ما يجري في العالم ينقبض قلبي لكنني أبتسم أيضا بملامح راضية . ان عماء الكثيرين من هؤلاء « الكهنة » المسنين الذين أعمتهم مصالحهم حتى لم يعودوا يرون أبعد من رأس انفهم ، يدهشني ، وانا اثور عندما أقول لنفسي إنهم سيخدعون شعبي وبلدي الحبيب .

صحتي جيدة نسبيا ولا أستطيع الشكوى حاليا الا من الأرق . مزاجي جيد واعمل كعملاق ، وأنا سعيد بالحياة رغم كل شيء .

اعانقك بشوق أيها الأخ وانتظر جوابا سريعا .

رشيد يعمل بانتظام في لغته الفرنسية ، ويصبح أكثر فأكثر حكيما وعاقلا ، وأنا مسرور منه جدا هذه الأيام .

- ٨٠ -

عزيزي كمـال ،

أرسلت كامل مخطوطة ساجيرديريه الى بيرايه . وبما أنك راغب في ذلك ، سأطلب الى كمال سولكر أن ينشرها فورا اذا أمكن .

اصبنا جميعـا بالمرض في قاعتنـا : اولنا رشيد ، ثـم أنا ، ثـم ارطغرل ، وامين الذي من سارير في غرفته الخاصة انما بشكل أخف. لا أزال ضعيفا حتى الآن ، وارطغرل في السرير ، أما رشيد فقـد تعافى بسـرعة .

ارسلت لك لوحة صورتي ولابد انك تسلمتها الآن . لا ازال أنتظر « عشيق الليدي تشاترلي »، فان استعادة هذا الكتاب اصبحت بالنسبة لي مسألة مبدأ .

الطقس أكثر حرارة هنـا ، والغلاء يرتفع أكثر فأكثر . ثمة أمـل جديد في انتقالك . يجب عليك قبل كل شيء أن تقدم طلبا الى النائب العام ، تصرح فيـه بأن لك أقرباء في بروصـه يستطيعون الاهتمـام بمعيشتك وتطلب نقلك اليها . يبدو أن الطلب سيحال الى بروصه من أجل اتمام الشكليات ، والباقي سيكون سهلا . واذا لم نتوصل الـى ذلك ، يوجد أمل آخر : عيّن بدري بك قائما بالاعمال في وزارة العدل ، وأعتقد أن لنا أصدقاء مشتركين يمكن بواسطتهم القيام بمداخلات .

ما أن أنتهي من نسخ الجزء الاول سأنظم نفسي بحيث أتمكن من العمل في « المشاهد » . بعـد ستة أشهر رشـيد يخرج من السجن ، وسأبقى وحيدا اذا لم تتمكن أنت من المجيء . سوف تقول لي بأن كمال طاهر يعاني من الوحدة كثيرا . حسنا ، أن يكون واحد منا قد ذاقمنها الكثير فهذا يكفي ، ثم ان كمال طاهر شاب ، وعندما يكون الانسـان شابا أشياء كثيرة لا تهمه .

أنا امزح . لكنـك لا تستطيع ان تتصور كـم سأكون سعيدا لـو تستطيع المجيء والانضمام الي .

لم أر بيرايه منذ وقت طويل لكننا نتبادل الرسائل أغلب الأحيان، ويزداد حبنا لبعضنا البعض يوما عن يوم ، ونصبح مغرمين أكثر فأكثر.

لقد اتاحت لي البرجوازية ، عن طريق ارغامي على العيش بعيدا عن زوجتي . ان ابقى مغرما بها حتى الممات ، وهذه هي الخدمة الوحيدة التي تكون قد قدمتها لي .

سأرسل لك بعض المال خلال أيام . كنت أنوي ذلك منذ زمن لكن المرض من جهة ، والشكليات من جهة أخرى منعتني من ذلك . ايه : كنت أرسلت لك صورتي ، بشاربين ، وانت لا تتحدث عنها ولا تقول لي رأيك في شاربي . ينبغي أن أرسل لك واحدة اخرى بشاربين أيضا في رسالتي القادمة .

كمال ، سيكون رائعا أن تتمكن من المجيء ، فأنا لا افكر الا في هذا.

حظاً سعيدا ايها الاخ . اعانقك بشوق ، وانتظر « عشيق الليدي تشاترلي » .

- ٨١ -

كمال طاهر ، ايها الاخ

تسلمت رسالتك وأجيبك فورا . أولا انسخ لك كلمة كلمة ما كتبته بيرايه في رسالتها الاخيرة حول ساجيرديريه وعنك :

« ناظم

كان المطر يهطل البارحة ، وكنت منقبضة الصدر . وأردت ان أقرأ ساجيرديريه التي ألفها كمال ، وامسكت بالصفحة التي كنت قد توقفت عندها ، وبدات القراءة . قرات امام الطاولة . وقرأت ليلا في سريري، ولم أستطيع ترك الكتاب . قرأت حتى الرابعة صباحا ، وأنهيت الكتاب. وجدته رائعا . انها رواية فلاحية عظيمة ، لم يسبق أن كتب مثلها عندنا . كمال ، فليباركه الله ، يفعل ما أنتظر منه . انه يتحدث حتى

عن اشجار الحور المزغبة . لقد قلت لنفسي ، ان مؤلف هذه الرواية يجب أن يكون انسانا ذكيا جادا وعاقلا ، يجب أن يكون كذلك . اذا كان كمال ، عندما يخرج من السجن ، هكذا حقا ، فسأستطيع أن أصبح صديقة له ، لانني لن أستطيع ابدا ان اكون صديقة للشاب الطائش الماجن الذي كان في السابق .

ارجو أن تكتب له ما يلي : روايته جميلة جدا ، لكن عليه الا يظن نفسه عبقريا لأنه كتب شيئا جيدا . ان أي انسان ذكي عاقل بعيد النظر موجود في السجن يستطيع ان يقوم بهذا العمل . والى ذلك ، له فيك صديق يستطيع أن يشجعه . لقد برهن لنا أن عنده موهبة كبيرة ، لكنني لم انس بعد أنه نام عندما كان يقرأ ماركس . لا تقل لي بأن هذا لم يكن خطيرا جدا . كنت اعمل مع عصمت ، وكنت أنت قد خرجت تاركا لنا شيئا نقوم به . وكان كمال جالسا على « الديوان » يقرأ . ونام . والحال أنه لا ينام هكذا باكرا في المساء ابدا . انه يستطيع أن يمضي ليالي بكاملها في الحانات ، لكنه يعجز عن قراءة كتاب جاد . طالما انه طموح فهو مضطر لان يقرأ كل شيء ويتعلم كل شيء . باختصار، اعجبتني روايته جدا . والحال انني ما كنت لأتحدث الك عنها كل هذا الشيء لو لم تعجبني ، وما كنت فكرت في هذا الكتاب حتى . انا عندما احب أكون مشاكسة ، وهذا شيء لا أحد يعرفه . ان الاشخاص الذين اقدر انهم يستحقون صداقتي ، أريدهم جيدين ، فاذا لم يكونوا كذلك أغضب جدا . والآن ، بعد هذا الكتاب ، أصبح كمال رجلا جادا في عيني . وفجأة شعرت به صديقا . لكنه اذا عاد الى جنونه عندما يخرج من السجن ، فلن نستطيع أن نكون صديقين أبدا . وانا أوجه الخطاب اليك ايضا ، لأنني بعد اليوم سأكون زوجة شرسة ، ولن تصل الى كاحلي تيريز صاحبة جان جاك روسو أو زوجة تولستوي . »

هذا إذاً ما كتبته شقيقتك ذات الشعر الأحمر ، عنك وعن ساجيرديريه . لننتقل الى المسائل الاخرى . أولا الى ما تقوله عن

« المشاهد » : منذ وقت قصير كنت تجد انني احسنت صنيعا بالخروج من القطار ، وحتى انه كان يجب علي أن أفعل ذلك في الكتاب الأول . والآن تصرح لي انك تخشى أن يفوتني القطار . يخيل الي بأنك وصلت الى هذه النتيجة لانك قرات هذا المقطع الاخير بعد فاصل طويل ، اذ ان شخصيات القطار ، بالنسبة الي ، لم يكونوا قط أبطال القصيدة الرئيسيين . لقد شرحت لك مطولا ، ومنذ البداية ، ماذا كنت أنوي أن أفعل ، اما اذا كنت لا تزال تشعر بالحاجة الى اكتشاف أربع أو خمس شخصيات رئيسية ، فهذا يعني ببساطة انني لم أحقق هدفي . عندي هم واحد فقط هو أن أعرف ما اذا كانت القصيدة تقرأ أم لا دون ملل . في رسالتي الاخيرة طلبت منك اسداء خدمة لي ، اذ رجوتك ان تكرس لي يوما كاملا لقراءة القصيدة من أولها الى آخرها كما تقرأ الرواية البوليسية . اذا كنت قد فعلت ذلك ولم تزعجك القصيدة — بالرغم من انك سبق وقرأتها على شكل مقاطع ، عدة مرات — فهذا يعني ان العمل الفني يحافظ على وحدته ، اما اذا كنت قد مللت فهذا يعني ان الوحدة تنقصه . لقد طلبت رأيك من وجهة النظر هذه ، وآمل أن تبلغني اياه في رسالتك القادمة .

ثانيا : كانت اعوامي التسعة عشر تسعة عشر عاما في عالم جديد . أما هذه الاعوام الثمانية عشر فهي ثمانية عشر عاما في كون حقير . من الموكد أن ثمة اختلافا كبيرا ها هنا ، ومن الطبيعي أن تكون قصيدتي « أعوامي التسعة عشر » أقرب الي واليك بكثير . لكن هذا لا يعني أن ثمة أحداً عمره ثمانية عشر عاما في هذا الكون القذر .

ارسل لك في هذه الرسالة عددا من الابيات . لكني بعد الآن لن ارسل لك مقاطع ، بل سأنتظر حتى تتشكل منها كتل كبيرة ، لأن التراكم الكمي وحده للوحدات الصغيرة والعلاقات الصغيرة التي سوف تتحول الى وحدة نوعية جديدة يمكن أن يؤمن وحدة كتابي .

كنت اخبيء لك مفاجأة . ثم غيرت رأيي وسأقول لك ما هو الامر اذ لن يكون مفاجأة بعد ذلك : عندي رسالتان أو ثلاث منك ، تلك التي تتحدث فيها الي عن الشخص الذي قتل ابنته ، في احداها تحدثني كيف اخذت الابنة الى « بيت الهوى » ، وفي الثانية عن اغتيالها ، وفي الثالثة عن الشخص نفسه . سآخذ مقاطع من هذه الرسائل وابني منها رسالة جديدة على شكل مقاطع من رسائل وأنشرها بتوقيع جمال الدين ماهر . كنت هكذا سأجعلك تربح قصة دون أن تدري . انت الآن على اطلاع على الموضوع وهذا لا يهم : سأرسل اليك القصة عندما تنشر . يجب أن تستفيد من رسائلك بقدر ما استفيد أنا منها .

اعانقك بشوق . تحياتي الى الجميع . أرسل الي صورتك . هل يعرف الأحدب الذي يقطن ارنكوي العائلة ؟ وما هو اسمه ؟

- ٨٢ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك الطويلة وكانت مفيدة جدا لي . وقد اعجبتني كثيرا الأغنية الشعبية التي اعطيتني نصها في نهاية الرسالة . في رأيي انه من المستحيل أن نعمل أفضل من الشعر الشعبي ، آخذين بالحسبان حدود الشروط والمشاعر ، مثلما انه من المستحيل ــ في هذه الحدود دائما ــ أن نتجاوز السجاجيد التي ينسجها الشعب على انواله اليدوية .

ثم ان رسالتك ــ الرسالة قبل الاخيرة كانت قد شكلت بداية ــ ساعدتني على تكوين فكرة أوضح عن « مشاهد انسانية من بلدي » ، بل « بلدي كما نراه من خلال مشاهد انسانية » . هذا العنوان يعبر جيدا عما أريد أن أفعله ، عما شرحته لك عندما بدأت هذا العمل . ليس في نيتي أن « أخلق » أو « أثبت » شخصيات لا تنسى ، خالدة . ما أريده هو رسم لوحة لبلدي ، في مرحلة معينة ، عن طريق وصف

شخصيات معبرة ؛ من وجهة نظر اجتماعية ، عن بلدي ـ شخصيات عاشت او تعيش في مرحلة معينة . ما اريده هو أن يحتفظ القارىء ، بعد قراءة الكتاب ، بصورة اجتماعية شاملة لبلدي ، وليس بذكرى هذه أو تلك من الشخصيات ، في مرحلة ولحظة محددتين من تطوره ـ من خلال الموشور الذي تشكله هذه الشخصيات . لقد حلت هذه المسألة ، حتى اليوم ، وخصوصا في الرواية ، بطريقتين : بكتابة عدة روايات ، مرتبطة أولا ببعضها البعض كما نرى ذلك عند بلزاك أو زولا ، أو كما عند تولستوي برواية واحدة من أربعة اجزاء . ان حقل الدراسة عند هذا الاخير أكثر ضيقا . اما انا فأعمل الشيء نفسه ، في كتاب واحد ، مستخدما امكانات الشعر ، ومن وجهة نظر مختلفة قليلا ، انما وفق المبادىء نفسها دائما . من جهة أخرى ، توصلت في الايام الاخيرة الى استنتاجات غريبة بشأن الرواية . ان الجنس المسمى رواية قد ولد نتيجة تطور تاريخي معين . وحتى الآن كان ثمة تراكم وتحسين في الرواية دون أن يحدث فيها تغير كيفي . هذا يعني ان الرواية لم تتمكن حتى اليوم من ان تتحول ، أن تكتسب شكلا جديدا ، أعلى . انني أعتقد بأن العلاقات الانسانية الجديدة ، العلاقات التي ولدت أو هي قيد الولادة ، أو حتى تلك التي بدات بالظهور فقط ، تتطلب شكلا جديدا ، نوعية أرفع ، اي جنسا ادبيا ، بالرغم من حمله في داخله عناصر الرواية ، يكون مختلفا عن الرواية وأكثر تطورا . هذه المسألة تعذبني وتشوش أفكاري لدرجة أنني تركت كل اعمالي وحتى ترجمتي ، وأقضي الوقت في التفكير بها ، حتى انني أنطلق في بعض التجارب . لنامل أن ينتهي كل شيء على ما يرام . سأجد حلا او اصبح مجنونا .

تسلمنا بالفعل برقيتك التي أدخلت السرور الينا . واذا لم نقل لك شيئا فلأننا مجموعة من الحمير . اعذرنا .

من الواضح أن قراءة فرويد قد علمتك الشيء الكثير . سيكون عز الدين شادان مجنونا من الفرح عندما يراك . لنتكلم بجد . من المؤكد

أن فرويد قد قال أشياء صحيحة جدا ، لكن نظرياته عندما تتجاوز حقل الطب وضواحيه ، وخصوصاً عند تلامذته ، تصبح مزحة كبيرة .

حوثوني بأشياء غريبة عن ناجي سعد الله ، فقد دعي الى خدمة العلم كجندي بسيط ، واعتقد بانهم استخدموه في تكسير البحص على الطرقات . ولما يعرف عنه من جنون فقد اخذ سفينة وفر هاربا الى كندا ، كما يقولون . لا أدري اذا كانت هذه الرواية صحيحة ، لكنني متأسف من أجله لأنني أحبه كثيرا وقد كنت أشعر دائما بالشفقة عليه ، بالرغم من كل الحماقات التي يرتكبها . وبالرغم من كل نواحي الضعف لديه ـ المتأتية من ارث اجتماعي وفيزيولوجي ـ نشعر عنده بحرارة واسعة في القلب .

تسلمت اخيرا رسالة جماعية ومعقولة من الرفاق في سينوب .

سأرسل لك بعض المال في الاسبوع القادم . لم اقبض أجور ترجمة الجزء الأول .

سرتني كثيرا مشاريعك حول « الناس العراة » . اذا حققتها بأسلوبك الساحر ـ عديم الشفقة ـ المرح الذي تستعمله في رسائلك ، فستكون ناجحة ، لا تشك في ذلك .

بيريه تبعث اليك بمودتها . في رسالتي الأخيرة ، نسخت لك رسالتها لتعرف كم هي معجبة بساجيرديريه ، وكيف تفكر بماضيك ومستقبلك . لا بد أنك تسلمت هذه الرسالة .

رشيد يعمل وفق طاقته ، ويرسل اليك قصة قصيرة احببتها كثيرا . لا تنس خصوصا أن تقول لنا رأيك فيها .

بعض التغييرات التي تحدث على النطاق العالمي تبدو لي مشجعة .

يبدو ان جائحة التيفوس تقترب من بروصة . وعندكم ؟ ينبغي أن نكون حذرين ، فمن المضحك جدا ان نموت بسبب قملة .

أعانقك بشوق أيها الأخ .

- ٨٣ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

تأخرت قليلا في الاجابة على رسالتك التي تتحدث فيها عن الاعمال. لكن يجب أن تكون قد وصلتك رسالة لم أتلق عليها جوابا . من الغريب أن الفكرة نفسها راودتني ، فقد قلت لنفسي بأنه ينبغي العمل لنقلك الى هنا بأي ثمن ، لذلك كتبت لك في هذا قبل أن تقوم به بنفسك . سأجس نبضهم في أنقرة أيضا ، وأنا أعتمد على بدري بك . ستكون مرتاحا جدا هنا . سوف يكون عليك أن تستغني عن الفتيات ، لكن شروطك هنا ستكون افضل .

بعثت اليك اليوم بعشرين ليرة . اعلمني فور قبضك اياها . سوف اتمكن من ارسال المزيد قريبا جدا ، واذا تأخرت حتى الآن فلأنهم لم يدفعوا لي بعد أجور الترجمة .

لم يبق لرشيد سوى خمسة اشهر تقريبا في السجن . وبعدها الحرية : انه يعمل في الفرنسية قدر المستطاع ، ويكتب القصص أيضا ، والقصائد من وقت لآخر . وهو يرسل لك قصيدته الأخيرة وهي ليست سيئة على الاطلاق . ينبغي ان تزيد من اهتمامك بقصصه وقصائده وتبلغه بانتقاداتك . قل له رأيك فيها . اخشى كثيرا أن يصاب هذا الفتى البائس بالملل من انتقاداتي وتعليقاتي وآرائي فيه .

ارسلت ساجيرديريه الي بيرايه . ستحاول أن تنشرها . لقد أثار حماستها الكتاب الأول ، وكانت تطلب البقية في كل واحدة من رسائلها الي .

لا يمكنك ان تعرف بأي نفاد صبر انتظر « الناس العراة » . خلال بضعة أيام سأضع « المشاهد » على النول ، وارسل لك على التوالي كل ما اكتب ؛ لكن ما كنت اريده هو ان اقراها لك انا لا ان ارسلها بالبريد .

تسلمت رسالة من سينوب . انهم يشتكون من صحتك .

لقد وقع لهذه الرسالة ما لا يحدث مطلقا لمراسلاتي . لقد كتبتها أو بالاحرى بداتها منذ أربعة أيام ، ولم اتوصل الى انهائها وارسالها بالبريد . وقلت لنفسي سيصيبك القلق . الذلك توقفت متمنيا لك كل الخير الموجود في العالم .

اعانقك بشوق زائد .

- ٨٤ -

كمـال ،

تأخرت في اجابتك . وقد ارتكبت هذه الحماقة لاتمكن من ارسال مقطع طويل لك من « المشاهد » . فاعذرني . ان المقطع الذي ارسله في طيه قد يساعدني على كسب غفرانك .

أرسلت اليك عشرين ليرة منذ شهر ، وخمس عشرة في الاسبوع الماضي . هل تسلمتها ؟

بيرايه سترسل لك بعض المال .

كل شيء يتدبر بشأن ساجيردريه . سنقوم بنشرها أما مباشرة في المكتبات واما على حلقات ، وبعد ذلك في المكتبات .

اكتب لك هذه السطور القليلة بسرعة حتى لا تقلق ، وأسلم رسالتي الى البريد فورا .

اعانقك بشوق . غدا سأكتب لك رسالة مطولة . اني انتظر جوابك بفارغ الصبر ، ورأيك بهذا المقطع الاخير .

كتبت الى المحامي بشأن المحكومة بالاعدام ، وسأكتب اليك فور وصول جوابه . اتت بيرايه وقضت ثلاثة أيام هنا . تحدثنا عنك وهي تعانقك .

- ٨٥ -

كمال ، أيها الاخ ،

أرسلت لك منذ يومين مقطعا من « المشاهد » ورسالة قصيرة . لاشك انك تسلمت الكل . أخذت رسالة من حمدي أليف(٩١) وهو الوحيد الذي كتب الي وارسل لي أيضا قصيدة دون ذكر المؤلف ، ودون اية كلمة عن الرفاق الاخرين . انا قلق جدا . اذا كنت تعرف شيئا عن هذا الموضوع فاكتب لي فورا . سوف أكتب الى حمدي . انه يوصيني اصلا ان أكتب اليه على عنوانه ، ثم يقول لي بأن مديرهم مكي بك يعرف والدك جيدا . والحال ان الرسالة السابقة كان كتبها حمدي الفداش(٩٢) لوحده ايضا . ماذا يحدث ؟ انني لا أفهم شيئا . هل ترى الادارة مانعا من أن يكتب الي الرفاق رسائل جماعية ؟

انتظر بفارغ الصبر « الناس العراة » . سوف ان اقول بانني أموت فضولا ، اذ ينبغي ان يكون لدى الانسان شكوك حتى يموت من الفضول. والحال ليست عندي اية شكوك . أنا اثق بك .

لم أستطع بعد أن اقبض ما استحق عن ترجمة « الحرب والسلم ». لقد بدات الان بالجزء الثاني . لكني هذه المرة تمكنت من تخطيط عملي

---

(٩١) حمدي اليف محكوم بعدة سنوات من السجن في دعوى ناظم حكمت .

(٩٢) حمدي الفداش سمي الاول تقريبا ومحكوم في الدعوى نفسها .

نوعا ما ، واستطيع الاهتمام « بالمشاهد » في الوقت نفسه ، ان القصيدة تميل الى التضخم ، الى التوسع ، دون انقطاع ، رغم ان الاطار هو نفسه في خطوطه الاساسية . لنأمل أن يسير كل شيء على مايرام . اليك هذا الخبر : اخيرا اصبحت اشبهك فأنا استعمل النظارات للقراءة والكتابة . لكنني اعتقد جيدا بان السبب عندي هو السن (هس) . مع ذلك فعيناي تؤلماني وسبب ذلك ، دون شك ، هو الارق المستمر بشكل مخيف .

هل من جديد بشأن انتقالك ؟ ابدا بهذه المداخلات ، فاذا لم تنجح جرب شيئا آخر . خصوصا لا تهمل ذلك يا كمال .

رشيد حسب اليوم انه يبقى عليه مائة وستة وثلاثون يوما . بعد مائة وستة وثلاثين يوما تماما ، صباح يوم احد ، سيستطيع ان يطير على مدى جناحيه ، كالعصفور . انه يبعث اليك بتحياته ، ولم يتمكن من الكتابة اليك فهو مشغول جدا . انني اتساءل كيف سيصبح بعد خروجه من السجن . الى أي مدى سوف تستطيع هاتان السنتان اللتان قضيناهما جنبا الى جنب في السجن ان تؤثرا على العادات والسلوك المألوف ؟ عندما يتعلق الامر بالانسان ، أنا دائما متفائل .

هذه المرة ، عاندت برايه ولم تقم في الفندق الذي نصحتها به بل ذهبت الى مكان آخر . حصل سوء تفاهم ايضا على الهاتف . باختصار جعلتني اعيش اثنتي عشرة ساعة جهنمية . كم احب زوجتي ، اعانقك بشوق . لا تنس أن تجيب على كل اسئلة رسالتي الاخيرة . تحيات من كل الاصدقاء .

- ٨٦ -

كمال ،

ينبغي أن أقول لك قبل كل شيء بأنني أنوي استخدام رسائلك ، حيثما أستطيع ، في « المشاهد » . عند قراءتي رسالتك الأخيرة ، فهمت

فجأة كيف يجب أن اعالج احد المقاطع الذي كنت اعجز عن تقديمه . لك كل شكري ، ساجيرديربه مضيئة ، مليئة بالأمل ، حتى انه لو تبعتها قراءة غوركي العظيم فانها لا تفقد شيئاً من صفائها ، من التأثير الذي تحدثه بنا . انت لست بحاجة مطلقا الى كتاب ثان لتجعل روايتك أكثر وضوحا . إن الجزئين الثاني والثالث من عمل جزؤه الأول بهذا الكمال لا يمكن أن يكونا سيئين ، وإلا فان هذا سيعني أن الكتاب هو في سبيل الانحدار ، والحال عندك هي العكس ، انت كاتب في قمة الصعود . لا توقف القتال يا كمال . تقدم بكل ثبات معتمدا على نفسك . من الآن فصاعدا يمكنك الوثوق كل الثقة بنفسك . وحظا سعيداً .

أبعث إليك في هذه الرسالة بعدد من الأبيات ، لكنني اطلب منك هذه الخدمة : قبل أن تقرأ هذا المقطع الأخير ، أعد قراءة المقطع الذي أرسلته لك في المرة الأخيرة ، إذ عليك قراءة مقطع اليوم مباشرة بعد هذا الأخير . إن هذا مهم جداً في رأيي .

بينما أنا اكتب لك هذه الرسالة ، تعيد اذاعة انقرة بث العرض العسكري ، من المذياع في الممر . وسعيد شلبي ــ بلغة تركية سيئة جداً ــ يقدم التفاصيل باسلوب يمزج « الأدب الجديد » بكلمات من « التركية القحة » (٩٢) كل هذا في ضجيج فرقة الابواق .

تلقيت رسالة من الدكتور حكمت وسررت بها . إنه الآن في سجن كيرشهير ، وهو يرغب في نقل نوديه اليه ، ويطلب مني التدخل لدى الاشخاص لهذا الفرض . سأفعل كل ما في وسعي .

سعيد شلبي هذا ، فليأخذه الشيطان . من المحزن أن نسمع ، يوم عيد الجمهورية ، سعيد شلبي يتحدث من بلدنا ووطننا وجنودنا .

---

(٩٢) أي كلمات تركية لغويا . اعتباراً من تاسيس الجمهورية ظهر ميل لدى الكتاب الأتراك الى استبعاد كل المفردات المستعارة من العربية .

الحظ يؤاتيني هذه الايام ، فالمدائح تغدق علي بغزارة . احدهم يصفني في مجلة « يورويوس » التي ينشرها بعض الشبان « بأكبر شاعر تركي منذ عصر الاصلاحات »(٩٤) . كما نشرت اشياء مماثلة في مجلة « سرفتيفونوم » . باختصار ، لولا تشاؤمي المعروف جيدا لفسرت هذه المدائح المتكررة بطرق شتى . كنت تركت نفسي تقع في الاوهام التي يغذيها كل سجين ، وانسج حولها الكثير ايضاً ، بينما انا اعرف جيدا الاسباب المختلفة التي دفعت الناس الى كتابة هذه المقالات . لكن الحق أن مقالة « يورويوس » هزتني . من المفرح أن ترى الشبان وليس المسنين يفكرون بـك .

طائرات تمر ، وضجيج محركات ، وسعيد شلبي الذي يظن ان المستمعين حمقى يشعر بالحاجة الى ان يشرح بأن هذه المحركات هي محركات طائرات .

لقد أتى مديرنا لرؤيتنا . وتبادلنا تهانيء العيد .

مازمانوغلو خرج إذاً من السجن . حظا سعيدا .

دمعت عيناي وأنا أقرأ ما قلته لي عن « بنرجي » . غالبا ما كتبت لي هذا وكررته في السابق . مضت عشر سنوات على تاليفي هذا الكتاب . وقد قرأته منذ وقت قريب من أوله الى آخره . بعد عشر سنوات ، هذا الكتاب لم يعد ملكا لي . لهذا أستطيع أن اتكلم عليه كما على أي كتاب آخر : لقد أعجبني . شعرت بشفقة،اخوية عميقة نحو الشاعر الذي كتبه . كان يتألم بشكل مخيف هذا الانسان . انت محق باكمال . لكي نفهم هذا الكتاب وكل الالم الذي يحتويه يجب ان نعرف أشياء كثيرة لم

---

(٩٤) « التنظيمات » في التركية ، بدأ عصر الاصلاحات عام ١٨٣٩ حيث تحقق عدد كبير من الاصلاحات في الحقول الإدارية والعسكرية والقضائية والاجتماعية الخ .

تقل فيه . وهذه الأشياء نحن نعرفها انت وانا ، لهذا تفهم هذا الكتاب افضل من أي كان ، ونعطيه معناه الكامل .

سعيد شلبي ينطلق في خطبة « ايه يا قلعة انقره . . . » قلعة انقره وسعيد شلبي ، كم يليقان لبعضهما البعض . . .

كتبت منذ اربعة أيام رباعية ارتجلتها بسرعة لم أعهدها من قبل . اربعة ابيات طفولية « شاعرية » جدا . هذه الرباعية لن يقرأها احد مطلقا سوى كمال من هنا وكمال من ملاطية وبيرايه :

اتت الذكريات مع النجوم :
ووقع قلبي من جديد في حب ومضة من نور .
لك حبيبة ياناظم حكمت ،
ليست الا صوتا وعطرا . . .

اغراق في الاسلوب على طريقة يحيى كمال ، بشع جدا .

عزيزي كمال . يستحيل علي ان اكتب اي شيء بينما سعيد شلبي يزعق الى جانبي . اذا كانت رسالتي قصيرة فالخطأ يقع على شلبي . تحياتي الى كل اصدقائك هناك ، الى كل الناس ـ والى كل الحيوانات ايضا ـ التي تحبك . أعانقك بشوق وبيرايه أيضا .

– ٨٧ –

كمال ، أيها الاخ ،

تسلمت في اليوم نفسه الرسالتين اللتين كتبتهما بفارق بسيط . هذه المرة ـ والمرة الوحيدة ـ أنا الذي سبب لك القلق بصحتي . الف عذر . ينبغي أن تكون قد وصلتك في هذه الاثناء رسالتاي ـ احداهما

مع مقطع من المشاهد ــ و ١٥ ليرة كنت بعثت بها اليك . اعتقد بأنه سيمكن نشر ساجيرديريه على حلقات وفي المكتبات ، وحتى كلجي ايضا . لكنني اخشى ان يحذفوا منها الكثير عند نشرها .

سأسوي فورا مسألة بنطالك ، وارسله اليك جاهزا من هنا . النسيج والخياطة سيتمان خلال يومين . لكن قل لي ما اذا كنت تريد بنطالا أم سروال غولف . اجبني فورا ، وارسل لي قياسك من الخصر الى الكعب ومن بين الساقين الى الكعب ، ومحيط خصرك ومحيط ردفيك مع تحديد كل منها . سيكون البنطال الذي سأرسله اليك بنطالا صيفيا ، اما البنطال الشتوي فسأكتب الى بيرايه لتدبر لك واحدا .

هل تعرف ياكمال ، لقد عدلت ، حاليا ، عن نقلك الى بروصه . انا جاد جدا . لقد بدأت هناك تتعرف جيدا على وسطك ، وسيكون من الخطأ ان تأتي الى بروصه قبل ان تكتب كتابا عن ملاطيا . سأجد لنفسي عذرا ، فأنا انسان صلب ، ومن الافضل حقاً ان تبقى هناك في مصلحة عملك وشبابك ومشاعرك .

لنتكلم الآن على العفو . نحن ايضا ننوي ان نسرد أشياء كثيرة لكني لم اتلق شيئا من خالي حتى الآن : طبعا لم اطرح عليه السؤال ، ومن جهة اخرى ، من الممكن ان يجري الحديث عن العفو والا يعرف خالي عنه شيئا .

والآن ياكمال ، سأطلب منك خدمة كبيرة . سوف تكرس لي يومين على الاقل ، وتقرأ كل « المشاهد » التي بحوزتك ، اعتبارا من بداية الكتاب الاول حتى مقطع ضباط صف الطيران ، بما في ذلك هذا المقطع الذي أرسلته في رسالتي قبل الاخيرة ، كما تقرأ رواية بوليسية ، ليس بصوت عال ، ودون تسميع أو مجاراة للنص ، وتبلغني بالنتيجة . لانني اما أن اتابع الى مالانهاية ، او ان اجد خلاصة ما لانتهي منها ، في حين انني بالضبط أرغب في الكتابة الى مالانهاية . سوى ان الوزن في كل ماكتبته

حتى الآن ـ لعب دورا مهما في قراري . باختصار ، ثارت لدي فجأة بعض الشكوك ، ونتيجة قراءتك ستؤثر في قراري . إذاً اقرأ كل هذا على هـذا الاساس .

كتبت الى المحامي بشأن المحكومة بالاعدام ، ولم اتلق جوابا بعد . سأكتب كذلك بشأن ساعي البريد .

نحن نرسل لك مجلة « يورت ودينا » . صباح الدين ارسل الي قصته « يني دينا » ورواية « مادونا » . واستعارتهما مني بيرايه ،لكنني سأطلب الى صباح الدين ان يرسلهما الى عنوانك . لقد امتدح قصصك في حديثه الي .

أنا أعرف مظفر شريف . انه شاب مثير للاهتمام لكني لا اعتقد انه يمكن ان نصبح اصدقاء ، لانه يمثل كثيرا نموذج المثقف الاميركي . هذا على الاقل هو الانطباع الذي اخذته عنه منذ ست سنوات . قد يكون قد تغير ، وأنا كذلك ، لا أدري . لكن كتابه جيد حقا ، وآني ومفيد . يمكن أن نعتبر انفسنا سعداء بأن يكون لنا كتاب مثل هذا .

« والناس العراة » هل تتقدم ؟ هلا زلت في مرحلة تدوين الملاحظات والتصنيف ؟ ألم تكتب بعد عشر أو خمس عشرة صفحة ؟

رشيد يعد الشهور المتبقية له في السجن . انه يعمل وينضج من ساعة لاخرى . وهو يرسل لك مقالا ترجمه عن الفرنسية من مجلـة ديغـولية .

سوف إتمكن مع رسالتي القادمة أن أرسل لك ثلاثمائة أو اربعمائة بيت من « المشاهد » . لكنني أكرر ، انا بانتظار جوابك .

أنا متمسك بشدة بمعرفة وجوه ومظهر كل الناس القريبين اليك .
ارسل الي قصة أو قصتين من خمس أو ست صفحات يمكن نشرها في مجلة ، في مجلة صغيرة جدا .

وصلتني « عشيق الليدي تشاترلي » واستعارتها مني بيرايه . لحسن الحظ انني كنت قد نسخت كل المقاطع التي يمكن أن تفيدني .

كمال ، أكرر لك بأنني سأستعير واضبط الاسلوب وامزج عدة مقاطع ـ طويلة أو قصيرة ـ من رسائلك واوقعها باسم جمال طاهر ،واستخدمها في « المشاهد » .

بشوق . تحيات من بيرايه ورشيد . سأكتب الى راتب .

- ٨٨ -

عزيزي كمال ،

قرات رسالتك بسرور كبير . والحال انا أقرأ كل رسائلك بتلذذ ، أما الأخيرة فكانت حقا رائعة .

لم يبق لرشيد غير شهر واحد . وهذا يعني أنني بعد شهر ، سأصبح وحيدا في سجني في بروصه .

انتظر أخبارك بفارغ الصبر . أنا مستاء جدا من نفسي هذا الصيف . لم أفعل شيئا ، باستثناء الترجمة ، التي لم تكن تساوي شيئا . الاسباب كثيرة وأولها ، في رأيي ، وهذا تفسير مليء بحسن النية ، هو أنني على عتبة تطور جديد ، وهكذا فرأسي مشغولة بمعضلة الرواية التي تتجسد لوحدها حتى دون أن أعي ذلك . لقد ارتسم خطها الرئيسي تقريبا ، وقد لاحظت ذلك اليوم في سريري . أعتقد بأنني سأستطيع أن أرسل لك مخططها في رسالتي القادمة . ثم انني أريد أن أضيف شيئا جديدا ، أكثر غنائية ، الى الوزن العام « للمشاهد » ، لنصبر قليلا . سأنتهي حتما بأن أبدا العمل من جديد .

ارسل لك اليوم بالبريد قميصك وبنطالك ، وهما من انتاج أنوال حياكتنا . لقد قام رئيس حرسنا بتوصية أمتار وأمتار من هذا النسيج

لحسابه ، واشتريت منه ما يلزم للبنطال ، و « فصلته » طويلا جـدا بحيث يمكن أن يصبح بنطالا أو سروال غولف حسب رغبتك . لكن من الافضل أن ترسله عندكم هناك الى المعمل لتجهيزه حتى كما هـو ، اذ من المستحيل تجهيزه هنا .

ارسل لك رشيد ثلاثا من قصصه مع رزمة الصحف فهل تسلمتها؟ صنفت رسائلك ورسائل بيرايه وسأبدأ بالعمل فيها .

لا أعلم شيئا دقيقا عن العفو . يقول سولكر في رسالته بأن سبيلنا سيخلى حتما . في النهاية ، لقد مر القسم الأكبر ، وسنعرف قريبـا مصـيرنا .

كتل من التحيات من بيرايه ورشيد . أعانقك بشوق .

قل لساعي البريد عندك أنني لم أنس قضيته .

- ٨٩ -

كمال ، أيها الأخ ،

شكرا على كل الاشياء الجميلة المليئة بالامل التي تقولها عن رشيد كمالـي .

تتملكني الرغبة في أن أراك ثانية لدرجة أنني أكاد أصدق كل هذه الحكايات عن العفو .

سأعطيك الفكرة الاساسية لروايتي أو بالاحرى الخطوط الاولـى لمخطط الروايـة :

١ ــ الزمن : من عام ١٩٠٥ الى اعلان الجمهورية .

٢ ــ البيئة : القرى الواقعة في ضواحي بروصه ، مقاطعة بروصه، المدن : بروصه ، استنبول ، أزمير . قرية من ضواحي أزمير ، دائرة في بروصه ، مدانيـــا .

٣ ــ الأحداث التاريخية الرئيسية : الثورة الروسية عام ١٩٠٥ . الثورة التركية عام ١٩٠٨ . حرب البلقان . الحرب العظمى . حرب الاستقلال الوطني . اعلان الجمهورية .

٤ ــ الشخصيات الرئيسية : أعضـــاء عشيرة اضطروا الى تــرك منطقة البحر الاسود بسبب قصة ثأر ، وجاؤوا يقيمون في قريــة في ضواحي بروصة . سكان هذه القرية . أصحاب الحوانيت والتجار في بروصة . عمال وبحارة استنبول . عائلة اقطاعية من بروصة. الاوساط البيروقراطية في بروصة . عائلة باشا من استنبول . أعضـــاء « تركيـــا الفتاة » . فلاحو الضواحي في أزمير . تاجر من ازمير الخ . آه ، يوجد ايضا يوناني ، أصله من منطقة البحر الاسود ، وجندي في الجيـــش اليوناني . شرطي يوناني .

٥ ــ عناصر الحبكة الروائية : داخل عشيرة المهاجرين (لاز) وبـــين هذه العائلـــة وفلاحي القرية ، داخـــل القرية . بـــين المالك الاقطاعي والقرويين وعائلة لاز . بين الالبانيين وعائلة لاز والاتراك . بـــين القرية ومدينة بروصـــه ، في مدينة بروصـــه ، بين بروصـــه واستنبول وفي استنبول . بين أزمير واستنبول . في أزمير . بين الغزاة اليونانيين وكل العناصر المذكورة أعلاه .

سأقص عليك في رسالتي القادمة الطريقة التي تنعقد بهـــا هـــذه العناصر وتتشابك . تحيات من بيرايه . هذه الرسالة ستكون قصيرة. أعانقـــك .

كمال طاهر ، ايها الأخ ،

انتظر « الناس العراة » بنفاد صبر متزايد . ان المبدأ الذي تتبعه في كتابة مغامرات الشخصيات التي تراقبها اثناء حركتها صحيح جدا، اذ أن الامر هو في ربط الحل لمختلف عقد الحبكة بالتطور الحاصل في حياة هذه الشخصيات نفسها . أنا واثق بأنك ستتوصل الى ذلك بشرط أن تقوم بهذا العمل بصبر . لكنني لا أدري اذا كان من المناسب أن نمزج مغامرات توزاي وزيدة وجعل المراتين شخصية واحدة . انهما مختلفتان الواحدة عن الاخرى في رسائلك ، وفيهما من الحيوية ما يجعلني اخشى أن يكون عليك أن تقتل احداهن لتعمل منهما شخصية واحدة . على كل حال ، عندما تكتب حلقة زيدة سأنسخ لك مقاطع من رسائلك لأرسلها لك . من كل بد .

شكرا على القصيدة التي ارسلتها الي . وبالرغم من أنني سبق واستخدمت موضوعي العري والقمل ـ في ظروف الحرب ـ فسوف اتمكن من استخدام قصيدتك في شخصية الطباخ .

سأنسخ كل الاشياء الجميلة التي تقولها لي عن بيرايه وأرسلها لها كما أفعل دائما . وأنا أعرف جيدا أنها ستسر بذلك كثيرا دون أن تظهره .

لم يكن ثمة سطر واحد من نوري في الرسالة التي وصلتني من سينوب ، لكنني لم أعد أقلق من جهته لأنك أعطيتني الكثير من أخباره الجيدة في رسالتك ، تلك الانباء التي لم تفاجئني مطلقا ، لأنني نظرت دائما الى نوري كما تنظر اليه أنت الآن .

سأجد الكتب التي ترغب فيها وأرسلها اليك .

تحيات الى حسين كيربي ، والى الاصدقاء الآخرين بالطبع . سأعمل على خياطة بنطالك الصوفي ، لذلك ستتسلمه بشيء من التأخير . أعانقك أيهـا الأخ .

منذ عشرة أيام أو ربما اكثر ، انا غارق في خدر غريب ، نعـاس بحمل في أحشائه أشياء كثيرة . الرواية تجعلني افكر دون انقطـاع ، ودون وعي . وبتكتم ، لدرجة انني لا أستطيع كتابة أو ترجمة سـطر واحـد .

- ٩١ -

عزيزي كمال ،

اني آسف اذ أجيب برسالة واحدة على رسالتيك . من حقك ان تكون غاضبـا جدا مني ، والحال أنني سأكون منزعجا اذا لم تكن كذلك. بـين الاسباب التي منعتني من الكتابة اليك ما هو صحيح مثـل :
١ ــ الرغبة في أن أرسل اليك المخطط التفصيلي لمختلف أجزاء الرواية،
٢ ــ الاصدقاء الذين أتوا لرؤيتي هذا الاسبوع،٣ ــ « الكريب » المفاجىء الذي أصابني (عجيب مع هذا الحر ، لكنني أصبت فعلا بالكريب) ، سوى أن الاعذار هي دائما محام سيء ، لهذا السبب أشعر ببساطة انني مذنب تجاهك . باختصار ، اعذرني .

بما أنني علمت قبلك ما أصاب « كلجي » من تعاسات ، فقد غضبت قبلك وأكثر منك ، وكتبت لهم فورا رأيي فيهم . لقد توقفوا أصلا عن النشر وتوقفت المجلة عن الصدور . نستطيع أن نهنىء أنفسنا بالتعادل مع الخوف ، خاصة « كلجي » العزيز الذي كان يختنق وتنكتم أنفاسه. ولأني كنت قد توقعت ذلك فقد نصحتك بعدم نشر « كلجي » حتى ولا « ساجيرديريه » . ثمة أعمال تشكل منعطفا أو تعلن عنه ، ليس فقط في حياة كاتب ما ، بل في التاريخ الأدبي للأمة . « كلجي » هو أحد هذه

الاعمال . و « ساجيرديريه » تجعل هذا المنعطف يتراءى بقوة أكثر ، وآمل انك قريبا جدا مع « الناس العراة » تكون قد كتبت العمل الذي لن يكتفي باعلان هذا المنعطف بل يشكل هذا المنعطف ذاته .

اما أنا فلا أزال قاعدا في الكسل والبطالة كملك كسول . لاشك بأن فترات الكسل هذه لا تخيفني . لا عندك ولا عندي .

تحدثني في رسالتك عن السياسة الدولية ، وهذا يذكرني بملاحظة سابقة تشغلني كثيرا هذه الايام . ان عناصر الطابور الخامس ، هؤلاء الاعداء الالداء للشعب التركي ولتركيا ، قد غيروا من لهجتهم في الايام الاخيرة . ان الدعاية للنازية الالمانية والفاشية الايطالية التي تشكل جريمة الخيانة العظمى قد اتخذت شكلا جديدا : ان ما كانوا يتوقعونه ويأملون به من هتلر أو موسوليني في السابق ، أصبحوا ينتظرونه ، اعتمادا على « الحس السليم » (هذا هو التعبير الذي يستخدمونه)، من الانكلو ــ ساكسون ، من الاوساط الاكثر رجعية في ما يسمى بمعسكر الديمقراطية . اليوم ، يؤكد أمثال « كسلنغ » لدينا ذوو الاقدام الصغيرة ، أنه ينبغي علينا الدخول في الحرب الى جانب «الديمقراطيات» لقطع الطريق على « الفوضى » في أوروبة والبلقان . انهم جاهزون لبيع أنفسهم الى الرأسمال المالي الانكليزي أو الاميركي ولإبدال أسيادهم . لديهم رغبة واحدة فقط : تكليف هؤلاء الاسياد الجدد باتمام ما فشل فيه هتلر في أوروبة . لهذا السبب ليس من المستغرب رؤية بيامي(٩٥) أو ... يتفوق على حسين جاهيد(٩٦) في منافقة « الديمقراطيات » ، وحسين جاهيد وأحمد أمين يتباريان في الحمية مع هؤلاء السادة . على كل حال ، أنت ترى جيدا كل ما يحدث وأنا لا أفيدك بجديد . أما في ما يتعلق بمثقفينا المحترمين ، وبينهم اولئك الذيــن يعتبرون أنــه

---

(٩٥) بيامي صفا روائي ومناظر كانت له عدة مناظرات مع ناظم حكمت .

(٩٦) حسين جاهيد (١٨٦٧ ــ ١٩٥٧) صحفي ومناظر .

ينبغي قبل كل شيء التفكير بالمصالح الحقيقية للشعب والبلد . وتحديد طبيعة هذه المصالح ، فانهم يعدون على أصابع اليد .

سأكرر لك مرة أخرى حقيقة مبتذلة جدا . انه من المستحيل فهم الحاضر والمستقبل في بلدنا دون الامساك جيدا بالتاريخ التركي ـ العثماني ، وبالطريق التي سلكها تطورنا الاجتماعي . هذه دون شك مهمة تقع على عاتق علمائنا ، لكنها أيضا مهمة كتابنا . وسوف أكون قد قمت بشيء مفيد اذا تمكنت من دراسة ماضينا الاجتماعي الاقرب في الرواية التي أنوي كتابتها . كنت أريد أن أعطيك في هذه الرسالة مخطط هذه الرواية بشكل أكثر محسوسية ، لكنني مصاب بالزكام بشكل رهيب ، وهذا الالتهاب البسيط في العضو الرأسي يمنعني ـ مثل كل فان متواضع ـ من الكتابة اطول من هذا . آمل أن أتمكن في رسالتي القادمة من ارسال المخطط التفصيلي للجزء الاول ، لكي أستطيع الافادة من نصائحك .

قل لي هل تسلمت قميصك وبنطالك ؟ كما قلت لك يجب تجهيز البنطال في المعمل لديكم هناك .

اعطني التفاصيل عن ذلك . أعانقك بشوق . رشيد يغادرنا في أقل من شهر . سأكون حينئذ وحيدا مثلك .

تحيات الى كل الذين يحبونك .

- ٩٢ -

كمال أيها الأخ ،

صعدت للتو الى غرفتي وكنت قد سمعت المذياع تحت . لقد استسلمت ايطاليا دون شروط . نقلت النبأ الى رشيد ، وقرأت الرسالة التي كتبها اليك للتو . انها جميلة جدا . انت تكتب أجمل الرسائل

التي قراتها في حياتي ، وها هو سميك يظهر المهارة نفسها . ان الاقل مقدرة بيننا جميعا ، في هذا الميدان ، هو أنا ، ولا حيلة لي في ذلك .

رشيد يغادرنا قريبا . أنا سعيد بذلك بصورة موكدة ، حتى انني سعيد جدا ، لكن فكرة أننا سنفترق تجعلني حزينا . لم يدعني اشكو منه مطلقا ككائن انساني او كزميل أو كصديق . والآن أشعر أكثر من ذي قبل الى أي حد اعتدت عليه وارتبطت به . وها نحن من جديد منفردان انت وانا .

الكسل نفسه دائما عندي . لكن عندي عنصر جديد يتطور وينمو أكثر فأكثر . اني أجتاز ازمة حادة من الشهية الجنسية . يقال بأن الغريزة الجنسية تضمحل بعد الاربعين . ان العكس يحصل عندي . حتى ان هذا يجعلني تعيسا من وقت لآخر . انه لأمر غريب .

نزلت ثانية لأستمع الى المذياع . الساعة العاشرة والنصف . لقد استعيدت ستالينو .

سأنقل لك نبأ مثيرا : قيل لي انه يوجد جاسوسان في انقرة ، احدهما الماني ، والثاني هنغاري ، لقد حكم عليهما بالسجن لمدة خمسة عشر عاما . لكنهما يقضيان هذا الحكم في فيلا استأجراها مع حديقة في حي باهتشيليقلر ، تحت حراسة دركي وحارس ، برفقة عائلتيهما وكل أصدقائهما ومعارفهما . انت تتحدث عن بلد ! الجواسيس يقضون عقوبتهم فيه في فيلا مع حديقة ، اما الناس ـ مثلنا ـ الذين يحبون بلدهم وشعبهم فوق كل شيء فيغرقون في بؤس السجون .

لا رسائل من بيرايه منذ ثمانية أيام ، ولا من الرفاق منذ عشرين يوما ، لكن كل شيء يبدو على مايرام عند الرفاق في سينوب . هذا ما فهمته من رسالتك ، وبما انني واقعي ، فانني سعيد بذلك رغم كل شيء .

فالح رفقي كتب مقالة في مجلة « تانين » مآلها كما يلي : ما ينبغي ان يهمنا نحن هوتركيافقط ، ان الوحدة التركية هي عقيدة مستوردة من الخارج ، والحرب هي كارثة ، ومن الان فصاعدا ستقوم الشعوب بإلباس الذين يريدون الحرب قميص المجانين بالقوة ، حتى ولو كانوا مدفوعين الى ذلك بالوطنية الصرفة ، فمهمتنا الرئيسية هي النضال الذي يجب ان نقوم به لتأمين رفاهية الشعب ، والذين يحلمون خارج الحدود بالمغامرات هم عناصر تخاف العيش في هذا البلد الخ . انه لشيء جيد ان يصدر هذا عنه . ونحن نفهم لماذا يتهم نازيونا ، في كتاب اصدروه منذ حين ، فالح رفقي بانه « أحمر » . هذا يعني بان اي انسان يهتم بمصير الشعب يصبح « أحمر » ؟ مرحى اذاً ، ايها الحمر !

برهان بلجه(٩٧) هو الاخر كتب مقالا : في السابق كان الحلفاء هم الذين يبتهلون للسماء لتمطر وتعيق سير الدبابات الالمانية ، والان جاء دور الالمان لتقديم الابتهالات الى المطر أملا في وقف تقدم الدبابات السوفيتية . ويضيف : ان الالمان يتقهقرون ، ليس وفقا لمخطط موضوع مسبقا ـ ولو استطاعوا تنفيذ مخططاتهم لكانوا منذ زمن بعيد على ضفاف الدنيبر ـ بل وفقا للمخططات السوفيتية ، بقوة الاشياء .

بعثت اليك البارحة بخمس عشرة ليرة . عليك اخطاري فور وصولها . لم أقبض بعد اجور الترجمة . ستتحسن الحال عندما اقبضها . اذا احتجت الى شيء ، قل لي . أعانقك أيها الاخ .

- ٩٣ -

كمال يا أخي ،

لنتحدث قبل كل شيء عن « ساجيرديريه » . انت تعرف بأنني كنت قد أعطيتها لكمال سولكر لكي يعمل على نشرها مع « كلجي » . غير

---

(٩٧) « برهان بلجيكي (« بلج ») صحفي .

انه وفقا للمعلومات التي وردتني فان كمال سولكر قد اعتقل أو نفي ، لا ادري لماذا . لذلك من المستحيل القيام بأي شيء قبل ان تتوضح هذه المسألة .

في ما يتعلق بديونك ، فانني مرسل لك غدا عشر ليرات ، وقد ارسلت خمس عشرة منها منذ أربعة أيام . سوف تستطيع هكذا ان تدفع جزءآمن ديونك على الاقل،وسارسل لك بعض المال خلال خمسةعشر يوما . من الناحية المالية ، لقد وصلنا تقريبا الى نهاية متاعبنا ،وسنكون قريبا اكثر راحة ، واملي بذلك راسخ .

هل عندك شراشف ؟ وما هي حالة ملابسك الداخلية ؟ أخبرني فورا ، اذ بامكاني ان ابعث اليك بكتان ننسجه نحن بأنفسنا .

حتما ليس لديك حذاء . اخبرني بمقياس قدميك وسأجد لك حذاء.

سأشتري لك هنا اللحاف الذي انت بحاجة اليه . فكمال لا يملك منها شيئا ، وقد باع فراشه ولحافه منذ زمن طويل لانه يغادر قريبا .

لدي كمية كبيرة من الكتب الفرنسية ، انما روايات بوليسية فقط. بامكاني ارسالها اليك اذا أردت .

لقد اتصلت بمن يلزم بشأن العفو ، لكنني لم اتلق جوابا . وسوف إكتب اليك عندما يصلني .

نحن لا نشتري مجلة « تنين » ، معلمنا الفقيه حسين جاهيد تعلم بسرعة ان يضع نفسه في منظور الاوساط المالية الاكثر رجعية في اميركا وانكلترا . فقد قرات اثنتين أو ثلاث من مقالاته . انه مستعد تماما لخلع تشرشل ورزفلت من وظائفهما لانهما لا يعلنان الحرب فورا على الاتحاد السوفياتي . كما ظهرت مقالتان مهمتان لفالح رفقي وبرهان بلجه اختصرتهما لك في رسالتي الاخيرة .

لا تتوفر لي الفرصة ابدا لقراءة « أولوس » . لهذه الجريدة ناحية ما تعجبني .

واحد حقير من الطابور الخامس لدينا : عميل لالمانيا ، قام للتو بنشر كتاب له . وهو يستخدم في هذا الكتاب ، الذي تشكل فيه كل صفحة جريمة الخيانة العظمى ، كنيتي لكي يبرهن بأن الخائن هو انا ، اذ أن كنيتي هي « ران » كما تعرف . لكن « ران » هي « نار »(٩٨) مقلوبة ، وانني اخترت هذه الكنية لان زهرة الرمان حمراء . لقد ضحكت كثيرا وأنا اقص عليك هذا لكي تضحك ، كمزحة جميلة . الكتاب يهاجم ايضا « ناس البحيرة » التي نشرت في « تان » .

بيرايه عصبية جدا هذه الايام . اني استشف ذلك من رسائلها ، وذلك بسبب ابنتنا سوزان . هناك أسباب اخرى طبعا ، لكنها السبب الرئيسي منذ ستة أو سبعة أشهر . لا أدري ان كنت تعي ذلك . فابنتنا في العشرين من عمرها وخطبها شاب لا يعجب بيرايه . يا لها من قصة أليس كذلك ؟ اني أكتفي بمتابعة المأساة من بعيد ، وسوف نرى كيف سينتهي كل هذا .

وصلتني رسالة من الرفاق . نوري طاهر يحيطني بالكلمات المعسولة لانني لم أنتقد القصيدة التي أرسلها الي كريم ــ الساعاتي ، انني لم اجبه لابين له رأيي في القصيدة . أنا أعرف جيدا قيمة الساعاتي كريم . لكن هذا الوجه من المسألة ، في رأيي ، لا علاقة له البتة بنقد قصيدة ما وبالجواب الذي كان يمكن ان أرسله بشأنها . لا يهم ، سأكتب الى نوري رأيي في هذا المسألة . لكن حدة طاهر الشاب وعنفه قد اعجباني كثيرا في الحقيقة . أعانقك . تحياتي الى أصدقائك .

---

(٩٨) تعني النار بالفارسية والرمان بالتركية وتذكر باللون الاحمر .

- ٩٤ -

اخي كمال طاهر ،

سأجيب على رسالتك متتبعا ترتيبها نفسه . ان « الاراضي البكر » تبدو انا ، بالطبع ، كرواية وعمل فني ، ولدى قراءتها بعد الكبار مثل تولستوي وغوغول أو بلزاك ومقارنتها بأعمالهم ، ضعيفة جدا . والشيء نفسه ينطبق على « الدون الهادىء » التي هي ، مع ذلك ، اقوى من الأولى . لكن ، مع اخذ الشروط بعين الاعتبار ، توجد عند شولوخوف شجاعة الواقعية التي كان أول من عرف كيف يدخلها الى الأدب الاشتراكي ، يبدو لي ان ها هنا كان نجاحه الاكبر . ذلك لأنه ، من وجهة نظر ثقافة الروائي لا يمكن أن يقارن بالكسيس تولستوي أو باهرنبورغ . لكن هذه المقارنة تنتهي مع ذلك ، كما قلت ، لصالحه : الكسيس تولستوي واهرنبورغ هما الوريثان المباشران لتولستوي العظيم ، ودوستويفسكي وغوغول وبلزاك ، وكل هؤلاء الروائيين الكبار الذين اتوا ، كما يصح القول ، من الأنتلجنسيا ، ورثوا أيضا كل عيوبهم وكل ميزاتهم ، في حين أن شولوخوف ، بالرغم من استخدامه لارث هذا الجيل الكبير من المثقفين ، واستخداما سيئا جدا ، قد خرج من الشعب، من الانسان الموضوع في الشروط الاشتراكية الجديدة ، وحتى من الفلاح والعامل الاشتراكيين . لهذا فان دوره ، في رأيي ، مهم جداً في الأدب الروسي الاشتراكي .

عند لندن مظهران : من جهة ارتباطه العميق بحب اللذة الجسدية والجسد الانثوي والكحول والتشكيكية التي يقود اليها غالبا هذا الارتباط ، ومن جهة أخرى ايمانه بعالم وانسان جديدين . هذان التياران يصطدمان عنده غالبا . كما أن الشروط الاجتماعية قادت هذا الكاتب الرفيع الذي أحبه رغم كل أخطائه ، الى الطريق المسدود . وكنت قد قرأت في كتاب « السلسلة الذهبية » لسنكلير دراسة مثيرة جداً عن لندن .

من غير المفيد أن نتحدث أكثر من ذلك عن الرواية . لكنني لا أوافق أبداً على ما يقوله نور الله أتاتش (٩٩) عن غوركي ، سيعيش غوركي طالما عاش الناس ، لأنه أكبر شاعر في الدنيا . اما إذا كان نور الله يستخدم في قياس غوركي معايير كلاسيكية في الرواية فهو مخطىء . ان وصف غوركي بأنه « روائي » مضحك بمقدار وصف ماركس بأنه عالم اقتصادي وحسب . والحال ما هي الفائدة من متابعة هذه المناقشة ؟ ان الحكم على غوركي ، الشاعر العظيم والرسام والموسيقار والمناضل ، باستخدام معايير الروائيين ، كما نحكم على بلزاك وتولستوي ودستويفسكي هو منتهى الحماقة . هل تريد أن اعطيك رأيي يا كمال ؟ لقد تكلمنا على الرواية بما فيه الكفاية . والآن قم الى عملك فأنا أشهد لك بأنك ستكتب اشياء جيدة جداً .

اما رأيي في الرواية الانكليزية فها هو : إن الرواية الانكليزية – التي اعرفها جيداً – قد اعطت عموما اعمالا كبيرة ومؤثرة ، في محاولة منها لمزج غنائية البرجوازية الصغيرة بالفوضوية البرجوازية الصغيرة الطيبة وبالعاطفية البرجوازية الصغيرة ، في بوتقة الواقعية . لكنني لا أدري لماذا تسبب أحيانا هذه العاطفة وهذا الفن الكامل في السرد ، الضعف وضيق الافق لهذا النوع من الرواية ، الذي لا يخرج عن نطاق الرواية . إن ممثليها أمثال كبلنغ يعطون الرواية الانكليزية مظهرا عظيما وصلبا يضاهي ، في الظاهر على الاقل ، عظمة الامبراطورية البريطانية . لكنني لم اجد في الرواية الانكليزية عملا واحداً يعالج بشجاعة المعضلات الانسانية الكبرى – حتى ولا بمقدار الرواية الاميركية – لكن انتبه : فالمسرح الانكليزي هو شيء آخر تماما ، والشعر الانكليزي كذلك . هذا المسرح وهذا الشعر يتجاوزان كثيراً مؤهلات نور الله اتاتش وخالدة

(٩٩) نور الله اتاتش ١٨٩٨ – ١٩٥٧ ناقد ومؤلف ومترجم ، كان له تأثير كبير على الشعر التركي الشاب وعلى حركة تصفية اللغة .

ادبب ، في حين ان الرواية الانكليزية ، في خطوطها الرئيسية ، تشكل جنسا يمكن ان يفهمه هؤلاء السيدات والسادة .

ارسلت لك ١٥ ليرة ثم ١٠ ليرات أيضا . اخطرني عندما تتسلمها . سأبعث اليك ببعض المال ايضا بعد الاعياد مباشرة . لم اقبض بعد أجور الترجمة لكننا حصلنا على بعض العمل لأنوالنا .

اعتقد بأنه ليس لدي أنباء عن العفو لاعطيها لسفر . كان يقال بأنه سيجري التصويت عليــه بمناسبة عيد الجمهورية ، والحال إن المجلس الوطني قد انعقد في الأول من تشرين الثاني لكنه لم يصوت على مشروع قانون ، لذلك لن يكون ثمة عفو . من الممكن دائما أن يجري التصويت على القانون في مناسبة أخرى ، لا ادري . قل لسفر اني آسف إذ اعطيه نبأ على هذا القدر من السوء .

أخذت رسالة من بيرايه وهي تبعث لك بمودتها . هي أيضا عندها بعض الهموم . ابنتنا تتزوج من شاب لا يعجبها ، أريد أن أقول لا يعجب بيرايه ، وهي تعيسة جداً من ذلك . حاولت جاهدا أن ابرهن لها على قلة الاهمية التي ترتديها كل هذه المسألة . وعلى كل حال ، الحماة والصهر سينتهيان الى الاتفاق . وعلى هذا فان بيرايه ستصبح قريباً جداً جدة ، وأنا جــداً .

أعانقك بشوق . تحياتي الى أصدقائك .

ملاحظة : يغادرنا رشيد بعد أربعة أيام وقلبي حزين منذ الآن . لنتمن له الحظ السعيد .

– ٩٥ –

عزيزي كمال ،

ذهب رشيد . حظاً سعيداً . عادت اشاعات العفو الى هنا بإلحاح. ان والد رشيد يقول هو ايضا ان قانون العفو سيصدر . وانا اكتب لك

هذا لتنقله الى سفر . في سجن استنبول يوجد معجب كبير بالالمان يدعى سري بليوغلو كتب الى احد الاشخاص هنا بأن العفو سيصدر حتما . بالمقابل ، وصلتني رسالة من محامي يقول فيها بأن كل شيء قد انهار . باختصار ، هذه هي الانباء التي استطعت الحصول عليها منذ ان طرح سفر السؤال علي .

بدات بحياكة نسيج لك من اجل الشراشف والسراويل والقمصان. ارسم لي طبعة قدميك واخبرني بمقياسهما لأتمكن من طلب احذية لك . انت تعلم جيدا بأنه علينا أن نعيش في هذا العالم كما لو اننا لن نموت ابدا ، وان نفكر بالآخرين كأننا نموت غدا .

سوف اتمكن من الآن فصاعدا ان ارسل لك عشرين ليرة في الشهر . ادخلت بعض التعديلات على انوال الحياكة . ولدينا مشروع مع رشيد اذا تمكنا من تحقيقه ، هو في الخارج ، وانا هنا ، فسيكون ارسال حوالة شهرية من اربعين ليرة الى كمال طاهر البند الاول في ميزانيتي .

سأعود الى العمل ، بعد الاعياد مباشرة ، « بالمشاهد » وبالترجمة ثم أنت تعرف ، يا كمال ، اني احرزت تقدما لابأس به في الرسم .

مغادرة رشيد احدثت فراغا لايمكنك تصوره . بين كل اقراني الاصغر سنا ، كان هو اكثر من احببت ، بعدك انت .

انتظر القصة بفارغ الصبر . ابعث اليك حالا بالروايات البولسية .

« شرطيك » لم يحضر بعد . الصحف التي تنوي ارسالها الي ستقدم لي خدمة كبيرة بالطبع . شكرا سلفا .

اعذرني لهذه الرسالة فكما قلت لك قلبي حزين لذهاب رشيد ، اقبلك بشوق أيها الاخ العزيز

كمال طاهر ، ايها الاخ ،

ثمة مسألة ، او احتمال بالاحرى ، يقلقني بشكل مخيف : هل تملك نسخة من « ساجيرديريه » و « كلجي » ؟ لو أن الدفاتر التي ارسلتها بالبريد قد ضاعت ، أو انها ضاعت فعلا ، فهذا يعني اختفاء هذين العملين اللذين احبهما كثيرا ؟ ان نعم فهي فضيحة ، مصيبة حقيقية اهم من كل ما يمكن ان تشعر به من غم . اجبني بسرعة من فضلك .انا مريض من الهم والقلق ، من المستحيل حاليا العثور على كمال سولكر . كم مرة كررت لك ،ياكمال ، ان تترك هذين الكتابين بسلام ، وقلت لك بأننا سننشرهما بالكامل وبكل امان عندما يحين الوقت . لكن يجب ان يكون لديك نسخ منهما حتما . لو ان الشجاعة واتتك ، وارسلت رواية ضخمة وقصة ، وان بالبريد المضمون ، دون الاحتفاظ بنسخة واحدة، فماذا تريد ان اقول لك ، ليأخذك الشيطان : هه .

كمال ، ان تعرف اتخاذ القرارات السريعة فهذا جيد جدا ، لكن ككل شيء جيد ، وكل شيء سيء ، فانه ليس جيدا أو سيئا بشكل مطلق ، في أية شروط للزمان والمكان . هذه البديهية تعرفها جيدا ، لكنك لا تطبقها في الحياة العملية ، كالكثير من الحقائق الاولية .

وصلتني ـ بصورة غير مباشرة ـ انباء من الدكتور حكمت . وصل الى هنا معتقلون من كيرشهير ، ذاهبون الى معتقل الجزيرة . سألتهم عن أخبار حكمت ــ ليس لأنه أرسل الي تحياته ، لأنه بالطبع لم يرسل الي رسالة ولا تحية طالما انه ليس لديه خدمة يطلبها مني . يبدو أنه على مايرأم هناك ويكسب مالا . لديه خراف ونعاج وفراريج وآلة كاتبة ومذياع . صدقني : لقد سرني هذا النبأ ، وأنا أعرف جيدا ان كلمة « صدقني » لافائدة منها ، لكنني استخدمتها لأعبر بشكل افضل عن سروري . يجب أن نفرح اذ نرى هذا الشاب وقد اصبح اكثر انسانية ، لانه مع ذلك شخص يمكن أن يصلح لشيء ما .

اعانقك بشوق . لا رسالة من بيرابه . صحتي جيدة ومزاجي رائع ، وما من مشكلة سوى آلام معدتي . عاشت الحياة .

- ٩٧ -

كمال طاهر ، ايها الأخ .

دوت أصداء رسالتك في سجننا كطلقات النصر . كـل المعتقلـين يباركونك ، لانك كتبت هذه الكلمات التي تفيض بالأمل بشأن العفو . أنت تعرف جيدا بأن الامتناع عن نشر أصفر اشاعة عن العفو فورا يشكل جريمة خطيرة . لذلك اسرعت ، حالما انتهيت من قراءة رسالتك ، الى نقل الخبر السعيد ، الآتي من مجهول مشهور ، أصله من مالاطيا ، وقاض في محكمة النقض ، الى كل متهم .

تسلمت رسالة من رشيد ، هي الاولى ، وهو يبعث اليك باكوام من التحيات . سأرسل لك ٢٠ ليرة بعد أيام . غطاء فراشك جاهز ، وأنا احضر لك ايضا بعض الكتان من اجل الشراشف والثياب الداخلية والجرابات الخ .. سأرسل لك الكل اذا كنت لاتزال هنا ، وقد وضعت في البريد الروايات البوليسية التي طلبتها مني . اخبرني بوصولها ، فابعث اليك بغيرها .

اما انا ، في هذا الكون الرائع :
فياله من حظ ، يالها من سعادة ،
انا نعاس ربيعي مليء بالاحلام المضيئة ،
بالامل المشع كالمياه الجارية ،
وشجاع كحبة القمح ،

في رأيي ، يا كمال ، انه عليك أن تجتهد لبناء « الناس العراة »على مخطط واضح ، كلاسيكي قدر الامكان ، دون طرائق . يبدو لي انهذا هو الشكل الذي يناسبها ، والاكثر صعوبة أيضا .

اعتبارا من رسالتي القادمة ، سأرسل لك مقاطع من « المشاهد » ، بدون ترتيب ، واقوم بتركيبها فيما بعد . سأطبق هذه الطريقة ، هذه المرة ، لضمان تناسق مليء بالتناقضات بين مختلف المقاطع .

اني منزعج جدا مما حصل « لساجيرديريه » و « كلجي » . اللعنة: إذاً لم تكن لديك منها نسخة واحدة ؟ لقد سبق وطرحت عليك هذا السؤال في رسالتي الاخيرة . واذا لم نتمكن من العثور على المخطوطات ، فماذا ستعمل ؟ هل لديك المسودات على الاقل ؟ ينبغي عليك ، دون اضاعة دقيقة واحدة ، ودون الانغماس في اليأس أو الخمول ، اعادة نسخ الكتابين بعناية وعلى صورتين ، أو الطلب الى الفتاة الشابة بأن تطبعها لك على الآلة الكاتبة ، فترسل لي نسخة منها ، ليس لنشرها ، بل للاحتفاظ بها بعناية ، من أجلك .

سأطلب اليك الحصول ، في اقرب وقت ، على المعلومات التالية والكتابة الي بنتيجة تحقيقك : كم يكلف ، في مالاطيا ، شرشف من مترين في مترين ونصف المتر مع الخياطة ؟ هل يوجد هناك تاجر مستعد لشراء شراشف من هذا المقياس منا بالجملة ؟ بكم واية كمية ، شرط شرائها منا بالجملة ودفع قيمتها عند التسليم ؟ نحن نستخدم خيطا من الرقم ٢٠ للسداة والرقم ١٢ للحمة . والشرشف يزن على الأقل ٦٦٠ غراما .

سؤال اخر أيضا : هل يمكن الحصول على الخيوط في السوق السوداء في مالاطيا ؟ وكم تكلف الرزمة من مختلف الارقام .

تسلمت بطاقة تمنيات من راتب طاهر .

وبعد ، ياكمال ، كم يكلف لديك المشمش المجفف وعجينة المشمش ؟ ينبغي ان تكون البضاعة من النوع الجيد جدا . اخبرني بذلك . فاذا كانت البضاعة جيدة وليست مرتفعة الثمن نسبيا ، ارسلت لك بعض المال ، فتشتري منها لبيرايه وترسلها الى عنوانها . انما اخبرني بالاسعار اولا لأتمكن من ارسال المال اللازم لك .

نقلت لبيرايه ماكتبته لي بشأن الصهر ، ورأيي انا ايضا . لقد تصالحا . انها تبعث اليك بمودتها وتقبلك .

لاتنس ان تنقل تحياتي الى سفر . كونه يرغب في ارسال صورته الي سرني جدا . قل لي ، يا كمال ، ماذا حصل للمحكومة بالاعدام ؟ كنت اود التعرف على سجن مالاطيا ، لكنني سأعرفه بشكل افضل من سجن بروصه بفضل « الناس العراة » التي ربما وضعت لها بكل بساطة عنوان « سجن م » .

لا اخبار من الرفاق في سينوب منذ زمن طويل . لقد اعيد عمر وينز الى هناك ، وقد تسلمت رسالة منه منذ حوالي الشهر ، واجبته ببضعة اسطر في الرسالة التي بعثت بها الى كل الشبان دفعة واحدة ، وفقا للمبدأ الذي وضعته لنفسي .

هذا كل ما هنالك اليوم . لا يمكنك ان تعرف كم اتشوق لرؤياك . ان نلتقي ، ونستطيع الثرثرة ، حتى لساعة واحدة ، يا لها من سعادة لي ، ربما لا تتصورها أنت .

اعانقك . تحياتي الى كل اصدقائك الذين هم اصدقائي ايضاً .

- ٩٨ -

عزيزي كمال ، ايها الأخ ،

انا مدين لك برسالة ، وسأسدد هذا الدين حتما . ارسلت لك اليوم ٢٠ ليرة . أخبرني عندما يصلك المال .

في ما يتعلق بالخيط : سيكون جيدا جدا لو تستطيع أن تشتري لي رزمتين في الشهر ، بالسعر الطبيعي ، وبالتوجه مباشرة الى ادارة التفتيش الاقتصادي ، رزمة من الرقم ٢٠ والاخرى من الرقم ١٢ ، مثلا وارسالهما الي . ان سعر السوق السوداء هو نفسه هنا . والخيط المغزول يدويا أعلى في ملاطيا . أما المناديل فتباع فيها بسعر اقل . إذاً من المستحيل ، كما ترى ، ارسال البضائع الى ملاطيا وعقد الصفقات فيها . لكني أكرر بأنك لو تستطيع الحصول على رزمتين من الخيوط على الاقل في الشهر ، بالسعر العادي ، فسأستخدمها في الحياكة وأرسل لك البضاعة ، مما قد يكون مثيرا للاهتمام .

أعمل دون كلل في « المشاهد » . وكما أخبرتك سابقا ، « فوتّ » مقطعا كاملا لأسباب تقنية . وبدأت العمل في الرسائل التي تشكل جزءا من الكتاب الثالث ، فكتبت ، أو بالاحرى ، عدّلت قليلا اكثر من الف بيت . (لأن رسائل هذا الفصل هي في الاصل رسائل بيرايه ورسائلك ورسائل والد رشيد) . أعتقد بأنني سأستطيع انهاء كامل الفصل وارساله اليك في غضون خمسة عشر يوما من الآن .

أعيش حياة وحدة اكثر وحشة منذ مغادرة رشيد . الكتابة ، القراءة ، الرسم ، والايام تمر كالبرق ، ثمة فترات لا أرى فيها انسانا طيلة اسبوع كامل . وأنا سعيد بأنني أستطيع العمل دون توقف بعد هذا الكسل الذي دام وقتا طويلا .

شرشفك جاهز والآن نحيك لك القطنيات ، وغطاء السرير جاهز أيضا . أرسل لي قياس قدميك من أجل الاحذية . عندما تصبح جاهزة ارسلها لك كلها . ينبغي أن تستعلم عن سعر المشمش المجفف وعجينة المشمش ، الكل أفضل حتما في ملاطيا ـ يمكنك الاستعلام عن أسعار سلع أخرى ايضا ـ وسأرسل لك بعض المال لتشتري منها لبيرايه .

اعلمني أيضا بسعر « الطربانة »(١٠٠) والبرغل . ينبغي الاهتمام بمؤونة برايه للشتاء .

بدأ هنا الطقس الممطر . آلام الورك (عرق النسا) بدات باكرة هذا العام .

طبعا ، سأفعل اللازم باكرا أنا أيضا للتخلص منها .

انا سعيد بأنك قررت « ترتيب » « ساجيرديريه » و « كلجي » . هذان العملان يشكلان بداية عهد جديد في الادب التركي .

لا أخبار لدي من خالي الجنرال هذه الايام . والدتي مريضة . ومن المحتمل ان يكون قد ذهب لزيارتها خلال اقامته الاخيرة في استنبول . عانقك ايها الأخ .

- ٩٩ -

كمال ،

وصلتني بطاقتك القصيرة وصورتك : والاثنتان آلمتاني كثيرا . رسالتك أثارت الانفعال لدي : لم يسبق أن تسلمت رسالة بقصرها . من المحتمل أني كتبت لك اقصر منها . لكنها المرة الاولى التي ترسل الي كلمة بهذا الصفر ، وقلت لنفسي ينبغي أن تكون عصبيا جدا أو تعيسا جدا ، باختصار ، كان ثمة ما يقلق . ومن ثم صورتك ـ الا" أرى الا في الصورة الاشخاص الذين أحب ، بدأ يزعجني . أنا انسان يريد أن يكون نشيطا في كل مظاهر الحياة والفكر ، ولا أدرك الا الاشكال النشيطة للصداقة والحب ، في حين أنني أتأمل بسلبية ، على صور ضوئية ، وجه صديق مثلك انت ، أو وجه المراة التي احب .

---

(١٠٠) عجينة مصنوعة من طحين البرغل واللبن .

كمال ، لك سمّي آخر ، انه كمال سولكر الصحفي . هل تتذكره؟ يبدو أن هذا الشاب يكتب مقالات مكرسة لبعض الكتاب . وهو يحضر واحدة عنك . وقد ذهب لطرح بعض الاسئلة بشأني على رشيد وكريم سعدي ، وسيتوجه اليك ايضا ، انت صديقي الاقرب ، لكن الطريف في ذلك انه يطلب الي انا ان اكون الوسيط . اذا كان لديك ما تقوله عني فاقبل عرض هذا الفتى .

تحياتي الى زملائك في الزنزانة . واضح من الصورة انكم رفاق اقربون .

ان عدم قيام والدك بالاجابة قد آلمني كثيراً ، كما آلمني أن شباب سينوب وقعوا ضحية الاحتيال في موضوع الصمغ اللك . انا ايضا وقعت مرارا ضحية الاحتيال وبعدة طرق ، ومررت بهذه التجربة ، عدة مرات في حياتي . وفي كل مرة ، كنت اغضب جدا ، ليس ضد المحتال، بل ضد نفسي .

بيرايه ترسل لك مودتها وتقبلك . انا لا أراها الا من خلال رسائلها منذ عام كامل . ستحضر في الربيع . الم يعد مسموحا لك أن تذهب الى البلدية كما في السابق ؟ كنت سعيدا بأن لديك هذه الفرصة لاستنشاق الهواء قليلا . انا أهمل « المشاهد » هذه الايام واهتم بأنوال الحياكة . سأعود الى « المشاهد » حالما أرتب سير العمل .

امين ـ الذي ـ من ـ ساريز يهديك تحياته . لا تنس مقابلته بالمثل في رسائلك . انه يحزن بشدة عندما لا تكون عندي تحيات انقلها اليه .

اعانقك بشوق أيها الأخ . تحياتي مرة اخرى الى زملائك فيالزنزانة.

اكتب لي رسالة مطولة ، والا تصورت انك فقدت مزاجك الطيب. ان كمالا حزينا ، حينما تزف اللحظة التي ينبغي أن يكون فيها طيب

المزاج ، سيجعلني تعيسا جدا ، في حين انني لا اريد ان اكون تعيسا. انا فرح بحيث أن جبل الاولمب المطل على بروصه ، لو اختفى فجأة في هاوية لشعرت بأنني من القوة والسعادة بحيث استطيع خلقه من جديد.

- ١٠٠ -

عزيزي كمال طاهر ،

أنت لم تجب بعد على البعض من رسائلي ، وخصوصا على الاسئلة التي طرحتها عليك في الرسالة الاخيرة . لقد مرضت مرضا شديدا هذا الاسبوع بسبب البرد الذي أصابني ، ولم أشفَ بعد تماما ، وانا اكتب لك هذه الاسطر القليلة بصعوبة ، لكي لا أترك رسالتك دون جواب .

انا ايضا ارسلت برقية الى نوري طاهر ، اطلب منه اخبارا عن صحته ، وما اذا كان قد تسلم الخمسين ليرة التي ارسلتها اليه البارحة . سأخبرك حالما يصلني الجواب ، لكن بامكانك أن تبرق اليه، على كل حال ، انت ايضا .

تحياتي الى رفاقك . ان أصداء الغضب الذي تملك بيرايه عندما علمت بما جرى لك تكفي لملء هذه الرسالة ، لكن مصيبة الزكام هذه التي حولتني الى خرقة رثة لا تسمح لي بتحريك ذراعي .

هل تسلمت العشرين ليرة ؟ كنت قد ارسلت لك روايات بالفرنسية هل وصلتك ؟

اتمنى لك الكثير من الاشياء الطيبة ، فلتعش الحياة يا كمال وليأخذ الشيطان هذا الزكام الذي لا يدعك تكتب حتى رسالة . اعانقك الف والف مرة بشوق .

- ١٠١ -

عزيزي كمال طاهر ، ايها الأخ ،

تأخرت عليك في الاجابة ، فقد حصلت لي انتكاسة شفيت منهـا للتو . لدي بعض الاسئلة اطرحها عليك : ١ ـ ألا تزال دون اخبار من نوري طاهر ؟ ٢ ـ ارسلت لك قصيدة صغيرة هل تسلمتها ؟ ٣ ـ سأضع صورتي في هذا المغلف ، هل تتسلمها ؟ هل سيسمحون لك برؤيتي حتى وان كان ذلك في الصورة ؟

كنت اوبخك على كسلك وها أنا أصاب بالمرض نفسـه . اني اناضل بكل قواى ضد هذه الجائحة الملعونة .

لقد خسرنا بعض المال في المرض . لا يهـم ، سنحاول ان نعوض ذلـك .

الرسام ـ الفلاح ابراهيم(١٠١) ذهب الى السجن الزراعي في أمرلي، لكنه بدأ يندم على ذلك ، اذ بدل أن يسمح له بممارسة الرسم ، جعلوه يعمل بجمع البطاطا .

أنا أقرأ الآن « مختارات الشعر الشعبي » لبرتف نائلي(١٠٣) وخليل وداد ، من منشورات وزارة التربية الوطنية ، وهـو كتاب قيم . لقـد فهمت ، مرة أخرى ، انه من الصعب جدا أن يكون الانسان شاعرا في بعض الشروط ـ شاعرا شعبيا او شاعر ديوان أو شاعر لا ادري ماذا ـ طالما ان هذه الشروط لا تتغير . ان الشعراء الذين يؤثرهم المؤلفان بأكثر

---

(١٠١) سوف يصبح الرسام ابراهيم بالابان .

(١٠٢) الاستاذ برتف بوراتاف يعمـل حاليا كمدير ابحـاث في المركز الوطني للابحـاث العالميـة .

المديح لم يعجبوني . باستثناء واحد أو اثنين . وعلى العكس ، أحببت آخرين لم يعيراهما اي اهتمام .

ظهرت مقالة طويلة في « الوطن » حول المرأة التي اعدمت في مالاطيا. حتى جثتها لم يتركوها بسلام ، وعاملوها بحقارة . لكن ثمة أيضا « المشنوقة » البائسة التي تعيش في رسائلك ، والتي ستخلد في « الناس العراة » ، أنا واثق من ذلك .

ستحضر بيرايه ــ اذا تمكنت من ذلك ــ في نهاية الشهر . أنا مستعد منذ الآن لهذا اللقاء . أمين ــ الذي ــ من ــ سارير يبعث اليك بتحياته وبقبلك . نحن نطبخ سوية منذ اشهر . انه يعمل هنا في مكتب رئيس الحرس .

ستخضع والدتي لعملية « الماء الزرقاء » في عينيها خلال هذا الشهر . قلبي حزين جدا لهذا الامر ، وانا افكر في شتى الاحتمالات، كلها أسوأ من بعضها البعض ، ولا اهدأ الا حين أفرغ كل هذا في لاوعيي. هذا عزاء جبان ، لكن لا حيلة لي فيه .

ها هو كناري « ميمو » الأصفر الصغير بدأ يغني من جديد . ما أن ابدأ بالكتابة على الآلة حتى يأخذ بالزقزقة . لقد أسميناه « ميمو » منذ أن فرّخ في غرفتي منذ حوالي الشهرين .

اعتقد بأن ما يجعل كلينا كسولين بهذا الشكل هو كوننا فرحين جدا ، طيبي المزاج ، او بالاحرى لأننا لا نتدخل مباشرة في ما يحصل في هذا الكون الشاسع العزيز ، ولأن المواضيع التي نعمل بها لا تتعلق به الا بصورة غير مباشرة .

لكن لنترك الكسل جانبا ، يا كمال طاهر ، مهما كان السبب ، لأنه مخجل جدا ، ولنستمر في العمل بكل قوانا ، فهذا ما ينتظره منا شعب

تركيا الآن ، في الشروط الحالية . ينبغي أن نكتب من أجله اجمل قصصنا ، واجمل رواياتنا ، وأجمل قصائدنا .

عملاً جيداً ايها الأخ . أقبل حاجبيك السوداوين . تحياتي الى زميلك في الزنزانة .

١٠٢ -

عزيزي كمال طاهر ، ايها الأخ ،

أجيب قبل كل شيء على اسئلتك : أرسلت لك صورة ثانية . من المحتمل أن تأتي بيرايه لرؤيتي بعد الاعياد . اذا وجدنا الفرصة والامكانية ، « سنتصور » سوية لارسال صورة إلك .

بعثت برسالة مضمونة الى عنوان نوري طاهر ، بعد ارسال برقية له . الا تزال دون اخبار من « الشباب » ؟ اني قلق عليهم جدا ، والاسوأ هو الا تتلقى اخبارا منهم . توجه مباشرة الى النائب العام ، برقيا ، لتطلب منه أخبارا عن صحة نوري .

لقد عدت الى العمل ، وللأسف لا يسير الأمر جيدا ، فاني لا أتمكن من العمل بالشكل القوي الذي أريده . في ذهني فوضى ـ فوضى جميلة جدا ـ تمنعني من التركيز على مسألة واحدة .

اذا بقينا في السجن خلال هذا الشتاء ، فسأرسل لك في الخريف قماشاً لتفصل منه قمصانا وجوارب الخ .. قل لي اذا كنت بحاجة الى نوع آخر من القماش لكي ننسجه لك .

لا أدري ان كنت قد كتبت لك هذا قبل الآن . لدي كناري خرج من بيضته في قفص عتيق ، هنا بالذات ، في غرفتي . عمره ثلاثة أشهر ، وهو أشقر جميل . سمته جدته ميمو . وهو عصفور لطيف ، خبيث

كالشيطان . يغني ويزقزق . انه ، في هذه اللحظة ، يتسلى بشد الشريط الذي ربطت اليه الخرزة الزرقاء (ضد العين) ، لكنه يستدير نحوي من وقت لآخر ويصغي الى ضجيج آلة الكتابة . سوف يبدأ «بالتلحين». انظر : لقد تعلق بطرف حمامه .

تحياتي الى زميلك في الزنزانة . اعانقك بشوق ، آملا أن أراك قريبا .

- ١٠٣ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك . وزادت في سعادتي ، في هذه الايام الجميلة جدا بالنسبة لنا . أن اراك طيب المزاج ــ وفي الحقيقة نادرا ما وجدتك سيء المزاج او حزينا ــ هو من أكبر مناسبات أفراحي . استطيع اخيرا ان اقول لك شيئا دقيقا عن الاخبار التي كنت تنتظرها من خالي . لقد ذهب لزيارة والدتي ، منذ أيام ، ليقول لها « ان الاسوأ قد مضى » . وهذا يعني انه مقتنع بأننا سنحصل على حريتنا قريبا . هذه هي أخبار العفو . لننتقل الآن الى مسألة الخيوط دون مراقبة كمية البضائع المنسوجة الموافقة لوزن الخيوط المشتراة ــ اذ هذا ما هو مطبق هنا وبهذا الشرط فقط يبيعون لنا الخيوط ــ فان المعادلة التي تقترحها أكثر فائدة . لكن اذا طلب اليك أن تبين المقابل من البضائع ، فسأعمل على نسج الخيوط هنا ، مما يؤمن لنا ، كما قلت لك ، ١٥ أو ١٧ ليرة من الربح في كل رزمة . لنتحدث الآن عن بيرايه : انها مشغولة جدا بزواج سوزان . كنت قد كتبت لك بأن الصغيرة مخطوبة . بيرايه تبعث اليك بمودتها في كل واحدة من رسائلها .

في ما يتعلق « بالمشاهد » ، أهملتها هذه المرة أيضا حوالي العشرة أيام ، لانهم يضغطون علي لانجاز الترجمة . سأعود الى العمل خلال

عشرة أيام . لقد اوحت الي رسائل بيرايه بألف بيت تقريبا . انتقلت حاليا الى رسائلك ، واعتقد انني سأجد فيها مادة لألفين أو ثلاثة آلاف من الابيات . ان الابيات المستوحاة من رسائل بيرايه ليست سيئة . ابياتك أيضا ستكون جيدة جدا . من يدري ؟ لدي هذا الانطباع لأنه يبدو لي عندما اقرا رسائلكما انني أقرا أجمل الكتب . عندما أنتهي من رسائلك واكتب البداية سيكون الجزء الاخير من الكتاب الثالث قد انتهى ، وأستطيع عندئذ ان ارسل لك المجموعة . غير انني أستطيع ان أقول لك منذ الآن : إن أوجه التشابه ، من وجهة نظر المشاعر الانسانية ، بين رسائلك ورسائل بيرايه ، هي من الكثرة بحيث أنها ستصعقك ، حتى ان الحالات الروحية وطريقة التعبير عنها تتشابه لدرجة الظن بأنها مقاطع من رسائل كتبها شخص واحد . أما قرارك باعادة النظر في « ساجيرديريه » و « كلجي » فقد أفرحني جدا . أنت تقول بأن هذه الصيغة هي أقل جودة من الاولى . أنا لا أعتقد بذلك ، لأن الاختلافات في بناء الجمل ليست هي التي تجعل عملا ما جيدا أو سيئا ، والأسوأ الذي يمكن أن يحصل لك هو عدم التمكن من اعادة تركيب هذه الاختلافات في البنيسة . أما الباقي ، وبما انك تملك المسودات ، فلا يطرح مشكلة . والحال ، انك من الآن فصاعدا ، لا تستطيع ان تكتب شيئا رديئا ، حتى لو أردت ذلك . لنتناول الآن ما كتبه عني بهجت كمال ، فقد ضحكت منه كثيرا عند قراءته . هذا مضحك حقا : ان المناداة « بالاسلامية » أو « العثمانية » خطأ لا أحد يشك فيه ولا أحد ينكره ، لأن هذين التيارين من الافكار قد أصبحا من الماضي ، وعودتهما الى الحياة تعني لبلدنا تقهقرا لعدة قرون . لكن أن تكون شاعرا اشتراكيا ، فهذا يعني شاعرا يعرف ان يحب بلده وشعبه على الوجه الافضل ، ويتمنى لهما الازدهار أكثر من غيره ، فما هو السبب في أن يكون ذلك موضعا للوم والا يتفق مع الضمير الوطني ؟ آه ، لو كانوا يتعلمون هم أن يحبوا بلدهم كما يحبه الشاعر الاشتراكي، لو كانوا يستطيعون الوصول ، ولو للحظة واحدة ، لمستوى وجدان

الشاعر الاشتراكي : فعند الشاعر الاشتراكي يكون حب الوطن والشعب حبا للارض الحقيقية المحسوسة التي تلمسها بأصبعك وتراها بعينيك، حبّ الكائنات الانسانية التي تسمع صوتها . أما هم فلا يعرفون ذلك. وفي قصائدهم ، حتى محبوبتهم هي مخلوق مجرد ، بينما انا ، الشاعر الاشتراكي ، احب بلدي وشعبي بلحم وعظم كما أحب امراتي ، وهم يقفون مذهولين أمام « فضولي » لأنه جذب الشرق الى مرتفعات التجريد، بينما ارى هاهنا اكبر الضعف ـ مما لا يمكن تجنبه ـ في كل أدبنا الاقطاعي . أعرف مثقفين يصرخون ، أيام العيد ، « عاش محمد »(١٠٣) من أعلى المنابر ، لكن عندما يقف أمامهم محمد المسكين ، بلحمه وعظمه وفي يده « عريضة استدعاء » يرمونه خارجا . انهم جميعا مثل برهان جاهيد(١٠٤) الذي يكسب المال من بيع أمثال محمد ، لكنه يرتجف رعبا عندما يفكر بأن واحدا منهم يمكن أن يلامسه في الشارع . من يحب بلده وشعبه بشكل أفضل ؟ ليس هذا موضوعا لنقاش اكاديمي . وبما انهم قد اختاروا ميدان الشعر ، فان هذا الحب يمكن ان يقاس بطريقة التعبير عنه في الشعر . حسنا أنا أتحداهم هنا :

لنتكلم الآن على أحذيتك . سأرسل لك إذاً الدراهم كما تقترح ، وأنت توصي عليها هناك . أشياؤك جاهزة ينقصها شيء أو شيئان صغيران ، سأرسل لك الطرد حالما يصبح الكل جاهزا . لم أتسلم الكتب والصحف التي أرسلها الي. سأضع غدا في البريد الروايات البوليسية التي تريدها . قل لي ، لقد افتكرت ، ماذا حل بالمحكومة بالاعدام ؟

عنوان بيرايه : (.....) اذا ارسلت لها المؤن مباشرة فأخبرني بما دفعت لأرده لك ، فأنت تملك بالكاد ما يكفي لمعيشتك . من الآن فصاعدا سأرسل لك ٢٠ ليرة شهريا ، وما ان يدفعوا لي أجور الترجمة حتى

---

(١٠٣) محمد او محمد جيك تشير الى الفلاح التركي او الجندي البسيط .
(١٠٤) برهان جاهيد صحفي كان ينشر مجلة شعبية .

ارسل لك مبلغا اجماليا. انني لا اتلقى اخبارا من سينوب وهذا يقلقني. بعثت اليك بتحياتي مع الشخص الذي نقل الي تحياتك فهل وصلتك ؟ اقبلك ايها الأخ العزيز .

- ١٠٤ -

٩ تشرين الثاني ٤٣

عزيزي كمال طاهر ، يا أخي ،

من لا يحب بلده وعمال بلده لا يستطيع أن يحب العالم بأجمعه وعمال هذا العالم ، ومن لا يحب العالم وعمال العالم كله لا يستطيع أن يحب بلده وعمال بلده بالذات . ومن لا يعرف ان يحب لا يستطيع الاهتمام بالادب أو الرسم أو العمارة . ولأن هذا الحب يملأ منا القلب نستطيع أن نصنع أدبا ـ هل هو الادب العظيم ، الادب العميق ، لا أدري ، لكنه الادب المخلص بالتوكيد . وانا لا أدري بالضبط لماذا أكتب لك كل هذا ، لكن الرغبة تملكتني في أن أبدأ جوابي على رسالتك هكذا ، رسالتك التي هي من اجمل ما كتبت الي من رسائل . ما أقوله لك هنا ليس مهما جدا ولا أصيلا جدا ، لكنه صحيح ، والكلمة الصحيحة أثمن من الكلمة الأصيلة .

آه يا عزيزي كمال . ان تفاؤلك وأملك الجاهزين دوما للتحول الى فعل ، الى عمل ، يملآني احيانا بالاعجاب . اي سرعة واي اندفاع نشعر بهما في رسالتك ، كأننا نخرج من السجن غدا ـ غدا بالمعنى الضيق الدقيق أي اليوم الذي يلي هذا اليوم ـ لقد لاحظت ذلك وانا اصنف رسائلك ، مرارا ، فقد تركت نفسك تنجر وراء هذا الاندفاع . اليك ما تقوله لي في احدى رسائلك :

العصافير تغني في الخارج .
والجبال حمراء ، عارية .

والاوراق المصفرّة تحجبُ اغصان الحور .

ومنذ قليلٍ ، لقلاق" ضخم" ،

صبور" ومجد ،

يجمعُ امامنا في أرضٍ خلاء

اطراف اغصانٍ ليبني عشه .

والمدينةُ من هنا

تبدو قاحلةً مهجورة .

في البعيدِ ، تدقُ الساعةُ احدى عشرة دقة .

وتفاؤلي ،

هذا الكنز الفريد

الذي لا ينضب ،

يغلي ويطوف .

قريباً نصبح احراراً ، اقول لنفسي ،

واعانـد .

لقد قطعتُ رسالتي .

فالساعات قد مضت .

ونزلت انا الى الباحة .

ثمة شمس" رائعـة .

وهذه السهوبُ التي تنعشك .

لقد تحدثنا عنك مـع الرفاق .

وفي هٰذه اللحظة ،

يبدو لي العالمُ حاشداً بالناس الطيبين ...

انا مرتاح ، وحتى سعيد قليلا .

ان المساء يأتي ،

حسناً : فليأت المساء ...

مضى زمن طويل لم اكن اتلقى فيه رسائل من الرفاق في سينوب ، في حين انهم كانوا قلقين أيضا لعدم وصول اخباري . تلقيت اليوم برقية : « ننتظر اخبار صحتك » وقد أسعدني انهم يقلقون علي .

ما هو رقم الخيط الذي يكلف عندكم ٣٠ ليرة ؟ اخبرني بذلك فسأوصي بطلبية منه وفق الحال . كم تكلف النقانق المجففة والبسطرمة وعجينة المشمش والمشمش المجفف ؟ اجمع لي المعلومات حولها .

سأرسل اليك عينات من بضائعنا . والشرشف الكبير الذي أبعث به اليك يصلح كعينة . والحال ، ان الطريقة العملية هي ان ترسل لي عينة من القطنيات المطلوبة كثيرا ، واعلمني بالكمية التي قد يرغبون فيها ، وبأي سعر ، حتى اذا كان مناسبا نسجنا منها في الحال وارسلناها لكم .

سنخرج حتما من السجن ، يا كمال ، غدا ، بالمعنى الرمزي ، أو بالمعنى الدقيق للكلمة . ان أوضاعنا يختصرها جيدا اجمل بيت في « نشيد الاستقلال » : « من يدري ، غدا ربما ، ربما قبل غد ... »

اقبلك ، « كومات » من التحيات الى كل من يسألونك عني .

— ١٠٥ —

٤٣/١١/١٥

صحتي جيدة . بعثت لك برسالتين .

٤٣/١١/١٧

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

كيف نصف واقعة انك لا تتسلم رسائلي ؟ أنا كمواطن يحترم انظمة السجون لا أرسل لك رسالة ما لم تراقب وتوقع من قبل الموظفين المسؤولين . لاشك بانها تراقب لديكم ايضا قبل تسليمها ، بحيث تكون كل الشكليات المطلوبة متوفرة . لكن كما أرى ، يوجد بعض الاشخاص ممن يعتبرون انفسهم فوق القوانين أو يغذون هكذا أوهاما، يسرقون رسائلي ويحتفظون بها ليرسلوها لك بتأخير كبير او لكي لا يرسلوها على الاطلاق . ما الذي يودون معرفته من رسائلي ، هذه الرسائل المراقبة من قبل ادارة السجن والموجهة الى صديق في السجن كذلك ؟ ان رأيي في كونهم يتركونني مقوقعا في السجن منذ ست سنوات ، دون حق وبشكل غير قانوني ، استنادا الى افتراءات وادعاءات مخجلة ، رايي أنا في هذا الموضوع كتبته الى وزير العدل والى رئيس الجمهورية، وكل رجل قانون شريف يعرف جيدا انني ، اننا جميعا ، ضحايا مؤامرة كريهة ، أو ان ما يريدون معرفته من رسائلي هو مدى حبي لبلدي وللشعب التركي ، الشعب الحقيقي ؟ أن احب بلدي أم لا هذا شأن لا يخص هؤلاء الناس المجردين من الضمير ومن احترام القوانين الذين ينحطون الى درجة سرقة رسائل معتقل . لو كان كل تركي يحب بلده وشعبه كما أنا ، كما أنت ، لكان اعداء البلد أقل بكثير ، وكانت الخيانات التي أشار اليها رئيس الجمهورية بحق في خطابين له أقل بكثير أيضا .

أخيرا ، لا يهم ، آمل أن تصلك هذه الرسالة . أرسلت لك اليوم الشرشف والغطاء ، وسأرسل قريبا الجوارب والدراهم والاحذية وبعض الاشياء الصغيرة الاخرى . ان الحرير الذي تتحدث عنه يكلف

هنا ٥ ، ٦ ليرات/٧ ليرات . والنوع هو نفسه اما الرسوم فمختلفة . لم اتمكن من ارسال الروايات التي كنت تنتظرها لانني لـم اتسلمها انا بعد . اقبلك أيها الاخ .

- ١٠٧ -

٤٣/١١/٢٦

عزيزي كمال طاهر ،

لنتحدث اولا عن اقتراحك . انا اعتقد بأن رسالة موجهة بصورة شخصية الى رئيس الجمهورية لن يكون لها أي أثـر قانوني . ينبغي التوجه أيضا الى المجلس الوطني ، لأن بعث الرسالة الى رئيس الجمهورية مع الاشارة الى ان الطلب نفسه قد قدم الى المجلس ، قد يفيد نوعا ما . وكما يقول المثل « الطلب ليس عيبا والرفض أسوأ .. » لكنك حسنا تفعل بأ ن ترسل لي اولا مسودة الرسالة والطلب الذي تزمع تقديمه الى المجلس والذي ستتحدث فيه عن الخطأ القانوني الخ ... بحيث نستطيع، من وجهة نظر قانونية ، مناقشة الشكل الذي ينبغي اعطاؤه للنصين . هيا ، جرب حظك . قد نستطيع ، نحن أيضا ، التسلل من الثغرة التي تكون قد فتحتها . وإذا كنت أنا لا أقوم بأي اجراء ، قبلك أو معـك ، فلأن عدنان بك (١٠٥) سبق أن بحث الموضوع مع الماريشال (١٠٦) منذ بضعة أشهر ، لصالحي ، لكن الجواب كان : « جرب أنت ، فطلب العدالة ليس مشيناً » .

اكرس وقتي حالياً لرسائلك ، ومتى انتهيت من هـذا العمل ، سآخذ النص من النقطة التي توقفت عندها وأنهي الكتابين الثاني والثالث

---

(١٠٥) عدنان اديفار طبيب وفيلسوف زوج الروائية خالدة اديب .

(١٠٦) هو الماريشـال فوزي تشاقماق وزيـر الدفاع الوطني لعـدة سنوات ومعروف بآرائـه المحافظة .

بعد ادخال الرسائل اليهما ، مما سيستغرق خمسة أو ستة أشهر من وقتي . لكنني سأستطيع أن ارسل اليك قريباً عدة مقاطع مهمة . « والناس العراة » هل يتقدم العمل بها ؟ بالمناسبة ، في احدى رسائلك ، توجد حكاية الشخص الذي يقتل ابنته لأنها كانت تمارس الدعارة . هل ستستخدم هذه القصة في « الناس العراة » ؟ اعلمني في أقرب وقت لأعرف ما إذا كنت استطيع استخدامها أم لا .

أكتب لك هذه الرسالة باليد ، في الطابق الأرضي ، لأنني لم اصعد الى غرفتي ، فأنا أريد انهاءها لتلحق بالبريد في الوقت الملائم . لقد زاد خطي بشاعة . اهنئك إذا استطعت قراءته .

ارسلت لك اليوم شراشف ولحافا وروايتين . اكتب لي بالتفصيل عما يصل اليك ، لأتمكن من ارسال الباقي بأمان . كنت قد ارسلت ٣٠ ليرة الى سينوب ، ثمنا لبضائعهم ، ولم اتلق بعد جوابا ، وأنا قلق عليهم .

قل لي ، هل عندك أخبار من الدكتور حكمت ـ مباشرة او بصورة غير مباشرة ؟ بيرايه لم تتسلم بعد هداياك الجميلة ، التي سبق ان أعلنتها لها . إنها تشكرك وتقبلك وتغمرك بالبركات . .

الى اللقاء يا عزيزي كمال . انتظر « الناس العراة » بفارغ الصبر . لك تحيات رشيد (الموجود في الخارج) وأمين ـ من ـ سارير (هنا) . اقبلك مرة اخرى .

- ١٠٨ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

أنا سعيد بأنك تسلمت رسائلي . كتبت لك واحدة اخرى ويجب أن تكون قد تسلمتها أيضا . ارسلت لك شراشف ولحافا ، اخبرني متى تسلمتها . سأرسل لك أيضا بعض الأشياء الصغيرة .

ان مقطع القصيدة موضوع البحث قد استعير كما هو من احدى رسائلك . فقط هذه الكلمات : « صابرة ومجدة » و « لاجل » غيرت مكانها . إنه بالفعل مقطع من احدى رسائلك من تشنقيري . أما التشابه الذي يجدونه بيننا فانه لا يزعجني انا أيضا . أنا اشبهك وأنت تشبهني ، أي شيء يمكن أن يكون طبيعيا أكثر من هذا ؟ بما اننا نشعر بالاحاسيس نفسها ، ونحب الأشياء نفسها ، ونؤمن بالأشياء نفسها ، فإننا نقول تقريبا الشيء نفسه عندما نريد التعبير عن هذا الحب أو هذا الايمان . لماذا ينبغي علينا أن نخاف هذا التشابه ؟ في مشاعرنا وفي ايماننا من التنوع العميق ما يجعل كلا من كتبنا ، وجملنا حتى ولو عبرنا عنهـا بخصائصنا المشتركة ، يشكل تعميقا وتوسيعا ، بفضل هذا التنوع ، وليس تكرارا .

كان علي أن اكرس كل هذا الاسبوع للترجمة ، وسأقبض قريبا اجورها ، إذ انها ستنتهي بعد بضعة أيام بحيث أتمكن من العودة « للمشاهد » . هذه المرة ، سأرسل لك حوالي العشرة آلاف بيت . وانت ، أسرع باعادة كتابة « ساجيرديريه » و « كلجي » . أنا احسدك على « الناس العراة » ، حتى قبل أن أقرأها .

لقد أقلقتني قصة الكالسيوم هذه ، لكن بما أنك تؤكد لي بأنه ليس ثمة مايدعو الى القلق .. انا مسرور من انك تستطيع شم الهواء كل يوم ، مسرور جدا ، ولا تستطيع ان تتصوركم أنا سعيد بذلك .

بيرايه لا تتحدث الا عنك في رسائلها الاخيرة ، ان اهتمامها ومحبتها لك يزدادان عندها من وقت لآخر ، ربما انها تشعر بهما دائما بالشدة نفسها ، لكنها أحيانا تكون عاجزة عن اخفائهما وتعبر عنهما بقوة . ذلك انه من خصائصها المميزة انها تعرف كيف تضبط مشاعرها مثلما تضبط احزانها .

أنا ابحث لك عن روايات وقد وجدت اثنتين وسأضعهما في البريد يوم الاثنين . كما قلت لك سابقا ، أنا لم اتسلم الكتب التي أرسلتها الي .

لدي الآن غرفة اكثر نظافة واكثر اضاءة ، وانا وحيد فيها . أنا اعمل لدرجة انني لا ارى احدا طيلة عدة ايام .

مضت الآن مدة ولم اتسلم خلالها رسالة من رشيد . انا قلق . وسأنتظر يومين آخرين فاذا لم يصلني شيء ، سأبعث له ببرقية .

سأستعلم عن اسعار مناشف الحمام واعلمك بها ، ثم نقرر بعد ذلك . وانت من جهتك ، حاول أن تعرف بكم يمكن ان تباع الشراشف ذات القياس ١٫٢٠ × ١٫٩٠ مترا . انتبه : الشرشف الواحد وليس الزوج من الشراشف ، ونسيجه مماثل للذي ارسلته اليك . لاتزال لدي اشياء كثيرة اقولها لك ، لكنني اتوقف لانني لااريد ان يفوتني البريد ونجن من القلق ، كما في المرة الماضية .

تحياتي الى كل الذين يحبونك . اعانقك بشوق أيها الاخ .

- ١٠٩ -

عزيزي كمال ،

تأخرت قليلا في اجابتك ، لانني شعرت فقط بالحاجة الى التفكير قبل الاجابة ، وهذا يحصل لي للمرة الاولى خصوصا وانني أكتب اليك انت .

أولا — أنا أهتم بالناس أكثر بكثير من اهتمامي بالنظريات الادبية — فلنتحدث عن رشيد . أنت تعرف القصة : جلبوا امرأة زانية الى السيد المسيح ، وكان يجب ان ترجم حسب الشريعة ، فقال المسيح : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر .

أنت تأخذ على رشيد بصورة خاصة اثنين من عيوبه : كونه زير نساء رغم انه متزوج ، وكونه يتعاطى الشراب . وكما تقول أنا لااستطيع ان « ارميه بحجر » لانني فعلت الشيء نفسه . آمل كثيرا الاارتكب هذه الحماقة مرة ثانية ، لأن في ذلك مساس بالشرف ، لكنني لست الا انسانا ، ولا احد يدري .. اما في مايتعلق بالشراب ، فانت لاتملك الحق في ان « ترميه بحجر » لانه يبدو لي أن زمنامضى ــ ولنقل في شبابك ــ لم تكن فيه تكره الشراب . بالرغم من كل شيء ، أنا لا أوافق رشيدعلى الشراب أو على خيانة زوجته ، فقد ناضلت كثيرا ضد نقطتي الضعف هاتين عنده ، وخصوصا الشراب، وليس فقط عندما كان هنا،بل عندما افرج عنه ايضا ، واعتقد جيدا بأن جهودي لم تذهب سدى . أما ماأحبه عند رشيد ــ تتضارب آراؤنا تماما ــ فهو انه يأتي ويعترف بأخطائه . كان يفعل الشيء نفسه هنا ، ولم يقترف مطلقا مذلة اخفاءعيوبه ، بل كان يناضل بكل قواه ضد نقاط ضعفه . كلمة اخرى حول هذا الموضوع، وستكون الاخيرة : يجب أن نناضل دون شفقة ضد عيوب أصدقائنا ونقاط ضعفهم ، وخصوصا ضد عيوبنا ، لكن يجب أن نفعل ذلك كماركسيين وليس ككهنة .

ولننتقل الآن الى الاقليمية في الادب :

استطيع أن ألخص كما يلي الرأي الذي انتهيت اليه : مثلما نستخدم العامية او الكلمات الاعجمية ، كعناصر بناء ، بلجوئنا العريض الى الديباجة ، كذلك نستطيع ان نستخدم اللهجات الاقليمية كعناصر فقط . نحن لسنا مضطرين الى استخدامها ، لكننا نستطيع ان نفعل ذلك . اما ان تكتب قصة بكاملها او رواية بكاملها بهذه اللهجات ، فانك تهدر جهداً كما لو كنت كتبتها كاملة بالعامية . من الضروري احيانا ان تستخدم « بيليميون » أو « بيليمين »(١٠٧) ، وهذه الكلمة وحدها تعطي الجملة

---

(١٠٧) تشويه اقليمي لاشكال الفعل .

كلها ــ خصوصا اذا كان بناؤها يستجيب لذلك ــ لونا « محليا » . إذا، من المستحيل ان نقرر بشكل عقائدي بأنه لايجوز البتة استعمال اللهجات الاقليمية . ان احدى خصائص الفنان هي أن يعرف استخدام كل شيء، انما عندما يكون ذلك ضروريا ، وفي الحدود الصحيحة . واستطيع ان اقول لك أيضا بأن أي نشاط انساني يمكن ادخاله في العمل الفني ــ وانا افكر بالمثل الذي تعطيه ، مثل « التغيط » ، واعتقد بأن خالدة اديب كانت قدمت المثل نفسه في احدى مقالاتها . من المستحيل أن نصنف الاشياء الى جميلة وقبيحة ، والا نقبل في العمل الفني الا مانفترض انه جميل . في العمل الفني ، يجب ان نصف كل الانشطة الانسانية دون استثناء ، حتى عملية التغيط عندما يتوجب ذلك ، نعم حيثما يكون ذلك ضروريا ، في حدود اللباقة والحساب ، وبصورة عضوية . ثمة انشطة انسانية ــ العلاقات الجنسية مثلا ــ يمكن أن تصبح روايتهادعارة، او ان تتخذ شكل نفاق موجه الى الشابات ، او شكل رواية واقعية ، حسب طريقة سردها . انا لا اقول هنا شيئا جديدا ، انت تعرف كل هذا ، لكن ان تعرف الشيء وان تطبقه عندما تتغير الشروط فهما شيئان مختلفان .

حسنا : هذا كل شيء ياعزيزي . ربما اسأت فهم ماأردت ان تقوله بمثل المرحاض هذا . اعدت قراءة رسالتك . انت تقول : « هل من الضروري ان نروي كل هذا بالتفصيل ؟ » . هذه الكلمة « بالتفصيل » لها معنى متحول جدا . ثم انني لااعرف قصة فخر الدين جلال(١٠٨) التي قلبت معدتك . ينبغي عدم ايلاء القرف اهمية كبيرة ، لانها مسالة نسبية الى حد كبير . ان الاعمال التي تثير القرف لدي انا هي تلك التي لم تكتب بمهارة الفنان ، وليس موضوعها . ليس في العالم موضوع يثير القرف عندما يكون « حقيقيا » ، او بالاحرى ، ثمة مواضيع يلزمناواجب

---

(١٠٨) فخر الدين جلال ولد عام ١٨٩٥ ، طبيب نفساني وكاتب ، وصف في قصص ممتعة وجذابة حياة استنبول القديمة .

كتابتها ان نعالجها بفن ولباقة وواقعية ، لنثير بالضبط القرف لـدى الناس ، وندعوهم الى النضال ضد من « يصنع » هذه المواضيع .

بيرايه تبعث بمودتها اليك . انا ايضا بشوق عارم لرؤيتك . لدي القناعة بانك تكتب وستكتب اشياء جميلة . انا اثق بك ثقه كاملة في كل ما يتعلق بميدان الفن . وبميادين اخرى كثيرة ايضا .

- ١١٠ -

عزيزي كمال طاهر ، ايها الاخ ،

ان الشباب الذي سيسلمك هذه الرسالة هو احد اشرف الرجال في سجننا، فأرجو ان تؤمن له كل المساعدة الممكنة،خصوصا وانه يحمل لك نبأ سعيدا هاهو : تسلمت من والدتي ، اليوم بالذات أي في ١٢/٤/٤٣، رزمة مضمونة ضخمة ، تحتوي على رسالة من خالي الجنرال ونموذجين لاستدعاء . وقد اوصى خالي ان ننسخ هذه المسودات ونوقعها ونعيدها اليه في أقرب وقت . انه طلب اعادة محاكمة موجه الى محكمة النقض العسكرية،وقد صيغ بشكل جيد جدا من وجهة النظر القانونية وبعبارات لائقة جدا . لقد اعجبني النص جدا . سأبعث بالطلبين بعد غد ـ لان يوم الغد يوم أحد . والآن اصغ الي جيدا ، سننتظر نتيجة هذا الطلب ، فاذا كانت ايجابية تتقدمون بالطعن في النقض، انت والرفاق الآخرون المحكومون ظلما . وهذان الطلبان يتناولان قضيتك ايضا ، وملفك مع كل التفاصيل. فاذا أسفرت هذه المراجعة عن تخفيض حكمي أو الغائه، أفرج عنكم ايضا اما بصورة الية ، واما بالاحتجاج بقضيتي كسابقة قانونية . لنأمل ان كل شيء سيسير على مايرام . املي خمسون بالمائة فقط . اقبلكم جميعا .

- ١١١ -

اليوم الاول لعيد الاضحى

١٩٤٣

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

بعثت اليك بخمس عشرة ليرة ، هل تسلمتها ؟

أولا : ان القضية التي حدثتك عنها في رسالة عهدت بها الى أحد المعتقلين الذي نقل الى ملاطيا ، ربما تتسلمها قبل هذه الرسالة ، لكنني سأكرر لك الموضوع ثانية :

لقد عمل خالي على كتابة نموذجين للطعن بالنقض وارسلهما الي بواسطة والدتي مع رسالة تقول : « على ناظم حكمت أن ينسخ كلمة كلمة هذين الطلبين ويعيدهما الي لأتابع القضية . » وقد صيغ الطلبان بشكل جيد وبلهجة قوية ، وعرض فيهما بالتفصيل الظلم الذي وقع علينا والضرر الذي لحق بنا . حتى ان الحديث يتناول ملفك فيهما . باختصار ، اذا سار كل شيء على ما يرام ، افرج عنا جميعا . سأحيطك بالامر عندئذ فتلجأ الى العمل فورا . ويبدو ، حتى من جهة أخرى ، أنه اذا تمت اعادة المحاكمة سيفرج عنا جميعا كشركاء في الجرم الذي أسند الينا . لكن لا تفعل شيئا قبل أن تصلك أخباري . ينبغي أن أقول لك بأن أملي لا يتعدى الخمسين بالمائة . وقد توصلت الى هذه النسبة بعد دراسة المسألة بكل تفاصيلها ، ووضعها في ظرفها الحالي ، والا لكان الامل أضعف من ذلك .

في رسائلك الاخيرة ، آخذت نفسك ووبختني أيضا منتقدا«تسرعنا» وأعطيتني مثالا الرفاق في سينوب . لك الحق في أن تكون غاضبا من نفسك ، لكنك مخطىء في توبيخي . وعلى العكس ، لقد أخذت عليّ غالبا ان حالتي الذهنية تناقض تماما حالتك . أخيرا ، لا يهم .

موضوع آخر : انت تقول بأننا نعيش في زمن يستحيل فيه الاهتمام بالتعاسات الفردية ، في حين أن الانسانية بأجمعها تغرق في الدم . هذه عقلية مثيرة جدا للاهتمام . انا ايضا ، تملكتني هذه الفكرة في لحظة ما قبل عدة سنوات ، واستمرت لدي عدة سنوات أيضا ، حتى انني نظمت بعض القصائد والفت مشروع مسرحية حول هذه الفكرة . لكن الغريب انني فهمت منذ بضعة اشهر أن ما نسميه ألم وتعاسة الانسانية - دموية كانت أم لا - لا يمكن تمييزه عن التعاسات الفردية الصغيرة، عن آلام الافراد ، بل هي محصلتها الجدلية . ذلك أنه لا يوجد عذاب للانسانية المجردة ، منفصل عن عذابات الافراد . تلك هي مسألة ينبغي الالحاح عليها ، خصوصا من قبلنا نحن الكتاب. ومن جهةاخرى، كما أنه من المستحيل على رجل لا يشعر بأية تعاسة شخصية ، لا يتألم هو نفسه، او يفترض بأنه لا يتألم،ان يشعر بالالم امام الانسانية المعذبة، أي أن هذا مستحيل في الظرف الدولي الحالي ، كذلك سيكون من باب الاصطناع ادخال فرد كهذا في عمل ادبي وتقديمه ككائن من لحم وعظم ، ككائن حي . حسنا ، في النهاية ، لنترك هذا الموضوع .

عندما أعلم بأنك مرتاح هناك ، أشعر بالسعادة والراحة بحيث لا استطيع التعبير لك عنهما ، حتى ولو حدثتك عن ذلك في كل واحدة من رسائلي .

بعد أيام ، سأترك ترجمتي لمدة من الزمن ، واعود الى « المشاهد » .

أرسلت لك روايات بوليسية ، اثنتين على ما يبدو ، هل تسلمتهما. سأبعث اليك بالمجلات .

« المستنقع » ليست لدي ، وأنت لا تخسر شيئا في عدم قراءتها . لقد قرأتها عندما نشرت على حلقات . انها قبيحة . رشيد يرسل لك تحياته في كل واحدة من رسائله . سأبعث اليك بقصصه .

سأرسل لك مقاطع من « المشاهد » خلال عشرة أيام ، اذا نجحت في ترتيبها بعض الشيء .

ارجوك الا تهمل « الناس العراة » يا كمال . ثم انني كنت طرحت عليك بعض الاسئلة حول بعض المقاطع من رسائلك . أجبني .

سأتوقف الآن لأتمكن من تسيير هذه الرسالة في الموعد ، حتى لا تقلق ، فانها تحل محل بطاقة « معايدة » . ربما اكتب اليك مطولا دون انتظار جوابك .

كمال ، في الحقيقة ، التعاسات الفردية ، والعذابات الفردية ، نعم ، هذا شيء جميل ، لكنني مشتاق كثيرا ارؤيتك ، وهذا يكاد يصبح شيئا من العذاب .

اعانقك بشوق ، أيها الأخ ، ليست لدي أنباء من الرفاق في سينوب ، وهذه تعاسة فردية اضافية ... لا تغضب يا كمال ، نحن ، والحمد لله ، كائنات انسانية بأفراحها وتعاساتها الفردية ، ولهذا فنحن نشعر بقوة ببؤس الانسانية دامجين اياه بتعاساتنا الفردية .

اعانقك مرة أخرى ، وستكون في هذا سعادتي الفردية .

- ١١٢ -

عزيزي كمال طاهر ، أيها الأخ ،

انه لأمر غريب ، فقد فهمت من رسالتك أنني لم أقل لك شيئا عن بعض الاخبار التي كنت مقتنعا بأنني نقلتها اليك ، اذ انني فكرت بها بقوة جعلتني أصبح واثقا واكيدا بأنني حدثتك عنها .

لنعد الى مسألة العذاب . يا للسهولة يا كمال . لماذا تبسط المسألة هكذا ؟ من المؤكد انه ثمة فرق بين وجع الضرس والالم الذي يسببه

نبأ وفاة الأب ، لكنه فرق مجرد . فلو كان هتلر والدي – ولنقل الالم لا السعادة – لكان الالم الذي أحس به عند سماع نبأ موته أخف بكثير من الالم الجسماني الذي يسببه الضرس . ثم لماذا نختار مثلا بعيدا، ثمة الكثير من الأبناء ، لهذه أو تلك من الاسباب ، لا يسبب موت والدهم أي ألم لهم . والحال أن الموضوع ليس في حساب شدة الالم ، أو الفرق بين الالم الجسماني والالم المعنوي ، الاجتماعي . المسألة هي التالية : ينبغي أن نفهم بأن التعبير المجرد الذي نسميه « الانسانية المعذبة » ليس مجموع العذابات المحسوسة للافراد والطبقات ، بل محصلتها الجدلية . وهذه نقطة مهمة جدا الشاعر أو الروائي . وها أنا اعطيك مثلا : خلال الحرب العالمية الاولى ظهر نموذج هو « الماماتشيك » جندي الجيش العثماني ، ووصف الكثيرون من شعرائنا وروائيينا إما بطولته وإما عذاباته، لكن الجميع وصفوا جنديا مجردا، لهذا تبقى المسألة مجردة ، بينما انا – اعتقد بأنها المرة الاولى في حياتي أكيل المديح لنفسي فاعذرني – قمت بوصفه أيضا ، لكنني فعلت ذلك عموما عن طريق مزج هذا الجندي المجرد بالجندي المحسوس ، بحركاته وعذاباته المحسوسة ، فقد كان بالنسبة الي جنديا حقيقيا . لنختصر: عندما نرسم لوحة « الانسانية المعذبة » – اذا استطعنا استخدام كلمة لوحة – باستعمال خطوط ضخمة مركزة الى الحد الاقصى ، ينبغي بالضرورة أن ندخل في هذه اللوحة ونلصق بها بشكل عضوي العذابات الفردية ، الفيزيولوجية والاقتصادية والسياسية أو الطبقية ، لكل فرد وكل طبقة . هذا ما أريد أن أقوله . . .

لا أنباء من طلب اعادة المحاكمة ، فمازال الوقت مبكرا لذلك ، حيث أن خالي يجب أن يكون قد تسلم الطلبات منذ حوالي الاسبوع فقط بسبب الاعياد التي حلت في هذه الاثناء . ان طرفي الاحتمال الذي تتحدث عنه في رسالتك الاخيرة واردان في الوقت نفسه ، ولا أستطيع أن أجدد لك أيهما أقل تذبذبا لقلة معلوماتي فلننتظر . واذا بقيت الامور

قيد المماطلة شهرا أو شهرين فهذا يعني أن هذه المبادرة لم توصلنا الى شـيء ...

وصلتني رسالة من نوري طاهر . أحوالهم جيدة . وقد سـرني ذلـك .

ظهر الجزء الاول من « الحرب والسلام » . لم أقبض المال بعد ولم تصلني نسخ منها . يبدو انهم سيرسلون الي كل هذا قريبا ، وسأبعث اليك بحصتك من المال والكتب .

بيرايه تهديك مودتها . أعانقك .

حالة والدتي ليست على مايرام . مسكينة والدتي .

- ١١٣ -

عزيزي كمال طاهر ، أيها الأخ ،

أرسلت لك بيرايه ٢٠ ليرة عن طريقي فهل تسلمتها ؟ انهـا هدية منها لأننا قبضنا ما يعود لها من أجور الترجمة .

لا جواب على طلباتنا حتى الآن . لا عليـك ، سأبرق اليك فـور حصولي على جواب ايجابي . ويبدو لي أنه لو شاءت الصدف أن يكون الجواب ايجابيا فهو يهمنا جميعا ، لأنني اعتقد بأنها النتيجة الطبيعية لاعادة المحاكمة .

أنا أعمل كالمجنون في « المشاهد » لكنني لا أستطيع أن أرسل لك شيئا منها بعد لأنني في سبيل كتابة مقاطع تعود الى نهاية الكتابين الثاني والثالث ، وسأقوم بترتيبها فيما بعد ، وهذا العمل يزعجني جـدا .

لكن خلال شهرين ، سأكون قد أنجزت نهاية الكتاب الاول وكل الكتاب الثالث . انا أعمل بهدوء لأن لدي أمام ناظري ؛ كالاسود على الابيض ، الخطوط العامـة للمخطط .

انا مسرور اذ علمت بأن « ساجيرديريه » تتقدم ، وحسنا تفعل بأن ترسلها الى فالح . أرسل لك عددا من « ايماج » وصحيفة « تان » حيث توجد مقالة مهمة جدا لزكريا سرتل(١٠٩) .

رشيد يهديك تحياته ويسأل عن أخبارك في كل رسائله .

اكتشفت هنا شخصا في مستوى يونس أمري(١١٠) وهو رسام . انه فلاح متوسط ذهب الى مدرسة القرية وحكم عليه بعشر سنوات ، وكان يعمل هنا حلاقا ، ويقف الى جانبي دائما عندما أرسم ، وانتهى يوما بأن طلب مني بعض الدهان ، فأعطيته ، وبدأ يرسم صورته ، وهو ينظر الى نفسه في المراة . وكانت الصورة الثانية تحفة فنية ، ومنـذ ثلاثة أشهر وهو يرسم تحفا حقيقية . أعطيته كل أنابيب الدهان لدي .

أرسلت لوحاته الى برهان طوبراق(١١١) . أن النائب العام يهتم به أيضا . وهذه المـرة أيضا شعرت بنفسي فخـورا بشعبي ، بالشعب الحقيقي .

سأحاول أن أرسل اليك احدى لوحاته اذا أمكن . فالتعبير والمعنى والتركيب والالوان والحجوم ، كلها رائعة لديه .

---

(١٠٩) ولد زكريا سرتل عام ١٨٩٢ وهو صحفي تقدمي كان يدير الصحيفة اليومية تان يعيش حاليا في باريس .

(١١٠) شاعر شعبي كبير من القرن الثالث عشر ، مؤسس اللغة الشعرية التركية .

(١١١) برهان طوبراق مدير أكاديمية الفنون الجميلة آنئذاك .

انه يحب القراءة وكتابة الشعر كثيرا . أنا معجب كثيرا بفلاحي هذا .

اعانقك بمحبة ، يا أخي العزيز ، يا عزيزي كمال .

- ١١٤ -

أخي العزيز ،

ها أنا أجيب على رسالتك بتأخير يوم واحد . اعذرني . فأنا منزعج جدا . يبدو أن والدتي تشكو من « مياه زرقاء » مزدوجة . لقد أضعت صوابي .

يسعدني دائما أنك مسرور من رفاق الزنزانة . ان الذين يحبهم من أحب ، والذين يحبون من أحب ، أنا أحبهم ايضا . أنا لا أعرف الغيرة في هذا المجال . لهذا فأنا أحب كثيرا زميلك الذي يحبك والذي تحب ، وأبعث اليه بكل مودتي .

كنت قد أعطيت كل ما لدي من دهان للرسم الى الرسام/الفلاح ، فعمل دون كلل وافرغ كل أنابيب الدهان . وقد طلبت منها المزيد وسأعود الى الرسم عندما أتسلمها .

أنت تعرف ماذا كان يقول مكسيم غوركي عن غلافات الكتب : الكتاب اليوم هو من عمل المطابع ، ووضع العنوان بأحرف تخطيط جميلة على الغلاف هو جهل بمنابع الجمال في المطبعة . كان غوركي يقول شيئا من هذا القبيل وكان على حق . يجب الا ننسى مبدأ وجهة النظر الجمالية هذه فهو يجنبنا الوقوع في الاسلوب البالي العتيق ، في الدعاية التظاهرية . لو أني نشرت كتابا اليوم فانني لن أضع فيه كلمة واحدة بالحروف التخطيطية ، لا على الغلاف ولا في داخله .

أنا أجمع الكتب من أجلك . سأرسلها لك قريبا .

لقد عاد الأرق الي وهو يتعبني ويضعفني يوما بعد يوم ، والاعتياد على المنومات ليس حسنا . سوف اجرب اللبن الرائب مع الكثير من الثـوم .

أنت لا تعمل شيئا . سننتهي بأن نتخاصم ، وليس لك اي عذر . أنا لا أتسلم رسائل من سينوب ، وهذا هم اضافي .

مضت سنة الآن لم ار خلالها بيرايه ، وهذا أحد اكبر همومي . لكن الاحداث التاريخية تتتابع بشكل جيد الى حد ان مرض والدتي « بالماء الزرقاء » وعدم مجيء بيرايه منذ سنة كاملـة لرؤيتي وكسلك وصمت الرفاق في سينوب ، كل هذا لا يمنعني من الغناء بمزاج طيب .

أعانقك بشوق . هل لديك أخبار من والدك ؟ بيرايه تبعث اليك بمودتها في كل واحدة من رسائلها وهي تقبلك . الى اللقاء ، تحرك ، اعمل ، أيها الأخ .

ملاحظة : وصلتني في هذه اللحظة رسالة من سينوب .

- ١١٥ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتيك ، الواحدة تلو الاخرى ، وقد تأخرت في الجواب لأنني كنت مريضا باصابة بالبرد ، لكن الامر زال . أنت حتما مفلس ، سأرسل لك بعض المال هذا الاسبوع . كان لي صديق قديم ، رجل شريف جدا يسمونه فوزي ـ العصا . وقد حكم عليه بالسجن لمدة ثمانية عشر عاما منذ زمن طويل ، وهو الآن في سيواس ، وكان مصابا بسل العظام ، ووصل المرض الى رئتيه . لقد كتب الي . انه يموت من الجوع وليست لديه أدوية . لا يمكنك أن تتصور الحزن الذي سببه لي هذا النبأ . ارسلت بعض المال ، وسأحاول ان أجد له أيضا بعض الادوية .

ليس لدي كتب الآن ، لكنني سأحاول أن أجد كتب الفلسفة التي تطلبهـا .

الرسام ابراهيم بالابان سعيد جدا لكونك سترسل له أنابيبللرسم، وانا أشكر جارك الاهتمام الذي يبديه نحوه . أن كسلك بدأ يغيظني جدا وليس لك اي عذر . كمال ، ابدأ بالعمل ، أرجوك ... آمل أن أستطيع ارسال مقطع طويل من « المشاهد » خلال اسبوع اليك ، لكنني، لبعض الاسباب ، قد اتأخر في ذلك .

أنجزت الجزء الثاني من « الحرب والسلام » ـ على الاقل الجزء الذي خصص لي منه ـ وارسلت الكل ، لكنني لم اتلق جوابا بعد ، لذلك ينبغي الانتظار في الوقت الحاضر . لا تحسن في عيني والدتي ، وينتظرون تقدم المرض لاجراء العملية الجراحية لها . كما انه لا تشخيص لمرض محمد ، لأنهم لا يجدون أفلاما للتصوير الشعاعي في استنبول . سأحاول ان أحصل عليها هنا من السوق السوداء لكي نستطيع أخذ صورة له . وعلى ما أرى ، فان السن لا يوقع بالضرورة الشخص نفسه بالمرض الذي يصيب ، مع ذلك ، كل أحبائنا . كمال ، بحق السماء ، اعتن بنفسك جيدا ، ولا تمرض خصوصاً . كل تحياتي الى زميلك في الزنزانـة .

ستكون هذه الرسالة قصيرة . ان حالة فوزي آلمتني لدرجة انني لا أرغب في الثرثرة حتى معك . انني أبحث بشدة عن وسيلة لانقاذ هذا المسكين . اعانقك بشوق ، وأرسل لك في طيه رسالة أمين ـ من ـ ساريز .

- ١١٦ -

عزيزي كمال ،

تأخر جوابي يومين . نحن مشغولون جدا بالاستعدادات للمعرض ، اذ اننا سنرسل أقمشة منسوجة على انوالنا الى معرض المنتجات الوطنية

الذي يفتتح قريبا في استنبول ، وبينها نسيج للقمصان ، رقيق جدا ، نصفه حرير ونصفه قطن ، من اختراعي الشخصي ، أسميته « نسيج كيماكتشكوي » ، وهو اسم قرية عامل النسيج الذي يعمل معي . لقد تزاحم عليه الناس هنا ونحن لم نكن قد انهينا نسجه بعد ، ووقف نساجو بروصه ، وهي بلد الحرير ، أمامه مشدوهين . أنا لا أمزح فقد صممت نسيجا في متناول الجميع ، عن طريق مزج القطن بالحرير ، وخلقت بذلك حريرا ديمقراطيا ، عمليا ، لأنه يمتص العرق . هذا المبدأ يبقى صحيحا دائما : عندما تعرف جيدا ماذا تفعل ، يجب أن تضيف اليه شيئا جديدا ، لهذا كانت المعرفة . ان الذكاء والذوق يجب أن يسيرا سوية . أنا راض عن اختراعي الجديد كما لو كنت قد كتبت قصيدة . ابراهيم بالابان ، الرسام / الفلاح ، يشترك أيضا في المعرض بلوحة : « عمال النسيج » . سيرسل كذلك لوحة لصورة والدته . وما ان انتهي من استعدادات المعرض حتى أرسل الى كنتي مترين ونصف المتر من حرير « كايماكتشيكوي » لتصنع منها قمصانا خفيفة للصيف . هناك نبأ آخر : بعد بضعة أشهر ، سيصبح السجن مشغلا ، مع راسمال للاقلاع ، وستأخذ الادارة الانوال على عاتقها . هذه السنة ، تعلمت ، على الاقل ، بشكل جيد العمل على النول اليدوي . لدي مشاريع هائلة ، إذا اخلي سبيلنا ، سوف أستطيع أن أؤمن لكم جميعا الشروط المادية الضرورية ، فتكتبون بهدوء أشعاركم وقصصكم . أنا لا إنوي التخلي عن مهنة النسيج . سأصنع أنسجة راقية ، انما ديمقراطية .

عندما انتهي من هذا المعرض ، سأعود الى كتابي . أنت حتما مفلس. سأرسل لك بعض المال خلال عشرة أيام ، وربما قبل ذلك . لقد دهشت قليلا عندما علمت ان «نوديه » قد كتبت اليك . كيف حال حكمت ؟ احك لي هذه القصة بالتفصيل اذا أمكن . أنا أساعد فوزي ـ العصا قدر استطاعتي ، فقد أرسلت له بعض المال والادوية والجرابات . لم

أكن اعرف أن سليمان موجود أيضا في سجن سيواس . لا تنس بأن تهديه تحياتي عندما تكتب اليه .

تحيات كثيرة الى زميلك في الزنزانة . اعانقك بشوق .

- ١١٧ -

كمال طاهر ، أيها الاخ ،

شكرا لله . أخيرا تسلمت رسالتك . ولكي نتحقق من صحة الحساب اذكرك بأنني طلبت اليك ، في رسالتي الاخيرة ، اعلامي بأية مناسبة كتبت اليك نوديه ، هل تسلمت هذه الرسالة ؟ ولماذا كتبت اليك ؟

انا غاضب جدا من الانباء التي تفيد بأن الرفاق في سيواس يعوزهم المال ، مع انني أرسلت اليهم عشر ليرات منذ شهر الى عنوان حمدي اليف ، وخمسين ليرة منذ ثلاثة أيام باسم نوري طاهر . سأبرق لهم غدا . هذه فضيحة . هل يواجهون ، مرة اخرى ، أحابيل احد هؤلاء الخونة من الطابور الخامس ؟ ماذا كانت نتيجة العريضة التي قدموها بهذا الشأن الى وزارة العدل ؟ أخبرني اذا كنت علمت شيئا من ذلك .

من ناحية الشعر ، انا لا اعمل شيئا على الاطلاق منذ بعض الوقت . كتبت فقط قصيدة لبيرايه ، احد الايام الماضية ، وها انا أرسلها اليك :

ما اجملَ ان افكرَ بكِ
في هديرِ الموتِ والانتصـار ،
في السجنِ ،
وقد تجاوزتُ الاربعين .
ما اجملَ ان افكرَ بك :

يدكِ المنسيةُ على قماشٍ ازرق ،
وفي ثنايا شعركِ ،
حنانُ ارضي الأبيّ في استنبول .
مثلُ كائنٍ آخرَ في ذاتي
ســعادةٌ ان احبّــك .
في اطراف انامِلكِ يبقى
عطرُ الأوراقِ كما زهرة الجلنار .
ســلامٌ مشمسٌ .
ونــداءُ الجســد :
ظلمةٌ كثيفةٌ ،
حــارةٌ ،
حمراءُ الخطوط .

ما اجملَ ان افكرَ بكِ ،
واكتب الأشياءَ عنكِ ،
وأن افكرَ بكِ ، مستلقياً في السجنِ على ظهري .
كلمةٌ قلتِها يوماً ، في ذلك المكان ،
لا الكلمةَ ذاتها ،
بل اللحنَ الذي نطقت به ،
والكونَ الذي حمَلَت ...

ما اجملَ ان افكرَ بكِ .
سانحتُ لكِ ايضاً اشياءَ من خشبٍ ،
علبةٌ حلي ،
خاتماً ،

وانسج ثلاثةَ امتارٍ من ناعمِ الحرير .

وفجاةً ،

ناهضاً بلهفةٍ ،

اتشبّثُ بقضبانِ نافذتي ،

محدّقاً بازرقِ الحريةِ المضيء ،

واصرخُ لكِ بكلِ صوتي

ما كتبته من اجلِكِ .

ما اجملَ ان افكرَ بكِ

في هديرِ الموتِ والانتصارِ ،

في السجنِ ،

وقد تجاوزتُ الأربعين ...

هـذا كل شيء .

كمال ، اخي العزيز ، ارسل لي نسخة من كل ما تملكه على نسختين، من كتابات وقصص ، بشرط أن تحتفظ بنسخة منها . ارجوك الا تنسى ذلك .

بلغ تحياتي الى زميلك في الزنزانة . لم يعد لديك مال حتما . سأرسل لك عشرين ليرة بعد يومين .

انا منشرح المزاج ، مليء بالامل والايمان كما دائما . اعانقك بشوق، وارسل لك صورة اخذت لي حديثا تظهرني ملتحيا قليلا فألف معذرة . أعانقك مرة اخرى أيها الاخ .

ستجري العملية لوالدتي هذا الشهر . بيرايه تقبلك . ارسلت اليك روايات بوليسية . اخبرني فور وصولها .

- ١١٨ -

كمـال ،

كنت قد قررت ان أؤجل جوابي على رسالتك بضعة ايام ، وان أرسل اليك الاجزاء ١ و٢ و٣ من الفصل الاول من الكتاب الثالث، لكنني لم استطع اتخاذ القرار بأن أتأخر في الكتابة اليك ، مهما يكن السبب . الاجوبة التي تتأخر ، أنا أعرف هذا الموضوع ، واكثر من اللازم . القصيدة يمكن ان تنتظر ، لا الرسالة . سأرسل لك هذا الاسبوع المقطع موضوع البحث .

أنا جد مسرور لان رسائل بيرايه قد أعجبتك . ان المقاطع التي استعرتها من متن هذه الرسائل ورسائلك ستؤلف ما سوف يكون أغلى شيء على قلبي ، وماسوف يكون احب شيء الي في الكتاب كله ، لانها في النهاية تخصني قليلا ، وتشكل جزءاً مما هو الاكثر إلفة الي . وعندما اقرؤها في المستقبل ، بعد زمن طويل من انتهاء هذه المغامرة الصاخبة المسماة « مشاهد انسانية » ، في شيخوختي قرب موقد النار ، كما تقول ، ستوقظ عندي ذكريات حزينة قليلا انما جميلة بشكل رائع ومشعة بالشباب . لذلك من الطبيعي ان تكون اكثر « شاعرية » من مقطع « المستشفى » . والحال ، فأنا اعتقد انها ستكون المقاطع « الشاعرية » الوحيدة بالمعنى التقليدي ، وربما ايضا بالمعنى الاكثر دقة . اخيرا سنرى ، وكفى ثرثرة عنها ؛ لنتحدث عن ساجيزديربه . قل لي ، ياكمال، الا تعمل منها سوى نسخة واحدة هذه المرة ايضا ؟ ألم تأتك الفكرة بوضع ورقة كربون ؟ أنت تنوي ارسالها الى فالح ، حسنا ، لكن من الممكن دائما الا ينشرها وان يضيع المخطوط ، ناهيك عن الحوادث وسوء الحظ . كن عاقلا إذاً . واذا لم تكن لديك نسخة

عنها فأنا امنعك من ارسال المخطوط قبل تأمين هذه النسخة ، الى اي كان ولأي سبب كان ـ طبعا باستثناء الاشخاص الذين يقدرون قيمتها ولا يحتمل ان يضيعوها .

لنتحدث الآن عن عريضتي . لقد عاد مديرنا من أنقره منذ ثلاثة أيام ، وزار خالي هناك الذي كان غائبا ، لكنه استطاع مقابلة المستشار القانوني ضيا بك الذي تربطه به صداقة .

وقد اطلعه ضيا بك على رسالة موجهة الى خالي من قبل جميل جاهيد باشا ـ الذي كان رئيس محكمة النقض العسكرية ، ولا ادري اذا كان لايزال ، لكنه ، حاليا ، نائب قائد موقع استنبول ، أو شيء من هذا القبيل .وقد قال له في هذه الرسالة : « لاتقلق ، لقد اعطيت الاوامر اللازمة الى السلطات المختصة ، قبل سفري الى استنبول » . وكما ترى، يوجد هنا تأثير الجو العام ـ تأثير او بالاحرى الامكانيات الناتجة عن بعض التغييرات ـ ومن ناحية اخرى محاولة خالي الذي يستغنم هذه الفرصة لتأمين تطبيق القانون . من الافضل دائما ، ومن كل النواحي ، فحص الوقائع كما هي . وفي رأيي ، ان الضروري هو تقدير هذه الوقائع بقيمتها الصحيحة .

كم كان جميلا ما كتبته عن بيرايه . عيناي تدمعان عندما أحس بمحبتك لها ، ويزداد ايماني بمستقبل يحب الناس فيه بعضهم بعضا .

سأبعث اليك ، في أول فرصة ، لوحة من رسامي/الفلاح . لقد غطست من جديد في « كتاباتي » ، وانا مرهق تماما .

في مايتعلق برواية « الوصوليون » ، قرأت منها مقطعا أو اثنين . انها كتاب ابتزاز وحسب . وككل الكتب من هذا النوع ، الناحية الوحيدة المهمة فيها ، من وجهة النظر الاجتماعية ، هي انها تظهر لنا حالة الفساد في المجتمع من جهة المبتز كما من جهة ضحية الابتزاز ، لكن ليس للرواية اية قيمة أدبية . ان الرجل لا يعرف حتى كتابة التركية .

لننتقل الآن الى تولستوي . عملاق حقيقي . لكن لهذا العملاق قلب طفل . وهذا رائع . من وجهة نظر معينة ، انه هو الذي كتب تحفة الواقعية . سأحدثك في رسالة قادمة باسهاب اكثر عن تقنية تولستوي- رائعة وبسيطة جدا وبالتالي صعبة جدا . ارسلت اليك الجزء الاول من « الحرب والسلام » باللغة التركية ، ولا بد انه وصل اليك . وسيكون المجموع ستة اجزاء . ان ترجمتنا ليست بالضبط ما اردتها ان تكون . في رأيي ، ان المبادىء التي تبنتها الوزارة بشأن اللغة الواجب استخدامها في الترجمات خاطئة . لكننا اضطررنا الى الالتزام بها ــ باستثناء بعض النقاط التي عاندنا بها .

اسكت ، لقد قرأت مؤخرا رواية للكاتب ستيفان زفايغ اسمها « الشفقة الخطرة » ــ وهي مزيج من زولا ودستويفسكي . ما اخذه عن زولا هو التالي : الجو ، الحالة النفسية والتقنية . ومثل دستويفسكي تماما ــ من وجهة النظر التقنية ــ في اللحظة ذاتها التي يكاد الموضوع يتم على الوجه الافضل ينتهي كل شيء بشكل سيء بسبب ردة فعل بسيكولوجية . وكما دائما ، العنصر البسيكولوجي الرئيسي هو : نقص الارادة . بالمقارنة مع تولستوي ، ليس دستويفسكي والآخرون ــ بعد اذنك ــ سوى زمرة من الغشاشين . انا اعرف قلة من الكتاب يحتقرون الخديعة كما تولستوي . وحتى عندما يلجأ الى الخديعة ، تكون خديعة طفولية من عملاق . والحال ، ان العكس لايمكن تصوره ، لان الانسان لا يكون مخادعا عندما يعتمد على قوته .

وهكذا ياعزيزي كمال . انا بشوق شديد لرؤيتك .

- ١١٩ -

عزيزي كمال طاهر ، ايها الاخ ،

تسلمت رسالتك والصورتين . وأعجبتني كلها، الرسالة والصورتان . انا موافق تماما على الصور . لكنني لا أشاطرك الرأي في مسألة خلق

النموذج ـ « خلق نموذج خالد » ـ على الاقل بخصوص ما ابحث عن تحقيقه انا ، ولا في مايتعلق بقصة رشيد . ومع ذلك فقد احببت رسالتك جدا . وبالرغم من انني لست من رأيك بشأن المبدأ الذي تشير اليه اشارة عابرة ، عندما تتحدث عن مسألة الترجمة ، فان وضوح رسالتك ونغمة الثقة والكفاءة التي نجدها فيها قد اعجبتاني جدا .

وقبل الانتقال الى مناقشة مختلف المسائل ، يجب ان ازودك بتوصية : حاذر جيدا من كتابة « الناس المراة » بشكل رسائل . في رايي ان الرواية المكتوبة بشكل رسائل تنتمي الى الادب العتيق . انتبه : انا أتكلم على الرواية بشكل رسائل . هذا الشكل يؤمن لبعض الاجناس، الى الشعر مثلا ، بعض الامكانيات ، لكنه يفقر القصة مثلا . رسالة في رواية ، نعم ، هذا ممكن ، لكنني اعتقد بأن الرواية اذا لم تكن الا رسائل ، فان هذا يعيق توسعها وتطورها . من جهة اخرى ، اعتقد جيدا بأن هذا الشكل قد استخدم خصوصاً كقالب للجنس العقيم والمنحل المسمى الرواية البسيكولوجية .

والآن ، اشارة مختصرة الى مسالة الترجمة . ما افهمه انا بالترجمة: ليس هو « تتريك » العمل المنوي ترجمته مائة بالمائة . اريد ان اقول إنه عند قراءة رواية أجنبية مترجمة ، ينبغي الا يخالجنا الشعور بأنها كتبت من قبل كاتب تركي ، على العكس ، وحسب العصر والبلد اللذين ينتمي اليهما الكاتب ، ينبغي ان نحس بأن الامر يتعلق بالعصر والبلد موضوعي البحث . اعني ان كاتبا روسيا او فرنسيا يجب ان يتكلما لغتهما الخاصة في الترجمة ، وليس لغة الكاتب التركي الذي قام بالترجمة . لذلك يكون لابد من شيء من الديباجة .

عندما يترجم نصوحي بيدر أناتول فرانس أو أندريه مالرو ، عندما أحس منذ البداية بالجهد المبذول من قبل المترجم لتتريك هذهالترجمات، لاأعي الا عنصرا واحدا من عناصر العمل الذي اقرأ . وبما ان المضمون وثيق الارتباط بالشكل ، فان سربلة المضمون عند مالرو أو أناتول فرانس

بالشكل ذاته ، الشكل الذي هو تركية نصوح بيدر ، تعني فصم وحدة المضمون والشكل . يقال بأن بودلير ترجم « حكايات » ادغارپو ترجمة جيدة ، و « فرنسها » بمهارة جعلت الترجمة اجمل من الاصل . هذا ممكن ، لكن اذا كان هذا هو ماجرى ، فان الامر لايكون امر ترجمة ، انها ليست ترجمة ، انما شبه ترجمة لادغارپو . سأضرب لك مثلا : انا أترجم الآن تولستوي . ثمة اختلاف كبير بين الشكل عند تولستوي والشكل عند غوركي . فاذا اجتهدت قبل كل شيء باجراء ترجمة تركية جيدة ، فان نصف هذا الاختلاف الكبير يختفي ، ولا يبقى الا اختلاف في المضمون . في رأيي ان احدى أفضل الترجمات التي اجريت الى التركية هي ترجمة الانجيل ومزامير داود . لا أدري اذا كنت اشرح وجهة نظري جيدا . ان التصرف في ترجمة المضمون فضيحة ، لكن التصرف في الشكل هو ايضا فضيحة . وحسب رأيي ايضا ، اذا طبق المبدأ الذي اعلنته اعلاه فان مختلف اللغات تثري من بعضها البعض ، ولا تتقوقع ، أمام الابواب المفتوحة ، ضمن حدودها الضيقة . اخيرا انت لست معنيا بصورة مباشرة بهذه المسألة في الوقت الحاضر . كيمننا أن نناقشها من جديد اذا رايت ذلك مفيدا . في الختام : انا لا أريد أن اقرأ « تركية » نصوحي بيدر أو نور الله أتاتش أو رشاد نوري أو لا أدري من ، اريد ان اقرأ بالتركية « روسية » تولستوي او « فرنسية » أناتول فرانس ، وأكرر ، أريد أن أقرأ لغتيهما بالتركية .

لننتقل الآن الى المسائل الاخرى :

ان ما يسمى « بالنموذج » يصنع عموما باسلوبين :

١ ـ انت تخلق شخصية هي محصلة الانطباع الذي تتركه لديك شخصيات حقيقية .

٢ ـ أو تختار شخصية محسوسة ، حقيقية وتعمل بموجبها . هذان الاسلوبان يصلحان للفن الواقعي ، وربما الثانية تصلح اكثر قليلا ، لكن

من المستحيل استخدام الأسلوبين في الكتاب ذاتـه . بعد طرح المسـألة هكذا ، أو بالأحرى بعد اعلان حقيقة معروفة جيدا ، ننتقل الآن الى ما يسمى « بالصفة الخالدة » ، أو بدقة أكثر وكما وصفته أنت ، الى طويلة ، وحتى لكل المراحل ، وان كان ذلك نادرا . هذه الصفات في أغلبها تخلق باستخدام الأسلوب الأول ، و « نماذج » الأدب الكلاسيكي تشـكل جزءا من هـذه الفئـة . الأدب اليوناني القديم نجـد صفات مجردة ، غير معقدة ، يمكن تحويلها الى « نماذج خالدة » عن طريق تغيير ملابسها ، اذا أمكن القول ، وتشذيب ملامحها قليلا . من وجهـه النظر هـذه ، تكون شخصيات شكسبير وموليير ، مع كونها قريبة جـدا من الواقع ، مجردة قليلا مـع ذلك . حتى شخصية « الأم » عند مكسيم غوركي تبدو وكأنها ولدت طفلها كالقديسة العذراء . أنت تفهم ما أريـد قوله أليس كذلك ؟ اريد أن أقول بأن ما يسمى « بالنموذج الخالد » ، هذه الشخصيات التي تجسـد صفة أساسـية ــ حب الأم ، الغيرة ، البخل ، مع كون هذه الأخيرة أقل ثباتا دائما ــ تمثل دون شك عصرها أيضا ، ونستطيع ، عند دراستها بعناية ، فهم هذا العصر ، لكن ، في رايي ، ان الرواية والقصة والشعر قد توصلت الى امكانيات أكثر رحابة وأكثر واقعيـة من تلك التي تحدثنا عنها للتو ، وستتوصل الى ما هو أوسع منها أيضـا .

ثمة أيضا مسألة مرتبطة بالموضوع نفسه . ان الطريقـة الجدلية تستخدم عـددا من المناهج المساعدة كما تعرف جيدا : التجريـد ، والاستقرار والاستنتاج . والأدب الكلاسيكي يستخدم أول هذه المناهج بصورة خصوصية عندما يبحث عن تحديد الخواص الجوهرية « للنموذج الخالد » . لكن الأجناس الأدبية الأكثر حداثة هي التي تستخدم أسلوب الانتقال من الخاص الى العام . وهذا يعني أن هذه الأجناس تنطلق مـن كائن انساني ، من خمسة أو ستة أشخاص ، من عائلة ، من خمس أو ست عائلات ، لكي تصل الى مجموع البيئة الاجتماعية ، الى المجتمـع

الذي يعيش فيه الشخص او هؤلاء الاشخاص ، هذه العائلة او هـذه العائلات . العكس ممكن : الانطلاق من العام الى الخاص . وقد استخدم الروائيون الروس السوفياتيون مؤخرا هذا المنهج الاخير ، كشولوخوف اخيرا ، من الممكن استخدام هذه المناهج الثلاثة سوية في المنهج الجدلي ، أنا لا اعرف كاتبا قام بذلك . وفي رايي ايضا ، ان تطور الرواية او الشعر مرتبط بذلك دون شك ، وهذا ليس ممكنا الا بتقنية اليوم ، لان هـذه التقنية جعلت ممكنا ما لم يكن في السابق : ١ ــ جعلت العالم اكثر صغرا ٢ ــ اثارت ، الى جانب الصفات الاقليمية والوطنية ، ملامح مشتركة ، وخلقت الاحداث وردات الفعل ، واعمالا ذات صفة كونية . ٣ ــ ولدت حركات جماهيرية ذات اتساع لم يعرف من قبل . ٤ ــ اتاحت وتتيح ولادة علاقات انسانية جديدة تماما .

فاذا تأملنا في كل هذه الوقائع التي اقوم بتحليلها باختصار ، فاننا نتوصل الى الخلاصة التالية : في الماضي ، كانت الرواية تقص علينا تاريخ شخص ، عشرة أشخاص ، عائلة ، عشر عائلات ، وتصل بين كل هذه الشخصيات في خمسة أو عشرة كتب على الاكثر ، واصفة لنا الحياة الاجتماعية لعصر محدد انما دائما محدود . « والحال ، ان الرواية تولد مع الامة » لكن مع الامكانات التقنية الجديدة اصبح من الممكن ، في كتاب واحد ، سرد تاريخ امة واحدة على الاقل ، او في الحد الادنى ، مرحلة طويلة من هذا التاريخ . ومتى حصلنا على هذه النتيجة نستطيع السير قدما في هذه الطريق . اليوم ، نستطيع في اربعـة شـهور أن نقطع الاناضول بكامله ، حتى بالوسائط التقنية التي تملكهـا البلاد . وإذا استخدم الروائي المنهج الجدلي ، وخصوصاً اذا كان « يعرف » البلـد جيدا ، فانه يستطيع ، في عام واحد ، أن يفهم الاناضول كله . بينما ، في الماضي ، كانت هذه المهمة تستغرق حياة كاملة .

الخلاصة : في عصر المحرك والطائرة وتحقيق الاشتراكية ، وباستخدام كل مكتسبات الرواية والشعر وما بقي حياً من ملامحهما ، ينبغي انْ نكتب الرواية في جزء او جزئين ، وليس رواية شخص او عشرة اشخاص بل

رواية أمة بكاملها ، بما فيها هؤلاء الاشخاص . افهمني جيدا ، انا لا انكر الفرد ، لكني أقول بأن البحث عن « تقديم » الفـرد ، بالتوقف عنـد التفاصيل البسيكولوجية والخصائص الموصوفة الف مرة ، مع القليل من الاختلافات المحلية ، دون تقديم شيء جديد ، سـوى الاختلافات المتاتيـة عن اللغة ، وبناء رواية من كل هذا ، هو شيء جرى تجاوزه . ما ينبغي عمله،هو نحت كتل كبيرة ، دون فقـدان التفاصيل المهمـة الخصائص الاساسية ، لكل ما هو محسوس وبناء روايات عملاقة ، انما تمكن قراءتها ، ولم تفقد شيئاً من ميزتها الابداعية .

انا شخصيا لم اتوصل الا الى نصف ذلك في « المشاهد » . هـذه القصيدة هي بداية ، ومحاولة محدودة ، لانني ، للاسف ، لم استطع التخلص من مفاهيمي القديمة عندما بدأت العمل بها . ان « المشاهد » محكوم عليها بان تبقى محاولة ، بالا تتطور في هذا الاتجاه الا بشـكل اختراقات محلية . في هذا العمل ، تتعايش مفاهيمي القديمة عن الرواية والشعر ، جنبا الى جنب ، مع المفاهيم الجديدة التي تتبلور اليوم في ذهني ، مدفوعة بالقوة ذاتها ، دون أن تسيطر هذه على تلك . لكنني اوكد لك ان الامر لن يكون هكذا في المستقبل .

اما قصة كمال ، فقد اعجبتني جدا ، وهي تعجبني بالرغم مـن انتقاداتك . أعجبتني لإننا نجد فيها العناصر التطورية لقصة المستقبل ، تلك العناصر التي بدأت أفهمها واحبها واتمناها دون أن اجد امثلة كثيرة عليها . في هذه القصة القصيرة جداً ، لا يوجد نموذج ، كما انه لا يوجد حدث بالمعنى الحقيقي ، انما ، في رأيي يوجد فيها تاريخ بيئة محسوسة ، من خلال مرحلة بكاملها . اعد قراءتها من هذه الزاوية . ثمة نائب عام ليس « نموذجا » بل شخصا حيا ، وقصاب لا يعالج كنموذج ــ والحال ان المسألة اليوم هي أن تقدم الشخصية دون ان تصنع منها نموذجا ــ لكنه حي . هناك ايضا العاملة التي تشنق نفسها ، وكل هذه الشخصيات في الحي العمالي ، باختصار ، نحن نجد في هذه القصة القصيرة جدا ــ التي عرفت كيف تستخدم كل الامكانيات الى اقصى حد ــ الكثير مـن

ملامح الحي العمالي في بلد محدد جيداً . اقرأها من هذه الزاوية ايضا ، وسترى حينئذ ما هي الاستنتاجات التي تصل اليها .

ان كون رشيد لا يعي تماما ما يعمل ربما يحول بينه وبين استثمار العناصر الجديدة في قصته . في البداية نتردد ، ثم نطرح على انفسنا الاسئلة التي تطرحها على نفسك وتطرحها علي . لكنه اذا توصل الى القيام بذلك عن وعي فانني اعتقد بانه سيتمكن من تأمين امكانيات كبيرة للقصة وخصوصاً للحكاية .

أرى انني أصبحت في الصفحة الثالثة . أعدت قراءة ما كتبت ووجدت ، وأعترف لك بذلك ، بأن كل ما كتبته لك قليل الوضوح ، وفيه حتى بعض الغموض . ولاحظت انه من كل ما أردت أن أقول لك ، لم أشرح لك شيئا . لكنك ذكي وعندنا الكثير من الاشياء المشتركة بحيث انك تفهمني تلميحا وتستطيع أن تحدد وتصيغ بوضوح الافكار التي كانت لا تزال غامضة في ذهني . لذلك سيكون لك الفضل في تصنيف كل هذا الركام واستخراج شيء واضح منه .

عندما أنتهي من « المشاهد » ـ على هذا المنوال سيستغرق ذلك مني سنة ـ وعندما أنتهي من هذه الترجمات وأستطيع البدء بكل الاشياء التي أرغب في القيام بها بشكل نهائي ، نعم ، حينئذ ، لن يكون على الارض رجل أكثر سعادة مني .

. .

سأقول لك شيئا آخر يا كمال ، شيئا سيفاجئك لكنه ليس مفاجئا على الاطلاق . هل تعلم ما هي أكثر الملامح نجاحا في «ساجيرديريه » ؟ هي كونك لا تلح على التفاصيل، بل على ما هو لازم بالضبط، كاللون المحلي والخصائص المحلية والطرائف الاقليمية . وهذا يعود الى أنك كتبت هذا الكتاب دون أن تتعرف على ساجيرديريه ، ودون أن تعيش سنوات في هذه القرية . ثمة تناقض هنا ، لكنها الحقيقة . هل تعلم بأننا نجد الشيء نفسه عند غوركي ؟ أكثر من ذلك ، بالرغم من أن غوركي قد عاش

سنوات في العديد من ساجيرديريه الروسية ، فانه لا يلح على التفاصيل الطريفة والخصائص المحلية والاقليمية والجميلة بالنسبة السائح . ولهذا السبب فانه يستطيع أن يدخل الحد الاقصى من المعضلات الانسانية في أعماله .

اذا كنت أكتب لك هذا فلأن الادب الواقعي لدينا غالبا ما يخلطه الناس مع الريفية الغرائبية والوصف الدقيق وقص « الشعرة الى اربع » ، والعادات والاعراف .

تحياتي الى الجميع . أعانقك بشوق يا أخي . بيرايه تبعث لك بكل مودتها .

- ١٢٠ -

كمال ، أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك وأنا سعيد أن أجد بأنني توصلت الى شرح أفكاري حول مسألة الترجمة . والحال ، الى من أستطيع أن أشرح ما أفكر به ، اذا لم أستطع ذلك بالنسبة اليك ؟ ان كل ما تقوله حول الترجمات المنشورة من قبل وزارة التربية الوطنية صحيح جدا . ينبغي أن ننصفهم ، فان ما يفعلونه عمل مفيد جدا . عندما يعمل الشيء بشكل جيد ، ينبغي أن تكون لدينا الشجاعة للاقرار به .

اسكت : لدي أيضا فكرة حول مسألة الترجمات . سأشرحها لك بواسطة مثل . الروس مثلا يستعملون كلمة « حمامة » ككلمة حب ، ونحن نقول « نور عيني » « بؤبؤ عيني » . في رأيي انه عندما نريد ترجمة هذه التعابير ، ينبغي الا نستخدم تعبير « يا صغيري » أو شيئا من هذا القبيل ، بحجة انه في اللغة التركية لا يصح القول « يا حمامتي » . وعندما يترجم الروس من التركية ، يجب الا يترجموا « نور عيني »

بتعبير « يا حمامتي » وعليهم هم أن يفعلوا الشيء نفسه بتعبير « نور عيني » . وهكذا يكون لدى مختلف اللغات الامكانية في الاثراء عن طريق الاستعارة من بعضها البعض ، للتعابير والصفات الخ . حتما ثمة أشياء لا تمكن ترجمتها ، لكنها نادرة جدا . في الماضي ، كانوا يضربون مثلا على ما لا تمكن ترجمته بعبارة « اسلر كاتالاستي »(١١٢) . والحال ان هذا خطأ . ان كلمة (كاتال) هنا لا تعني الشوكة بل المذراة بمعنى التفرع والانقسام ، وهو ما تمكن ترجمته في كل اللغات . أنا من أنصار هذه الاستعارات المتبادلة بين مختلف اللغات ، عن طريق الترجمة .

ملاحظة أخرى ، ليس على الترجمة ، بل على اللغة التركية عموما . سأستخدم مثلا هنا أيضا . يبدو أن كلمة (بيراسا) « كراث » كانت في الاصل (بورهاسا) ، ولا أدري اذا كان هذا صحيحا ، وان كلمة (مايدانوس) « البقدونس » هي تحريف لكلمة (ميدينوڤاز) . حسنا! لكن الاكيد ، هو ان كلمة (استاسيون) آتية من كلمة (ستاسيون) . ان بنية اللغة التركية قد ترّكت كل هذه الكلمات واحتوتها وحولتها في الافواه الشعبية . لكن مثقفينا الكرام جدا ، في الماضي ، وتلامذتهم اليوم، يصرون على الاعتراض على هذا التتريك للتعابير التي يعتبرونها من ميدانهم الخاص ــ بالرغم من ان الشعب قد صنع أيضا من هذه التعابير كلمات تركية . وهكذا يقول الشعب عندنا (مُدّيِم) أو (مُدّيمون) بدلا من (مُدّيي أُمومي) أي المدعي العمومي ، وذلك لانه لا يرى أية صلة بين كلمة (مدّيي امومي) وأسماء الفاعل العربية ، وهذا التعبير بشكل (مدّيمون) أو (مديم) أصبح كلمة تركية . فبدلا من اشاعة الافراط في استعمال الكلمات الجديدة ، من الافضل تبني أشكال (مديم) أو (مديمون) . لا أدري ما اذا كنت أنجح في شرح رأيي بهذا المثل ، لكن هذه الطريقة يمكن أن تجنبنا ــ في كثير من الميادين ــ افراطا في الكلمات الجديدة التي سوف يقوم الشعب بتتريكها بعد عدة سنوات .

---

(١١٢) عبارة لغوية تعني « الوضع يتعقد » ، وحرفيا « الامور تتوزع » ، ويتسلى الناس بترجمتها خطأ : « الامور تصبح شوكات » .

قرارك باعادة صنع نسخة من ساجيرديريه أعجبني كثيرا . آمل أن يكون هذا درسا لك . انسخ في المستقبل كل ما تكتبه ، على الآلة الكاتبة ، واصنع منه نسختين أو ثلاث ، بواسطة ورق الكربون . لا تقل لي بأنك لا تستطيع نسخ نصوصك على الآلة الكاتبة ، سيكون هذا فضيحة في عصر الطيران .

ارسلت اليك مقطعا جديدا من « المشاهد » ، هو بداية الكتاب الثالث ، هل تسلمته ؟ لكني أرى من الخطأ ارسال كل هذا اليك بشكل قطع منفصلة ـ ربما أبحث عن العزاء الذاتي ـ لأنني فهمت بأن المقطع الاول للمستشفى لم يعجبك ، في حين أنه كان يهمني جدا أن يعجبك ـ انت تفهم الآن لماذا تحدثت عن العزاء ؟ انه واحد من أمرين ، اما أن المقطع فاشل حقا ، واما أنه لم يعجبك لأنك لم تقرأ بدايته ونهايته ، بينما انا أقرؤه في ذهني مع بدايته ونهايته . لدي بعض الابيات الجاهزة أيضا ، لكنني قررت أن أبعث لك الكتاب الثالث بعد الانتهاء منه ، فتضيف اليه المقاطع التي سبق أن أرسلتها اليك ، وتقرأه هكذا كاملا . هذا ما أعلق عليه آمالي بأجمعها ، لأن ارسال هذه القصيدة اليك على شكل مقاطع هو كارسال أبيات مستقلة عن بعضها البعض ، في حين أن الابيات ، في هذه القصيدة ، موجودة في داخل المجموع ، وليس لها وجود خارج المجموع . ـ

أنا من رأيك في ما يتعلق بالعريضة ، لكن هذا الرأي لا يمنعني من الاحساس بأن كل شيء يمكن ان يسير الى الاسوأ في الاسابيع القادمة . كتبت الى ضيا بك ـ ضيا مرتيش ، المستشار القانوني لوزارة المواصلات ، أنت تعرفه ـ لأطلب اليه اعلامي أين وصلت الامور . سأكتب اليك فور وصول جوابه .

أنا أيضا لا أحب (نانا) . عندك حق . لكنني لم الاحظ أنها تتحدث بهذه الفظاظة . سأرسل لك بعض المال في نهاية الاسبوع ، اذ لا بد أنك لا تملك فلسا واحدا .

أنت تضحك في سرك ، ها ، وتفكر أنت أيضا بالطريقة التي انقضضتما علي ، أنت وحمدي ، كالاسود ، في سجن استنبول ؟ مع ذلك ، كانت أياما حلوة يا كمال ، والحال ، انني أعتقد بأن كل الأيام جميلة بالنسبة لنا . هل يمكن ، بالنسبة للذين يعملون على الا تكون بعد أيام بائسة أو كريهة ، أن توجد أيام غير جميلة ، طالما انهم يتابعون هذا الجهد ؟ ان تفاؤلي ، الذي يبدو للوهلة الاولى حيسوبا وحذرا ، لكنه في الاساس مصنوع من الامل فقط ، يزداد مع تقدمي في السن واقترابي من الموت، فأصبح متفائلا أكثر فأكثر ومفعما بالأمل ، ولأنني أعرف بأنني سأموت يوما لذلك أعتقد بأن الحياة يمكن أن تكون أكثر جمالا ، وستكون كذلك. أما أنت ، فانك لم تبلغ بعد الاربعين . هذا الشعور لا يولد ــ ربما عند أهل بلدنا ــ الا بعد تجاوز الاربعين . أعرف ذلك بالتجربة .

أعانقك أيها الأخ .

ملاحظة : في ما يتعلق بأسنانك : عندي المشاكل نفسها ، لكنني وجدت حلا . يوجد معدن يسمى « ڤيبلا » أو « سوبر ألمنيوم » ، صحي جدا ، وبما انه معدن أبيض ، فانه ليس قبيحا مثل الأسنان الذهبية . انه رخيص جدا ، يكلف « الجسر » ٥ أو ٦ ليرات . بامكانك أن تصنع لك أسنانا من هذاالشيء . استعلم عن الأمر ، وعما اذا كان موجودا في ملاطيا ، وأوص على أسنان لك فورا ، وسأتدبر أمري وأرسل لك بعض المال . واذا لم تعثر عليه هناك ، دع أطباء الأسنان يأخذون لك القياسات، فانهم يبيعون هنا هذه الاسنان جاهزة ، فأقوم بارسالها اليك ويتولى طبيب أسنانك اصلاحها بعض الشيء وتركيبها لك .

- ١٢١ -

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

كنت أنتظر رسالتك بكثير من فارغ الصبر ، ولا بد أنك حزرت ذلك عند قراءة رسالتي الاخيرة . واليك الموضوع : أنا أعرف جيدا ما أبغي

عمله في « مشاهد انسانية من بلدي » ، ما ينبغي أن أفعله وما سوف أفعله . أنا مقتنع بأنني سأنجح في ذلك ، والحال انه لا شيء في العالم لا يمكن التغلب عليه ، بشرط أن نعمل ، وألا نترك الصعوبات تنال منا . لكن ، وهذا واقع ، أن نقضي ست سنوات من عمرنا دون قرّاء ، دون أن نستطيع تقديم شيء لهم للقراءة ، فهذا يضع الكاتب ــ الذي يكتب من أجل القارىء ــ في وضع مأساوي . ان قرائي الوحيدين ــ بالرغم من يقظتهم الشديدة ــ يمكن عدهم على أصابع اليد : بيرايه ، أنت ، رشيد وشخص أو شخصان هنا . من هؤلاء القراء بيرايه التي تكتفي بأن تصرح « لقد أعجبني هذا » ، وهي دائما بخيلة بتعليقاتها . ثم انت ، وأنت أديب ممتهن ، ثم رشيد الذي لا يزال الى الآن تحت تأثيري الى حد كبير ، هؤلاء هم ، في ما يتعلق بالادب من يجب أن يحكموا علي ببرودة اعصاب .

أما الاثنان الآخران هنا ، فانهما يقعان تحت تأثير صوتي ، وطريقتي في القراءة ، لأنني أقرأ لهما الكتاب بصوت مرتفع . انت من ابناء المهنة كما قلت لك ، لكنك ممتهن يبحث عن طريقه ، يجتاز مرحلة الصاروخ ذي الرأس الباحثة ، وبالتالي دينامي جدا . لكن من جهة أخرى ، هذه الدينامية تجعلك فاقد الصبر . باختصار ، شعرت ، هذه الايام الاخيرة خصوصا ، بالحاجة الى قارىء جديد ، لا يكون من المهنة ، أو حتى وان كان من المهنة ، أقل دينامية منك . من جهة أخرى ، وبما انني دينامي أنا نفسي ، كنت اتمسك بشدة بأن يعجبك الكتاب ، أنت الدينامي مثلي . لهذا ، قرات ، ربما عشر مرات ، كل ما كتبته ، مستعيدا الكل اعتبارا من الكتاب الاول . وقد تملكتني الشكوك وتجاوزتها واجتزت الازمات ثم تماسكت أخيرا ، وحينئذ تسلمت رسائل المحامي ، وصباح الدين علي ، وبيرايه ، ورسالتك أنت . لنستعرضها : قام المحامي بنسخ الكتاب الاول دون أن يقول شيئا عن ذلك لبيرايه ، وقراه ولم يفهم منه شيئاً بادىء الامر ، وفي القراءة الثانية شعر بالارتباك ، وفي الثالثة أعجبه الكتاب ، وفي الرابعة تملكه الاعجاب. أنا احمر خجلا من كتابةكل هذا اليك، لكنني أشعر بأن كل ما كتبته ، في هذا الكتاب ، لم يعد ملكي . ان الجزء

الاول من مقطع المستشفى الذي ارسلته اليك، قد أعجب برايه وهي تقول بأنها قراته ثلاث مرات مع سوزان. صباح الدين علي استعار الكتاب الأول من المحامي وقراه وكتب إلي يقول : « لنتحدث عنك الآن . إن قراءة « المشاهد الانسانية » هي التي تدفعني الى كتابة هذه الرسالة إليك . لقد قرانا الجزء الأول منها عند حقي . أنا لن احدثك عن الكتاب ، لكن صدقني ، أنا فخور ليس لأني صديقك فقط ، بل لأنني عشت في العصر ذاته معك . في رأيي انه منذ دون كيشوت سرفانتس لم يكتب عمل واحد يمكن أن يكون له هذا المقدار من التأثير على بلدنا وعلى العالم كله » . هذا الحكم الحماسي جدا من صباح الدين علي ، حتى بعد تشذيبه ، يشكل مع ذلك نقطة تقدير جيدة للكتاب الأول . لنتحدث الآن عن رسالتك . باستثناء ما تحكيه عن المذهب الطبيعي والواقعية ، كنت اريد عمليا أن يعجبك هذا المقطع ، والحال أنه اعجبك . وها أنني مطمئن الآن . سوف نتحدث عن مقطع المستشفى عندما أنتهي منه . وكما ترى ، لم يسبق لي أن تحدثت عن نفسي بهذا الشكل . إنه أمر مضحك وربما يدعو الى الخجل حتى ، وغريب أيضا بصفته ظاهرة بسيكولوجية تحصل لكاتب اراد دائما ان يكتب ، أن يكتب دائما لقرائه ، للكائنات العزيزة عليه ، أن يجد نفسه محروما من القراء . وكما يتبين من ترقيم الصفحات ، أنا ارسل لك اليوم المقطع الذي يلي ذلك الذي ارسلته في رسالتي الأخيرة . سيكون ثمة مقطع آخر ، ثم يأتي مقطع المستشفى ــ الذي بحوزتك ــ وهكذا دواليك . سأرسل لك الجميع قريبا جدا .

أنا مسرور لأنك فكرت في والدك ، وانقبض قلبي لقراءة رسالتك . أنا كنت أحب والدي كثيراً . كان رجلا مسكينا ، ضعيفا ، لكن رجلا طيبا . كان يعشق الحياة . وتوفي باكراً . وقد شعرت فجأة نحو والدك بالحب الاليم الذي كنت أشعر نحو والدي . كمال ، أرجوك ، لا تهمله بعد اليوم . اكتب له مرة في الاسبوع ، وقل له : « صديقي يقبل يديك » . صدقني ، في هذه اللحظة تتملكني الرغبة في أن أقبل يديه .

بيرايه تقبلك في كل واحدة من رسائلها . لا جواب حتى الآن على طلب اعادة المحاكمة . كذلك لم اتسلم جوابا على الرسالة التي كتبتها الى ضيابك . والدتي في انقره ولم تكتب إلي بعد .

اعانقك بشوق أيها الأخ . سأرسل لك بعض المال في الايام القادمة .

- ١٢٢ -

كمال ، أيها الأخ ،

تأخرت هـذه المـرة في اجابتك . السبب ؟ بسيط لدرجـة انـه لا يصدق . كنت مقتنعا بانني أجبتك على الفور بحيث انني اليوم فقط تحققت بأنني لم أفعل ذلك . قل بأنني مغفل واعذرني .

سأنقل إليك في البداية خبراً يهمك بوصفه في الدرجة الاولى من أخبار الساعة : لقد رد طلبي . وهذا الجواب لم يفاجئني كما انه لن يفاجئك حتما .

بعثت إليك بخمس عشرة ليرة . اخطرني حالما تقبضها . لا يزال لي في ذمتهم مبلغ لا بأس به من أجور الترجمة ، لكن حدسي انني لن أقبضه قريباً . منذ شهرين ، والعثور على الخيوط من أجـل أنوالنا مستحيل ، والنتيجـة : أنت بلا فلس ، بيرايه وأنت ، وأنا في اشـد التعاسة بسبب ذلك . لكنهم سيعطوننا الخيوط ، وهذا يعني ان الامور سوف تستقيم .

أرسلت اليك كمية من الروايات البوليسية . ابعث الي باشارة عند تسلمها . لا تبال بخسارة الفواكه التي أرسلتها الى بيرايه ، لكن لو أن الرفاق في سينوب وقعوا ضحية الاحتيال واضاعوا دراهم صمغ اللك فانني سآسف لذلك كثيرا . لقد ارسلوا الي بعض البضائع لبيعها هنا ،

فبعتها كلها وارسلت اليهم المال . ان الحياة التي يعيشونها تؤلمني جدا ، فمنذ ست سنوات تقريبا ، يقضون وقتهم في أعمال النجارة ، مع مافي ذلك من التعب المضني الذي يصبح من أعمال السخرة ، وهم محرومون من سعادة القراءة والكتابة في السجن التي نتمتع بها نحن .

لم استطع عمل شيء هذا الاسبوع لانني اضطررت الى اعادة ترتيب الانوال . لدي مقاطع جاهزة ، من الممكن ارسالها اليك ، لكنني اريد اتباع تسلسل التركيب .

انا مسرور اذ علمت بأنك راض عن زميلك الجديد في الزنزانة . بلغه تحياتي . انا اشعر بالصداقة تجاه كل الذين يجعلون حياة كمال طاهر في السجن أفضل ، لكن الجرم الذي من اجله حكم عليه لم يرق لي مطلقا . في النهاية ، انها فرصة للذي ارتكب خطأ أن يفهم هذا الخطأ ويعود الى الطريق القويم . هذا ما اتمناه له .

عثرت صدفة على رواية اسمها « كولين » لكاتب فرنسي يدعى جـان جيونو . انها رواية تشبه عاهرة عجوزا انيقة ومتبرجة . استطيع ان ارسلها اليك اذا رغبت في ذلك .

رشيد يبعث اليك بمودته في كل واحدة من رسائله ويسألني عـن أخبارك ، وأنا اجيبه بأنك على مايرام . قال لي في رسالته الاخيرة بأنـه سيكتب اليك ، هل فعل ؟ لم يسبق له أن كتب اليك حتى الآن ، وهذا خطئي ، فقد منعته من ذلك ــ والحال انني لا أدري اذا كان من الافضل أن يكتب اليك أم لا ، لكن بما أن الشباب متمرد دائما فقد فعل ذلك حتما .

انه لامر غريب . بي رغبة هذا اليوم في ان أناقش معك امورا من المستحيل عموما ان نكتبها ، لايمكن الا التحدث بها . هذه الحاجة الـى التحدث اليك لم أشعر بها بهذه القوة منذ زمن طويل .

وعلى الامل بأيام جميلة ، ياعزيزي كمال ، تحياتي الى جارك . بالرغم من كل شيء ، سنستطيع قريباً أن نتحدث كما نشاء .

- ١٢٣ -

أيها العزيز جدا كمال طاهر ، أيها الأخ ،

في هذا الكون المؤلف من طبقات ، يتشابه الناس الى حد يجعلهم مصدرا للملل ، أو بالاحرى ، بتعبير أوضح ، وخصوصا في عصرنا ، ان الناس الذين يعيشون في بلدان المجتمعات الطبقية ، البلدان الراسمالية - وهذا صحيح بالنسبة لكل الامم - يتشابهون كثيرا ، افراديا ، داخل طبقتهم من جهة ، وتحت الضغط الايديولوجي للطبقة المسيطرة من جهة أخرى . يمكنك أن تكون واثقا من انك لو راقبت فلاحا تركيا ، فلاحا تركيا متوسطا ، ستجد القليل جدا من الفرق بينه وبين فلاح نمساوي متوسط أو فرنسي ، وذلك ليس من ناحية تجليات طبيعته بل من حيث مضمون هذه الطبيعة نفسه . من الممكن ، نظرا لان المجتمع التركي متخلف قليلا (وكثيرا حتى) من وجهة نظر الراسمالية ، أن يقود هذا العامل فلاحنا المتوسط الى ابداء مميزات مختلفة جدا - في بعض الميادين - عن تلك التي يبديها الفلاح المتوسط الالماني أو الاميركي ، لكنه يشبه كثيرا ، في الاساس ، الفلاح الفرنسي أو الالماني منذ خمسين او ستين سنة . عندما أقرأ غوركي ، اجد الفلاحين الروس قليلي الاختلاف مع فلاحينا . افهمني جيدا : أنا لا انكر الاختلافات الناتجة عن الاسباب التي نعرفها . هذه الاختلافات موجودة . لكن في مجتمع طبقي ، مجتمع راسمالي ، هذه الاختلافات هي ثانوية بحيث لا تستطيع وحدها أن تشكل موضوع عمل ادبي . في مايتعلق بالمميزات الجوهرية الاخرى ، فقد جرى الحديث عنها في العالم كله الى حد يستحيل معه ان نكتب رواية عن كل منها - او حتى عن اربع أو خمس - من هذه المميزات . بالطبع ، ما اقوله لك هنا لا يصلح الا لمجتمع طبقي ، لانه في مجتمع بلا طبقات سيكون لدينا من

الصفات بقدر ما لدينا من افراد . ان المجتمع الراسمالي « يوحد » الافراد في نموذج واحد ، يقتل الفرد ، والانسان لا يستطيع التعبير عن فرديته الا في مجتمع بلا طبقات . لهذا يمكنك ان تكون واثقا من ان الجنس الادبي الذي يصف لنا طبيعة الفرد وسيكولوجيته هو جنس له مستقبل ، جنس لن يستنفد بل على العكس سيتوسع .

اما عمل الكاتب في ميدان العقل الباطن، فان مالرو يقول عنه، في مكان ما ، بأنه احدى المهام الجوهرية الملقاة على عاتق الادب. توجد اليوم بشكل أكيد أشياءكثيرة ينبغي عملها في هذا الميدان ، كما في ميدان البسيكولوجيا انما ينبغي عدم نسيان نقطتين مهمتين : ١ ـ عندما نبحث عن الامساك بالعقل الباطن لشخص آخر ، فاننا غالبا ما نمسك بعقلنا الباطن الخاص، لهذا نجد انفسنا ، في روايات البسيكولوجيا ، والعقل الباطن وحتى عندما نصف نماذج من المجانين ، امام المعضلة التي اكتشفتها عند دستويفسكي . ٢ ـ في الشروط الحالية ، ليس للافراد الذين ينتمون الى الطبقات غير العاطلة ، وقت لاجتياز أزمات بسيكولوجية بهذا العمق ، ولا للاصغاء باهتمام الى عقلهم الباطن . لهذا يكفي ان نصف « بشكل افعال » بسيكولوجيتهم وعقلهم الباطن . يبدو لي ان غوركي على الارجح ذاتي ورومانطيقي عندما يصف لنا بسيكولوجية نماذج البروليتاريا الرثة . والحال انك تلاحظ بأن هذا النوع من القصص يعود الى فترة شباب المعلم .

انااقول هنا اشياء غريبة ربما ، سلبية جدا ، لكن حتى لو قبلنا بأنني اتكلم بشكل مطلق جدا وأقول حماقات ، فلا اظن بأنه يمكن الادعاء بأن كل ما في هذا القول خطأ في مجمله . اخيرا ، لا يهم . لنعد الى رسالتك بعد هذه المقدمة .

١ ـ انت تقول : « النموذج » ، « هذا يعني الانسان » . كلا ياكمال، الانسان لا يعني بالضرورة « النموذج » . فالنموذج هو العينة ، المثال . لهذا فهو ، من هذه الزاوية ، تركيبي ومجرد . دون كيشوت نموذج .

لكنه ليس انسانا بقوته نفسها كنموذج . هذا مضحك اليس كذلك ، حتى انه مجرد ايضا من ناحية اخرى ، أنت تقولها بنفسك عندما تتحدث عن تطور « النموذج » في الادب ، لكن ، بعد هذا التطور ، يختفي النموذج من الرواية ، ويخسر كل الخصائص التي كانت تجعل منه نموذجا ، ويصبح اكثر فاكثر ، كائنا انسانيا ، كائنا محسوسا . وفي يوم من الايام، ما نسميه « نموذجا » اليوم ، سيختفي من الادب ويحل محله الانسان الذي ليس نموذجا . اذا كان مؤلف « الاسمنت » يعتقد بأن العيب الرئيسي في الادب السوفيتي هو انه لم يعرف كيف يخلق « وجوها » ، فهو على حق في ما يتعلق بالادب السوفيتي ، وفي هذه المرحلة من تطوره فقط، لأنه من الضروري، بالطبع، خلق النموذج الجديد، المثال الذي ينبغي أن يجمع و « يشخص » النماذج الاولى الجوهرية لمرحلة بناء الاشتراكية وانتصارها ، تماما كما فعل المجتمع الراسمالي والمجتمعات التي سبقته . لكن كما قلت لك في السابق ، ان المجتمع الرأسمالي قدم لنا هذه النماذج في الرواية . قبل ذلك ، هذا ما كان قد فعله شكسبير تماما كما فعل الادب الكلاسيكي الفرنسي ، ومن بعده غالبية الروايات الروسية . ان النماذج الاكثر تميزاً للعمال في المجتمع الرأسمالي ربما لم يجر وصفها ، لم يمكن وصفها لاسباب عديدة . ربما ان شبه الطبقة العاملة بشرنقة دودة قز هو الذي شكل عائقا دون ذلك . لكننا لانستطيع ان نقول الشيء نفسه بشأن الطبقة الفلاحية التي دخلت بكل شرائحها في الرواية والقصة ، بحالتها الاجتماعية ونماذجها المميزة ، وعلى الصعيد العالمي ، وحتى في مرحلة ماقبل الرأسمالية (ربما باستثناء مرحلة بناء الاشتراكية والثورة الاشتراكية) . لذلك ياعزيزي كمال ، ان الروايات التي ستكتبها اليوم ــ لنكن عمليين ، اليس كذلك ؟ ــ سيكون بعيدا عن الادراك ، في رأيي ، ان تستند الروايات التي تهدف الى وصف بلدنا كما هو اليوم ، الى خلق نماذج خلقية ، وسوف لن تشكل ، في نظري ، سوى غلاف فارغ من المضمون ، لكنها لو استندت الى الانسان فهذا شيء افهمه واعتبره شيئا لايمكن الاستغناء عنه . انا اعرف بانك لن تتهمني

بانني العب بالكلمات . ان النماذج التي يمكن ان تخلقها لتمثل مختلف شرائح الطبقة الفلاحية التركية ، أنا أجدها منذ زمن طويل في الادب العالمي ، تحت اسماء اخرى ، ومظهر اخر ، لكنها تقدم دائما الصفـة الجوهرية نفسها ، يمكنك ان تكون واثقا من ذلك . هل تذكر يوما في تشنقيري ، كنا بحثنا معك في تحديد مميزات الفلاح التركي ، فلم نجد تقريبا لديه شيئا مختلفا عما كشفه الادب الروسي عند الفلاحين الروس. لكن طبقة الفلاحين نفسها ، لوجودها في سياق التطور والتحول ، مـن الطبيعي أن نجد في كل مرحلة من هذا السياق ، شخصية أو شخصيات تبرز في الادب العالمي مثل علامات الحدود الكيلو مترية . سأعطيك مثلا محسوسا على هذا الموضوع : كتب سميك قصة صغيرة ، جميلة جدا وواقعية جدا . واحببتها كثيرا . قصة تصف يوسف الراعي الموجود هنافي المستوصف ، وهي لاتصف الانسان فحسب بل تحكي لنا أيضا مظهرا من قدره . هذا الراعي الذي يعاني من مشكلة شخصية صغيرة يجب عليه ان يحلها ، ولا يتوصل الى ذلك بسبب اعمال السخرة التي يفرضها عليه الآخرون دون انقطاع ، ولا تخطر له حتى فكرة ان يغضب من ذلك ، وعندما يصادفه شعور قليل بالغضب ، ينساه على الفور ويهب لتنفيذ ما أمر به ، وعندما يطرد أخيرا من المستوصف بسبب الآخرين ودون أي خطأ منه ، يتقبل ذلك بعدم اكتراث كبير . نعم ، في هذه القصة نجـد مستوصفنا ، والامر يتعلق بيوسفنا ، ولكن هذه البسيكولوجية ؟ اذكر انني قرأت على الاقل عشر أو خمس عشرة قصة كانت تصف لنا هـذه البسيكولوجية .

لنعد مرة أخرى الى المشكلة : انت تقول « في تاريخ الادب ، اتبعت « النماذج » تطورا مثيرا انتقل من المجرد الى المحسوس » . هذا صحيح، انما اعتبارا من اللحظة التي يصبحون فيها محسوسين يتوقف وجودهم كنماذج . سأكرر لك ماقاله رجل عظيم : في البـلاد الراسمالية علـى الأقل ، ومع وضع النموذج الشيوعي جانبا ، من المستحيل بعد الآن خلق نماذج في الرواية والقصة ، لأن الموضوع لم يعد موضوع خلق نماذج ،

بل موضوع وصف الناس . ان الواقعية الفاعلة ، الثورية ، «الدعائية»، اذا أردت ، ينبغي أن نمارسها عن طريق وصف الانسان ، وبشكل يجعل الأدب مفيدا للمجتمع .

قبل الانتهاء من هذا الموضوع ، ينبغي أن أقول لك ، بشكل عابر ، ان رواية « برس طالكبير » لألكسيس تولستوي ، في رأيي ، ليست رواية واقعية جدا ، ولا مهمة جدا من هذه الناحية . أنا لا انكر قيمة هذا الكتاب ، لكنني مقتنع بان استخدامه كحجة في نقاشنا مستحيل . ملاحظة أخرى : في « الشرط الانساني » لمالرو ، « نماذج » الثوريين الصينيين حانقون كأفراد والبراجوازيون ليسوا الا عرائس متحركة ، شديدة القولبة ، كأفراد طبعا . بالرغم من هذه العيوب ، انه كتاب جيد ، لان الناس الذين يعرضهم فيه مالرو وأبعادهم ، رائعون .

والآن لنتحدث عن الخطر الذي تلمحه عندي :

لكي « استنفد » الاناضول ــ بالمعنى الذي أقصده ــ في بضع روايات يجب استنفاد الاناضول نفسه ، ماضيه وحاضره ومستقبله . لذلك ليس عندك ما تخشاه ، فمن المستحيل استنفاد هذا الموضوع ، وقول كل شيء ، حتى في مائة الف رواية ، وحتى اكثر من مائة الف رواية . لكي اتمكن من استنفاد الاناضول او الكون وكل الناس في الاناضول وكل الناس في الكون ، بالمعنى الذي أقصده ، ينبغي أن تكون كل هذه العناصر في حالة سكون لا في حالة نشاط ولا في حالة تطور .

أعتقد بأنني قد أفلتُ هكذا من هذا الخطر ، وأعود الى مشكلتي الجوهرية . في الرواية : ١ ــ مثل كل الاشياء المادية والمعنوية ، ان ما نسميه رواية يتوسع ، وهذا التوسع هو ايضا جدلي . لكن بما أن الظاهرة التي نسميها رواية هي عنصر من البناء الفوقي ، فانه لا يمكننا (كما في ميدان القوى التقنية والمنتجة) أن نحسب في كل لحظة توسعها وتراكمها الكمي بدقة حسابية . وحتى الثورة ، عندما تتحقق في القاعدة ،

يمكن أن تحصل بعد ذلك بزمن طويل في الرواية التي تشكل جزءا من البناء الفوقي ، مثلها مثل الكثير من عناصر البناء الفوقي ، حتى انها يمكن أن تحافظ ، لوقت ما ، على شكلها القديم . لكن واجبنا هو أن نكون نشطين ، ان نتدخل بوعي في تطور الرواية ، وحين يزف اليوم ، أن نحقق هذه الثورة . ٢ — ان التطور في الرواية مرتبط بالتطور في المجتمع ، في بنائه التحتي . لهذا فان الرواية ، روايتنا ، الحقيقية ، تلك التي لا تخضع للانحطاط بل على العكس تستمر في الصعود ، ستصف ، من جهة ، الانسان والناس ، في كل علاقاتهم ، ومن جهة اخرى ، المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الناس ، مجتمع اليوم مع كل تناقضاته ، مجتمعنا نحن مثلا . وفي هذا السبيل ينبغي أن تلجأ الى التصنيف ، بسبب بنيتها نفسها ، أي أنها عندما تصف علاقات الناس الحاليين ، اما ببعضهم البعض ، واما مع الطبيعة ، ستدفع الرواية الى المستوى الاول بانعكاسات بعض هذه العلاقات في دماغ الانسان — او الناس — وستترك البعض منها في المستوى الثاني او الثالث ، كما يحصل في الواقع . والكاتب ، بقيامه اساسا بهذا التصنيف وهذا التركيب — اللذين جعلهما الواقع ضروريين — يستطيع أن يؤمن للرواية عمقها واتساعها الأكبرين . ولكي أوجز ، عمليا ، لنقل بان الكاتب يستطيع أن يقدم لنا الفكر وتجلي هذا الفكر في البسيكولوجية وحتى في العقل الباطن عند هذه أو تلك من شخصيات الرواية (لنقل مثلا في موضوع العلاقات الجنسية) دون تبسيط هذا الفكر انما بشكل محسوب ومحدد ، ويمكنه هكذا ان يحتفظ بمكان اكثر اتساعا لانعكاس العلاقات الاكثر اهمية ، في العقل الباطن لهذه الشخصية ، بينها وبين الشخصيات الاخرى ، وان يقدم لنا في كتاب واحد تاريخ فترة طويلة جدا من حياة مجتمع ما ، وهو شيء مختلف تماما عن الجمع البسيط لكل هذه الشخصيات . انا لا اعطيك هنا الا مثلا تخطيطيا بهدف تبسيط المسألة . ومن وجهة النظر هذه أيضا أعتقد بأن ذوبان عنصر الريبورتاج مع عنصر الرواية سيفيد في الغاء عدد كبير من الصفحات أو الاطالات غير المجدية . لا تتصور بانني افكر في هذا

الآن ، يبدو لي ضروريا أن نستخدم في الرواية اجناسا مثل الريبورتاج ، والصحافة ، وليدة فن السرد ، التي لم تعتبر قط ، لاسباب معروفة ، كفروع للادب ، وولدت من تطور التقنية والعلاقات الانسانية ، واعتقد بأنه من الواجب معرفة استخدام الامكانيات التي تتيحها هذه الاجناس لشرح المسائل الاكثر اهمية بكلمات قليلة .

لقد أطلت الثرثرة يا عزيزي كمال ، واكرر بأنه في كل ما رويته لك هنا، ثمة اشياء الححت عليها عن قصد ، وقد تكون خاطئة ، لكن ثمة اشياء ربما ليست عديمة الفائدة تماما . أنهي كلامي بنصيحة عملية ، ان مصداقية كل نظرية هي التطبيق العملي في أوسع معانيه ، هي المهنة . والامر كذلك بالنسبة للرواية ، فالتطبيق العملي وحده يستطيع أن يبرهن على صحة او عدم صحة هذه النظرية او تلك ، والتطبيق العملي، أي سياق في تركيب الرواية ، في حالتنا هذه ، والعمل هما اللذان يثريان النظرية بشكل يفوق التصور ، النظرية الاكثر ثراء . أقرأ كل ما رويته لك هنا وفكر ، اذا اردت ، في كل هذه المسائل ، وبعد ذلك ، اشرع في كتابة رواية ، لانك تعرف النظرية الاساسية ، النظرية التي يمكن بواسطتها الوصول الى الواقعية ــ وواقعيتنا ــ تطبيق المادية الجدلية في ميدان الفنون الجميلة .

أرسلت لك ١٥ ليرة . اخطرني حال وصولها . سأرسل لك المزيد قريبا جدا . ابعث اليك خلال ايام ببنطالك وقميصك . لقد اشتروا روايتك (ساجيرديريه) وكلجي ، وسينشرونهما قريبا جدا . أعانقكم جميعا . تحيات من بيرايه ومن سميك .

– ١٢٤ –

٤٤/٨/٨

أبرق بأخبار صحتك .

- ١٢٥ -

كمال طاهر ،

حقا انت تبالغ . انت لا تكتب لي فأبرق لك ، وتجيبني برقيا بانك « مثل الاسد » . انا أعرف بان كل ما فيك يشبه الاسد ، لكن حاول أن تصبح ثانية فانياً بسيطاً ، واعطني من اخبارك . والآن أصغ الي جيدا :

١ — حرر لي فورا رسالة بتفاصيل وضعك ، واذا طرأت تغيرات على هذا الوضع فقل لي ما هي .

٢ — قل لي ايضا اذا ما تسلمت المال الذي أرسلته لك أم لا .

٣ — هل ترى رشيد ؟ اذا نعم فارسل لي عنوانه بسرعة ، ضمن رسالة . اكتب لي فور وصول هذه الرسالة اليك ، مطولا وبكثير من التفصيل . هذا كل شيء . مودتي الى رشيد وزوجته .

- ١٢٦ -

كمال طاهر ، يا اخي ،

تسلمت رسالتيك الاثنتين ، ابعث اليك بخمس وعشرين ليرة اليوم بالذات وقد أرسلت الروايات البارحة . ان الذين تسببوا بهذا الظلم لرفاقنا في سينوب قد خانوا شعبنا وبلدنا مرة أخرى ، واطئين باقدامهم كل ما هو طيب وتقدمي في قوانين الجمهورية ، هذه القوانين التي كلفت شعبنا الكثير من الدم والعرق . ماذا كانت نتيجة العريضة التي قدمها الرفاق الى وزارة العدل ؟ انا شغوف لمعرفة موقف الوزارة تجاه هؤلاء الافراد الذين لا يحترمون القوانين . هذا الفضول من جهة ، والغضب من جهة أخرى ، ثم الحزن لعدم تمكني من النضال ضد هؤلاء الخونة ، باختصار ، انا عاجز منذ عدة ايام عن القيام بأي عمل ، سوى السؤال عما ينبغي عمله .

كيف صادروا صورتي ، احك لي . هل اتى إذاً هذا السيد ورأى صورتي فحملها وذهب ؟ كيف تجرأ ؟ لقد اتى وزير العدل منذ وقت قصير الى سجن بروصه ودخل غرفتي وتحرى عن صحتي ، وقد كانت على الجدران بعض اللوحات ، لوحاتي ، ولوحات من ابراهيم ، وكانت أيضا اللوحتان اللتان رسمتهما والدتي . وقد اعجب الوزير باللوحات كثيرا . اريد ان اقول بان اللوحة التي ارسلتها اليك كانت تماما كالصورة التي يرسلها مواطن الى مواطن آخر . من يستطيع إذاً أن يمنع مواطنا تركيا من ارسال لوحة تمثل صورته الى مواطن تركي آخر ، من يستطيع أن يصادر عند المواطن التركي صورة صديقه ؟ أنا مذعور فعلا . أستطيع، اذا اردت ، أن أكتب الى الوزير نفسه ، وأطلب اليه أن يتخذ التدابير الضرورية لكي لا يلحق بهذه اللوحة ، التي تمثل قيمة فنية أيضا ، اي ضرر . في النهاية ، أعطني تفاصيل هذه الحكاية . لقد قص علينا عصمت باشا في خطابه كيف يقوم هؤلاء المتعصبون الاتراك، هؤلاء الفاشيون ، أعداء الجمهورية الألداء ، أعداء بلدنا وشعبنا ، بافساد الاطفال في المدارس . نحن نناضل ، منذ سنوات ، ضد هذا التسمم العام ، وكشفنا أقنعتهم ، لكننا وقعنا في الفخ الذي نصبه لنا هؤلاء القذرون المخربون ، ورمينا ظلما في السجن . ما هو الاكثر اثارة ، انه لم ينبس مطلقا بشأننا ، لا علي شخصيا ولا على كل الذين يشاطرونني آرائي ، وبالرغم من سجننا كلنا عدة مرات ، ما قاله علنا بحقهم الرجل الذي يحتل المركز الاكثر مسؤولية . ان الذين يتهموننا بخيانة بلدنا — وفوق ذلك يفعلون هذا من وراء ظهرنا ولا يكلفون أنفسهم عناء قوله علنا — هم بعض المخبرين أو نماذج أخرى من هذا النوع . بينما الآخرون ، رئيس الجمهورية نفسه يسميهم خونة . لكن من الواضح ان البعض فقط من هؤلاء قد جرى كشفهم وان الكثيرين من شركائهم لا يزالون يتآمرون ضد الجمهورية والديمقراطية ، في وزارات أخرى ، ومراكز اخرى ، بحجة النضال ضد الشيوعيين .

هذا واقع يا عزيزي كمال . ومع ذلك ، عاشت الحياة ، عاشت تركيا ، عاش شعب تركيا الشريف ، الشعب التركي العظيم .

لقد آلمني الانطباع الذي تركه لديك رشيد ، ولا أستطيع أن أبين لك الى أي حد هذا الفتى خجول جـدا ، ولكي يغطي خجله يتظاهر بالاهمية ، ويضطرب . حتما لقد فقد سيطرته على ذهنه ذلك اليوم .

اقبلك رغم كل شيء . تحياتي الى زميلك في الزنزانة . بيرايه تقبلك ايضا . لا تنس أن تكتب الي .

أرسلت لك صورة في رسالتي الاخيرة هل تسلمتها ؟

- ١٢٧ -

كمال طاهر ، يا أخي العزيز ،

لا أدري اذا كنت قد لاحظت بأنني أصاب بالمرض في بداية كـل فصل ، ولم تفت الفرصة هذه المرة ايضا ، فقد أصبت بمرضي المعتاد في بداية الربيع ، قشعريرة خفيفة هزتني ، وتحسنت الحال ، غدا سأكون ، دون شك ، قد شفيت تماما .

أنا مسرور لكون قصة رشـيد قـد اعجبتك ، وذلك لسببين : ١ ـ أعجبتني أنا أيضا . ٢ ـ أنا أحب رشيداً كثيراً ، في حين أنه لم يحدث لديك انطباعا جيدا ، والحال أنني أرغب في أن تحب الناس الذين أحبهم . يجب أن تكون هذه القصة قد جعلته لطيفا في عينيك .

ان بيان جميع ما سوف تكتبه قد جعلني سعيدا . مرحى ، يا عزيزي كما ، ينبغي علينا نحن أن نؤمّن للشعب التركي الاعمال الاكثر أصالة . وهذه الرواية عن ملاطيا ، يجب أن تبدأ بها .

أعود للعمل ، منذ الغد ، فقد تركت كل شيء لثلاثة أو أربعة أيام بسبب هذا المرض . في ما يتعلق بمسألة اللغة المحكية ، كنت أقدّر في الماضي ، كما أنت ، بأنه ينبغي استعمال « الاعجميات » كما هي ، وتجنب الاقليمية تماما . لكن هذا الرأي قد تغير قليلا مع ذلك . حتى دون استخدام « الاقليميات » مائة بالمائة ــ تماما كما نظهر الواقع من خلال موشور الفن ، ان شرحي سيء لكنك سوف تفهم ما أردت قوله ــ نعم ، نحن مضطرون ، على ما يبدو لي ، لأخذ هذه « الاقليميات » التي هي جزء من الواقع ، بعين الاعتبار من خلال هذا الموشور نفسه . أريد أن أقول بأننا بمقدار ما نواجه عملا ذاتيا من التأليف والمزج عندما نعكس الواقع ، ونفرض نوعا من الترتيب والتوجيــه على الواقع ، ونقسمه الى مستويات ، ونقدم كل هذه المستويات في وحدة واحدة ، كذلك ينبغي أن نفعل في ما يتعلق بمسألة « الاقليميات » . لا أدري اذا كنت قد شرحت وجهة نظري جيدا . لقد فهمتني حتما ، انت الذي يفهم كل شيء من الاشارة .

رشيد وزوجته يرسلان لك مودتهما في كل واحدة من رسائلهما . الى اللقاء إذاً يا عزيزي كمال ، أعانقك بشوق أيها الاخ . نعم ، الحياة جميلة بالرغم من كل شيء ، وهذا يستحق أن نعيشه في هذا العالم وفي هذا البلد ، حتى في السجن .

لم أستطع تسوية مشكلتك مع الراديو ، لأن المستشار القانوني ، ضيا بك ، في اجازة .

- ١٢٨ -

عزيزي كمال طاهر ، أيها الأخ ،

كل تمنياتي ، لك ولزميلك ، بمناسبة الأعياد .

بيرايه لم تصل بعد ، لكنها ستكون هنا بعد بضعة أيام . حتى ولو لم نستطع أن « نتصور » سوية ، فسوف أرسل لك صورتي وصورتها

كنت قد بعثت في طي رسالتي الاخيرة رسالة الرفاق في سينوب ، وينبغي أن تكون قد تسلمت الكل .

سررت جدا لاقتراح خالد ، فسوف يسليك أن تترجم هذه الكتب، ويعود عليك ببعض المال . بعثت اليك اليوم بعشرين ليرة ، وعليك اخطاري ما أن تتسلمها .

أنا لم أشف تماما بعد . فيوما تتحسن الحال ، وفي اليوم التالي تسوء . ليس هذا مرضا خطيرا ، لكنني أعاني من تشنجات عضلية وقشعريرة وآلام في الرأس ، وكل هذا مزعج وكريه ، فكل ما هو منجز الى النصف ، وكل ما هو ضعيف يكون قبيحا ، حتى المرض .

أرسل اليك كتاب المنتخبات مع رواية بوليسية .

إذا كان لديك شيء مسل أرسله إلي . سأرسل لك كتاب الفلسفة بالبريد القادم .

أمين ــ من ــ سابر يبعث اليك بكل تحياته .

انا أحفظ بعناية الاشياء الجميلة التي تكتبها الي عــن برايه ، وسأقرؤها لها عندما تكون هنا . أرسلت أيضا ٢٠ ليرة الى الرفاق في سينوب ، فلا تهتم ، سيرسلون الي من جديد بعض البضائع مما يمكن أن أبيعه هنا .

رأسي ثقيلة بحيث أنها تمنعني من الكتابة حتى إليك . كل الهموم الصغيرة مزعجة . كل ما هو صغير كريه ويستمر طويلا ، باختصار ، سعادة كبيرة وحتى تعاسة كبيرة أفضل من سعادة صغيرة أو تعاسة صغــيرة ...

الى اللقاء يا عزيزي كمال . اعذرني ، وخصوصا لا « تحرد » فتكتب الي باختصار لأن رسائلي قصيرة . لا تتركني دون أخبار . أعانقك بشــوق .

- ١٢٩ -

كمـــال ،

لم أستطع صبرا على الانتظار ، فأرسلت اليك مقطعين من الكتاب الثالث لا يتتاليان . المادة الاولية لاحدهما عندك بشكلها الخام ، لكني أرسلها لك لترى كيف اشتغلتها ، مع الرسائل أيضا ، لكن في هذه الاخيرة مقطع أو مقطعان لن ينشرا ، وبيرايه هي التي تمنعني من ذلك ، وبما ان الكتاب تعود ملكيته لها ... فسوف لن تكون قد قرأتهما ، لقد أعلنت ذلك بصراحة : « حتى ولا كمال » . إنها المقاطع التي تعود للعلاقات العائلية والمنزلية البرجوازية الصغيرة ، كما توقعت أنت . إذاً ، ستتظاهر بأنك لم تقرأ هذه المقاطع .

ثم ان بيرايه لم تتسلم الفواكه بعد ، وهي تتساءل عما اذا كان الطرد قد فقد .

لا يزال يوجد الكثير من المقاطع المشابهة التي تنتظر التركيب النهائي. سأرسلها لك أيضا شيئا فشيئا ، وأبين لك فيما بعد ترتيب البناء ، فتقرأها بعد تركيبها .

اقبلـك

- ١٣٠ -

كمـــال ،

أرسل لك هنا مقطعا آخر من الجزء الاول من الكتاب الثالث ــ قد يكون الكتاب الثاني اذا غيرت التقسيم الحالي ، لأجعل من الكتابين الأول والثاني كتابا واحدا . توجد هنا فقرة أو فقرتان تعرفهما ، لكنني أرجوك أن تقرأ من جديد هذا المقطع ، ومقطع المستشفى ، وأن تكتب

إلي بالتفصيل رأيك فيهما . في الوقت الحاضر ، أنا اكتب بالخطوة السريعة ، مدفوعا بحبي لبلدي وناس بلدي ، دون أن أدري تماما ماذا افعل ، مهملا ربما مسائل الشكل . واذا لم يكن هذا الشكل سيئا كثيرا، فسوف أتمكن من ترتيب كل شيء فيما بعد ، على كل حال . لكن ما يخيفني هو أن العمل بكل قلبك شيء سيء ، فتمارس التأثير على نفسك ، أريد أن أقول بأننا نستسلم لتأثير حبنا ، ونهمل بعض الوسائل للتأثير على الآخرين . باختصار ، اقرأ كل هذا وقل لي رأيك . بين مقطع المستشفى الذي سبق ووصلك ، وبين هذا الذي أرسله اليك . مقطع ثالث ، لم ينته بعد ، من ثلاثمائة الى أربعمائة بيت . اكتب إلي ما أن يصلك كل هذا ، لكي أستطيع أن أجد الراحة من جديد .

- ١٣١ -

كمال ، أيها الأخ ،

أجيب على رسالتك بشيء من التأخير،لكنني أعتقد بأنك ستسامحني عندما أخبرك بالسبب : بقيت بيرايه في بروصه اسبوعا كاملا . إنها تهديك تحياتها ومودتها ، وقد تحدثنا عنك كثيرا حتى كان يخيل لنا أننا كنا سوية .

كنت قد أرسلت لك عشر ليرات فهل تسلمتها ؟ لم اعد أدري ماذا أكتب اليك ، فاني لا أزال ثملا بالسعادة . اسكت ، لدي رباعية صغيرة، غنائية جدا ، اكتبها لك هنا :

يطلع النهارُ أكثرَ فاكثرَ ،
والعالم رائقٌ كمياهٍ تترسبُ ثمالتها ،
ايتها الحبيبة ، كأنك هنا ، إقبالتي ،
صفاء ، اصفاء الى ما لا نهاية ...

كما كتبت أخرى لكناري :

هكذا يا كناريّ ، بينك وبيني ،
ليس الا اختلافٌ في الدرجة ،
أنت طيرٌ ، الك جناحان ، ولا تستطيع التفكير ،
وأنا انسانٌ له يدان ويستطيع التفكير ...

يوجد منها أيضا كمية كبيرة ، لكنها ستكون للمرة القادمة ، اذ ينبغي أن أعطي هذه الرسالة للبريد لأطمئنك .

لدينا هنا موقوفون أتوا من ملاطيه ، وسيذهبون الى سجن امرلي، وهكذا حصلت على معلومات عن حياتك هناك وعن ابراهيم .

هذه الرسالة غير مقروءة حقا فاعذرني . أعانقك بشوق لا يمكنك تصوره ، يا أخي .

* * *

٣ ـ تشــوروم

١٩٤٤ ـ تشرين الاول ١٩٤٩

كمال ،

تسلمت رسالتك الاولى من تشوروم ، وقد اطلعت على نبأ رحيلك في رسالة من ابراهيم ، منذ بضعة ايام . وصلنا نبأ نقلك الى تشوروم في حين كانت بيرايه لاتزال هنا ، فأسفنا له ولفكرة ابتعادك عن زوجتك والا فان كل السجون تتشابه ، أكثر أو أقل قليلا . سوف أكتب الى ابراهيم ، لكن يجب ان اعترف لك بان الجرم الذي ارتكبه يزعجني كثيرا . قل لي مارأيك فيه . هل أستطيع أن أكتب له ؟

سارعت – أي في ٢٧ من الشهر الماضي – الى ارسال ٢٠ ليرة الى عنوانك في تشوروم . اخبرني اذا كنت قد تسلمتها . سأرسل لك أيضا بعض المال بعد بضعة أيام .

أمين – من – سارير يبعث اليك بمودته ، ويتمنى لك أقصر اقامة ممكنة في مكانك الجديد ، كما في كل قصر من النوع نفسه .

غدا ، أرسل لك بعض الروايات ، وعليك أيضا اخباري بوصولها .

عدت الى القصيدة ، وما أن تتقدم قليلا واكون قد كتبت منها خمسمائة أو ألف بيت ، حتى ارسلها اليك . أنا مسرور جدا اذ علمت بانك ستعود هناك الى الرواية . تشجع يا كمال ، ولنبدأ العمل بجد فقد تكاسلنا بما فيه الكفاية ، نحن الاثنين .

اذا كنا سنبقى طويلا هكذا قبل استعادة حريتنا فمن الافضل ان تنقل الى هنا ، الى بروصة . أنت تعاني من الروماتيزم ، والوزارة

تستطيع أن ترسلك الى بروصة لكي تتمكن من المعالجة ، ثم ، وهذا هو السبب الاهم ، انك من استنبول ، ولكن بما أنه من المستحيل نقلـــك اليها ، فثمة امكانية ان يأتي أهلك لزيارتك ، أي في محافظة قريبة من استنبول ، وهذا يشكل دافعا لنقلك الى بروصة . واذا تبين ان هــذا مستحيل تطلب ارسالك الى سينوب . باختصار ، اصبر قليلا ايضا ، ثم ابدأ بكل هذه المراجعات . عندما اقول قليلا فهذا يعني شهرا ، أو اثنين على الاكثر .

أنتظر رسالتك ، اقبلك يا أخي العزيز .

- ١٣٣ -

٢٧ تشرين الاول ١٩٤٤

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

اذا كنت قد تأخرت الى هذا الحد في الكتابة اليك (أنا أتكلم على الرسالة التي سبقت هذه الاولى التي تسلمتها في تشوروم) فالسبب بسيط جداً ، ككل الدوافع الحقيقية ، وبعيد جدا عن فرضياتك الادبية. أنت تعلن لي أنك على أهبة مغادرة ملاطيه ، ثم تكتب : « وتوجب علي تأجيل سفري لمدة اسبوع » . ومن هنا يأتي هذا التأخير لمدة اسبوع في مراسلاتنا . بيرايه امضت هنا اربعة أيام . وتحدثنا عنك كثيرا . وكنـــا حزينين جدا لاننا نعرف جيدا ماذا يمثل الانفصال بين كائنين يحبـــان بعضهما البعض ، وفي السجن ، زيادة على ذلك . غدا ، سأكتب الـــى ابراهيم . اذا كنا سنبقى في السجن طويلا ــ سنعرف ذلك هذا الشتاء ــ سأعمل كل ما في وسعي لنقلك الى هنا . واحدة من اثنتين ، اما ان يوضع حد لمعاناتنا ولهذا الظلم الفاضح ، واما ان نبقى في الســـجن ، لكن سوية في تلك الحال . باختصار ، أنا مصمم على لقائك في الربيع القادم ، اما هنا واما في الخارج . لا تستطيع ان تتصور الى أي حـــد

ارغب في رؤيتك . كمال ، تنقصك حتما ثياب داخلية وخارجية . وجدت قليلا من الصوف . سأعمل على نسج ما يمكن ان تفصل منه سترة . حتى لو كان خشناً قليلا ، سيكون النسيج ملائما للذوق ومتينا حتما . سأرسله الك بالبريد خلال عشرين يوما ، وسيدفئك جيدا . أنا أعمل كالمهموس ، والايام تبدو لي قصيرة جدا من جديد ، خصوصاً واني مضطر لتكريس ساعة أو ساعتين يوميا للمشغل .

اتمنى لك الراحة والهدوء في سجنك الجديد . إن قاعة مليئة بالناس لها عوائق ولكن لها ميزات أيضا . ميزات كبيرة بالنسبة لروائي. ماديا ، ربما لن تكون مرتاحا ، لكنك ستكسب كثيرا من الناحية الثقافية. لو كانوا يضعونني هنا في قاعة مع الاخرين ، لانزعجت من ذلك ، لكنني سأكون سعيدا أيضا .

تسلمت اليوم رسالة من الرفاق في سينوب . لقد تحسنت حالتهم ـ الاقتصادية ـ

هطل المطر دون انقطاع خلال اقامة بيرايه بكاملها ولم نستطع اخذ صور ، لكنني سألصق صورتينا جنبا الى جنب مما يشكل تجميعا سأرسله اليك . أرجوك يا كمال ان تبلغني بكل ما ينقصك من ناحية الالبسة . تسلمت رسالة من فوزي . انه الشتاء في سيواس ، والفتى المسكين يموت من البرد ، ثم انه افرج عن سليمان نوري وأعيد الى السجن بحجة انه مواطن تركي . أرسل لي صورة لتشوروم مع زملائك في القاعة ، بانتظار ان ارسل صورتي اليك .

بلغت تحياتك الى أمين بك وهو يهديك تحياته ايضا . والدتي موجودة عند شقيقتي في أنقرة وستخضع لعملية جراحية . محمد ابني قد شب كثيرا ، أصبح رجلا شابا حقيقيا على ما يبدو : من المضحك أن نقول « على ما يبدو » عندما يتكلم الانسان على ابنه ـ اما سوزان ابنتي فقد تجاوزت العشرين ، وهي تقضي وقتها في المنزل بانتظار

العريس ، وعلى ما أقدر ، فهي بائسة بشدة ككل الفتيات اللواتي من بيئتها . بيرايه وانا نقضي وقتنا ببث حبنا ، الواحد تجاه الآخر ، في كل واحدة من رسائلنا ، هذا الحب الذي يتجدد فيه الشباب والنضرة دون انقطاع . هذا ما يتعلق بحياتي العائلية . هل لديك اخبار من والدك ؟ كنت قد قلت لي بانك تسلمت رسالة من راتب ، ماذا يعمل ؟ يبدو لي انه قد حان الوقت لكي يبدأ بالعمل .

علمت بقرارك ونيتك بالبدء في روايتك عن ملاطيه ، بالانفعال نفسه الذي كنت سأشعر به عند سماعي نبأ سقوط مدينة عدوة حيث يجري قتال شوارع . هلم يا كمال . تشجع . لقد تكاسلنا زمنا طويلا .

أعانقك بشوق أيها الاخ . تحياتي الى كل زملائك في القاعة . لم اتسلم حتى الآن الا رسالة واحدة من تشوروم ، وقد نظرت الى التاريخ لقد وصلت في التاسع منه الى بروصه .

- ١٣٤ -

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

تصلني رسائلك في ستة أيام . هذه الرسالة ستصلك بسرعة أقل اذ يجب حساب يوم الاحد ، حيث انني لم أستطع تسليمها البريد فورا . كتبت الى ابراهيم في ملاطيه .

اليك أخبار بروصه : كانت لدينا ثلاثة أنوال للنسيج ، وفي بداية الشهر افلسنا وانكشفنا على ٢٤٩ ليرة من الديون . والآن ، الى جانب البحث عن وسيلة لدفع هذه الديون واستئناف النشاط ، أحاول أن أجد بعض الترجمات لاعالة العائلة . انها السوق السوداء التي اغرقتنا في هذه الحالة ، فقد كنا لا نحصل من أجل الانوال الثلاثة الا على رزمة واحدة من الخيوط من التعاونية ، وكل ما كنا نكسبه كان يذهب الى

السوق السوداء ، لاسيما واننا كنا لا نملك كراسمال سوى ١٦٠ ليرة. لقد سارت العملية سيرا سيئا وها نحن مدينون بالمبلغ المذكور اعلاه ، مضافا الى هذه الديون الـ ١٦٠ ليرة . سنرى ، في النهاية : سنلغي كل شيء وبفضل المولى ، سنبدأ من جديد .

لهذا سوف لن استطيع ان ارسل لك هذا الشهر سوى ١٠ ليرات، وربما الشهر القادم أيضا .

أنا أعمل دون توقف « بالمشاهد » . انتهى الكتاب الاول والثاني والثالث ، ولم يبق علي سوى اجراء التصحيحات ونسخ الكل . ابدأ اليوم بالكتاب الرابع . دراسة ملفك تأخذ منهم وقتا طويلا ، الا اذا كانوا قد اعتبروا قصصك ورواياتك مكتوبة باحرف سرية ، فأرسلوها الى انقرة لعرضها على لجنة عليا ؟

لو أنهم ، على الاقل ، أرسلوها الى وزارة التربية الوطنية ، فقد كان يمكن ان تأخذ الناس هناك رغبة في نشر قصصك وروايتك في نشراتهم (البعض منها مفيد حقا) ولكون ذلك أفضل . لكن ، في السجن ، عندما يصادرون ، من أجل المراقبة ، اعمال كتاب مثلنا ، ويكون همهم الوحيد هو ازدهار وخير وحرية بلدنا وشعبنا ، فانهم يرسلونها إما الى الأمن العام وإما الى المخابرات . لنكن متفائلين ولنأمل بأن تكون قضيتك استثناء من القاعدة العامة ، وأوراقك مهملة على مكتب السيد النائب العام ، لان هذا السيد مشغول جدا !

انا مسرور اذ عرفت ان مديرك العام رجل مهذب . وقد وصفت لي جيدا ابنته واحدثت لدي انطباعا حسنا بحيث اصبحت اقول لنفسي بأن والد ابنة من هذا النوع لا يمكن ان يكون انسانا خبيثا .

لم تحصل لدينا مصارعات ولا رقصات بمناسبة عيد الجمهورية ، فقد أتى الحاكم والنائب العام لتهنئتنا بالعيد ، وأكلنا ليومين متتاليين ارزا باللحم وحلاوة . لم يكن الارز ناجحا ، أما الحلاوة فرائعة .

امين ــ من ــ سارير سينهي عقوبته قريبا ، لكن لايزال عليه دفع هذه الغرامات ، واذا لم نتوصل الى تأمين عمل له في البلدية ، فسوف يتوجب عليه قضاء عام آخر في السجن .

أنت تطلب مني كتبا ، وهذا يعني انك لم تتسلم تلك التي أرسلتها لك عند مغادرتك ملاطيه . ساجد لك غيرها ، وانت ، اذا كانت لديك كتب ارسلها الي . ساعطيك أيضا نسخة من الصورة التي سأرسلها الى ملاطيه .

انا سعيد جدا لزواج ناجي سعد الله ، وبأستاذة في التاريخ ، ينبغي أن تكون امرأة عاقلة . وقد يكون بامكانها أن تمنعه من الشراب .

بيرايه مرضت مرضاً خفيفاً ، وأفادتني في رسالتها الأخيرة أنها شفيت تماما . منذ بداية هذه السنوات الست لم نعد سوى أصدقاء . ومن الصعب جدا ايجاد أصدقاء من هذا النوع ، في حين انني ، في شبابي ، لم أكن أقدر هذه الصداقات حق قدرها ، فقد كنت أظنها سهلة جداً وقليلة الثبات .

تحياتي الى كل زملائك في القاعة . اعانقك بشوق أيها الاخ .

- ١٣٥ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك التي كانت قصيرة جدا . انا معتاد على رسائلك الطويلة بحيث أنها اذهلتني ، فبدا لي أنك مريض أو أنك تعاني من بعض المشاكل . ارسلت لك ١٠ ليرات فهل تسلمتها ؟ أنا أحاول شغل الصوف على أنوالنا ، فانه يستحيل علي الاستسلام للهزيمة ، مهما كانت ، وخسارة معركة ليست خسارة الحرب .

تسلمت رسالة من ابراهيم مع تمنياته ، وانا أنوي الكتابة اليه فورا بعد هذه الرسالة .

صحة والدتي جيدة وهي في انقرة ، وينتظرون ان يصبح البؤبؤ اكثر كتامة لاجراء العملية .

بيرايه مريضة والبرد لا يناسبها ، وهذا الشتاء لم تستطع أن تشتري فحماً ، ولا أن تركب مدفأة ، وهي تكتفي بمنقل ، ومريضة دون انقطاع . ضغطها الشرياني ليس جيدا ولا عيناها . تسلمت رسالة من محمد ، وعلى هذه الوتيرة ، سيصبح نوعا من تشيخوف ، فطريقته في رؤية الأشياء تذكر بالقصص الصغيرة لتشيخوف ، وعنده موهبة عظيمة . إنه يكتب لي رسائل ذكية جداً ، وأنا فخور جداً بابني .

اتممت الكتب الثلاثة من « المشاهد » ونسختها من جديد ، واعمل الآن في الكتاب الرابع . ألم يستطيعوا حتى الآن مراقبة وريقاتك ؟ نائبك العام المحترم جداً ربما يكون من هواة الآداب ، ويقرأ كل ما كتبته ويتمتع هكذا بمعرفة كيف ينبغي أن يكون الأدب الوطني الحقيقي .

هل تصلك أخبار من سينوب ؟ مضى عشرون يوماً لم اتسلم خلالها رسالة من الفتيان .

أمين بك يغادرنا خلال عشرين يوماً ، أو على الأصح ينهي عقوبته : لكن لا يزال عليه دفع الغرامات لذلك ينبغي أن يجد لنفسه عملا ، وإلا كان عليه قضاء عام آخر في السجن . إنه يرسل إليك أكواما من التحيات .

صحتي ومزاجي جيدان . باختصار لا قلق سوى قلق انتظار الحرية . القلق : أنا اعبد هذه الكلمة ، أي فرق بين القلق والانفعال :

أعطني بعض التفاصيل عن سكان الغرفة ، فأنا أريد ان أعرف كيف تقضي حياتك بصورة عامة . كيف تتدبر أمر طعامك ؟ أين تنام ، اعني في اي مكان من القاعة ؟ أين تعمل ؟

انتظر جوابك الذي ينبغي ان يكون طويلا وان يحدثني كثيرا عن حياتك اليومية . أعانقك بشوق أيها الأخ .

- ١٣٦ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

هذه رسالة سخرة بمثابة برقية . تسلمت رسالة من الناشر أحمد خالد يقول لي فيها انه مدين لك بخمسين ليرة عن كتابك ، غير أنك أوصيته بارسالها إلي ، وهذا ما فعل . تسلمت المبلغ وأرسلت لك ٤٩ ليرة حيث بلغت نفقات البريد ليرة واحدة . وهكذا هدرنا ليرة واحدة من أجل لا شيء . اخطرني عند وصول المبلغ إليك .

وصلتني اليوم رسالة ثانية من أحمد خالد يقول فيها « كنت مدينا بخمسين ليرة عن الكتاب نفسه لصاحب المكتبة يوسف كنعان . أخبرته بأنني بعثت إليك بحصة كمال طاهر . وعلى هذا فقد أوصاني بأن أبعث بالخمسين ليرة إليك . وسيأتي من يسلمك المبلغ » .

هذا يعني أننا سنقبض خمسين ليرة أخرى . سأرسل إليك هذا المبلغ أيضا حالما أتسلمه . وهذا سيؤمن لك المعيشة حتى نهاية الشتاء . وحالما أسوي قضية الأنوال — لم اتوصل الى ذلك بعد ، واجتهد في ترتيب كل شيء — ابعث إليك ببعض المال . لكن هذه حكاية أخرى . طلبت الى خالد أن يرسل إلي كتابا للترجمة ، وأتمنى كثيراً أن يفعل ذلك . من نتائج تفليستنا : لم اتمكن من ارسال سوى ١٠ ليرات الى سيواس ، الى هذا المسكين فوزي المصاب بالسل ، في حين أنه يحتاج الى كل شيء . ستؤمن الترجمة بعض الدريهمات الى بيرايه كذلك . باختصار ، إذا أعطاني خالد هذه الترجمة ، فسيكون الفضل بذلك لك ، أنت صاحب الفكرة ، وأنا أشكرك عليها . أعانقك بشوق أيها الأخ .

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك وحولت لك الـ ٥٠ ، ٤٩ ليرة التي كان خالد قد ارسلها إلي . الخمسون ليرة الأخرى لم تصلني بعد ، وسأحول لك بالسرعة نفسها الـ ٥٠ ، ٤٩ ليرة . وصلتني اللوحة والفواكه التـي أرسلها ابراهيم ـ فليباركه الله ـ من ملاطيه . سرتني هذه الهدية لكنها ازعجتني أيضا . كتبت الى خالد لأطلب إليه إرسال ترجمات إلي . أنت لست بحاجة الى المال الآن ، وعندما تصلك الخمسون ليرة ستكون في بحبوحة أكثر ، وتنقص همومي أنا هماً واحداً . اذا ارسل الي خالد كتابا للترجمة فسوف يؤمن هذا لبيرايه ماتعيش به أيضا ، ويزول همي مـن هـذه الناحيـة أيضـا ، ولا يبقـى الا وضعـي الـذي يستوجب التسـوية . نجحت في الاسـتفادة مـن المطبخ هنـا ، فأمين يحصـل علـى حصـة نأكلهـا نحـن الاثنـان ، وعندمـا يغـادرنا سأجد شيئاً آخر . لاتظن بأن « الطبخ » هنا سيء فهو مغذٍ جداً ، انما ينقصه البصل الذي نضيفه من عندنا فيصبح شهياً جداً . في كل الاحوال ، مسألـة الطعام هذه ستحل قريبا ، فالتعاونية قد خصصت لنا بضع رزم من الخيوط ، وسامية ترسل الي كل شهر ١٠ ليرات . لذلك ليس من داع للقلق علي واثارة الناس ، سوى أن شكرك على اهتمامك الاخوى سيكون بمثابة الشتيمة . شكرا أيها الأخ .

سوف أقص عليك حكاية غريبة . منذ شهر وأكثر وصلتني رسالة من سجن مانيسا . رجل لا أعرفه البتة كتب الي بأنه قد أوقف ، وانـه موجود في السجن منذ الاول من أيار ، وانه يموت من الجوع في مانيسا ، ويطلب الي مساعدته اذا أمكن . وبما انني كنت واقعاً في ضيق حينها ، تماما كما أنا اليوم ، فقد أرسلت له العشر ليرات التي كانت سامية قد أرسلتها إلي ذلـك الشهر . وأية جريمة ارتكبت بذلك : البارحة مساء

وصلتني رسالة من هذا الانسان ينهال بها علي بالشتائم : « أنا أموت جوعا منذ ستة أشهر ، ولم تعد لي معدة ، فقد اجريت لي عملية جراحية، واستأصلوا معدتي . أنا اقدر تضحيتك واستطيع أن أعيد لك هذا المبلغ اذا رغبت في ذلك ، لتوزعه على الفقراء الذين لايزالون يحتفظون بمعدهم » . حقيقة القول اني لم أكن انتظر أن اوبخ بهذه الطريقة اطلاقا . كنت أعرف جيدا أن العشر ليرات التي ارسلتها اليه لن تحل له أية مشكلة ، لكن ، ماذا تريد ، هذا كل ماكان لدي . لقد فوجئت حقا بهذه القصة . فالناس ربما يتصورون بأنني اطبع أوراقا مالية في السجن ، أو أنني أصبحت مليونيراً بفضل قضية الحياكة التي أقمتها بالمائتي ليرة من رشيد كمالي . هذا مضحك . فكرت أول الأمر أن أجيب هذا الفتى ثم عدلت .

الكتاب الرابع من « المشاهد » يسير جيداً . لم أكن مسروراً كثيرا عندما علمت بأنك ارسلت « ساجيرديريه » الى فالح . ان موقف هذا السيد من الاحداث الاخيرة في اليونان لايتفق مع المشاعر الديمقراطية والجمهورية ، ويسمح لنا بأن نستشف ردود فعله في ميدان الفن والادب . في النهاية ، نحن لانستطيع شيئاً تجاه ذلك ، فلننتظر نتيجة مساعيك .

ليحفظك الله في صحة جيدة ، أنا أشعر بالانزعاج هذا اليوم . أعتقد بأنني أصبت بالبرد هذه الليلة .

أنا جد مسرور لكونك قد عدت الى أنشطتك الادبية . اعمل يا كمال . أنا اجتهد لاتمام « المشاهد » في أقرب وقت . عندما يصبح بامكاني أن انشرها ، سأضطر الى تصحيحها كلها .

ان الاهتمام الديمقراطي والانساني الذي يبديه نحوك مديرك والنائب العام قد سرني جدا .

هذا كل ماقي الامر لهذا اليوم . أنا أنقل لك ــ بالجملة ــ مرة كل اسبوعين ، المودة التي تبعث بها اليك بيرايه في كل واحدة من رسائلها . اعانقك بشوق ياعزيزي كمال .

- ١٣٨ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

ان فكرة ان والدك قد يكون قد مات ــ واكاد لا اجرؤ على التلفظ بالكلمة ــ وكونك قدحدثتني عنه مرتين بنوع من الحفيظة ولأمر قليل الاهمية ، انما باعماقك بكثير من الحزن طبعا ، كل هذا سبب لي المـاً لا يمكنك تصوره . فهمت فجأة أن والدك ، الذي لم اره قط ولم اسمع صوته ابداً ، كان كقريب قريب الي . استعلم جيدا ، فالامر الاسوأ هو الا نكون حتى على علم بالأخبار السيئة .

اعتقد بأن محمد يتحسن أكثر فأكثر ، انما ببطء . والدته قلقـة جداً . والدتي عادت من أنقره ، وهي تبحث لنفسها عن نظارات يبدو انها مفقودة من السوق فأوصت عليها من مصر . يقال انها ستستطيع الرؤية بها جيداً عندما تحصل عليها .

هذه الايام ، في الحقيقة منذ شهرين ، أنا في منتهى الفاقة . لـي ديون هنا وهناك عن بعض الترجمات لكنني لم أقبض شيئا بعد . الانوال لاتزال متوقفة عن العمل ، لكن الامور سوف تسوى في المستقبل . باختصار انا أعجز عن ايجاد المال . نحن نأكل مرة واحدة في اليوم في المطبخ مع أمين بك . الطعام جيد فعلا ودسم بشكل كاف . اما من حيث الوجبة الثانية فنحن نكتفي بالخس . غير أن صحتي جيدة . ونظام الطعام هذا جيد لكليتي . والحال ، مع التقدم في السن ، من الافضـل ان نقـل في الطعـام .

مرت بنا هنا موجة من الحر الشديد شعرت خلال عشرة أيام انني منهار، عاجز عن الحركة، وعن العمل . لكنني أعتقد بأن السماء ستمطر هذا اليوم .

الا تقرأ غير الـ « أولوس » ؟ اذا كان نعم فباستطاعتي ان أبعث اليك بصحف اخرى من وقت لآخر . محمد ، كناري ، أصبح ثرثاراً جداً ، ولا اعتقد ان في العالم كنارياً يغني بهذا الشكل الجيد .

وصلتني رسالة من ابراهيم . وهو يتحدث فيها مطولاً عن مناقشاتكم حول تعريف الرواية . في جوابي اليه سأضيف بعض الأشياء الى هذا التعريف .

لا أزال أعاني من الانهيار من موجة الحر هذه . اعذرني ياعزيزي كمال فسأتوقف هنا . اكتب الي رسائل طويلة . أعانقك بشوق .

- ١٣٩ -

عزيزي كمال ،

ان احتمال نقلك الى بروصه أسعدني جدا ، كما لو كنت سأستعيد نصف حريتي . ان نقلك يمثل لنا نحن الاثنين ، لحوارنا ووجودنا وراحتنا وانتاجيتنا ، الكثير من الميزات . كتبت فوراً الى ضيا بك ، المستشار القانوني لوزارة المواصلات ، وكذلك الى المحامي اسماعيل حقي . قدم عريضتك . واخطرني برقمها وتاريخها . لاتنسَ .

وكما اعلنت لك في احدى رسائلي ، سأرسل لك بعض المنسوجات الصوفية لتصنع منها سترة . لقد تأخرت قليلا بذلك لانه ينبغي علينا تجهيز مانسجه في المعمل . سيكون القماش هنا خلال بضعة أيام وسأرسله لك فورا ، مع اجرة الخياط كذلك والبطانة والقبة والازرار والخيوط بحيث لن يكون عليك الا العمل على خياطة سترتك وتحمل واجبات القياس .

كتبت مطولاً الى ابراهيم الذي أخجلني بالطرد الذي ارسله الي من الفواكه المجففة . لم اتلق جواباً بعد . عندما تكتب اليه ، اسأله ماذا كان قد تسلم رسالتي واخبرني .

اما في ما يتعلق بحكاية هذا الانسان الغريب الذي اجريت له عملية في المعدة ، فقد فكرت في البداية ان اجيبه كما نصحتني ، ثم غيرت رأيي واكتفيت بعدم الجواب .

أتسلم الرسائل من بيرايه بصورة منتظمة ، وهي في كل مرة تسألني عن أخبارك . نحن نتراسل أيضا مع ابني محمد ، لكن لا أخبار لدي هذه الأيام من ابنتي سوزان ، انها منطوية على نفسها ، على كل حال ،ستصلني اخبارها حتما عما قريب . قالت والدتي المسكينة ، في رسالتها الاخيرة، انها ستجري العملية قريباً جداً .

تسلمت كتابا للترجمة ، أرسله فكرت عادل(١١٣) : مانون ليسكو . كان قد طلب الى فكرت ترجمته ، لكنه أحال العمل الي . لم أتسلم بعد جوابا من الناشر خالد ،وأعمل حتى الظهر « بالمشاهد » ، وبعد الظهر بالترجمة . هذا الراهب الفوضوي يستخدم لغة فرنسية مخيفة ، اريد أن أقول انه يستخدم في الفرنسية ما يعادل لغتنا العثمانية ، وسيكون من السهل ترجمته الى لغتنا الكلاسيكية القديمة ، بالاسلوب نفسه تماماً .

أمين بك يغادر السجن في الايام القليلة القادمة . سيجد عملا في البلدية دون شك . بقي له أسبوع واحد هنا ، وهو يهديك أكواما من التحيات . احتفظت لنفسي بالخمسين ليرة التي ارسلها خالد كما أوصيتني ، واذا نقلت الى بروصه فستساعدنا في دفع نفقات سفرك .

---

(١١٣) صحفي وناقد فني .

الى اللقاء يا عزيزي كمال . انتظر وصولك بفارغ الصبر . أعانقك بشوق يا أخي العزيز .

- ١٤٠ -

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

وصلتني رسالتك . كنت قد كتبت بهذا الموضوع الى المحامي والى ضيا بك المستشار القانوني . وقد أجابني المحامي وهو يطلب تاريخ ورقم عريضتك . كان من الافضل لو أنك قدمت عريضة طبيعية ضمن الاصول الرسمية . في النهاية لنقل « انشا الله » ولنأمل بأن تسير الامور على مايرام وانه لن يكون من الضروري ارسال عريضة ثانية رسمية يكون من شأنها تأخير الامور . لكن اي فكرة هي تلك التي جعلتك ترسل عريضتك الى السيد باكير صدقي قونت(١١٤) : هل نسيت ان العديد من شباب بابيالي ، الذين كانوا من أصدقائنا ، لم يريدوا أن يتذكروا فيما بعد « ألف البداية » لهذه الصداقة : لنأمل بألا يكون باكير صدقي من هؤلاء . لكنني سأكتب فورا الى المحامي لكي أرجوه أن يعمل على اصلاح غلطتك ، ولنأمل بأن أكون انا مخطئا . أرغب كثيرا في أن تسوى هذه المسألة بأسرع ما يمكن . وبعد : لماذا يجب الا تسوى؟

في البداية ، كنت اكرس بعد الظهر من أيامي الى ترجمة « مانون » فقط ، لكنها انتهت بأن استغرقت كل وقتي ، واضطررت الى اهمال كتابي . مع ذلك آمل بأن أعود اليه خلال أربعة أيام ، وأن انهي « المشاهد » هذا الشتاء ، بصورة تقريبية على الاقل .

لا يمكنك أن تعرف كم أنا سعيد بنشاطك . رشيد يعمل هو الآخر . الزوج والزوجة يبلغانك تحياتهما في كل واحدة من رسائلهما .

---

(١١٤) باكير قونت ١٩٠٥ ـ ١٩٥٩ كاتب ونائب في ذلك الوقت .

تسلمت رسالة من ابراهيم واجبته عليها .

اضطررت الى التزام الفراش لمدة اربعة ايام . كان قد اصابني البرد . غادرته اليوم وانفي لايزال يسيل . يبدو أن أحدهم ، بعد أن قرأ أحد مقاطع « المشاهد » صرح بما يلي : « من المستحيل الا نعجب بهذه القصيدة ، لكنها تبدو أحيانا مليئة بالحقد وسوء النية » . فكرت في هذه النقطة وفهمت ان عيبي هو عكس ذلك تماما . لو انني استطعت ان احس بالحقد وسوء النية بقدر ما احس دانتي وسرفانتس وشكسبير ، وحتى ، صدقني ، تولستوي وغوركي ، ولو أن هذا الحقد وهذه العداوة أمكن تركيزهما على الافراد ، وبصورة محسوسة ، لاستطعت ان اكتب أعمالا عظيمة وبمستواهم . لكن عقيدتي جعلتني موضوعياً . وفي هذه الظروف انا أحس باحقادي وعداواتي الشخصية بصورة علمية ، إذا جاز القول ، حتى أن الشفقة التي أحس بها تصبح علمية . حتى أنني عندما أفكر بالشخص القذر الاكثر دناءة ، باسوا عدو للبلاد ، للشعب ، للانسانية ، بالشخص الذي ينبغي اعدامه فوراً ، اعطي الأمر باعدامه فورا ودون ابطاء من جهة ، ومن جهة أخرى اقوم ، كمادي جدلي ، بتحليل العوامل الاجتماعية والبسيكولوجية وحتى البيولوجية . باختصار ، كل العناصر والعوامل الموضوعية التي جعلت منه ما هو عليه . هذا التحليل لا يحكم علي بالعطالة ، لأنه لا يمنعني من الحكم بالموت على قذر من هذا النوع ، لكنه يتيح لي أن افهم انه نتاج النظام اجتماعي معين . في النهاية ، إن احقادي وعداواتي موجهة ، قبل كل شيء ، ضد هذا النظام وليس ضد الأفراد . إن فني يعاني من هذه المشكلة ، لأن الفن يتطلب وضع الانسان المحسوس ، مغامرة الانسان ، في المستوى الأول ، وليس النظام الاجتماعي الذي ينبغي أن يبقى في المستوى الخلفي .

يبدو أن ابراهيم يحب المسرح ، لكنه يصطدم بالصعوبة التي واجهناها فيما مضى انا وانت ، وتغلبنا عليها في السنوات الأخيرة فقط وهي : ماذا يجب أن نكتب اذا لم يكن بامكاننا ان نعالج مواضيع

ملتزمة ؟ شرحت له بأن هذا الرأي خاطىء ، وقلت له بأن حكاية حب تجري في بناية في ماتشكا أو سيراسرفيلير (١١٥) ، وتقص من وجهة نظر واقعية / مادية / جدلية ، يمكن أن تجعل من هذه الحكاية معضلة متصلة بتركيا وحتى بالكون بأجمعه ، وأن توضح الكثير من الأشياء .

انتظرك بفارغ الصبر . بلغني بكل خبر يتصل بعريضتك . سأحيطك بالمعلومات أنا أيضا . وفي كل مبادراتك في المستقبل ارجو الا تفعل شيئا دون اخذ رأيي . اعانقك بشوق ياعزيزي كمال .

- ١٤١ -

عزيزي كمال ،

تحيات من بيرايه ، فقد تسلمت رسالتها اليوم . أعتقد بأنني سأتمكن عما قريب ، من ارسال بعض الملابس والمال اليك . ان ترجمة « الحرب والسلام » التي كنا نقوم بها لوزارة التربية الوطنية قد جرى التخلي عنها في الوقت الحاضر ، لكنهم أرسلوا الي فيلما للترجمة ، آمل أن أقبض منه مائة ليرة .

الا تكون لديك انباء من شقيقك فهذا أمر لايفاجئني . لعلهم لـم يتسلموا رسالتك حتى ، لأن هذا ماحصل لي أيضا . أنت تعرف جيدا انني اكتب لهم منذ سنوات مبتدئا رسالتي بالعبارة التالية : « تحية أيها الفتيان » . والحال ان مدير سجن سينوب ، وهو جديد دون شك ، قد اقلقته هذه الطريقة في التوجه اليهم ، متسائلا عما يمكن ان تعنيه هذه « التحية » التي كان يمكن تفسيرها بطرق معينة . فقد أعاد الي رسالتي مع التوصية بالا اتوجه بعد الآن الى الرفاق بهذه العبارات . حينئذكتبت لهم رسالة دون نداء . انها فعلا مثيرة وغريبة ، الحياة والسجن . اخيرا لننسَ الامـــر .

---

(١١٥) أحياء سكنية في استنبول .

أنت لايمكن أن تتصور بأي صبر نافد انتظر قصتك . إن معـاون الأمين العام في وزارة العدل قد حضر مؤخرا الى بروصه ، لكنه لم يتوقف في السجن ، وكنت أنوي أن أرجوه لتأمين نقلك الى هنا . لننتظر الصيف ، سأهتم بهذه القضية ، طبعا اذا كنت لاتزال موافقا عليها .

لدينا مدير جديد . كان القديم رجلا طيباً وشريفاً ، والجديد ايضا . كنت محظوظاً دائماً مع مدراء السجن . المدير الجديد السيد قدسي كان في الماضي مديرا لسجن سينوب .

أنا لا أرسل لك رباعية في هذه الرسالة ، سيكون لديك منها الكثير في المرة القادمة . لك تحيات أمين بك ، وهو يرسلها اليك بكل حرية فقد سبق وأعلنت لك ، على ما اظن ، أنه قد أخلي سبيله . عائلـة رشيد (والداه وأولاده) يبعثون بتحياتهم اليك في كل رسالة .

كيف حالك ؟ اعتن بصحتك ياكمال ، بافضل ماتستطيع . ارسل لك صورة اشبه فيها صياد سمك معلقاً على حاجز مائي ، وهذا الشبـه يعجبني . أعانقك بشوق أيها الاخ .

- ١٤٢ -

عزيزي كمال ، أيها الاخ ؛

لو أنك تعرف بأي انفعال وأي قلق انتظر نتيجة طلب نقلك : سيبدو لي اني حصلت على نصف حريتي عندما تكون هنا .

كتبت رسالة ثانية الى ضيا بك بهذا الموضوع ، ضيا بك الذي هو المستشار القانوني لوزارة خالي . يبدو انه سيحضر لرؤيتي . اشعـر بالوحدة هنا بحيث انني سأحس بالتغلب على الوحدة ، على الاقل ، عندما تكون هنا ، دون الحديث عن الباقي .

بيرايه لن تحضر الى بروصه هذا العام ، بسبب مرض محمد ونقص المال . على ذكر المال ، اذا طلب اليك أن تتحمل نفقات الطريق الى هنا فسنفعل أي شيء ، لكننا سنجد الفلوس . وعليك أن تبرق الي فورا ، وانا سأتدبر امري لأرسل لك المال . لاتهتم إذاً .

ارسل لك مجلة « تان » من وقت لآخر فهل تتسلمها ؟ تظهر فيها بعض الأحيان مقالات تخدم مصالح بلدنا وشعبنا ، وتليق بديمقراطي حقيقي . اعتقد بأنك ستسر بقراءتها .

أنا استمر في العمل كيفما اتفق . هذه « المشاهد » ، الشيء الغريب الذي لم اتوصل الى ايجاد اسم له ، لم تعد تنتهي . لكنني ما ان انتهي من الكتاب ، وبعد أن استريح بكتابة عشرين أو خمس وعشرين قصيدة صغيرة ، سأبدأ برواية ضخمة . على ذكر الرواية ، راودتني بعض الافكار في هذا الموضوع ، افكار صحيحة على مايبدو لي ، في الحقيقة لقدواجهتني هذه المعضلات عند كتابة « المشاهد » وفهمت مرة اخرى الامكانيات الواسعة التي تقدمها الرواية . اصبحت فوق الثانية والأربعين ، ومازلت في مرحلة البحث . اعتقد جيداً بأنني ، حتى عند نفسي الأخير ، سأكتشف اميركا ظاناً بأنني قد وجدت امكانيات جديدة للرواية أو الشعر .

اتوقف هنا . المسألة مسألة بريد . تحيات واشواق أيها الأخ العزيز .

- ١٤٣ -

عزيزي كمال ،

تأخرت عليك في الاجابة ، دون أي سبب ، لتفاهة الاحداث الصغيرة اليومية فقط . أرسلت اليك ١٥ ليرة ، وعليك اخطاري حالما تتسلمها . سأحاول أن أجد المال اللازم لرحلتك ، اذا كان ثمة رحلة . الانــوال (ليأخذها الشيطان) توقفت عن العمل مرة أخرى ، ولا أعتقد ان ترجمة

« مانون » ستجلب لي شيئاً مجزياً ، والا لوجدت طريقة لاسعافك بالمال. ابراهيم لم يتسلم إذاً الرسالة التي كتبتها اليه ، ولا ازال دون اخبار منه . اي مكان غريب ملاطيه هذه : أتيحت لي الفرصة ، في الأيام الاخيرة، لأن أقرأ الشعراء الفرنسيين الاكثر حداثة ، وأكثرهم أهمية هو صاحبنا القديم آراغون . لكننا نلاحظ عنده أيضا نوعاً من الشكلية . انه يعلق اهمية كبيرة ، في البيت ، على القوافي المتصالبة ، وعلى التوقفات في الأبيات . لو كان هؤلاء الشعراء الغربيون يعرفون الادب الشرقي، والشعر الشرقي خصوصاً ، لفهموا كم هي قصائدنا مزدانة وثمينة ، وأي جهد بذله شعراؤنا المحدثون – بمن فيهم أنا – لحل معضلات الشكل هذه ، واننا تحققنا في النهاية من أن الشكل يجب أن يكون عارياً ، وان يلتصق بالجسم كالتصاق الجلد ، ولرأوا أيضا اية مشقة تكبدناها لنتخلص من الحيل الصغيرة هذه . لكن غنائية آراغون ، بالرغم من أنها مزدانة جدا ومليئة بالحيل ، فهي ليست سيئة مطلقا . ثمة شاعر او شاعران أيضا يعلقان أهمية أقل على الشكل ، لكن عندما اقول اقل فانني أعني انهما لايعلقان عليه اية أهمية . باختصار – آه ، « ابوه » لقد قرأت أيضا ترجمات لشعراء انكليز واميركيين اشتهروا منذ بضع سنوات–باختصار، واستنادا لما تمكنت من قراءته ، فان شعرنا في السنوات العشرين الاخيرة – واليوم ايضا – لايقل مطلقا عن الشعر الاوروبي ، بل يتمتع ببعض الخصوصيات التي لانجدها في الشعر الآخر . لكنني احدد بأن هذا الحكم مسند الى لقصائد التي اتيحت لي فرصة قراءتها ، بمن فيهم الشعراء السوفييت . لكنه من الممكن أن يكون أيضا ثمة الكثير من الشعراء الكبار ممن لانعرف عنهم شيئا .

هذا الاسبوع تراخيت واسترحت قليلا ، واليوم اعود الى العمل . تحيات من بيرايه . اعانقك بشوق أيها الأخ .

- ١٤٤ -

عزيزي كمال ، ايها الأخ ،

ارسلت اليك ١٥٠ ليرة وأنت لاتحدثني عنها في رسالتك .

قلت لك في رسالتي الأخيرة بأن لا أنباء لدي من ابراهيم ، وأنـت لاتحدثني عنه . انت تعرف بأنه يستحيل علي أن انسى شخصاً سبـق أن عرفته ، اذا لم يكن ضروريا أن أنساه .

أنا مسرور من أنك في غمرة العمل ، وأنا في قمة النشاط ، أنا أيضا ، هذه الايام .لقد « خربشت » أشياء كثيرة ، واعتقد ان المقطع الاخـير الذي كتبته لاباس به ، لكن عدم تمكني من ارسال ما اكتبه اليك يوقظ في شعوراً بالفراغ والخيبة لايمكن تصوره .

أنا أجهز لك كتباً وروايات وقصائد ومذكرات كلها بالفرنسية ، واستطيع أن ارسلها اليك اذا لم يروا مانعا من ذلك .

أنا لا أعتقد حتى بأن السيد فالح رفقي سيجشم نفسه عناء اعـادة « ساجيرديريه » اليك . انه يقضي وقته ، هذه الايام في « تفعيس » ماهو أجمل وتمجيد ماهو أسوأ عند الشعب اليوناني ، وبالتالي في شتم الشعب التركي .

أنا متشوق حقا لمعرفة مضمون النبأ الذي اعلنه النائب في جفلـة الظهور في ملاطيه ، وما اذا كان قد أعلن حقا بأنه سيخلى سبيلنا جميعاً ويصدر عنا العفو ، أم انه قص هذه الحكاية لتعزية الناس واضفاءالحبور على الحفلة ، أو انه يعرف شيئاً ملموساً عن ذلك ، وحينئذ يمكن اضفاء الاهمية على هذا النبأ .

بيرابه في صحة جيدة ، وهي في عزلتها تقترب كل يوم أكثر فأكثر من الجماهير وليس من الافراد . انها تهديك مودتها . خضعت والدتي لعملية جراحية أولية ، لكنها ليست الا بداية ، والعملية الأكثر أهمية ستجري فيما بعد . انها لم تعد معرضة للعمى . أنا لا أستطيع ان اتصور والدتي عمياء .

أنا قلق على راتب طاهر . ماذا نستطيع أن نفعل من أجله ؟

ان الرفاق في سينوب يرسلون الي البضائع لبيعها ، وسوقها رائجة، وانا مسرور لاني وجدت لهم سوقاً هنا . قل لي هل لديك انباء من الدكتور حكمت ؟ أعانقك بشوق أيها الاخ .

- ١٤٥ -

كمال ، أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك وبعثت لك فورا بعشرين ليرة ، كما تسلمت رسالة من المحامي في موضوع نقلك . من المستحيل الآن نقلك الى بروصه ، حيث يجب اولا ارسالك الي « باليقصير » وبعدها يصبح نقلك الى بروصه ممكنا . والمحامي يطلب اليك أن تحرر عرائضك من الآن فصاعدا وفقا لكافة الشكليات المطلوبة ، وان توافيه برقم وتاريخ كل عريضة . انه يكرر اذاً ما كنت قد نصحتك به في السابق . كتبت في هذا الموضوع الى ضيا بك ، لكن بما ان العريضة لم تكن مؤرخة ولا مرقمة : فلم يكن بوسعي ان اقول له « كمال ارسل عريضته الى النائب الفلاني ، اطلبها منه واهتم بها » . لذلك لم يستطع أن يفعل شيئاً .اخيرا يا للاسف . سنفعل كل ما نستطيع لنقلك الى بروصه . انهم يرسلون الى هنا كل الجواسيس الذين عملوا لحساب الالمان ـ يوجد منهم ثلاثة الآن ويبدو ان رابعا سيصل قريبا ـ فلماذا لا يجلبون رجلا شريفا واحدا ؟ سيفعلون ذلك حتما .

لست من رايك حول المسرحيات التي ينوي ابراهيم كتابتها . يجب ان ندفع هذا الفتى لكي يفعل شيئاً مـا ، فاذا كان يرغـب في كتابة المسرحيات فليفعل ذلـك .

منذ بعض الوقت ، ترجمة « مانون ليسكو » تخرب لي « المشاهد » لكني سأعود الى العمل بها .

والدتي لم تجر العملية بعد بانتظار ان يصبح البؤبؤ اكثر سماكة . بيرايه بخير وهي تقبلك . محمد يتابع نموه ويصبح أكثر قوة . أنا لا انفك عن التفكير في نقلك الى هنا . كم ستكون حالتنا جيدة ، وبعد فعندي شوق كبير لرؤيتك . وداعا يا عزيزي كمال ، اقبلك .

- ١٤٦ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك . بعثت اليك بعشرين ليرة في الاسبوع الماضي . اخطرني عند وصولها . سأجد لك المال من اجل رحلتك فلا تهتم . انا مسرور من ان فكرة الاقامة في « باليقصير » قد راقت لك . سنكون هكذا اقرب الى بعضنا البعض ، وفي النهاية نلتقي في أحد الايام .

أقضي ايامي بالعمل ، من الثامنة صباحا حتى منتصف الليل ، وأنا سعيد جدا بذلك . « المشاهد » تتقدم بسرعة ، والقصيدة لا تنتهي ، لكن ماذا تريد فللحياة وجوه متعددة جداً ، والناس واسلوب حياتهم مثيرون ، واشعر بشهية وعجلة في حشر كل ذلك في كتابي بحيث لا اتمكن من القول : نقطة.هذا كل شيء. أنت لا تزال دون أخبارعن « ساجيرديريه» وهذا لا يدهشني . العكس هو ما كان سيفاجئني ، فانا لا اعتقد ابدا بأن الناس الذين ارسلتها اليهم يملكون الشجاعة لتقدير كتاب من هذا المستوى .

ارى أنك اصبحت اكثر تسامحا في علاقاتك الشخصية ، وهذا ما يسرني . أنا اشير بذلك الى ما قلته لي عن « نوديه » . كذلك حسنا فعلت بقرارك استعمال الابجدية اللاتينية فقط ، وبأنك من انصار التعابير الجديدة. أنا لم أقرأ ما كتبه نور الله اتاتش وفالح رفقي في هذا الموضوع. اذا قالا ما تقصه علي فهما على حق .

قسا علينا الشتاء هنا ، وتعطل البريد عدة ايام بسبب الثلوج ، والماء لا يزال يتسرب من سقف غرفتي وانا انام في المشى .

والدتي لم تجر العملية بعد ، بيرايه تحمست من اجل الفلسفة مع أحد أحفادها الذي يدرسها ويدعى ازجن . انها لم تعد تتحدث الا عن افلاطون وبركلي ولوك وديمقريط وعصر الانوار والمادة والشعور الخ .. وأنا أساعدهم من هنا بأحسن ما أستطيع . امراتي المسكينة مريضة ، ضغطها الشرياني منخفض جدا ، انها تعبة ووحيدة .

هذه هي الاخبار يا عزيزي كمال . احببت كثيرا القصيدة الشعبية التي ارسلتها الي . أعانقك بشوق .

- ١٤٧ -

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

نقلت الى بيرايه كل الاشياء الجملية التي كتبتها الي عنها . لكنك ستأخذني معك عندما تسافر في هذه الرحلة حول أوروبة بالسيارة ، لماذا ارفض رحلة مثل هذه ؟ اعتقد بانني سأستطيع ارسال مبلغ مهم اليك خلال اليومين القادمين .

ان كون اليوم الواحد لا يتضمن سوى أربع وعشرين ساعة يزعجني كثيراً هذه الايام ، فقد تملكتني حمى العمل بحيث انني كنت ساكتفي بثلاث ساعات للنوم ، لو كنت قادرا على ذلك . كتابي يتسع ويتمدد ،

لكنني اعتقد بانه حافظ على وحدته . على كل حال ، من المستحيل الحكم عليه قبل النهاية. أني أرى جيدا بأن ما هو صعب في كل عمل، وخصوصا في العمل الفني ـ وافضل مثال عليه هو الرسم ـ هو البداية والنهاية . ما هو صعب هو أن تستطيع القول : « ها هو ، لقد انتهى ، لم يعدثمة ما يمكن عمله » . من الواضح أن « قطع الشعرة الى أربع » والتدقيق الشديد يعطيان أسوأ النتائج كما لو ترك العمل على شكل رسوم أولية . ثمة لوحات كانت ستصبح اكثر حيوية واكثر صدقا لو أن الرسام تخلى عنها قبل يومين . كذلك ثمة كتب تكون أفضل بكثير لو نقصت اربع صفحات او قل فيها التكرار . باختصار « المشاهد » تطول اكثر فأكثر ، لكن هذا لا يثبط من عزيمتي ، ولست تعيسا بذلك ، انما لا غنى عن انهائها كما تنهى كل الاشياء ، والبدء بكتابة شيء افضل ، اكثر جدة واكثر تطورا .

ان خطاب المؤتمر في جزيرة القرم قد ارضاني ككل انسان شريف ، ككل تركي يحب بلده وشعبه . لقد أرضاك حتما أنت أيضا . لكن في حقيقة القول ، ولو تركنا روزفلت جانبا ، فانني لا أستلطف كثيرا صاحب السعادة تشرشل. ان هذا الرجل المهيب غالبا ما يظهر عقليته التي تشبه عقلية حرب البوير وحملة الهند وعقلية حي المال في السيتي . أقول لك هذا ليس لأن ما ذكرت فيه يدهشني بل لانه عندما يرفع كثيراً صوته الناشز يثير غضبي الشديد . حتما، أنا لا أطلب منه أن يصبح اشتراكيا، لكنني لا أخفي عليك أني أنا ، ناظم حكمت ، الشاعر التركي ، ابن الشعب الذي خاض حرب الاستقلال ، قد اخرجتني عن طوري حرب التدخل في اليونـان .

يبدو ان جاسوسا المانيا سيصل الى هنا قريبا . اذا لم نحسب علاء الدين ـ الذي كان يعمل لحساب الرومانيين ـ فسيكون لدينا هنا ثلاثة اشخاص يعملون لحساب الالمان . لا استطيع الا التعبير عن ارتياحي امام موقف الوزارة التي لا ترى اي مانع من جمع الجواسيس الالمان في سجن بروصه ، لكنها ترى من الخطر السماح لمواطنين تركيين

يحبان بلدهما وشعبهما ، كما انا وانت ، لديمقراطيين اصليين ، ديمقراطيين بحق ، ان ياويا الى السجن نفسه ليتمكنا من العيش بسهولة اكثر .

ان الرسالة التي كتبها ابراهيم اليك قد وصلت الى هنا لانه وضع بروصه على العنوان سهوا . أنا أعيدها اليك واعانقك . ماذا تقرأ ؟ ما تكتب ؟ رجاء ، أحطني بذلك .

- ١٤٨ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك . أنت تحبني كثيرا وتبالغ في الاحكام التي تطلقها علي ، وقد أعيش خمسين سنة أخرى ولا أتمكن من الوصول الى الغبطة التي تتمثل في الرجل الطيب والكبير الذي تحمله في قلبك . أنا لست الا رجلا بسيطا يعيش ويفهم ويؤمن ويناضل ، بكل بساطة . أخيرا لننس ذلك . سأتغلب حتما على مرض الكبد هذا ، وقد لا يكون هو الذي سيسبب موتي . الآلام مستمرة في الوقت الحاضر ، وأنا أتبع نظاما غذائيا قاسيا . من المضحك أن يلعب معي كبدي هذه الألاعيب ، أنا لا أحب الكحول ومقل في الطعام . لكن ، على كل حال ، ليس ثمة ما يقلق في الوقت الحاضر . وفي الحقيقة ، لقد تم تشخيص مرض كبدي لكن لم يحدد نوع هذا المرض . سأرى الطبيب غدا مرة ثانية وسنجري تحليلا ثانيا للبول ، وسوف أخبرك بالنتيجة النهائية .

ستأتي بيرايه لزيارتي في الايام القادمة ، فقد علمت ، هي أيضا ، أن كبدي ليس على ما يرام . سآخذ صورة لي من اجلك . أبعث اليك بخمس وعشرين ليرة . اخطرني عند وصولها . بشوق يا أخي العزيز .

عزيزي كمال ،

لا أدري لماذا كان ينقص رسالتك شيء ما ، هكذا ، لا أعرف ماهو ، فقد شعرت أن مزاجك سيء ، انك مريض ، حزين ، ان لديك مشاكل تخفيها عني ، لهذا قضيت يومين أفكر في الامر قبل أن أجيبك . قرأت رسالتك مرة ثانيـة فلم أخرج منهـا بشيء ، باستثناء هـذا الانطباع الغريب . أبعث اليك بخمس عشرة ليرة . نحن نجهز قماش بذتك .

عدت الى العمـل في « المشاهد » بتـراخ . سأنهيها قبـل فصل الصيف . أرغب كثيرا في أن أتمكن من ارسال الاجزاء التي لم تتمكن من قراءتها اليك ، اذ أنك قرأت أقـل من النصف . لكن ، بما أن هـذا مستحيل ... أزعجني كثيرا نبـأ المرض الذي أصـاب نوري طـاهر . وصلتني رسالة من حمدي لا يذكر فيها شيئا عن هذا المرض . اكتب لهم رسائل أكثر تعقلا ـ أية صفة غريبة هذه : ـ لكي يوصلوها اليهم . هه : اني أرسل لك في طيه قصة كتبها ابني ، وأنا مضطر الى ارفاقهـا برسالته لأن القصة مكتوبة على ظهرها ، وعليك اعادتها الي ، وأنا أنتظر رأيك فيهـا .

والدتي وشقيقتي في أضنه ، فقد عيّن صهري مديرا لأحد المعامل فيها . تصلني أخبار بيرايه بانتظام ، وهي تبعث بمودتها اليك في كـل واحدة من رسائلها ، وأنا أنقل اليها أخبارك في كل واحدة من رسائلي .

أرسلنا لك بعض المجلات ، هـل تسلمتها ؟ وصلتني رسـالة من خالي ، أوجزها لـك فيما يلي : « صبرا يا بني ، ان العدالة ستنتصر في النهاية ، وستستعيد حريتك . أنا أعمل كل ما في وسعي لمساعدتك . » انه لم يكتب لي ذلك دون سبب ، بالتوكيد . خطر لي يوما أن أبعث له برسالة ملأى بالمرارة . وكان هذا جوابه على هذه الرسالة .

لقد حل الربيع هنا . كيف حالــه لديكم ؟ مضى وقت طويل لم نتحدث فيــه عن الأدب . هيا ، جــد موضوعا لنناقشــه . باختصار يا عزيزي كمال ، أنا بشوق كبير لرؤيتك . اذا لم يفرج عنــا من الآن وحتى فصل الشتاء ، ينبغي القيام بمساع جديدة لنقلك الى بروصه . بشوق يا أخي العزيز .

كمال ، ينبغي أن تكف عن التكاسل . اشتغل ولا تنس انني اقسمت بأنك ستكتب أحلى رواية في بلدي ...

- ١٥٠ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك ، ونسخت انتقاداتك لقصة ابني ونصائحك اليه، وبعثت اليــه بكل ذلك . سيكون سعيدا جــدا بهذا ، وسيعرف كيف يستفيد منــه .

لا جديد لدي . أنا أشعر بأنني شاب رغم كل شيء ، مليء بالقابلية والأمل ، لكنني أعاني من الأرق . عدت الى ترجمة الحرب والسلام غير أني أتابع العمل في « المشاهد » . سأكون قد انجزت الجزء الثالث من الترجمة بعد حوالي اربعين يوما ، ثم في الشهرين التاليين ، « المشاهد » ـ اخيرا : وأبدأ بالجزء الرابع من الترجمة .

بدأت بارسال مجلة « غون » التي تصدر في استنبول بانتظام اليك. هل تسلمت الخمس عشرة ليرة ؟

لا يمكنك أن تعرف أية حاجة تتملكني لقراءة شــيء من كتاباتك . قراءة حكايات شخصياتها حقيقية ، ومكتوبة بلغتك الجميلة المتينــة الفنية . وجــدت كتابك « ناس البحيرة » وقرأته مــن جديد ، وبهذه القراءة زاد تقديري لك ولنفسي .

هذا الصيف ، يجب أن أهتم ، من كل بد ، بنقلك الى هنا .

نحن نتحدث عنك في كل رسائلنا مع بيرايه . ما هو غريب عند الناس هو أنهم ، مع الابتعاد ، ينسون بعضهم البعض ، أو أن الانفصال يقربهم أكثر الى بعضهم البعض . هـذه ليست ملاحظة جديدة كثيرا ولا مهمة كثيرا ، انما لكي تعبر عن حقيقـة ما أو تكررها فليس ينبغي بالضرورة أن تكون مهمة جدا أو جديدة كثيرا .

بانتظار أيامنا الحلوة ، يا عزيزي كمال ، وبشوق يا أخي العزيز .

- ١٥١ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

وصـل طلب نقلك الى السـجن ، وملئت بطاقتك وأرسلت الـى الوزارة ، وانا كتبت الى ضيـا مرتيش ، المستشار القانوني لـوزارة المواصلات . والآن ، انتظر بفارغ الصبر البرقية التي ستعلن الي انك بدأت رحلتك الى بروصه .

أرسلت لك ١٢ ليرة . اذا طلبوا منك دفع نفقات الطريق أخطرني برقيا ، سأحاول أن أتدبر المال هنا . سأشعر انني حر تقريبا عندما تصل الى هنا .

أنجزت الكتاب الرابع وبدأت بالخامس . أنا أصحح الرابع ، لكن هذا العمل بالتصحيحات والاضافات والشطب وكل ما يلي ذلك هـو أصعب من التأليف نفسه ، أقسمت أن أعمل بانتظام ، وسوف لـن أكتب الكتاب الخامس قبل الانتهاء من التصحيحات ، حتـى الموجزة منها ، في الكتاب الرابع .

انا لا أفكر الا في وصولك . سيكون جيداً جداً ان تأتي ، لكنني سأكون تعيساً جداً اذا لم تأت . لقد عودت نفسي كثيراً على فكرة انك ستكون هنا قريبا .

قل لي هل تصلك أخبار من حكمت ونوديه ؟ هل من رسائل ؟

غرفتي واقعة في المستوصف . انها غرفة نظيفة مرتبة جيدا ، جدرانها مطلية بالكلس . جهزت منذ الآن سريرا لك .

لاتزال دون أخبار من قصتك « ساجيرديريه » ، أليس كذلك ؟ ارسل برقية الى والدك . عندما تصل الى هنا ، ستصلك الاخبار من استنبول ، من والدك ووالدتك بواسطة خالتك .

ها أنت ترى جيدا أنني لا أفكر الا بمجيئك ، فأنا لا أجد شيئا آخر أكتبه لك . أنتظرك بفارغ الصبر أيها الأخ .

- ١٥٢ -

عزيزي كمال ،

بسرور كبير قرأت رسالتك ، رسالة من النوع الذي تعرف أن تكتبه ، ملأى بالعزم وروح النكتة ، جميلة بحجم ذكائك وقلبك .

الك عندي خبران ، أحدهما سيء والآخر جيد نوعا ما . لنبدأ بالخبر الجيد : لقد شفيت ، وتمكنت من تصريف الحصى ، وصحتي جيدة . أما الخبر السيء : ابني محمد مصاب بالسل . لقد أجريت له عملية استهواء جنبي . حدث كل هذا خلال أحد عشر يوما ، لكنه خارج دائرة الخطر . يقول الاطباء أنه سيتعافى خلال شهرين وان الجسم سيتمكن من التغلب على المرض . ستتصور بسهولة في أية حالة كنا ، أنا وبيرايه ، خلال الاحد عشر يوما هذه ، مجنونين حقيقيين . أصبحنا مرتاحين قليلا .

ليست عندي الشجاعة لاتكلم كثيرا في هذا الموضوع .

ارسل اليك مجلة « آنت »(١١٦) التي تصدر في انقره . ستجد فيها مقالة عن كتاب أورخان والي . انا اشاطر كاتب المقالة رأيه ، لكنني لم افهم جيدا الاسطر الاخيرة حيث يعلن الكاتب :

« اذا كنتم تريدون أن تجدوا نموذجا للشعر الحديث الحقيقي ، عليكم أن تقرؤوا المعلم » ، شيء من هذا القبيل ، لكن الى من كان يشير بذلك ؟ الى ماياكوفسكي ؟ أم الى غوركي ؟ لقد تمت عندنا خطوات مهمة على طريق الشحر الحقيقي للقرن العشرين ، لكن الى الآن لا يوجد عندنا في هذا الميدان « معلم » يمكن أن نقرأه ونعيد قراءته ، لنقل هؤلاء المعلمين هم في الغالب ، في خضم تكوينهم التدريجي .

تصلني الاخبار بانتظام من سينوب . انهم يرسلون لي البضائع فأبيعها هنا وارسل لهم قيمتها . أنا سعيد بأنني أستطيع أن أساعد قليلا هؤلاء الشبان . وغالبا ما أخطىء في حساباتي فأنسى ما بعت ولمن بعت ، وأضطر الدفع من جيبي الخاص ، لكن لا يهم ، ان سعادة أن أسدي لهم خدمة تكفيني .

هل كتبت لك بأن عندي كناري يدعى ميمو فرّخ هنا في غرفتي نفسها ، انه يغني في هذه اللحظة وأنا أكتب لك هذه الرسالة . والحال هذه عادته ، كلما قرأت لنفسي القصائد أو كتبت على الآلة يبدأ بالغناء ، أحيانا بقوة تمنعني من قراءة أبياتي . كتابي لاينتهي . وصلت فيه الى صيف ١٩٤٢ ، في مدينة متوسطية : انطاليا . اعتقد بأني انا نفسي سأضجر منه . هذا غير صحيح ، أي فرحة هذه ، أنا لم أضجر منه اطلاقا . لكن الكتاب تنفك زرده كالجورب ويكبر كقطعة النسيج .

---

(١١٦) مجلة دورية ذات ميول تقدمية .

لا ادري ما اذا كنت قد أخبرتك بأن ترجمتي « لمانون » التي تعبت فيها كثيرا قد رفضت . يبدو أنني لـم استخدم بشكل كاف التعابـير الجديدة ، أخيرا لا يهم ، سنتابع ترجمة « الحرب والسلام » .

هذا كل شيء يا عزيزي كمال . ابني مريض لكنه سيشفى حتمـا . اعانقك بشوق . ينبغي أن تكتب الى بيرايه فهذا سيسرها . لقد عاشت كل هذه المأساة بشجاعة كبيرة لا تصدق ، حتى انني بكيت عندما قرات رسالتها ، وبرعب ايضا . حسنا هذا يكفي لهذا اليـوم ، ايها الأخ ، اعانقك مرة ثانية .

- ١٥٣ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

كل التهاني بمناسبة السقوط الرسمي للفاشية في أوروبة .

ان تنظيف بقايا الفاشية غير البادية للعيان حاليا والتي تختفي هنا وهناك جاهزة الظهور في الفرصة الاولى ، سيستمر دون شـك بعض الوقت ، لكنها في النهاية ستخفي من وجه الارض دون أن تترك أثراً .

استطيع أن أعطيك أخبارا طيبة عن عائلتي : والدتي خضعت لعملية فيإحدى عينيها بنجاح كبير ، وستجرى العملية لعينها الثانية قريبـا ، وتستطيع هكذا العودة الى رسومها وضيائها وألوانها . مرض محمـد توقف فجأة مثلما بدأ وقد تحسنت حالته .

ان قصائد مجلة « آنت » تعجبني كثيراً ، خصوصا تلك المنشورة في الصفحة ٤ ، انها اجمـل من بعضهـا البعض . انهم جيدون ، هـؤلاء الشبان . هل عندك أخبار من ابراهيم ؟ ومن حكمت ونوديه ؟

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

تأخرت كثيراً في الاجابة . كادت بيرايه أن تأتي الى هنا في زيارة ليوم واحد ، فانتظرتها ، وبما أنها لم تأت فقد فضلت الا أزيد من قلقك بصمتي . ثم حصلت لي حكاية غريبة . اليك ما حدث : لقد أرسلوا سجينا جديدا الى المستوصف ليعمل فيه كممرض . انه ملازم محكوم عليه بتهمة محاولة التجسس لحساب المانيا . وفي أحد الايام ، وكان الوقت مساء ، أراد أن يضرب سجينا آخر متهما اياه بأنه تكلم عليه بالسوء . أنت تعرف بأنني لا أتحمل ضرب الناس ، فأردت التدخل بينهما . حينئذ غضب هذا السيد مني ، ووجه لي بعض الكلمات وشتمني . وقد سحبوني من براثن هذا الشخص المحترم ، لكنه استمر في اغراقي بالشتائم والحقها بلكمة أو لكمتين . ثم فصلونا عن بعضنا البعض . عندها انهار الفتى على الأرض . ونزفت شفته . في النهاية ، عاقبونا بثلاثة أيام من السجن المنفرد ، وبسبعة أيام للذين تدخلوا في العراك . وها أنا قد أنهيت عقوبتي ، ما رأيك بالموضوع ؟ لقد حكم علي بثمانية وعشرين عاما بفضل الجهود التي بذلها أصدقاء المانيا ، والمعجبون بالفاشية . والآن أحكم بالسجن المنفرد لانني منعت انسانا تجسس لحساب الفاشيين من أن يضرب الناس . أليس هذا مضحكا ؟ لكن مهما كانت هذه الحكاية مضحكة فانني لن أتركها تمر هكذا . هل العدالة موقوفة على الفاشيين ؟ سأطرح الأمر على رئيس الجمهورية ووزير العدل ، وأبلغك بجوابهما .

أنا سعيد لأن هذه القضية ، الصغيرة جدا ، قد اعجبتك . أرسل اليك خمس عشرة ليرة وعليك اخطاري فور وصولها .

والدتي استعادت النظر ، ليس تماما ، لكنها تستطيع الرؤية ، حتى انها رسمت عشرين لوحة صغيرة خلال شهر واحد . انهنا لم

تتمكن من ايجاد عدسات لنظارتيها . محمد يتحسن اكثر فاكثر . اعانقك بشوق يا أخي . رسالتي قصيرة فاعذرني . ثمة أيام تكون فيها الكتابة والكلام مزعجين لي . واليوم هو واحد منها . اعانقك بشوق .

- ١٥٥ -

عزيزي كمال ،

انت تبالغ في اهمية هذا الحادث لأنك تحبني كثيرا . دعنا من الحديث عنه .

لقد تسلمت « حديقة الآلام » . سأقوم بترجمته لكن من المحال تنفيذ ذلك بالسرعة المطلوبة ، فأنا احتاج الى شهرين او ثلاثة على الأقل .

والدتي وبيرايه وسامية وحفيداي عائشة وحكمت أتوا جميعهم سوية لزيارتي ، وبقوا يومين في بروصه . والدتي خضعت لعملية في احدى عينيها وستجرى لها العملية في العين الثانية . لقد هزلت والدتي وشاخت كثيرا وهذا ما آلمني جدا . لكنها تتابع الرسم مستخدمة عينا واحدة ، وهذا محزن جدا ، لكن ما تنتجه الآن أفضل بكثير مما كانت ترسمه في السابق . لقد نجا محمد وهو يتحسن من يوم الى يوم . والجميع يبعثون لك بمودتهم . سنرسل فوزي الى ازمير حيث المناخ اقل رطوبة وأكثر حرارة من سيواس ، وهذا الفتى المسكين سعيد جدا بذلك .

في هذا الشهر ، بروصه لا تحتمل بسبب الحرارة ، انها اسوأ من تشانقيري . وهذا يستمر ، وطالما انه مستمر فاني عاجز عن القراءة .

فليأخذني الشيطان . لقد اصبحت واقعيا جداً ، وقد بدأت بتحليل الاحداث ببرودة دم — أنا لا اقول هذا للتباهي — جعلتني اتنبأ بالمستقبل . لهذا فأنا لا أفرح ولا أتحمس الا بالقدر اللازم ، وأقوّم الاشياء بمقياسها

الصحيح . لقد كان الامر كذلك فيما يتعلق بانتصار حزب العمل البريطاني . لقد سرتني اتجاهات الجماهير الشعبية الانكليزية لكنني لا أرفع الى السماء حكومة اتلي والمستر بيفن . أعطيك هذا كمثال . ما أن يبرد الطقس قليلا حتى أبدأ بترجمة كتابك وبالعمل كثيرا . قد يكون هذا عملا عقيما لكنه أفضل من ألا نعمل شيئا .

أعانقك بشوق يا أخي العزيز ، أفتقدك كثيرا .

- ١٥٦ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

ما هو واضح في جواب الوزارة هو أنهم لا ينوون البتة نقلك الى بروصه . أو الى مكان آخر . لا يمكنك أن تعرف كم أنا منزعج من هذا . لقد حلمت بمشاريع عديدة متصورا أنك ستأتي ، وكان كل شيء جاهزا في الغرفة ، حتى سريرك . مرت قافلة من المساجين ببروصه في طريقهم الى « باليقصير » في « امرلي » . وهكذا علمت بأن نوديه سترسل الى السجن الحديث في قيصريه . لقد انهت القسم الاكبر من عقوبتها ، وقد تستطيع الحصول على تخفيض من أجل الباقي ، وتعود لها في النهاية حريتها .

ان الحر الشديد أخرني كثيرا في عملي ، وقد سرتني جدا الطلبيات التي وصلتك من سادات سماوي وخالد . أنا لا أريد مالا ، واذا قبضت مبلغا مهما فأرسل ٥ أو ١٠ ليرات الى فوزي غواتشيزد في سجن سيواس . الفتى المسكين مصاب بالسل وأنا أرسل له ١٠ ليرات كل شهر ، فاذا أرسلت له بعض المال ، أنت أيضا ، فان هذا سيسره ويستطيع شراء ما يسد رمقه .

أنا أرسل لك مجلة « تان » بانتظام .

استرجع روايتك « ساجيرديريه » من هيئة تحرير « أولوس » ، فهم لا ينوون نشرها . انت تملك نسخة منها حتما لكنني لا أريد أن يحتفظ هؤلاء الاشخاص بروايتك .

وصلتني اليوم رسالة من ابراهيم ، قصيرة جدا . يبدو أن الحر شديد جدا هناك أيضا والعرق يتساقط من الفتى المسكين بحبات كبيرة .

محمد في طريقه الى الشفاء ، وبيرايه تهديك مودتها .

انا مسرور بأنك تسلمت أخبارا من والدك حتى ولو كان ذلك بسبب المال . لا أدري لماذا يوحي إلي بخشية غريبة ، باحترام ممزوج بالفضول .

بقدر ما تمر الأيام ، يزداد غضبي عندما أقول لنفسي بأنك لن تستطيع المجيء . يبدو أن ضيا مرتيش سيحضر الى بروصه ،وسأرجوه مرة أخرى أن يتدخل . ينبغي أن يعتبرونا نحن أيضا أهلا لتدبير ديمقراطي ، ليس استثنائيا الى هذه الدرجة ، في النهاية . لكنني أعلم ان كل شيء عبث ، فهم لن يرسلوك الى بروصه . وهذا ليس تشاؤما . انه إقرار بالواقع . الى اللقاء أيها الأخ ، أعانقك بشوق .

- ١٥٧ -

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

ابعث اليك بقصيدة.عندي شوق الى بيرايه واستنبول لم أتمالك معه نفسي فكتبت هذا الشيء الصغير الذي أتحدث فيه عنها وعن مدينتي . ليس في القصيدة شيء عظيم لكن باستطاعتك أن تكون واثقا انها مخلصة ، والاخلاص لا يكفي لكن لا تكن قاسيا جدا .

لو ان بلدي ، لو ان استنبول ترسل اليّ صندوقا من خشب السرو ،
صندوق عروسٍ فتية ،
عن يد السمسار نوري افندي ،
ولو اني افتحه جاعلاً قفله ذا الجرس يرن – تشن تشن –
لفتّان من اكتان شيله
قميصان من الحرير الخام ،
ومناديل باتيستا مطرزة بالفضة ،
وقطع صــابون من اندرينوبول ،
والخزامى في اكياس صغيرة من التانسوك
ولو انك تقفزين من داخله ، انتِ .
لو اني اجلسك على حافة سريري ،
مادّاً تحت قدميك جلدي الذي يشبه جلدَ الذئب
لو اني اقف امامك ، معقودَ اليدين على صدري ،
خافضَ الرأس ،
لو اني اتأملك مذهولاً من الاعجاب .
يا الهي : كم انت جميلة ،
في ابتسامتك هواء استنبول وماؤها ،
وفي نظرتك نكهة استنبول ،
ايه يا سلطانتي ، ايه يا مولاتي ، لو انك تسمحين ،
ولو ان ناظم حكمت ، عبدك ، يجرؤ ،
لوجدتُ على خدكِ ، خدّ استنبول وعطرها .
لكــن خصوصاً

لا تقولي : ((اقترب)) .
فلو مست يدك يدي ،
ظني الن اتحملَ هــنا ،
وسأقع ميتاً
على البيتــون
. . . .
. . . .
ما اغرب الاشياء التي اكتبها لك يا حبيبتي ،
بينما يكون من ابسط الاشياء ان اقول لك : ((احبك))
برسالة برقية . . .

عدت الى كتابي لكن الحر لا يحتمل هنا . ثم ان حبابتي الكهربائية (لمبتي) قد احترقت ومن المستحيل العثور على بديلة لها ، لهذا لم أعد استطيع العمل ليلا . والآن لنتكلم عليك : لم أستطع أن افهم ما إذا كان خالد وسادات قد ارسلا لك المال المستحق عن رواياتك ، لكنني في كل الاحوال سارسل لك بعضاً منه . لم تعد لدي الشجاعة حتى أقول لك بأني مشتاق كثيراً لرؤيتك . بشوق أيها الأخ .

- ١٥٨ -

١٩٤٥/٩/١٨

ارسل الى انباء صحتك .

- ١٥٩ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

سررت جداً لعلمي بأنك تكتب أشياء جميلة ، وأكثر أيضا بكل ما حدثتني عن اسلوبك . تشجع ، ينبغي علينا أن نحتل باستحقاق

المكان اللائق بنا في الأدب ، دون ان يخجل منا رجال معسكرنا . وذلك باجتهادنا أن نكون لائقين بهم .

انا اعمل ، من جهة ، بترجماتي ـ بالمناسبة هل يجب علي أن اترجم « حديقة الآلام » ، وهل من مانع من انجازها بعد شهرين ؟ اخبرني بذلك لأبدأ بها ايضا ـ ومن جهة أخرى « بالمشاهد » ، ثم اكرس امسياتي لبيرايه ، بين الساعة الثامنة والتاسعة ، فاكتب لها قصائد صغيرة جداً : « قصائد من الثامنة الى التاسعة » . ها أنا ارسل لك بعضها :

٢١ ايلول ١٩٤٥ :

ولدنـــا مريض ،
ووالدُه في السجن ،
وراسك مثقلة بين يديك التعبتين ،
ومصيرُنا هو مصيرُ العالم .

سيقودُ الرجالُ الرجالَ
نحو ايام افضل ،
وسيشفى ولدُنا ،
ويخرج والده من السجن ،
وابتسامة في عمق عينيك الذهبيتين ،
ومصيرُنا هو مصيرُ العالم .

٢٤ ايلول ١٩٤٥ :

إن اجملَ البحار

هي التي لم نبحرْ بها بعد .

وأجملُ الأطفــال

لم يترعرع بعد .

وأجملُ أيامنــا ،

هي التي لم نعِشْها بعد .

وأجملُ ما يمكنُ أن أقوله لك ،

هو ما لم أقله لك بعد .

٢٥ أيلول ١٩٤٥ :

الساعة الواحدة والعشرون .

والجرس قَرَعَ في الباحة ،

وأبوابُ القاعــات ســتغلق قريباً .

هذه المرة طالت مدة السجن قليلاً :

ثماني سنوات ...

أن نحيا يا حبيبتي ، هو عملٌ مليء بالأمل ،

أن نحيــا :

هو شيء جدي ، مثل أن أحبك .

هذه ثلاث منها أخذت اتفاقاً . وكما ترى فأنا لست مستشاراً للسيد غوته ، إني أعمل من جهة في أعمال طويلة النفس ، ومن جهة أخرى ، أشعر بالحاجة لكتابة أشياء صغيرة جداً ، مثل « النقرشات » .

ستجري والدتي العملية في العين الثانية . أمر غريب ، إن ما ترسمه الآن بعين واحدة ضعيفة النظر ، هو أفضل بكثير مما كانت ترسمه من قبل . والسبب ليس انعدام الرؤية الواضحة في عينها بل تعذر توقفها عند التفاصيل ، بحيث أنها تنجو من الأكاديمية في الألوان ،

وتصبح في النهاية أكثر اخلاصا وانفتاحا . لكن والدتي المسكينة شاخت كثيرا خلال عام واحد ، وآلمني هذا كثيرا حتى كدت أن أبكي .

محمد يتحسن أكثر فأكثر . بيرايه تهديك مودتها ، وانا اعانقك بشوق يا اخي العزيز .

- ١٦٠ -

٧ تشرين الأول ١٩٤٥

يا أخي ، يا عزيزي كمال ،

ها أنا أجيب على رسالتيك دفعة واحدة . لقد أعدت الكتاب ، كما اوصيتني ، الى الناشر خالد . وهذا أفضل ، لأن الترجمة كانت فعلا مزعجة ، بالاضافة الى انه إذا كان الجزء الأول يستحق عناء الترجمة ، فان الباقي لا يساوي شيئا .

لا يمكنك ان تعرف كم انا بشوق الى قراءة ما كتبته . انا واثق بأنه حسن جداً . رشيد يسأل عنك في كل واحدة من رسائله ، ويطرح علي الأسئلة حول ما تكتب ، وأنا اعطيه من اخبارك .

أنا سعيد بأن قصائدي الصغيرة قد اعجبتك ، واحرص على اعجابك هذا بالقصائد التي اكتبها لبيرايه . انت على حق ، بأن مسألة القوافي لا يمكن اهمالها ، خاصة في قصائد صغيرة من هذا النوع .

أنا اعمل كذلك في « المشاهد » ، وفي الحقيقة ، كلما تقدم الكتاب زادت شكوكي ، ولا اعرف ماذا ستكون النتيجة ، فعملي يعاندني وانا لا اسيطر عليه ، انه هو الذي يحكمني ويرسم مخططه الخاص . وهذا سيء جداً ، فقد بدات أتساءل ما إذا كان هذا العمل ، بعد خمس سنوات من الجهد ، سيلد ضجيجا ، صراخا مشوها ، انينا مرهقا ، أو مسخا ، فأنا أشك واقلق ولا استطيع منع نفسي من الكتابة ، والكتاب يتكاثر

ويحطم كل حدوده ، بكلمة واحدة ، انه يرفض كل سلوك منظم . عمل متمرد كهذا الى أي حد يستحق عناء الكتابة ، أنا أسألك . . .

أي عالم غريب هذا ، ان قسما من هؤلاء السادة الاشتراكيين يريدون احتلال مواقع هؤلاء السادة الفاشيين ، والحال ان هذه هي عادتهم القديمة ، والعادة هي طبيعة ثانية لاتزول الا بالموت . في النهاية ، نحن مع ذلك في العام ١٩٤٥ ، وقريبا في العام ١٩٤٦ . .

أنا اهتم كثيرا بنضال شعوب المستعمرات من اجل الاستقلال . اي جلبة واي صخب ، لكن العالم يتبع طريقه .

سأبعث اليك من الآن فصاعدا بقصيدة صغيرة أو قصيدتين في كل واحدة من رسائلي ، لكنني في المرة الاخيرة ، ارسلتها اليك دون ترتيب ، هكذا بالصدفة . اخبرني بتاريخها لكي ارسل اليك الباقي بالترتيب الزمني ، ثم ان العنوان ليس : « قصائد من الثامنة الى التاسعة » بل « قصائد من التاسعة الى العاشرة » اي انها كتبت بين الساعة ٢١ والساعة ٢٢ .

أعانقك بشوق ياعزيزي كمال . انت مفلس حتما . اخبرني ارجوك . اذا لم يكن لديك مال فسأتدبر الامر لارسل اليك ١٥ ليرة في الشهر ، لكني سأكون غاضبا جدا منك وتعيسا جدا اذا لم تخبرني بالحقيقة . ارسل اليك قصيدة صغيرة اخرى :

على المرتفعات ،

سحابة مثقلة بشمس المغيب .

واليومَ ايضا

مرت الساعاتُ بدونك ،

كما لو ان نصفَ الكون لم يخلق .

وقريباً يتفتحُ

شبحُ الليل أحمرَ قانياً .

وأجنحةٌ صامتةٌ ، شجاعةٌ تحملُ في الهواء

فراقنا الذي يشبه المنفى ...

- ١٦١ -

عزيزي كمال ،

لقد شجعني كل ماتقوله عن قصائدي الصغيرة . انها لم تعجب رشيد فانتقدها ، انما بطريقة المديح ، قائلا انها لاتليق بي . لكن ، في هـذا المجال ، انا اعتمد عليك وعلى برايه ، بالتوكيد . أنا اكتب تقريبا قصيدة صغيرة من هذا النوع كل ليلة ، وهذا يأخذ مني ساعة واحدة ، لذلك فأنا لا الحق الضرر بأي انسان ، فهذه الساعة الصغيرة استطيع ان احتفظ بها لنفسي .

لقد زاد شوقي لروايتك عن ملاطيا بعد ان قرأت ما كتبته لي عنها . كل ما استطيع عمله هو أن آمل بالافراج عنا فنقرأ مانكتب حتى الثمالة .

سأرسل لك ملابسك متى انتهت حياكتها وخياطتها . اوصيت لك ايضا على قماش نصف صوفي ونصف قطني ، خشن وسميك بعض الشيء من اجل الشتاء ، تخيطه هناك ، ويمكن ان يصلح لبنطال او سترة أو عباءة .

نحن نرسل لك بانتظام مجلة « تان » . ان امين بك هو الذى تولى ارسال الصحف . ينبغي ان تشكره على ذلك في احدى رسائلك .

لنتحدث عن « مشاهدي ». يجب علي قبل كل شيء ان اغير العنوان لان الاحداث تجري احيانا خارج البلاد . يبدو لي هذه الايام انه يستحيل

ان نكتب اي شيء دون التحدث عن الحرب ، وهذه القناعة قادتني ، مرتين أو ثلاث ، حتى الجبهة . ان الميزة الرئيسية لهذا القرن العشرين هي الثورات وحركات الاستقلال الوطني والحروب . لذلك يجب ان اغير العنوان . لقد ادخلت الآن بعض الترتيب والنظام الى الكتاب . كتبت حتى الآن اكثر من ١٦٠٠٠ بيت تشكل جزئين ، كل واحد منها من فصلين ، ويبقى ان اكتب جزءا ثالثا من فصلين كل منهما من ٨٠٠٠ بيت . سانجز ذلك ، دون شك ، حوالي نهاية الشتاء . في رسالتي القادمة ، سأرسل اليك مخطط كل ماكتبته ، مع العناوين الثانوية ، بحيث اتمكن من ان ارسم لك على الاقل مخطط الجزئين الاولين ، وآخذ رأيك بهما . والآن ، اليك بعض العينات من القصائد الصغيرة من الساعة ٢١ الى الساعة ٢٢ :

٢٦ ايلول ١٩٤٥ :

لقد جعلوا منا اسرى ،
لقد رمونا في السجن :
انا من هذه الجهة من الجدران ،
وانتِ من تلك .
مايحدثُ لنا ليس خطيراً الى هذا الحد .
الأسوا بالنسبة للانسان
هو أن يحملَ السجنَ في داخله ،
بوعي أو دون وعي .
هاهنا سقط اغلبُ الناس ،
اناسٌ شرفاء ، مجدّون وطيبون ،
ويستحقون أن نحبّهم كما احبكِ .

٣٠ ايلول ١٩٤٥ :

ما أجمل أن أفكر بك ،

انه شيء" مليء" بالامل ،
كمن يصغي الى احلى الاغنيات ،
ينشدها أحلى الاصوات في الدنيا .
لكن الامل لم يعد يكفيني ،
فأنا لم أعد أريد سماع الاغنيات ،
أريد أن اغنيَها بنفسي .

٦ تشرين الاول ١٩٤٥ :

السحب تمر : ثقيلةً ، محملةً بالاخبار .
الرسالة التي لم تأت الى الآن تتجعّد في راحة يدي .
وقلبي يقفز الى اهدابي ،
ونتمنى سفراً سعيداً
للافق الذي يغيب .
ويعن" لي أن أصرخَ : بيرايه ...
بيرايــه ..
بيرايه ...

هل تعرف ما يحصل لي يا كمال ؟ عموما ، كنت اهتم بالاشياء الصعبة او التي كانت صعبة بالنسبة الي ، وتتطلب مني الصبر والعناء والوقت، بحيث انني عندما أضع الآن هذه القصائد الصغيرة ، يوميا او تقريبا ، بهدوء ودون جهد ، خلال ساعة من الزمن ، ابدأ أشك في نوعيتها .

أعانقك بشوق ياأخي العزيز . وصلتني رسالة من سينوب . انهم يشتكون منك لانك لاتكتب لهم ابدا . لاتهملهم ، وآمل دائما أن نلتقي قـريبا .

- ١٦٢ -

٧ تشرين الثاني ١٩٤٥

يا أخي العزيز ،

تأخرت قليلا في اجابتك . كنت اجهز لك عناوين الكتاب . لكن عندما وجدت ان العناوين لوحدها تملأ خمس صفحات ، قررت أن أرسلها اليك في مغلف آخر .

انا احيك لك قطعة الكتان من اجل ملابسك الداخلية ، وسأرسلها اليك قريباً .

ظهرت مقالات ، في صحيفة او صحيفتين ، توكد أن « تيارا في صالح عفو عن المحكومين السياسيين قد ظهر في المجلس الوطني ، وفي حال اكتساب هذا التيار لمواقع جديدة ... » أما زكريا سرتل فقد كتب مقالة بعنوان : « يجب اصدار العفو عن المحكومين السياسيين » ، سوف تقرؤه في مجلة تان . باختصار ، أقاويل من هذا النوع بدأت تنتشر ، فاذا تحققت ، واذ اعتبرونا محكومين سياسيين (؟ :) فسوف نجد انفسنا احراراً قريباً .

ان السطور القليلة التي تذكرها لي من رسالة ... اعجبتني كثيرا . نحن لن نكون مطلقا شعراء جيدين بمستوى نسائنا ؟ اليس كذلك ؟ ارسل لك قطعتين أو ثلاث من اذاعتي ٢١ ـ ٢٢ :

٢ تشرين الأول ١٩٤٥ :

الهواءُ يجري ويغيب ،
والنسمةُ نفسها لا تحركُ ابداً غصن الكرز نفسه .
والعصافيرُ تزقزق على الشجرة :

الاجنحة تريد ان تطير .

البابُ موصــدٌ :

نريــدُ أن نقتحمه ونفتحــه .

وأنا ، إنما أريدك انتِ :

لتكن الحياةُ جميلةً مثلك ،

وصديقةً مثلك ،

وحبيبةً مثلك .

اعرفُ جيداً بانه لم ينته بعد

عيدُ الشقاءِ هذا .

لكنــه سينتهي يوماً ...

حلمتُ بك هذه الليلة :

كنت جالسةً على ركبتي .

رفعتِ راسكِ ، وادرتِ نحوي عينيك الواسعتين من ذهب .

وكنتِ تطرحينَ عليّ الاسئلة .

شفتاك الرطبتان تنفتحان وتنغلقان

لكنني لا اسمعُ صوتك .

وفي الليلِ ، في مكان ما ، مثل نبأ مضيء ،

تدقُ الساعة .

انــا اسمعُ

في الهواءِ ضجيجَ اللانهاية ، ضجيجُ الخلودِ

وفي قفصه الاحمر صوت ميمو كناري ،

وقرقعةُ البذورِ التي تشقُ الترابَ ، وترتفعُ

في حقلٍ محروث ،

وضجيجَ جمهورٍ ، قوي بحقه ، مظفر .
شفتاك الرطبتان تنفتحان وتنغلقان دون انقطاع ،
لكنني لا اسمع صوتك .
لقد افقت غاضباً
كنتُ قد نمتُ على كتابي .
وأتســاءل :
كلُ هذه الاصوات ، هل كانت صوتك ؟
١٠ تشرين الاول ١٩٤٥ :
عندما انظرُ في عينيك ،
رائحة ارضٍ مشمسة تملأُ راسي ،
واضيعُ في سنابلِ حقلٍ من القمح .
عيناك ،
هاوية" بلا قاع ، خضراء الخطوط ،
كما المادة الخالدة ، المتغيرة دوماً ،
عينـــاكِ
تبوحان كل يوم بشيء من سرهما ،
لكنهما لا تستسلمان تماماً .
١٨ تشرين الاول ١٩٤٥ :
عندما نعبرُ بوابة الحصنِ الى موعدنا مع الموت ،
وعندما ننظرُ الى المدينةِ للمرة الاخيرة ،
سيكون ، يا حبيبتي ، في قدرتنـــا أن نقول :
« بالرغم من انك نادراً ما حملتِ الابتسامة الى شفاهنا ،
فقد عملنا بكل قوتنا

لاسعادك .

ان سيرك نحو السعادة يستمر ،

والحياة تستمر .

بضمير مرتاح ،

وفي روحنا مذاق خبزك الذي كسبناه بشرف ،

وفي اعيننا الحزن لترك ضيائك ،

ها نحن قد اتينا ، ونذهب الآن ،

حظاً سعيداً ، يا مدينة حلب : »

٥ تشرين الثاني ١٩٤٥ :

إنسي اشجارَ اللوزِ المزهرة :

لا فائـدة ،

ينبغي الا نتذكرَ

ما لن يعودَ ابدا ...

جففي بالشمس شعركِ المبلل بالماء :

ولتلمع صهبته

الرطبة الثقيلة

مع طراوة الثمار الناضجة ...

يا حبي ، يا حبيبتي ،

انـه الخريف .

بشوق ومحبة ، ايها الاخ ، تحيات من بيرايه . والدتي ستجري العملية قريبا . تحياتي الى جيرانك على المائدة الظاهرين في الصورة .

عزيزي كمال ،

مضى زمن طويل ولم اكتب اليك . كنت في السرير مع « خراج » فظيع في السن وحرارة ٣٩٫٥ . اليوم ، تحسنت حالي قليلا ، لكنني لم استعد القوة الكتابة مطولا . بعثت اليك اليوم بخمسة امتار من البوبلين وعشر ليرات . اكتب الي حالما تصلك . ارسل لك قصيدة صغيرة ، اعانقك واعود الى السرير :

١٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ .

دافئةً وصاخبةً كالدم الذي يجري في العروق ،

هكذا بدأت تهبُ ريحُ الجنوب .

انا اصغي للريح :

لقد تباطأ النبضُ .

على جبلِ أوالوداغ ، لا بد انهم يتألمون ببهاء وجاذبية ،

على اوراق الكستناء الحمر ، هؤلاء الدببة .

وفي السهل تتعرى أشجارُ الحورِ من أوراقها .

ودودة القز ، بين لحظة واخرى ، ستعود الى مشتاها ،

فالخريف سينتهي بين لحظة واخرى ،

وبين لحظة واخرى ، ستغط الارضُ في سباتِ الحملِ الثقيل .

ونقضي ، نحن ، شتاء آخر ،

نتدفأ بغضبنا الكبير

ولهيبِ املنا المقدس ...

كمال ،

أنا ممتلىء بالحب والاعجاب بشعبي ، وبالغضب أيضا ، لدرجة انني لا استطيع تفسير ذلك لك في رسالة . لنتوقف عن الحديث عن كل هذا .

لم أتسلم بعد هذا الكتاب الذي تقول أنك ارسلته الي ، قصة الثلاثة عشر زنجيا أليس كذلك ؟.

كان ينقص القصيدة الصغيرة التي أرسلتها اليك شيء أو شيئان ، اليك ما أضفته اليها :

... لقد تباطأ النبضُ

والثلجُ يتساقط على اولوداغ

وعلى هضبة الكرز ، لابد أنهم ينامون

ببهاء وجاذبية

هؤلاء الدببة ...

اعتقد بأنها افضل هكذا .

طبعا سأتحدث عنكا في هذه القصائد من ٢١ – ٢٢ يستحيل علي الا افعل ذلك في قصائد موجهة الى بيرايه ، فانتما أفضل صديقين .

والدتي لم تجز العملية بعد وصحة بيرايه جيدة ، وابنتها تعيش معها في الوقت الحاضر . هذا الشتاء ، الأم والابنة ستعانيان من البرد سوية ، لكن حرارة قلبهما ستقوم مقام الفحم لديهما .

٢٨ تشرين الأول ١٩٤٥ :

عطر زَهرة الجلنارِ يفوحُ ،
وزمجراتٌ تتصاعدُ من البحر ،
ها هو الخريف ، غيومه الثقيلةُ ، وارضه المتفتحة .
يا حبي ، لقد بلغنا ســن النضـــج ،
ويبدو لنا اننا عشنا مغامرةً من الف عام ،
لكننا نجري ، حفاةً ، اليدُ باليدِ ، تحت الشمس ،
ولانزال اطفالاً تملأ الدهشةُ عيوننا ..

١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥

يقال إن بؤسَ استنبول لا يوصف ،
ويقال ان الجوع مجزرة حقيقية ،
ويقال ان السل يغمر الناس .
ويقال إن بنياتٍ كبيرات هكذا ،
في الارض الخلاء ، في مقصورات السينما ...
تاتيني انباءٌ مظلمةٌ من مدينتي البعيدة ،
مدينةِ الناسِ الشرفاء ، الكادحين والفقراء —
استنبولي الحقيقيــة ،
حيثُ تسكنين ، يا حبي ،
والتي احملها في جعبتي ، على ظهري ،
في كل منفى ، في كل سجنٍ ،
وفي قلبي كذكرى طفل ميت ،
وفي عيني كما احمل صورتك ...

هذا كل شيء لهذا اليوم . لقد عاودني الغضب . لكن ، رغم كل شيء ، سيعرف شعبي وبلدي أياما جميلة . لم يحب احد هذا البلد ، أبدا ، خلال تاريخه الطويل ، هذا البلد وعماله الشرفاء كما احببناه نحن .

كتبت عدة مرات الى سينوب ولم أتلق جوابا بعد . أكتب لهم أنت، ولا تنس خصوصا . وقل لهم أن يجيبوني بأسرع ما يمكن ، فالامر يتعلق بالمصنوعات الخشبية التي بعتها هنا ، وأعتقد أنني أخطأت في الحساب. تنبغي تسوية هذا الموضوع ، اذ يخيل إلي أنني لا أزال مدينا لهم ببضع ليرات .

أمر غريب : لاحظت اليوم أن البياض قد داهم ذقني . ويحكى أن الناس يحزنون عندما يلاحظون هذه الاشياء ، أما أنا فلم يتعسني ذلك، لقد عاهدت نفسي أن أبقى شابا الى يوم وفاتي ، حتى لو بلغ الشيب أهدابي .

الى اللقاء أيها الاخ العزيز . سنلتقي في النهاية حتما . أعانقك .

- ١٦٥ -

١٩٤٥/١٢/٢٧

ابرق بأنباء صحتك .

- ١٦٦ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ :

شكرا لله ، فقد تسلمت رسالتك . لكن ، في هذه الاثناء ، احدى هذه الرسائل لم تصلني ، دون شك . لا يهم ، لابد أنك كتبت فيها أشياء جميلة ، كالعادة ، وينبغي أن يستفيد منها الآخرون .

لا أزال بلا رسائل من بسينوب ، ولم اعد أعرف كم مرة كتبت اليهم ، دون جواب . قل لهم أن يكتبوا الي . لقد سررت جدا ، انا ايضا ، لتخفيض محكومية فوزي سنة واحدة ، فقد كتب الي بذلك . لو كنت اعرف عنوانه الحالي لأرسلت له كل شهر ٥ أو ١٠ ليرات. لنأمل الا يكون الوقت قد فات ، وأن يتمكن فوزي من العيش ، فهو مفيد لبلده وشعبه .

ان عدد « قصائد من ٢١ ــ ٢٢ » يبلغ اثنتين وثلاثين . لقد انهيت هذا الفصل وأكتب الآن رباعيات . أنوي أن أكتب منها مائة لكنني لم أكتب بعد سوى عشر . وقد قسمتها الى أربع فئات ، كل منها من خمس وعشرين رباعية ، تعالج الاولى مواضيع فلسفية ، والثانية مواضيع اجتماعية ، والثالثة غنائية ، والرابعة انتقادية . انا أعمل ايضا في ترجماتي وفي « المشاهد » . هذه الايام تبدو لي الساعات ، من جديد، قصيرة جدا .

صحة بيرايه جيدة وهي تبعث اليك بمودتها . سوزان غادرت منزل جدها وتقيم الآن عند والدتها . محمد يتحسن اكثر فأكثر حتى انه قد سمن كثيرا . والدتي لم تجر العملية بعد . تسلمت بطاقات من راتب وابراهيم بمناسبة السنة الجديدة ، وقد سرني ذلك .

هل تريد أن أعطيك عينتين من رباعياتي ؟

هذه الحديقةُ ، هذه الارضُ الرطبةُ ، عطرُ الياسمين ، الليلةُ ضوء القمر هذه ،

كل هذا سيشع دائما عندما أكون قد وليت ،

لأن كل شيء كان قبلي وسيكون بعدي ، وبدوني ،

فما عكستُ الا صورة الاصل ...

الحياة تجري ، قبل ان تغرقَ في سبات دون يقظة ، تمتعْ بالهنيهة،

املأ كاسك البلورية بالنبيذ الياقوتي ، انهض ايها الفتى ،
انه الفجر .
لقد نهض الفتى في غرفته الجليدية ، العارية من الستائر ،
وصفارة المعمل تزار طويلا بلا رحمة ...

لا ازال مترددا في ما يتعلق بالشكل ، فالقافية ضرورية ، نعم ، انما شكل آخر من القافية ، على ما يبدو لي ، وسنرى ما يعطي هذا من نتائج ...

بشوق ، يا عزيزي كمال . رسالتي قصيرة جدا . لم أرغب في تأجيلها للغد ، فأنا لا أريد أن يفوتني البريد لكي لا يستبد بك القلق .

- ١٦٧ -

عزيزي كمال ،

إذاً ، المذنب الوحيد كان خرفي . قل لمديرك بأن يعذرني . حسنا.. سأتابع ، بالطبع ، روايتك في مجلة « يديفون »(١١٧) . أحببت كثيرا مشاريعك الجديدة ، خصوصاً حكاية بذرة القمح . تشجع أيها الاخ . نحن محظوظون لأننا نستطيع ان نفي شعبنا ورجال معسكرنا ما ندين به لهم .

الغريب انني أنا أيضا أوصيت بشراء رواية « البستان » لسعدي، واقوم بقراءتها للمرة الثانية . لم اجل بعد مشكلة الشكل الذي ينبغي ان تكون عليه رباعياتي . كتبت الاولى مستخدما ، عن قصد ، عناصر الرباعي الكلاسيكي ، وذلك بنمنمة الايقاع الكلاسيكي ، وعدم تغيير

(١١٧) مجلة دورية .

موقع القوافي ، والمحافظة على النغم . اردت هكذا الاعتياد على هـذا التكنيك ، فكان كالتمرين بالنسبة الي . لكن ينبغي علي الآن ايجادشكل جديد ، يناسب المضمون الجديد ، مع الاستمرار باستخدام عناصر الشكل الكلاسيكية . لكن ، منذ اسبوع ، انا ايضا ، كسول بتشكل مخيف . وقد انتهى اليوم حفل الكسل هذا الذي اهديته لنفسي ، فاستيقظت باكرا ، وكما ترى ، أدشن ، مع هذه الرسالة ، فترة جديدة من النشاط . لا تزال ، ثمة ، كمية من « قصائد ٢١ ــ ٢٢ » لم ارسلها اليك بعد . اليك بعضا منها ، مع رباعية أو رباعيتين :

٢٣ ايلول ١٩٤٥ :

ماذا تفعل الآن ،

في هذه اللحظة ، في هذا الوقت ؟

هل هي في بيتها ، في الشارع ،

هل تشتغل ، هل هي واقفة ، ممددة ؟

ربما رفعت ذراعهـا

ــ ايه يا وردتي

كم تعري هذه اللفتة راحتك الفضة البيضاء ...

ماذا تفعل الآن ،

في هذه اللحظة ، في هذا الوقت ؟

ربما قطة صغيرة على ركبتيها ،

تداعبهـا .

ربما تمشي ، قدمها تسير

ــ قدماها المحبوبتان ، معبودتان أحضرتاها الي

في كل ايامي السود ...

بمـــاذا تفكـــر ؟

بي ؟

ام انهـــا تقـــول ،

ما ادراني ، انا ،

إن حبوب الفاصولياء لا تريد أن تنضج ؟

أو ربما تتساءل

لماذا ، اغلب الناس على الارض ،

تعساء بهذا الشـــكل ؟

بماذا تفكر الآن ،

في هذه اللحظة ، في هذا الوقت ؟

٢٥ ايلول ١٩٤٥ :

الساعة الواحدة والعشرون .

قرع الجرسُ في الباحـــة ،

وأبوابُ القاعات ستغلق قريباً .

هذه المرة ، طالت مدة السجن قليلا :

ثماني سنوات ...

أن نحيا ، يا حبيبتي ، هو عمل مليء بالامل ،

ان نحيـــا :

هو شيء جدي ، مثل ان احبك .

٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٥ :

لا تزال بعض الزهور القليلة في أصص القرنفل ،
لكن في السهل ، حرثُ الخريفِ قد انتهى ،
انهم يزرعون البذار
ويقطفون الزيتون .
ومع التهيؤ للشتاء ،
يحفظون المكان لفسائل الربيع .
وانا ، مفعم بالشوق ،
ومثقل برغبة الرحلات الطويلة ،
انتظر ، في بروصه ، كسفينة شحن راسية .

٤ كانون الاول ١٩٤٥ :

اخرجي من صندوقكِ الثوبَ الذي كنت تلبسين
يومَ رايتك لأول مرة ،
وتزيّني ،
كالشجرة في الربيع ...
واغرزي في شعركِ القرنفلة التي ارسلتها من سجني في رسالة ،
وعرّي جبهتك البيضاء المجعدة التي اريد تقبيلها ،
ففي يوم كهذا ، هي ليست مهزومةً ، ولا حزينة ،
بالعكس ،
لا بد أنها جميلةٌ كراية نضال ، رفيقة ناظم حكمت ...

١٢ كانون الاول ١٩٤٥ :

في السهل ، تشع الأشجار بجهد اخير :

لؤيلؤات" مذهّبة ،

نحاس" ،

قلز"(١) وذهب ...

حوافر الثيران تنغرس ببطء في الارض الندية .

وتضيع الجبال في الضباب :

رمادي كالرصاص ، مشبع بالماء .

وهكـذا ،

ربما ينتهي اليومَ الخريف .

الاوز البري قد مرّ للتو ، سريعاً ،

ذاهبا دون شك الى بحيرة ازنيك .

في الهـواء طراوة

رائحة دخان :

في الهواء ، رائحة الثلج ...

ان تكوني الآن في الخارج ،

وتطلقي حصانك خبباً نحو الجبال ...

((انت لا تعرفين ركوب الحصان)) ستقولين لي ،

لكن كفاك شرحاً ،

ولا تكوني غيورة :

لقد اكتسبتُ عادة في السجن ،

انا عاشق للطبيعة ،

ليس كعشقي لك ربما ،

(١) برونز .

لكنــه مثلــه تقريبا .

وانتما بعيدتان كلتاكما ...

١٣ كانون الاول ١٩٤٥ :

هطل الثلجُ فجأةً في الليل .

ومع الغربان التي تتناثر على اغصان كلها بياض ،

بدا الصباح ...

والشتاء على مد النظر في سهل بروصه :

نحن نفكر في اللانهاية ، في الخالدين ...

ايتها الحبيبة ،

لقد تغير الموسم :

بقفزة واحدة بعد تبدلات متناقضة ...

والحياةُ ، تحت الثلج ، فخورةٌ ،

مجدّةٌ ،

تتابع سيرها ...

لا يزال ، ثمة ، الكثير ، لكن بما انني لم أعد أعرف القصائد التي ارسلتها اليكِ ، فانني أتوقف هنا . لننتقل الآن الى عينة من الرباعيات . أكرر لك ، هذه ليست سوى تجارب :

(١)

ما كنتَ تراه ، كان عالَماً حقيقياً ، يا جلال الدين ، وليس عماءً ،

واسعاً ، لم يُخْلَق ، ولم يُرْسَم بمبدأ اولي ،

واروع القصائد المولودة من جسدك الشبق

ليست التي بدايتها : « الصورة تساوي الظل ... »

(٩)

السفرُ أكثر قرباً كل يوم ،
وداعاً ، ايتها الأرض الجميلة ،
وصباحاً سعيداً
ايها الكون .

(II)

ليست من نورٍ
ولا من وحل ،
حبيبتي العزيزة ، وقطتها واللؤلؤة في رقبة القطة ،
كلها من العجينة نفسها ، مع بعض الفروق ...

(I)

املأ كأسك بالخمر قبل ان تمتلىءَ رأسك بالتراب ، قال الخيام .
ومرّ الرجلُ ذو الأنفِ الطويل ، والحذاءِ المثقوب ، أمامَ حديقةالورود،
ونظرَ اليه :
((انا جائع ، قال ، على هذه الأرض حيث الغذاء اكثر من عدد النجوم ،
خمرٌ ؟ وليس عندي ما اشتري به خبزاً ...

(٢)

أن نفكرَ في الموت ، وفي قِصَرِ العمر ، بكآبة لطيفة ،
ان نشربَ الخمرَ في حديقة الخزامى ، تحت ضوء القمر ...
هذه الكآبة اللطيفة لم نعرفها طيلة حياتنا ،
في قبو بيت اسود ، في حيٍ فقير ...

لدي أيضا ثماني أو عشر تجارب من هذا النوع . سأحاول ، هذا الاسبوع ، أن اجد حلا لمشكلة الشكل . انا اعمل أيضا في « المشاهد » . رشيد كمالي وزوجته يهديانك مودتهما . امين بك ، الذي افرج عنه ، يرسل لك تحياته في كل واحدة من رسائله . بيرايه تعانقك . والدتي ستجري العملية قريباً في العين التي لم تخضع للجراحة بعد .

تحياتي الى ابراهيم ــ لم استطع ان اكتب اليه ، يجب ان يعذرني ، لكنني سأفعل من كل بد . ابعث بتحياتي الى راتب . أعانقك بشوق ومحبة أيها الأخ . هل عندك بعض المال ؟ إذا لم أجد لك كتبا بالفرنسية ، سأرسل لك بعض المجلات . الى اللقاء .

- ١٦٨ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك التي تبالغ فيها بمدح رباعياتي . أنا ، بصدق ، لا اعتقد انها تحف أدبية كما توكد ، لكنني احزر الى أي حد انت بشوق لرؤيتي ، وهذا يسعدني . بعثت برسالتك كما هي الى بيرايه . هذه الفتاة المسكينة تعاني من وحدة قاتلة . قل لي ، إن أحداً ما قد أضاف سطرين الى رسالتك ليطلب مني عنوان النائب العام للجمهورية في بروصه ، وهو يدعى خير الدين شاكر . إنه انسان شريف ، حي الضمير ، يحب بلده .

سأقول لك شيئاً لا تردده لاحد . أنا اعاني ، منذ شهر ، من مرض غريب : في الصباح ، لا أشعر بشيء على الاطلاق ، ثم بعد الظهر ، حوالي الساعة الثالثة ، تنتابني حمى خفيفة ، وتشنجات عضلية ، وحاجة الى التمطي ، وصداع ، ثم حوالي الثامنة مساء ، اتعرق قليلا ، وحوالي منتصف الليل ، تزول الازمة . سوف تنصحني بأن اذهب فوراً لاستشارة طبيب ، وهذا ما فعلته ، فقال لي انها نوبة برداء ، واعطاني

بعض الادوية ، فاخذتها ولم اشف . سأعود اليه هذا اليوم ، انها حتما نوع من البرداء . والمزعج ان هذا يمنعني من العمل . لكنني لم احدث بيرايه بالامر ، ولن اخبرها به حتى يزول المرض ، فللفتاة المسكينة ما يكفي من الهموم بسبب صحة ولدنا .

أنا قلق بشأن الطفل الذي حدثتني عنه ، ما هو الموضوع ؟ قد استطيع الحصول على الادوية اللازمة ، هنا أو في استنبول ، اكتب لي ما هو بحاجة اليه . ارسل لك اليوم صحفا ومجلات وعشر ليرات ، وعليك اعلامي متى وصلت اليك .

اسمع ، ثمة أشياء كثيرة لم ارسلها اليك بعد ، رباعيات و « قصائد من ٢١ ــ ٢٢ » ، لكن بما انني لا اعرف ما الذي ارسلته منها اليك ، فاكتب الي مطلع البيت الأول من كل منها إذا كانت لا تزال لديك فأتمكن من ارسال البقية .

اريد كثيراً أن أقرأ قصصك ، لا يمكنك أن تتصور الى أي حد . ثمة نوعان من الفضول ، الأول يأتي من انعدام الثقة ، والآخر ، على العكس ، من الثقة الكاملة . وانا فضولي لأنني أثق بك ثقة كاملة . انا أعرف أنك تكتب أشياء جميلة . مضت سنوات على قراءتي «ساجيرديريه» لكن شخصياتها لا تفارق مخيلتي .

والدتي لم تجر العملية بعد . لك تحياتي ومودة بيرايه ، ورشيد وزوجته . اعانقك بشوق يفوق التصور ، أيها الأخ العزيز .

– ١٦٩ –

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

اقلقني مرضك كثيراً ، أرجو أن تعتني بنفسك جيداً . وإذا لم يكن لديك مال فاخبرني . استطيع أن ارسل لك بعض الزبدة ، أو شيئاً

آخر من هنا ، إذا رغبت في ذلك ، باختصار ، استطيع ان ارسل اليك كل ما ترغب فيه ، سأتدبر الأمر . هل وصلتك المجلات الفرنسية التي ارسلتها اليك ؟ ارسل لك اليوم عشر ليرات .

في ما يتعلق بمرضي ، لقد فهمنا الموضوع : انه التسمم . اصبت بالم في أحد الاضراس ، كما تذكر ، واستمر الخراج يسمم كل جسمي . لقد اخذنا التدابير اللازمة ، ومضى كل شيء . أنا بصحة جيدة . لا تقلق علي ، واعتن بصحتك ، انتبه .

لقد اضطررت الى زيادة العمل بترجمتي ، واهملت الباقي قليلا في هذه الفترة . ومع ذلك ، فسأرسل لك قصيدتين صغيرتين من « ٢١ ـ ٢٢ » ، انما في المرة القادمة ، فأنا أكتب هذه الرسالة بسرعة كلية ، وفي هذه اللحظة ، لا أفكر بغير صحتك ، قل هذا لنفسك ، وتصرف على هذا الاساس . لا تدخن ، كلْ جيداً ، كيف تنام ؟ أرجوك ، يا كمال ، اعطني التفاصيل حول صحتك .

ساعمل على وضع هذه الرسالة في البريد فورا .أعانقك بشوق ، وانتظر بفارغ الصبر الرسالة التي ستخبرني بأنك تعتني بنفسك جيداً ، والتي ستطلب فيها مني شيئا ارسله اليك ...

- ١٧٠ -

١٩٤٦/١/١٨

رسالة تتبع .

- ١٧١ -

كمال ،

تسلمت برقيتك ، وأرسلت لك واحدة اخرى ، واكتب اليك هذه الأسطر . كتبت اليك منذ خمسة أيام ، وانت ، إذاً ، لم تتسلم رسالتي .

اخطرني فور وصولها . صحتي جيدة . وصلتني رسالة من الرفاق في سينوب . سيصبح السجن هناك ورشة عمل ، أي انهم سيعملون ، بعد الآن ، لحساب الدولة . والدتي لم تجر العملية الى الآن . صحتها جيدة . بيرايه وأولادها أيضا . وانا ، الحال تسير معي كيفما كان ، اصاب بالبرد من وقت لآخر ، ثم يزول الأمر .

الى اللقاء . سأكتب اليك مطولا حالما تصلني رسالة منك ، موزع البريد يغادرنا ، وأريد أن اعطيه رسالتي لكي لا أزيد قلقك على صحتي . أعانقك بشوق ، يا أخي العزيز .

- ١٧٢ -

عزيزي كمال ،

ستصلك مع هذه الرسالة ١٥ ليرة ارسلتها بالبريد منذ يومين . اخطرني عندما تتسلم الكل .

أنا طريح الفراش منذ ثمانية ايام ، وقد نهضت اليوم . اضطررت لملازمته بسبب ألم اصابني فجأة في الجهة اليسرى ، وكان يهبط حتى الحالب . كان التهابا في الكلى . عندي حصى . وقد دامت النوبة ثلاثة أيام ، وهزتني جيداً . كما ارتفعت حرارتي أيضا . اتبعت نظاماً غذائياً قاسياً جداً ولا أزال . أخيراً ، تحسنت الحال رغم انني لم أشف تماماً .

أنا سعيد لوصول أخبار جيدة من ابراهيم اليك . لا تنس أن تنقل اليه مودتي . يبدو انهم لا يسلمونه رسائلي .

أنا اهتم كثيراً بمشاريعك ، وانتظر النتائج الأولية بفضول وثقة .

سأجد كتاب أورخان والي وارسله اليك . كان عندي ، أو بالاحرى ، كنت قد استعرته ، واعدته بعد قراءته . اسمع يا كمال ، في كل عمل فني ، أكان أدبيا أو معماريا أو موسيقيا ، السؤال الذي أطرحه على نفسي ، في النهاية ، هو : « ماذا يقول هذا العمل ؟ وكيف يقوله ؟ » « وهذان السؤالان متلازمان بالنسبة الي . » ماذا يقول لنا هذا العمل ؟ « العنصر الحاسم هو هذا السؤال . ماذا يقول العمل الفني وكيف ؟ وانا اقوّم قيمة العمل الفني وفقا للجواب على هذا السؤال . من الضروري ، طبعا ، أن نطرح هذا السؤال بطريقة محسوسة ، والا ننسى السؤال : « أين ، في اي عصر ؟ » والآن ، عندما اطرح السؤال على نفسي بصدد شعرائنا الشبان ، بمن فيهم اورخان والي ، فان الأجوبة الصادرة عن اغلبهم، في الكثير من قصائدهم، ليست للأسف ، مرضية في رأيي . انهم يتعلقون ، في المدة الاخيرة خصوصا ، بالشكل فقط ، لديهم جواب على سؤال : «كيف يقوله ؟» نعم، ان ما يقولونه ، يقولونه بطريقة لا بأس بها ، بدعابة ، وصنعة ، وذكاء ، واسلوب مرض ومسل، لكن في ما يتعلق بالسؤال : «ماذا يقول ؟» لا جواب. او انهم يصرحون لنا : «أريد أن أثمل حتى الموت » ، أو : « ماذا يحصل لي ، انني لن أكون الشخص نفسه ، أبدا » ، واشياء من هذا المستوى . عندما نأخذ بالاعتبار بيئتهم الاجتماعية ، نستطيع فهم الاسباب التي تقودهم الى تبسيط من هذا النوع . لكن ، هل يكفي أن تفهم شيئا لتجد له مبررا ؟ في تركيا اليوم ، ولله الحمد ، بعض الشعراء الشبان ـ ع. القادر مثلا ـ يقولون لنا ، في العصر نفسه ، والبلد نفسه ، وبالموهبة نفسها في اسلوب القول ، اشياء تستحق فعلا أن تقال .

ان الأشياء التي تستحق أن تقال لا ينبغي أن تكون بالضرورة أشياء عظيمة ، فائقة الفصاحة ، إنا اعرف هذا جيدا . لكن قصيدة ـ يجب أن تكون جسما كاملا ـ تعبر عن هذه الفكرة : « أنا انتهيت » ، « أنا ضعت » ، بشكل سطحي ، انما بمهارة ، لا تعبر ، في رأيي ، عن شيء يستحق أن يقال .

هذا يكفي في هذا الموضوع . قرات ، مؤخرا ، مقالة لأستاذ فرنسي يهاجم ايليا اهرنبورغ . يبدو أن اهرنبورغ ، خلال مدحه الشعراء الجدد الذين تغنوا بالنضال في سبيل الاستقلال الوطني الفرنسي ، قال ان صرخة واحدة من صرخاتهم تساوي قصيدة كاملة لمالارميه ، وانه ، بهذا ، قد اعتبر الشعر وسيلة من وسائل الدعاية ، لذلك فقد غضب منه الاستاذ كثيرا . وقد فكرت في هذا ، ووجدت من الغرابة انه عندما يقول لنا شعراء مثل بودلير أو مالا رميه أو فيرلين مثلا ، ان الموت أجمل من الحياة ، أو أنهم يسلمون امرهم لارادة الله ، أو يحدثوننا عن افتقادهم للماضي ، أو عن محبوبتهم الخائنة ، أو فضائل الثمالة ، أو حتى عن الشذوذ الجنسي ، عندما يغرقوننا بأشياء من هذا النوع ، وبمهارة ، فان كل هذا لا يشكل دعاية . لكن شاعرا يوكد العكس تماما ، وبالقدر نفسه من المهارة ، ليس الا مروجا دعائيا . اليك مثل بسيط جدا : ان التغني بالخمرة ، بالعرق ، بالثمالة ، هو ابداع عمل فني ، لكن ، على العكس ، اطراء الصحوة هو دعاية لجمعية مكافحة الكحول . هذا غريب اليس كذلك . في حين ان كلمات « جميل » و « جمال » لا تغادر أفواه الناس ، ما الذي يكون أجمل ؟ أن تكون ثملا أم صاحيا ؟ نحن نعرف جيدا ما هي العناصر التي تتدخل في الموضوع ، لكننا لا نتمالك من الغضب ، والضحك .

وهكذا يا عزيزي كمال . أنت تقول لي ، أحيانا ، في رسائلك ، أشياء عن بيرايه ما عرفت في حياتي أن اقولها لها . وفي هذا ، أنا اغار منك . عندما يتعلق الأمر بالفن والحب ، حينئذ فقط أنا أغار ، والشخص الوحيد الذي أغار منه ، هو أنت . ومع هذا ، فان الكتب التي تدخل الى قلبي ، السرور الذي تحدثه قراءة ما تكتب الي عن بيرايه ، هي نادرة جدا . اذاً ، لا تحرمني منه .

لا جديد عن والدتي . اعانقك بشوق ، أيها الأخ .

- ١٧٣ -

عزيزي كمال ،

كتبت لك رسالة مطولة منذ ثلاثة أيام ، لا بد انك تسلمتها . واكتب لك اليوم لأنقل اليك نبأ جيدا ، أو بالاحرى نبأ سيصبح جيدا اذا ثبت . اليوم بالذات ، وجهت عريضة الى المجلس الوطني ، ابرهن فيها ، بالادلة القانونية ، انني كنت ضحية خطأ قضائي ، وعدم مشروعية مشهودة ، وأطلب الغاء عقوبتي . ووفقا للنتيجة الحاصلة ـ واعتقد بأن الحقيقة ستنتصر في النهاية ـ سيمكنك التوجه الى السلطة نفسها . انتظر في الوقت الحاضر . سأقول لك متى يجب أن تقدم طلبك .

أعتقد بأن ما أقوله لك هنا سيفاجئك ، وانك تتساءل اذا كان هذا هو الوقت المناسب ، لكن الجدلية شيء غريب ، والحقيقة يمكن أحيانا أن تنتصر في اللحظة التي نتوقعها أقل ما يمكن .

لنأمل أن كل شيء سيسير على ما يرام . ارسل لك ٢٥ ليرة . واعانقك بشوق . أنا مقتنع بأن العدالة ستحترم في النهاية ، واننا سنلتقي قريبا .

- ١٧٤ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

لا يمكنك أن تعرف كم أزعجتني حكاية ابر الكالسيوم هذه . لكن ما أزعجني بصورة خاصة هو قلقك علي ، لأن هذه الجرثومة تعيش مدة قليلة جدا في الهواء الطلق ، والا لكان عدد المصابين بالسيفيليس في العالم خمسة أو ستة أضعاف . ثم ان الابرة قد نظفت على كل حال ، والتنظيف ، حتى ولو كان سطحيا ، يدوم دقيقة واحدة على الأقل .

أحطني بالأمر ، واتجنب كل احتمال ، اجر تحليلا للدم ، فهذا من شأنه أن يطمئنك تماما .

أنا سعيد جدا لعلمي بأنك تعمل بانتظام . أما أنا ، فقد انهيت الجزء الثالث من الترجمة لوزارة التربية الوطنية ، ولم يبق علي الا اعادة نسخها . اذاً ، سينجز كل شيء خلال ثلاثة أسابيع . لكن بما أن السيد الذي يترجم بداية هذا الجزء لم ينجز عمله بعد ، فانني لن أستطيع قبض المال قريبا .

لقد بدأ الجو يصبح حارا جدا هنا ، وأنا أكره الحر ، لكنني ، هذا الصيف ، سأعمل بجد ، ان كان الحر شديدا أو لم يكن .

لم تصلني رسائل من الرفاق في سينوب . وأرغب بشدة في أن اعرف ما يفعلون ، هل بدؤوا يعملون لحساب ورشات السجن ؟ لم يصلني جواب على الرسالة التي بعثت بها اليهم .

بيرايه تبلغك مودتها في كل مرة . عاد مرض عرق الأنسر الي ، وهو مؤلم جدا، خصوصاً في الليل. لأن الطقس حار جدا في النهار، وبارد جدا في الليل . قد أستطيع أن أجري علاجا بالمياه المعدنية هذا الصيف ، مما يطرح أمامي مشكلة مالية ، سنرى في النهاية . لقد ارسلوني الى اللجنة الطبية ، دون طلب مني ، بحيث يبدو أنهم قد حزروا أنني مريض ، فأعطتني اللجنة تقريرا مرضيا . هذا كل شيء يا أخي . أعانقك بشوق .

- ١٧٥ -

١٩٤٦/٦/١٨

عزيزي كمال ، يا أخي ،

أنا مسرور لوجودك في غمرة العمل . بالنسبة الي ، هو العكس تماما ، لأن الحر شديد ، وأنا منهك جدا . انت تعرف بأنني لا اتحمل

الحر . وقد تساءلت ما اذا كان علي ان افعل مثلك ، اي ان إنام في النهار ، واعمل في الليل . لكن منذ الغد ، سأحاول ان أتحدى الحر ، واعمل بعد الظهر أيضـا .

شكرا لله . لقد وصلتني اخيرا رسالة من سينوب ، واجبت عليها فورا . مع ذلك ، فهم لم يخبروني بأنهم يعملون لحسابهم الخاص ، وانهم لا يعملون بواسطة راسمال استثماري ، اذ انك أنت الذي اخبرتني بذلك .

تسلمت رسالة من بيرايه ، وهي تهديك مودتها ، وانا انقل اليها دائما صداقتك . أنا احب بيرايه ، وهي تحبني منذ سنوات . انها ليست قصة حب ، بالطبع ، والأمر ، لحسن الحظ ، ليس شيئا غبيا من هذا القبيل . في هذا الحب ، حب الأمومة ، والأخوة ، والأبوة ، وفيـه الصداقة ، والأخوة الانسانية لكن ليس فيه قصة حب . أو بالأحرى لا توجد ميلودراما ، بل قصة حب واقعية ، أي توجد الحياة .

رشيد كمالي يجري خدمة العلم . وصلتني رسالة من فوزي الأعرج . لقد خفضوا عقوبته سنة واحدة ، بسبب سل العظام ، وهو الآن في مسقط راسه ارزنجان ، حيث لم يجد عملا ، لذلك فهو ، دون شك ، في بؤس مدقع . وقد آلمني ذلك كثيرا . وانا غاضب من نفسي كثيرا لأنني لا أستطيع مساعدته .

مضى شهر لم أتمكن خلاله من ارسال المال الى بيرايه ، لكنني آمل ان اتمكن من قبض بعض الدريهمات ، بعـد بعض الوقت ، من أجـور الترجمة . كذلك أنا دائن بحوالي الثلاثين ليرة من قيمة القماش . اذا قبضت هذا المبلغ فسوف ارسله الى بيرايه وفوزي . أنت أيضا مفلس حتمـا .

لنتحدث عن اشياء أكثر متعة قبل انهاء هذه الرسالة . اعمل جيدا ، يا صديقي ، فللناس الشرفاء المجدين في بلدنا ، الحق في أن يطلبوا أعمالا

جديرةً بك . رواية او قصة كبيرة ، لا يهم ، فهذه التصنيفات ، بعد كل شيء ، ليست الا اصطلاحات . الأمر هو ان تقول بفن شيئا صادقا حقيقيا . الى اللقاء . اعانك بشوق .

- ١٧٦ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك الصغيرة جداً ، لكنني لم اعتب عليك لأنك مشغول جداً . والحال ، انني سأفعل الشيء نفسه هذا اليوم . مع هذا ، ينبغي الا نسمح لأنفسنا بأن نتكاتب بهذا الاختصار إلا عندما نكون فعلا مشغولين جداً . عذري ، اكثر من زحمة العمل — فالعمل لا ينقصني ابداً — حمدا لله — هو في التشنجات العضلية التي تؤلمني — والتي لا تنقصني هذه الايام هي أيضا — واعتقد بأنني احدثك عنها دون انقطاع . عندي نقطة الضعف هذه ، انا أعرف ، فأنا أشكو عند أقل صداع . لكنني مريض حقيقة ، وفي السرير منذ يومين ، فقد اصبت بالبرد بالرغم من هذا الحر . اسمع : طالما انني افتكرت ، هل عندك اخبار ، مباشرة أو غير مباشرة ، عن حكمت ؟ الى اللقاء ، يا عزيزي كمال ، اعتن جيداً بصحتك . بشوق .

- ١٧٧ -

١٩٤٦/٧/١١

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

انتظرُ ما كتبته للتو بفضول ويقين لا يمكنك ادراكهما ، أو بالاحرى ، أتصور الفرح والاعتزاز اللذين ساشعر بهما عند قراءته ، حتى قبل النشر . كان مقدرا بأن الخطوة الأولى ، المنعطف الحقيقي في الرواية التركية ، ، ستقوم بها انت . ويبدو لي إنك كنت ستقوم بها

حتى لو لم تعرف السجن ، لكنك ربما أخذت اتجاها آخر ، فالسجن قد عرفك بأبناء بلدك عن قرب ، وافضل من أي مكان آخر . أنا لا أزعم بأن دخول السجن يصنع العجائب ، لكنني ألفتك هنا الى موهبة ابن الانسان التي تجعله يعرف كيف يحقق المكاسب وحتى السعادة من أكبر المصائب .

الحر شديد جداً هنا . وبما انني لا أتحمل الحر ، فأنني أقعي في كسل دبق وثقيل .

تنوي والدتي المجيء الى بروصة في شهر آب . وقد لاحظت ، في المرة الأخيرة أنها شاخت كثيراً . من المحزن أن يرى الانسان والدته وقد شاخت الى هذا الحد . الكن ناحية فيها تنتزع اعجابي : بالرغم من سنها ، ومن مرض قلبها ، ومن عينها المغشاة ، فانها تعمل بكل قواها في الرسم ، كما لو كانت مبتدئة . عندما يصبح العمل ينبوعا للذة والفرح والخلق ، فانه يستطيع الفوز على الشيخوخة وحتى على المرض .

بيرايه مشغولة جداً بأولادها ، وهي تعيسة لأن ابنها مريض ، ولأنها لاتنجح في تزويج ابنتها . ومع ذلك ، فقد تقدم محمد للامتحانات .

وصلتني رسالة من سينوب . أعانقك بشوق ، وأود أن تكتب روايات أكثر جمالا من التي كتبتها ، أكثر جمالا من كل ما كتبته حتى الآن .

- ١٧٨ -

١٩٤٦/٨/٢

كمال ،

لايمكنك أن تعرف كم تقلقني حالتك الصحية ونحولك . اني احزر انك مفلس ، إذاً أنت لاتأكل مافيه الكفاية .

حصلت على طلبيـة مـن الستائر ، أي إني نسجت ستائر من التول ، وربحت قليلا من المال ، وارسلت لك خمسين ليرة ، واني أعرف ان هذا قليل ، وان عليك ديوناً ولا تأكل مايسد جوعك ، لكن هذا المال سيكون مفيدا لك مع ذلك . لايزال لدي بعض القماش للستائر، اذا تمكنت من بيعه ، سأرسل لك حالا بعض المال . هل تسلمت الخمسين ليرة ؟ اعلمني . وبعد ، قل لي الى اية أدوية تحتاج ، سأتدبر امري للحصول عليها من استنبول . فيتامينات مثلا ، اسأل الطبيب وقل لي مايلزمك . ان الوزارة لم تدفع لي بعد اجور ترجمتي ، ثم الرواية التي ارسلتها « للتصوير » ـ حياة الكلاب هذه ، يصل بك الأمر أن تكتب رواية مغامرات « للتصوير » : اطلبها من الجريدة ، قد نستطيع ارسالها الى مكان آخر ، او ارسلها الي ، سأحاول توجيهها بنفسي . اكرر ـ اعذرني، فالانسان يصبح ثرثارا مع السن ـ اكتب الي باسماء الادوية التي تحتاجها .

لاشيء جديد فيما يتعلق بعيني والدتي، فقد اجريت لها عملية في احداها ، والاخرى لاتزال على حالها ، لكنها ترسم دون توقف ، ورؤياها محصورة في عين واحدة ، وانا افهم ، او بالاحرى ، ادرك مرة اخرى ان الاسلوب الوحيد لكي لانشيخ ، لكي لانصبح عميا ، لكي نعيش في هذا العالم ، هو ان نرتبط بشيء جميل ، بالمعنى الواسع ، وان نقيم علاقات نشيطة مع هذا الشيء . ان نحب ، بالمعنى الواسع للحب ، هو ان نقهر الشيخوخة ، والمرض ، والموت .

تسألني « بيرايه » عن اخبارك في كل من رسائلها . لابني رئة لاتزال متوقفة عن العمل ، لكن حالته ليست خطرة في الوقت الحاضر . شكرا لله . ابنتي سوزان كبرت ، هكذا يقولون ، ـ لأنني لم ارها منذ سنوات ـ لقد اصبحت فتاة شابة كبيرة . عمرها حوالي الاثنين والعشرين عاما ، وقد بلغت سن الزواج وتجاوزته، لكن ليس سهلا على فتاة ابوها في السجن أن تجد زوجا . هذا كل شيء عن اخبار العائلة . وافني بالتفاصيل عن صحتك .

انتظر بأمل مسودات الرواية . أعانقك بشوق ، يا أخي العزيز .

١٩٤٦/٨/١٤

عزيزي كمال ، يا أخي ،

وصلتني رسالتك وأنا مغمور بالسعادة . اتت « بيرايه » لتقضي يومين هنا . قرأنا رسالتك سوية . لقد سافرت وهي ترسل لك مودتها ، وأنا ، بعد يومين مليئين بالاعياد ، عدت الى حياتي العادية . ان اخبار صحتك ووزنك ادخلت الطمأنينة الي ، فقد كنت مذعورا اذ كنتَ تقول في رسالتك ماقبل الاخيرة ان الاطباء قلقون عليك .

سأنقل كل الاشياء الجميلة التي تقولها عن أمي وأرسلها اليها ستكون سعيدة جدا بها : يخيل الي اننا نعود اطفالا عندما نشيخ ، واننا ككل الاطفال ، نحب المديح والثناء الممنوحين باخلاص شديد .

ارى انك تعمل جيدا ، وانتاجك يغريني : أنا الغارق في كسل مريع . لكن عندما يبرد الطقس سألحق بك ، فأنا لا استطيع التفكير اذا اشتد الحر .

ان صحة ابني محمد جيدة لكنه سَمِنَ كثيرا ويخشى ان يؤثر ذلك على قلبه . لاتزال احدى رئتيه متوقفة عن العمل ، لكنه خارج دائرة الخطر وأنا لا استطيع ان انقل اليه ماتقوله لانه مصر على الا يعتبر نفسه مريضا . بلغني ، أنا أيضاً ، نبأ موت يوسف الذي آلمني كثيرا . وكما تقول ، لو أبدى أكثر قليلا من الارادة لكان باستطاعته أن يعيش عشر سنوات أيضا على الاقل . والآن ، فأنا ارتجف لفكرة وصول النبأ عن موت فوزي . لانه اذا مات فلن يكون ذلك لضعف في شخصيته أو لإرهاق ، بل من البؤس ونقص العناية .

بالرغم من كل شيء ، يجب أن نفكر بأشياء جميلة . فاننا لن نقضي بعد الآن في السجن اكثر مما قضيناه ، وعندي مشروع رائع : عندما

اخرج من هنا سأجد بعض الدراهم لاشتري سيارة « جيب » واتنقل في كل مكان من بلدي العزيز ، في الاناضول ، في الرميليه ، وسأكتب مائـة كتاب . أعانقك بشوق ياأخي العزيز .

- ١٨٠ -

عزيزي كمال ،

تأخرت في اجابتك ، او بالاحرى في كتابة رسالتي وارسالها . وسأقول لك لماذا : فور وصول رسالتك بدأت اتكلم معك وانا افكر بماسأقصه عليك في جوابي ، وتناقشنا طويلا ، ولا ادري لماذا ، لدرجة أن ذلك اصبح حديثا حقيقيا ، وفي اليوم التلي ، وانا مقتنع بأنني كتبت لك كل ذلك ، بدأت احسب اليوم اللدي يصلني فيه جوابك . واليوم فقط ، ادركت ماحصل . هل اصابني الخـرف ؟ ان حاجتي الشديدة الـى ان اكلمك تجعـل اللاشعور يرفض ان يستعمل الرسالة كوسيط معتبرا اياهـا غـير كافية البتـة .

انتظر روايتك بفارغ صبر وامل وايمان . لكني آمل هذه المرة ان تكون قد عملت منها نسختين ، ولنأمل ايضا ان يجد وكيلانا ، وكيلك ووكيلي ، في خضم مشاغلهما ، الوقت اللازم لمراجعة النص بسرعة ، وان يصلني في أقرب وقت .

الطقس هنا اكثر برودة ، وسأغرق قريبا في العمل . اولا الحياكة التي لاتؤمن لنا فلسا من الربح : ثم الترجمة ـ ٣٥٠ صفحة لا اتوصل الى قبض اجورها ـ التي تجب اعادة نقلها ، ثم عمل جديد : اغطيـة المصابيح ـ بعد تزيين الورق بالالوان المائية اجعله مصقولا كجلد الجمل بواسطة زيت الكتان ثم اخيطه مع الحرير على قاعدة من الحديد واجعل منه غطاء ـ واخيرا قصائدي ـ وكما ترى بعد الكسل المخيف في اشهر الصيف ، اقبـل علـى الخـريف وانا اعمـل كالمسعور ـ والجـانب

« التراجيكوميدي » في حالتي هو انني مضطر ، حتى في السجن ، ان اكرس أكثر من عشر ساعات من يوم عملي المؤلف من ست عشرة ساعة لمحاولة كسب عيشي .

قد تكون والدتي هنا في الخامس من هذا الشهر ، وأنا مسرور بذلك جدا . « بيرايه » مريضة بالبرداء على الارجح وانا تعيس جدا بذلك . وبالرغم من كل شيء ، يتقدم العالم والناس نحو مستقبل أفضل ، اكثر جمالا ، وهذا شيء انا اثق بــه .

اعانقك بشوق ايها الاخ . أنا بدون اخبار مرة اخرى من « سينوب » وأنا قلق .

- ١٨١ -

عزيزي كمال يا اخي ،

تسلمت روايتك ورسالتك . قرأت روايتك دفعة واحدة في ليلتين ونهار . سأحاول أن أقول لك انطباعي الاول في جملة واحدة ثم انتقل الى التفاصيل : لقد أقمت الأسس أي الجوهر لعمل ضخم ، لكنك اكتفيت بأن ترفع على هذه الاسس اعمدة البناء وتركت كل شيء . وعلى سبيل المقارنة فان « ساجيرديريه » كانت عملا اقل شمولا ، لكنها كانت عملا تاما تشكل بصورة نهائية .

ما ارجوك ان تفعله هو ان تتمم روايتك ــ التي يمكن ان تصبح عملا متميزا ، ليس فقط على مستوى البلد ، بل على المستوى العالمي . انك مدين بهذا قبل كل شيء الى بلدك والناس الذين يعيشون فيه .

لننتقل الآن الى التفاصيل ، وقبل كل شيء الى النواحي الناقصة حسب رأيي .

١ ــ باستثناء ابنة الباشا والدة جانسيزا عائشة ، فان كل الشخصيات الأخرى : بمن فيها ماهر أفندي ، لم تعالج وتحرك الا جزئياً .

وقد تساءلت لماذا وهاهي الاسباب التي وجدتها: ان كافة الشخصيات ــ ان كان السلطان عبد الحميد او عزت بيك او عادل ــ وحيدة الجانب ــ جانسيزا ايضا ولكني لا ادري لماذا لايبدو ذلك مزعجا لدى هذه الاخيرة ــ جميعهم اناس طيبون ، واعني اننا لارى في المستوى الاول سوى النواحي الايجابية فيهم ، الجوانب الطيبة . حتى عبد الحميد ــ حتما انت لاتحبه ولكن في الرواية ، اثناء الحركة ، اي عندما نراه يعيش بكل بساطة ، وهذا غريب : يبدو كأحد سلاطين الاقاصيص ، مليئا بالطيبة والمسامحة. هذا مثل بارز لذلك فأنا أذكره لك . وهكذا فان شجاعته موصوفة لنا بالافعال ، اما جبنه فلا ، بالاقوال فقط . وقد تساءلت أيضا لماذا لايتمكن ماهر افندي من ان يصبح شخصية حية ، ووصلت الى نتيجة أن نموذج هذه الشخصية هو كائن تعرفه جيدا ، لكنك تصفه لنا ليس كما هو بل كما تحب ان يكون . لو ان هذه الشخصية لم تؤخذ من اصل تعرفه جيدا ، لو انك خلقت اجزاءها وركبتها لما كانت هناك مشكلة ، لكن طالما ان الاصل موجود فأنت مضطر للتقيد به الى اقصى الحدود ، ومن الواضح اننا لانستطيع الابتعاد عن النموذج عندما يتعلق الامر بشخصية رواية من هذا النوع .

٢ ــ شخصياتك عموما ، وبعضها على الخصوص : تتكلم طويلا وبشكل خطابي مبالغ به ، بالرغم من قدرتك على استعمال اسلوب التخاطب . ثم انك تتدخل كثيرا أنت نفسك . فتغضب وتشتم . بالطبع أنت لا تستطيع البقاء غير مبال باشخاصك وبالحوادث ، وهذا مستحيل مع ذلك ، لكن اما أن تفعل هذا خلال مسيرة الكتاب كلها بحيث تجعل هذا التدخل ميزة فنية ــ بينما لا تخضع لديك هذه المداخلات لاي خطة ــ وإما أن تقدم لنا الشخصيات والحوادث بحيث يتمكن القارىء من الحكم ــ والحكم في الاتجاه الذي تريد . وقد خيل الي في البداية انك أردت استعمال المداخلة كميزة فنية ــ فاذا صح هذا فانه من النوع الذي يجب استعماله بكثير من التفكير والدقة ، بصورة محسوبة محددة القياس . ان انعدام القياس يمكن أن يودي بعيدا ، وننتهي بالشبه ــ

فلتحفظنا السماء منه — بذلك الروائي الايطالي ، كما تعرف جيدا ، الذي يحب كثيرا انشاء الكلمات الطيبة .

٣ — توجد في روايتك شخصية رئيسية أو اثنتان على الأكثر . وفي رأيي أن هاتين الشخصيتين من الدرجة الأولى غير كافيتين في رواية لها هذه الأسس الواسعة .

٤ — لقد بدأت بكتابة قصة ثم جعلت منها رواية، مما أحدث تأثيرا سلبيا كذلك على العمل الروائي . ولننتقل الآن الى النواحي الايجابية :

١ — ان الطبيعة ، بالرغم من أنها تحتل حيزا ضيقا في الرواية ، مقدمة بشكل جيد ، فأنت معلم في فن وصفها .

٢ — ثمة مقاطع تقطع النفس : موت الجندي تحت الثلج ، مراد والضابط الانكليزي ، مقاطـع عديـدة مرتبطة بحرب الاستقلال ، موت سلامة افندي ، رجال السرية الذين ينتقلون الى الهجوم نصف عراة ، ثم ماهر افندي وزوجته وقصة سند الملكية ، والحريق الخ . . . كل هذه الفصول الواحد منها أحلى من الآخر .

ولنختصر : اني أكرر بأن هذه الرواية يمكن أن تشكل تحولا في ادبنا أو تبقى كالسمفونية الناقصة . لكن واجبك هو أن تجعل منها تحولا في فن الرواية عندنا . أنا أعرف بأن الأمر اكثر صعوبة عندما تراجع عملا اعتبر منتهيا وكتبت عليه كلمة « النهاية » ، فتحذف منه كل الاطالات وتزيد عليه ما ينقصه ، وتعدل في الشخصيات وتضيف اليها شخصيات جديدة أو تعطي مكانا اكثر لمن هو موجود منها ، من أن تكتبه من جديد . لكننا في السجن لا عمل آخر لدينا غير التغلب على صعوبات من هـذا النوع ، ويجب أن تفعل ذلك . ان هذه الرواية في حالتها الراهنة عمل متميز يصل الى مستوى الأعمال المعروفة عالميا . لكنها يمكن أن تصبح تحفـة رائعـة .

ومن المضحك انني عندما انتهيت من روايتك للتو تذكرت تلك التي بدأتها منذ ثلاث أو أربع سنوات وتركتها بعد أن كتبت منها فصلا واحدا . وقد اخرجت أوراقي من جديد ، ان الفترة التي اخترتها هي نفسها تقريبا . تبدأ روايتي عام ١٩٠٥ وكان يجب أن تنتهي عند اعلان الجمهورية . وهذه فترة من تاريخنا تستحق الاهتمام وتثيره بشدة لدى كلينا . بعد ان قرأت روايتك تملكتني الرغبة في انهاء روايتي ، لكنني لا اعرف اذا كان هذا سيدوم . وبالمناسبة ، هناك رواية لمدحت جمال ، « اوتش استنبول » ، هل قرأتها ؟ وهل تجري حوادثها في هذه الفترة ؟

كمال ، أكرر لك مرة أخرى أن هذا العنوان « قلعة الملكية » ضعيف جدا . اننا نحزر بأنه كان عنوانا لقصة . هذه الرواية يمكن أن تصبح عملا اساسيا مثل « الحرب والسلام » .

باشر بالعمل فورا والا فانني سأغضب . لنتكلم بجد : أنت وأنا ، وكل الكتاب الحقيقيين . يجب أن نعالج كلنا هذه الفترة من تاريخنا . أنت تسبقنا حاليا في هذه الطريق وتغلبت على ما هو اشد صعوبة في هذه المهمة ولم يبق عليك الا أن تنجزها . اعانقك أيها الأخ بشوق وأمل ومحبة دون حدود لانك كتبت عملا على هذا القدر من الجمال .

ملاحظة : فكرت طوال الليل في روايتك . وفي الصباح الباكر جدا اسجل ما أزال أذكره من ملاحظات :

١ ــ ان المعضلة كلها هي انك أردت بناء روايتك على قصة عنوانها « قلعة الملكية » . في القصة ، يقع الهوس عند الشخصية المركزية ، الفكرة الثابتة بأن تصبح ملاكا ، في المستوى الأول ، ويدوم ذلك طويلا ، ويشكل الوحدة والخط الاساسي للعمل ، ثم تضيع هذه الفكرة الثابتة تماما ، وتتحول القصة ، فضلا عن ذلك ، الى رواية من حيث الأساس والحجم . لكن قفزة نوعية مفاجئة تحدث بين القسم الأول والأخير .

٢ ـ لو بقي العمل في حدود القصة ، لكان ماهر افندي مع التفاصيل التي تقدمها لنا عنه ، وليس ماهر افندي بل الشخصيات الأخرى أيضا ، لكانت حية بشكل كاف . لكن عندما تتحول القصة الى رواية ، فان شخصيات القصة لا تتمكن من التحول لشخصيات رواية . يوجد فارق إذاً بين شخصية القصة وشخصية رواية بقدر ماهي هذا الفارق ؟ يخيل الي أن الشخصية تصبح شخصية رواية بقدر ما هي موصوفة في كل مظاهرها الأشد تنوعا وبردود فعلها أمام الحد الأقصى من الأحداث . مثلا ماهر أفندي هو كامل كشخصية قصة ، لكنه ناقص كشخصية رواية . وردود فعله كشخصية قصة أمام بعض الأحداث واضحة جدا ، لكنها كشخصية رواية وأمام هذه الكتلة من الأحداث تبقى غير واضحة . هل أجدتُ شرح ذلك جيدا ؟

ولقد فكرت طويلا : يجب أن تغير قبل كل شيء عنوان الرواية . وسيظهر لك هذا التغيير أنه من الضروري أن تزيد في التحويل والتحديد. سوف تقوم بهذا العمل يا كمال ، فقليل من الجهد لا يمكن الاستغناء عنه لكي يصبح هذا الكتاب احدى أكبر رواياتك ، رواياتنا . اظهر لنا ما تستطيع عمله يا كمال يا ابن طاهر .

- ١٨٢ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك وصورتك . ولأنها أخذت في سجن « تشوروم » غداة اليوم الذي انهيت فيه « قلعة الملكية » ، فقد بدت لي أكثر أنسا . والكلام بيننا ، لقدتحمست لجزمتك . انها تثير لدي احتراما ممزوجا بالحسد لانني لم انتعلها في حياتي .

لدينا نقص في الروايات الفرنسية كذلك . اذا وقعت على شيء منها سأرسلها لك فوراً .

تسلمت اليوم رسالة من « بيرايه » ـ يريد ولدنا ان يصبح مهندسا معماريا : لكنه لم يحزم امره نهائيا بعد . سأكون مسرورا جداً اذا أصبح كذلك : لأنها احدى المهن التي احترمها اكثر ما يكون في العالم . انني اعتبر الهندسة المعمارية أحد الفروع الاكثر اهمية في الفنون الجميلة ، فليس هناك فن آخر اكثر فائدة للانسان واكثر استحقاقا لاسم « الفن الجميل » ، ثم ان المبدأ الأساسي للهندسة المعمارية يشكل أساس الفنون الجميلة الاخرى كافة . فالموسيقى والرسم والادب دون هندسة معمارية هي جسم دون هيكل ، كتلة هلامية ، فوضى حمقاء . لكن افهمني جيدا : انا لا اتكلم على الاطارات الجامدة ، بالعكس ، انني أعني هنا هندسة المادة في حركتها اللانهائية .

انني افتقد اخبار والدتي منذ وقت طويل ، سأكتب لها غدا . لكن اختي واخي يقيمان عندها حاليا وهي حتما مشغولة جدا بحفيديها ، صبيين لطيفين ذكيين كثيري الحركة ما امكن ، وهي لا تجد الوقت للتفكير في شيء آخر . ماذا اقول لك ايضا ؟ شوق ، وأمل . اعانقك .

- ١٨٣ -

عزيزي كمال ، ايها الاخ ،

تأخرت في اجابتك . السبب ؟ اردت بعد تسلم رسالتك قراءة كتابك مرة ثانية لاتمكن من مناقشته بصورة اكثر تفصيلا ، اعدت قراءته إذاً ، وهو يعجبني ايضا ، وسيعجبني ايضا فيما لو قرأته الف مرة ، لكنني الح على ما قلته لك في الملاحظات المختصرة التي تضمنتها رسالتي، بالرغم من التفسيرات التي تقدمها الي . لنأخذ عبد الحميد مثلا ، فهو عندما ينظر اليه النجار يجب أن تصفه لنا من وجهة نظر النجار طبعا . لكن عندما ينظر اليه المؤلف كذلك فان النظرتين تختلطان في الرواية . طبعا من جهة النجار يمكن أن يكون عبد الحميد رجلا طيبا ، لكن من وجهة الكاتب يجب أن يوصف لنا في كل مظاهره ، الجيدة منها والسيئة ، وان

تبدو هذه الاخيرة ثقيلة لان الواقع هو كذلك . وهـذا ليس الا مثلا واحدا . انك كتبت هذه الرواية دفعة واحدة وهذا جيد جدا ، وتعدني أن تعيد النظر في كل شيء مع أخذ المجموع بعين الاعتبار ، اي الاجزاء التي ستلي ، ولا يمكنك أن تتصور كم سرني هذا الوعد . من جهة ، لانـك بدأت بكتابة ملحمة اسطورية حقيقية ، ومن جهةاخـرى لان عندك الشجاعة لاعادة النظر في عمل تمت كتابته . باختصار ، نستطيع القول إن اللبنة الثانية لعمل عظيم قد جرى وضعها . انت تعلم بأني انتظر منك اعمالا ذات مستوى يصعب الوصول اليه ، وأعلم علم اليقين الكامل بأنك ستكتبها . وهذا اليقين لا يأتي فقط من المحبة التي توحي بها الي ، انا واثق من ذلك ، لانني اعرف بانك تملك الشروط التي لا غنى عنها لاجادة عمل من هذا النوع . في رسالتي القادمة ساعطيك التفاصيل عن الفكرة الرئيسية للرواية التي كنت قد كتبت منها فصلا واحدا منذ ثلاث سنوات والتي ليس لها عنوان ، حتما سارسل لك هذا الفصل ، اذا امكن ، بعد ان افكر واقرر اذا كان هذا الفصل الوحيد يستحق أن يرسل اليـك .

. . . . . .

ـ ليس عندي أخبار من الرفاق في سينوب ، وهذا الصمت يقلقني . أرجو أن تكتب دائما الى نوري طاهر دون تأخـير . اقبلك بشوق ايهـا الاخ .

- ١٨٤ -

عزيزي كمال ، يا اخي ،

يؤسفني ان أعلم بأنك مريض . اليرقان ليس خطيرا فكثير من المعتقلين قد أصيبوا به هنا وشفي جميعهم بسرعة . أنا واثق من أن كـل شيء ينتهي بعد بضعة ايام ، ولكني آسف مع ذلك .

. . . . . .

اما فيما يتعلق بسلوك هذا الطبيب تجاهك فماذا يمكن ان نقول ، ان هذا النموذج قد دخل ــ بكامل قامته ــ في تاريخ الادب التركي ، وسأرد

له هذه الخدمة ، من جهتي ، ولن يفوتك ذلك حتما . اني اتصور غرفة المعتقلين في السجن ، وهذا الجراح . هنا ايضا في المستشفى توجد قاعة للمساجين ، ورئيس الاطباء جراح كذلك ، لكن لا القاعة ولا الاطباء تشبه ، ولو من بعيد ، قاعة واطباء « تشوروم » ، لاشيء هنا ولا أحد يشتم الكرامة الانسانية ، حتى أن النائب العام رجل ذو ضمير ويظهر اهتماما انسانيا حقا بالمساجين المرضى . لكن بلدنا هو هكذا ، مؤسستان في محافظتين ، وحتى في المحافظة نفسها ، يمكن ان تكونا مختلفتين الى هذا الحد ، كما لو كانتا في بلدين مختلفين .

انا ايضا في الفراش منذ اسبوع وقد اصابني البرد واكتب لك هذه الاسطر من فراشي . ولكن لن يبقى بي شيء غدا أو بعد غد . اني افكر باستمرار برئيس الاطباء هذا الذي ينعتك « بالشيوعي القذر » . ليس سهلا ان يكون المرء شريفا كما نحن ، ان يحب بلده وشعبه اكثر منا . ولاننا تعلمنا ان نحب بلدنا وشعبنا ، ان نكون شرفاء لقاء جهود مؤلمة وعظيمة ، وغالبا لقاء حريتنا وحتى حياتنا ، فان هؤلاء السادة المتأنقين الذين لا يحبون بلدهم ولا شعبهم لانه يجهلون ما يعنيه هذا الحب ، ينعتوننا « بالقذرين » . اني افضل ان اكون « قذراً » في نظرهم ، على أن أكون مثلهم عدوا للوطن والشعب .

انتظر رسالتك بفارغ الصبر ، الرسالة التي ستنقل الي انباءصحتك الطيبة . أعانقك بشوق ، وشفاء طيبا .

– ١٨٥ –

عزيزي كمال ، أيها الاخ ،

اكتب اليك هذه الرسالة في يوم سعيد ، فقد وصلت أمي . قرات لها كل الاشياء الجميلة التي تقولها لي عنها في كل من رسائلك ، فكانت سعيدة بها وهي تعانقك .

ارسل لك ۲۰ ليرة . او بالاصح ان امي باعت لوحة واعطتني قسما من المال ، وهي ترسل لك الباقي . ثم اني اعتقد بانه سيكون باستطاعتي ان اجد لك معطفا سميكا جدا ، وان كان مستعملا قليلا جدا ، فتجعله على قـدك .

خبر سار آخر : ان الترجمة التي اقوم بها لوزارة التربية الوطنية ستستمر دون شك ، ثم ان هناك اقاويل ، أردت ان تصدق أم لا ، عن عفو عام جديد . أنا شخصيا افضل اعادة المحاكمة على العفو . انت تعرف جيدا انه لو طبق علينا القانون فقط ، حتى ولو كنا مذنبين ونحن لسنا كذلك ، لوجب اخلاء سبيلنا في الحال .

قل لي اذا كنت بحاجة الى أدوية . اعانقك بشوق ايها الأخ العزيز . رسالتي قصيرة جدا فمعذرة . انا ذاهب لاثرثر مع أمي .

- ١٨٦ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك واسعدني انك شفيت . صحتي جيدة ، أنا ايضا هذه الايام . واقول لنفسي ان الاسوأ قد مضى رغم كل شيء ، وان الامر لن يطول بنا فسننتهي باستعادة حريتنا ، وسوف نستطيع ، في حدود الامكان ، ان نجعل من انفسنا مفيدين لوطننا ولشعبه وللعالم أجمع . قرأت انا ايضا في الـ « اولوس » مقالة الشخص الذي تحدثني عنه ، ما كان اسمه ، سعود كمال الدين على ما اظن (اني انسى الاسماء دائما) ، وقد اجابه نور الله اتاتش في الجريدة نفسها ، ولا أدري اذا كنت قد قرأت مقالته . ان نور الله اتاتش هذا يسخف احيانا ، واحيانا يكون جيدا حقا . فلو كانت لحظات هذيانه لاتدوم اكثر من لحظات وعيه لقدرت فيه ناقدا مفيدا . سارسل لك بعض المجلات الادبية فاني احتفظ بها كلها . توجد فيها قصائد جيدة لشعراء شباب .

هل تسلمت المال ؟ اعتقد بأنني سأستطيع ارسال بعض الدريهمات لك ايضا في الايام القادمة . كما استطيع ان اشتري لك شراشف اذا اردت أو أي شي آخر . للاسف لم تنجح عملية المعطف . ليست لدي أخبار من الرفاق في سينوب منذ زمن طويل .

سافرت والدتي ثانية ، وقد تأتي بيرايه لرؤيتي حوالي ١٥ من الشهر القادم ، واوصيتها ان تحضر لي ابنتنا . صحة ولدنا احسن بكثير وهو يكتب القصائد وينشرها ، كما سينشر مجموعة من القصص مع ابن عمه ، ابن اسماعيل حقي بلطجي اوغلو . بيرايه ليست مسرورة بذلك فهي تعتبره صغيرا على نشر قصائده وتلح على ألا يفعل ذلك إلا بعد أن يكتب « اعمالا اصيلة » . انا لا اشاطرها هذا الرأي لانه من الصعب كتابة شيء أصيل في التاسعة عشرة أو العشرين في الشروط الحالية وفي حالة ولدنا لكن فيما بعد ، بعد خمس أو ست سنوات مثلاً ، سيتمكن من كتابة اعمال لها طابع ما . ويستطيع في هذه الاثناء ان ينشر اشياء لا يحمر منها خجلا من حيث الشكل والمحتوى . ان هذا سيشجعه .

لدي روايات بوليسية فرنسية واستطيع ان ارسلها لك اذا اردت شرط ان تعيدها الي لاتمكن من اعادتها الى الشخص الذي أعارني اياها . اذا كنت مستعدا لتحمل كل هذه المشقة فاعلمني . كل العائلة تقبلك بشوق ايها الاخ .

- ١٨٧ -

عزيزي كمال ،

أتت بيرايه وقضت هنا ثلاثة أيام وتكلمنا عليك . وقد اخذت معها روايتك وستقرؤها وتكتب الي رأيها فيها . نشر ولدنا كتابا بالاشتراك مع ابن عمه تونا بلطجي أوغلو ، وها انا أرسل لك نسخة ، وليس ذلك لان الامر يتعلق بابني ، لكنني فضلت قصص محمد . وسنرى ماذا سيكون

رأيك . أود كثيرا أن أساعدك في ملحمتك الاسطورية وسيكون ذلك بسرور لكنني لا أستطيع أن أفعل شيئا في هذا الوقت ، انني لا أكتب سطرا واحدا ، وقد كان عام ١٩٤٦ عاما ميتا بالنسبة الي . سأقرأ الرواية التي تحدثني عنها ، تلك التي نشرت في « كاريكاتور » وسنعمل منها سيناريو سوية .

وصلتني رسالة من « سينوب » وسررت بها جدا وسيكون جيدا جدا بالنسبة لنوري طاهر أن ينتقل الى تشوروم من الناحية المادية ، ومن ناحية معنوياتكما أنتما الاثنين .

لا أجد شيئا آخر لأكتبه لك . عندي اشياء لأقصها عليك ــ بعض الملاحظات على الأدب ــ وسأفعل ذلك مطولا في رسالتي القادمة . لم أشفَ بعد من رحيل بيرايه أمس الاول . أعانقك .

- ١٨٨ -

كمال ، أيها الأخ ،

رحلت بيرايه منذ زمن بعيد . وها أنا وحيد مرة أخرى ، أنت تعرف جيدا هذا النوع من الوحدة . وقد مرضت فوق ذلك . « الكريب » لثلاثة أيام . وقد مرّ هذا أيضا . أرسلت لك ٢٥ ليرة في الرابع عشر . قل لي اذا تسلمتها .

لقد عملت كثيرا هذا العام . أنا لا أستطيع كتابة أي شيء . اهنئك وأفرض على نفسي توبيخا .

ستكون هذه الرسالة قصيرة جدا . احس بقشعريرة وسأعود لأنام . لا تقلق على الخصوص ، كان يجب الا أقوم هذا اليوم . أعانقك بشوق أيها الأخ .

١٩٤٧/١/٢٧

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تأخرت في الكتابة اليك مرة أخرى . قضت بيرايه يوما واحدا هنا ، لكنني خرجت للتو من حالة غريبة من البلاهة المكونة من الكآبة والاعجاب وقليل من القلق ، امسكت بي يومين قبل مجيئها واستمرت طويلا بعد رحيلها . اعجبتها روايتك كثيرا . قارنت بينك وبين سعيد فائق وابرزت الى اي حد كانت شخصياتك تركية وأكثر أصالة ، خارجة حقا من هذا البلد ، من هذا الشعب . في المرة القادمة ستكتب سوية رسالة لك ، وستحدثك بتفصيل أكثر عن روايتك ، انها تقول : « لقد انهيت قراءتها للتو ويجب أن انتظر مرور الانطباع الاول ، وان أهضم الكتاب ، وسأرى حينئذ ماذا يبقى منه . »

لا أزال أعاني من هذا « الكريب » القذر الذي حولني الى خرقة ، ترافقه تشنجات وزكام لا ينتهي وقشعريرة في الظهر . ومع هذا فقد فحصني الطبيب وقال ان حالتي لا تستدعي القلق ، حتى انني ازددت سمنة في المدة الاخيرة . لكنك تعرفني جيدا فقد كنت أعجز دائمـا عن كتابة سطر واحد متى كنت مصابا ولو بشيء قليل من الدوار ، اذ يجب أن أكون بكامل نشاطي لكي أكتب ، بينما هذا التعب الغريب يعطـل حواسي منذ العام الماضي ، ولم تمر بي سنة جدباء كهذه . واذا صدقنـا بيرايه فقد كنت أمر دائما بأزمات مماثلة أكثر أو أقل طولا ، قبـل أن أبدأ شيئا جديدا ، وقد تكون هذه المرة احدى تلك الازمات . لقد أصبت بالشيء ذاته عندما كنت أعمل في ستوديوهات « ايبيك فيلم » . وسوف نرى . سأرسل لك ٢٥ ليرة في الاسبوع القادم .

وهكذا يا عزيزي كمال . يجب أن نعمل ونكتب من اجل الشـعب التركي ، ومن أجل كل الناس الشرفاء ، اعمالا كبيرة ، شريفة ، تليق

بهم . ان عزائي الكبير هو في عملك الدائب . أنت وأنا ، نحن الأبناء الحقيقيين لهذا البلد . وكل يوم يمر دون ان اتمكن من عمل شيء جيد وجميل لأجله هو لي يوم عذاب .

- ١٩٠ -

١٩٤٧/٢/٢٦

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك المليئة بالمشاعر الطيبة تجاهي ، وهذه المشاعر تملؤني بالارتباك . ولماذا أخفي عليك ـ بالسرور أيضا . نعم ، لم يبق لنا الا أن ننتظر النتيجة دون أن نفكر بها كثيرا .

اخيرا شخّص المرض الذي جعلني كسولا خلال عام بأكمله قاطعاً مني اليدين والساقين . لاحظوا إثر أزمة صغيرة أن كبدي قد تضخم بحجم اصبعين أو ثلاثة . وبدأتُ اتبع علاجا ومرت الازمة لكن الآلام تستمر خفيفة وانا لم أعد كسولا منذ شهر ـ لم أقل لك شيئا لكي لا أقلقك ، كنت أنتظر التشخيص ـ وقد عدت الى العمل .

نعم انك على حق ، سيأتي اليوم وأستطيع أن أراكم واتأمل وجوهكم كما أجمل المناظر في العالم . بيرايه ستكون هنا في آذار ليومين . انك سمنت لكن هذا ليس الا شحما رديئا سيختفي متى خرجت من السجن . ويجدر بك أن تتوقف عن السمنة ـ وهذا لأنك في وضع الجلوس دائما وليس لأنك تأكل كثيرا ويجب أن تكثر من التنزة في الباحة ـ وأنا أعرف انك تفضل أن تبقى جالسا ـ وأن تقوم ببعض التمارين الرياضية .

كمال ، لا يمكنك أن تتصور كم أرغب في رؤيتك . هذه السنوات التسع قد محت من ذاكرتي كثيرا من الذكريات والاشخاص ، والآن اعيش وحيدا مع شخص أو اثنين احبهما كثيرا ، وأنا سعيد بهذه النظافة . اعانقك بشوق .

- ١٩١ -

١٩٤٧/٣/٢٨

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تأملت صورك بشوق ، لشد ما أرغب في رؤيتك . هذا يفوق التصور . لقد سمنت قليلا وهذا حسن . لو وصلت الرسالة والصور قبل يوم واحد لاستطاعت بيرايه أن تقرأ رسالتها وتأخذها معها. جاءت الى هنا مذعورة لشدة قلقها ، مثلك ، على كبدي . سأعمل على أن تؤخذ لي الآن صورة شعاعية وأرسلها الى الدكتور فاضل شرف الدين في استنبول . لكن الازمات مرت وحالتي جيدة ولا مدعاة للقلق . كنت قد أرسلت لك ٢٥ ليرة فهل تسلمتها ؟ سأرسل لك أيضا بعض المال بعد اربعة أو خمسة أيام . لقد عدت الى العمل ، لكنني غير راض عن النتائج . هناك سؤال كان ينضج في لاشعوري منذ وقت بعيد . وهذا هو : اذا قام رجل ميت منذ أربعمائة عام من قبره وطلبنا اليه أن يعدد لنا الفنون المتصلة بالكلام فانه لن يذكر لنا الرواية . أي طرق متعرجة اسلك لاصل الى الموضوع : أريد أن أقول بأن الرواية هي اكتشاف جديد ورائع . لكنها لن تكون الاكتشاف الاخير حتما . ان الشروط الفنية والاجتماعية التي توفرت لولادة الرواية ونموها هي في سبيلها الى التغيير ، ويخيل الي بأن الشروط الفنية والاجتماعية الجديدة ستجعل ضرورية ولادة فن متصل « بالكلمة » غير معروف حتى الآن ، كما كانت الرواية في الماضي ، ولا أدري أي اسم سيتخذ هذا الفن ، لكنه لن يكون الشعر وأنواعه المختلفة ولا الرواية أو القصة وأنواعهما المختلفة ، سيكون شيئا آخر يختلف نوعا وأن تضمن العناصر الكمية لكل هذه الانواع ... وأعتقد أنه سيكون الأسهل أن نخلق هذا النوع من أن نعرّفه ...

أعانقك بشوق وبيرايه أيضا .

١٩٤٧/٤/١٩

عزيزي كمال ،

لنترك الكلام على المرض رغم أن آلامي قد ازدادت اليوم ، وقد علمت بأن تصوير الكبد مستحيل وأخذ صورة شعاعية للمرارة صعب جدا ، لنترك الكلام ولنتكلم على الافكار التي تنط في رأسي رغم أنها لم تتبلور بعد . أولا ان كل الاشكال الادبية مرتبطة ببعضها البعض ، من الشعر الى الحكاية الى الاساطير الدينية الى الرواية الحديثة ، فكل هذه الاشكال هي أصلا فن حكاية قصة . ان الشعر يحكي قصة ، وكذلك الاقصوصة والرواية والمأساة والسيناريو . وفن حكاية قصة ما هذا يشكل أيضا ، من وجهة نظر معينة ، الرسم والموسيقى وحتى الفن المعماري . الذلك فالفن اجمالا هو أن تحكي ، أن تسرد قصة ما . وما يميز هذه الانواع هو في الاصل الطريقة التي تحكى بها هذه القصة، التقنية والاساليب المستعملة. في ما يتعلق بهذه التقنية وهذهالاساليب، ما يدخل فيها ليس فقط الآلة الموسيقية أو النوطة أو الدهان أو المرمر أو الصوت أو الكلمة ، بل تدخل فيها أيضا الامكانيات التي يحددها مستوى تطور الصناعة . مثلا — أنت تعرف كل هذا لكنني أكرره لأجمع أفكاري — الرواية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمطبعة ، وقد جعل تطور الطباعة ، من وجهة النظر هذه ، العلاقات الاجتماعية أكثر تعقيدا ، وتطورت بالطبع في الوقت نفسه بقية فروع الصناعة بحيث أن القصة التي تجب حكايتها أصبحت أكثر تعقيدا من جهة ، وهذه القصة المعقدة تطلبت شكلا جديدا فوُلدت الرواية ، ومن جهة أخرى لعب الكتاب المطبوع نفسه دورا كبيرا بالطبع في ظهور الرواية . عندما لم تكن هناك رواية ، في المدنيات القديمة مثلا ، كان الشعراء يحفظون غيبا القصة التي يريدون حكايتها ويروونها أمام السامعين ترافقهم القيثارة.

انتبه : وهذه نقطة مهمة ـ اني أقفز من موضوع الى آخر فمعذرة ، الافكار تأتيني مجتمعة دفعة واحدة وكبدي يؤلمني هل تعلم ـ حتما أنت تعلم ذلك ـ لكن هل تعلم أن أسلوب ديكنز قد تغير من اللحظة التي أحس فيها بالحاجة أو التي اضطر فيها الى قراءة رواياته بصوت عال، أي الى قراءتها أمام الناس في الاجتماعات ؟ إذاً فالرواية ككتاب مطبوع لم توجد لتقرأ بصوت عال ولا لكي يستمع اليها ، انها تكتب لأن القارىء سيقرؤها وهي لا تحفظ غيباً . بينما ، خذ مثلا القرآن ، بايقاعه الداخلي وقوافيه ، وانغامه المتجانسة ، والوقفة بين سوراته ، فهو سهل الحفظ غيبا . لذلك فاذا أطلقنا تسمية « فرضية » على أنواع الحكايات المصاغة شعرا أو مقاطع من الشعر للمدنيات القديمة والتي كانت تحفظ غيبا وتلقى بشيء من الغناء وبرفقة قيثارة ، تصبح « الفرضية المضادة » هي الرواية المكتوبة نثرا والتي يقرؤها القارىء لنفسه متتبعا الاحرف بعينيه في كتاب مطبوع . واليوم ، تجعل الامكانيات الفنية الجديدة، الاذاعة مثلا ، أو السيناريو ، من حيث الشكل ، والشروط الاجتماعية الجديدة ، من حيث المضمون، فرضية جديدة تجمع الفرضية والفرضية المضادة ، ضرورة قائمة . ان التفسير الاولي للجدلية يتطلب ذلك . ولنتابع هذا التفسير : في هذه الفرضية الجديدة نجد عناصر من الفرضية وأخرى من الفرضية المضادة ، وعليه ستكون هذه الفرضية الجديدة مختلفة نوعيا. وسيتعلق الامر بطريقة الحكاية القصة يمكن حفظها غيبا كما تمكن أيضا قراءتها للجماهير ، في الاذاعة مثلا ، ومن قبل شخص واحد ، ويكون لها شكل الكتاب المطبوع وتستطيع من جهة أخرى استخدام كل الامكانيات الجديدة لحكاية الانواع الحديثة في القطعة المسرحية والسيناريو الخ. .
لا أدري اذا كنت قد أجدت التعبير . يقولون كما تعلم إن اللغة الشعرية أكثر صنعة من لغة النثر . أنا لا أشاطر هذا الرأي . اذا كان مقياس الصينية والطبيعية هو اللغة المحكية فان النثر يمكن أن يكون على قدر الشعر نفسه من الصنعة أو الطبيعية . هاك ما أريد أن أقوله : ما هو أكيد في نظري أن تقنية هذا النوع الجديد ستستوحي تقنية الشعر في

معناه الأكثر اتساعا . وستستخدم الايقاع والقافية بمعناهما الواسع ، افهمني جيدا : ستكون ايقاعية ومقفاة ، بالمعنى الواسع ، تماما مثلما يمكن أن يكون غياب القافية ايقاعيا . ولكن ـ وهذه مسألة فنية ـ كيف ستكتب الأسطر ؟ مفصولة عن بعضها البعض وموضوعة تحت بعضها البعض ؟ أم أنه سيجري استعمال تقنية أخرى ، لا أعرف شيئا عن ذلك بعد . وهناك أشياء كثيرة أخرى أجهلها . . . سيكون من الواجب دون شك اختيار التقنية التي تسمح بالقراءة بالنظر بأكثر ما يمكن من السهولة . وستبين الممارسة لنا ذلك . ان أكثر المعضلات التي اشرت اليها حتى الآن متصلة بالشكل . ذلك لأن الحكاية التي تجب روايتها اصبحت على درجة من التعقيد يتوجب معها حتما ايجاد شكل جديد يتلاءم مع هذا المضمون المعقد . والسبب الذي يدفعني الى محاولة تعريف الشكل هذه هو أنني لا أتوصل باستخدام الاشكال الحالية الى رواية الحكاية التي أريد روايتها ، أو أن الطريقة التي أرويها بها لا ترضيني .

كفانا كلاما على الادب اليوم . غدا ، سأرسل لك ٢٥ ليرة . بيرايه تقدم لك مودتها . سأكتب الى أضنة فصهري يستطيع أن يسوي هذه القصة دون شك . اعانقك بشوق أيها الأخ .

- ١٩٣ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

أجيبك بتأخير كبير ، وستعذرني متى عرفت السبب . لقد اتت بيرايه لتراني . وأنت تعرف جيدا أنه عندما تكون زوجتي هنا استسلم لسعادة أنانية حتى أنني أهمل الكتابة اليك .

لنتكلم الآن على « روايتي السوبر » . أنت تقدر بأن هذا النوع سيكون مملا حيث أنه سيتكون من الحركة فقط . سيكون ، في رأيي ، عكس ذلك ، وأنا على يقين من أن عنصر التحليل سيكون فيها على قدر

عنصر الحركة نفسه من الاهمية ، لأن التحليل يمكن أن يكون فيها أكثر عمقا . على كل حال ، لقد انتقلت الى العمل وهيأت السيناريولتجربتي الاولى . وبنعمة الله : « ان العمل وحده يسمح بالحكم على الانسان، لا الاقوال » كما يقول المثل . سأنهي هذا العمل خلال هذا الصيف ، وعلى أبعد حد هذا الشتاء ، وعندئذ سنحكم حسب النتائج بعدتكاسل دام سنة ونصف السنة ، وبعد هذا العمل الطويل من « الهضم » فـان فرحة العودة الى العمل تجعلني مرتاحا قدر الامكان . لأبني محمد رئة منتفخة كالقبضة وهو يعالج كل أربع وعشرين ساعة بنفث غاز الآزوت في رئته . ومع هذا فليس هناك خطر . بعد ستة أشهر سيقهر المرض نهائيا وتعود رئته طبيعية .

اليك ما طلبت بيرايه أن أنقله لك : ان الرواية أعجبتها لكنها تشعر بأن القسم الاخير منها قد أنجز بسرعة . وعموماً فقد أعجبها كل شـيء كثيرا ، وصرحت قائلة : « بفضل كمال ، يمكننا أن نقرأ ما لم نقرأه حتى الآن » .

سأتوقف كي لا يفوتني البريد وأزيد في قلقك . بشوق ومحبة ياأخي العزيـز .

- ١٩٤ -

عزيزي كمال ،

لقد ذهلت حقا : خبر جيد كهذا ولا تكلمني عليـه إلا في نهايـة رسالتك ـ شقيقك إذاً هو بجانبك أخيراً ؟ إنه لفرح عظيم وامتياز كبير ليس لك فقط انما لي أنا أيضا وخصوصا له هو . إني سعيد بأن أقول لنفسي أنك لم تعد وحيدا هناك . لكن هذا حظ خاص لنوري طاهر . أنت تقول لي في رسالتك « نوري لا يكتب لك ، إنه يكتفي بالتوقيع » وقد فتشت عبثا عن توقيعـه . لذلك فانني لا أدري لمـاذا لم أعـد أحب

القصائد ، في المدة الأخيرة ، كان لا يضيف كلمة واحدة الى الرسائل التي يكتبها لي الرفاق في سينوب . إني لا ألومه ، لكنني الاحظ أن هذا الشاب ، مثلي أنا ، لا يحب كتابة الرسائل . إني أبدأ إذاً بأن أعانقكما كما لو كنت بقربكما ، وفي نهاية العناق أعود الى مواضيعي الخالدة . سافرت بيرايه وهي تبعث لك كل مودتها . وصلتني البارحة رسالة منها ، وأمها ، أي حماتي ماذا ؟ ، أصيبت بنوبة صرع وحالتها خطرة جداً . لا يمكنك أن تعلم كم آلمني هذا النبأ . والدتي تعرض لوحاتها في أضنة ، وهي تقدم لأهل أضنه مجموعة من النساء العاريات في الحمامات، وباقات من الزهر ، ولوحة أو أثنتين لفلاحين شباب وبعض المناظر من باريس . وقد لاقى المعرض نجاحاً كبيرا على ذمة الصحافة المحلية التي تلح على نقطتين : ١ ــ ان عرض نساء عاريات في مدينة كأضنه يشكل « ثورة » حقيقية . ٢ ــ ان هذا المعرض هو من نتاج سيدة عجوز في السبعين من عمرها لا ترى إلا بعين واحدة وتستمر مع ذلك في الرسم . تسلمت رسالة من أمي ، كم هي سعيدة هذه المرأة المسكينة . وأنا أيضا مسرور جداً . باختصار ، حتى في سجن بروصه ، تجري الحياة بآلامها ومسراتها .

كما أعلنت لك في رسالتي الأخيرة فقد بدأت العمل في هذا النوع « الجديد » . لقد ارتكبت خطأ جسيما عندما انتقلت ، في بنائي لنظريتي ، من معضلة المضمون الى معضلة الشكل في التطبيق ، ومع هوسي في أن أعمل كل شيء بسرعة ، حاولت أن أذهب من الشكل الى المضمون ، أريد أن أقول بأنني حاولت أولا أن أطبق الشكل ، وكانت النتائج الحاصلة جيدة تقريبا لكن كل جهودي توصلت الى نوع من الطبيعة الميتة . والآن يجب علي أن أعيد كل شيء . (انت تعرف بأني احب كثيراً قصة الالباني وكلمته الشهيرة « امحوا كل شيء إني ابدأ من جديد ») . ومع ذلك فأنا لا أعتقد أنني اضعت وقتي ، إذ يخيل إلي بأني أكاد أحل واحداً أو اثنين من المبادىء الجوهرية المتعلقة بالشكل .

الآن وقد أصبح نوري معك ، فانك ستستطيع دون شك أن تكرس نفسك براحة أكثر لرواياتك . لكن عليك أيضا أن تساعده على تطوير ملكاته الادبية . سأجتهد ان أجد هنا القوالب والمناشير اللازمة لكم وإذا لم أجدها فسأطلبها من استنبول .

أقبلكما بشوق نوري وانت .

- ١٩٥ -

عزيزي كمال أيها الأخ :

لقد ذعرت من جهلي الضخم وكدت أبكت من الغضب الشديد . لقد فهمت الى أي حد كنت جاهلا . سأشرح لك وسيدهشك هذا أنت أيضا . أولا ليس لدي عن الطبيعة إلا معلومات عامة فلسفية . فمعلوماتي عن النباتات والحيوانات والمعادن والفيزيولوجيا والفيزياء والكيمياء ومجموعة اخرى من الأشياء لا تتجاوز معلومات الهمجي أي انها صفر . وهكذا فانني أظن انني اعرف القوانين العامة الجدلية لهذه الطبيعة التي تدهشني والتي أحبها بعمق ، لكنني لا أعرف شيئا عن القوانين المادية والحياة الحقيقية لهذه الطبيعة . إذا وضعنا جانبا بلدي وأوروبا ، فانني لا اعرف غير الخطوط الاساسية لنوع الحياة والشروط المادية والاخلاقية التي تعيشها الكائنات البشرية في آسيا وافريقيا ، وعندما يتعلق الأمر بالتفاصيل المادية لهذا النوع من الحياة فان جهلي يجعلني أحمر خجلا ، بينما أنا ادعي كتابة « رواية » اللحظة المحددة جيدا واللانهائية للكون . مع أزهاره وأرضه وجراثيمه ونجومه وذراته وطيوره وحيواناته المتوحشة ، واناسه بشروطهم الاجتماعية والنفسية ، وكل هذا أريد حشره في كتاب من حوالي ثمانمائة صفحة . كيف سأتوصل الى ذلك مع هذا النقص في المعرفة ، الأكثر سوءا منه عند حيوان متوحش ؟ ولانني لن أتوصل الى ذلك أبدا ، ولان مجموعة كبيرة من كتاب الأدب العالمي وانت ، يا كمال ،

في الأدب التركي ، تكتبون روايات أحلى من بعضها البعض ، روايات جيدة بالمعنى الذي نعنيه ، فلماذا أحاول أن أكتب روايات أكثر سوءا (حتى على افتراض أنها أجود) مع المفاهيم والمقاييس نفسها . باختصار ، ما أن اقتربت من المعضلة ليس من زاوية الشكل بل من زاوية المضمون ، حتى اصطدمت بجهلي المدقع ، الضخم كالجبل . ما يجب أن أفعله الآن هو ألا أترك عزيمتي للفتور ، بل اكتسب المعارف . سأطلب فورا كمية كبيرة من الكتب وأحاول أن أثقف نفسي قليلا .

نوري طاهر ، يا ولدي ،

كما ترى ، إنها ليست صحتي بل جهلي هو الذي يجب أن يقلقك بجد . كيف تجرأت أن أكتب القصائد ، دون أن أعرف جيدا وبعمق ، الطبيعة والناس ؟ لقد فهمت الآن لماذا لم أعد أحب القصائد التي اكتبها ولا قصائد الآخرين — عدا بعض الاستثناءات النادرة — إنها قد تسرني ولكنها لا تثير لدي اي اعجاب . النتيجة العملية لهذا الخطاب الطويل : يجب أن تعمل أنت أيضا ، بتواضع ، لزيادة معلوماتك ، أعانقكما بشوق — أخوكم الكبير الجاهل .

- ١٩٦ -

١٩٤٧/٦/٢٠

عزيزي كمال ،

لقد كان لاعترافي بالجهل لك ولنوري طاهر أثر لم أكن أتوقعه . لقد فسرتما هذا الاعتراف على إنه شيء من اليأس ومن التشاؤم الذي خلفته السنون الطويلة التي عشتها في السجن . لهذا فقد اقترحتما كعلاج لهذا الداء أن اذهب وانضم اليكما . إني اريد حتما أن أعيش الى جانبكما ، أكثر مما تتصوران ، لكنني لا أعتقد بأنني سأصبح عالما

كبيراً عندما أضع قدمي في سجن تشوروم . وبعد ، فقد يكون في كشاعر جانب رومنطيقي وطائش ولكنني كفرد واقعي جدا ، بواقعية جدلية لم أجدها إلا عند القليلين . لذلك فأنني لست واهما عندما أتحدث عن جهلي ولا أنجر الى اليأس والتشاؤم ... إن جهلي هو واقع ، خصوصاً في حقل العلوم الطبيعية ، التي تسمى العلوم الصحيحة . وما يجب عمله لتدارك هذا الجهل هو أن أتثقف ، وقد باشرت فورا في التثقف . من جهة أخرى ، أني أعمل منذ شهر أو شهرين كالمهووس ، لكنني لم أجد بعد حلا لهذه الرواية — التي — يجب — أن تكون — شيئا — آخر — غير الرواية ، ولم يمنعني هذا من كتابة الشعر كما أفهمه أنا وأنت . شيء آخر كذلك : حتى لو كنت مسجونا ، وحيدا في زنزانة ، ما نسميه الوحدة ، إن المشاعر التي تثيرها هذه الوحدة سأشعر بها لفترة وجيزة وعندما أخرج نفسي بسرعة من هذه الحالة النفسية ، سأثبت أنه يستحيل أن يشعر الانسان بأنه وحيد عندما تكون رأسه وأعصابه متينة . اني أشعر بالحزن دون توقف لبعدي عمن أحب ، ولكني لم أشعر أكثر من يوم أو يومين بهذا العذاب الذي يسمونه الوحدة . لذلك لاتهتم من أجلي . فأنا جاهل يعترف بجهله ، ويحاول أن يتغلب عليه ولا يشعر بأنه وحيد على الاطلاق وليس يائسا ولا متشائما ولا فاقدا شجاعته . ولننه هنا هذا الموضوع .

اذا كان لديك علب خياطة واحجار للعبة النرد يصعب عليك بيعها فارسلها الي ، فاني آمل أن أجد لكم بعض الزبائن . انا معجب بك اذ بدأت تمارس التجارة . ياله من حظ أن أتى نوري لينضم اليك : وأي شيء آخر أستطيع أن أقصه عليك ؟ لا تقلقا علي إذاً . وكما يقول المثل : الباذنجانات المليئة بالبذور لا تتأثر بالصقيع . أعانقك بشوق أيها الأخ العزيز .

نـوري :

تقول انك تحبني ليس لمعارفي أو لمقدرتي كشاعر بل للذاتي ، وأنـا أشكرك ، ولكن مايجعل مني هذه « الذات » هو بمقدار كبير كوني شاعراً، وجاهلا ــ أو ــ عالما . وكنتَ أحببتني أكثر لو كنـتُ أكثـر معرفة (وسأكون كذلك) لأن هذه المعرفة ستجعلني أكثر فائدة لبلدي ، للعالم كله ، للرجال في بلدي وللرجال في معسكري. ويجب ان نزداد حبا للانسان المفيد لبلده وللانسانية . خذ مثلا : لقد كتبت حماقة في رسالتي الـى أخيك . فقد ميزت في نفسي بين الانسان والشاعر ، وهذا مستحيل ، اذ الأصح أن نميز اللحظة التي اكتب فيها أشعارا من اللحظة التي أهتم فيها بمشاغلي اليومية . وفي النهاية ، ليس هذا مهما ، ففي خلال سنتين سيكون عندي من المعارف أكثر قليلا مما يجب أن يملكه كل انسان متمدن .

وأنت هناك ، تفتح دكان نجار ، ونحن هنا في قمة الازمة فالعمل توقف فجأة ، لكننا سنجتازها في النهاية ، وستعود آلاتنا الى الطقطقة مـن جديد . أودعك بشوق يا والدي العزيز .

- ١٩٧ -

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

تسلمت رسالتك . اذكر جيدا نقاشا في تشانقيري حول مقـال للرسام ليوبولد ــ ليفي ، غير انني لا اذكر موضوع النقاش نفسه رغم كل التفاصيل التي تعطينيها . يخيل الي اننا نحن الاثنين كنا مخطئين ،واظن أنه من الافضل أن نقول : ليس هناك جمال مجرد بصورة مطلقة ولكن ليس هناك أيضاً جمال مفيد للانسان مائة بالمائة . ومن الناحية العملية فان الجمال الاكثر تجريداً نفسه مفيد من ناحية ما للانسان ، وكل ماهو جميل حقا مفيد له ، والجمال المفيد يقدم حتما شيئا من الجمال المجرد.

ارسل لك أيضا قصيدة صغيرة . قرات مؤخرا كتابا او كتابين عن الطبيعية والحيوانات . قـد أكون تحت تأثيرهما عندما كتبت القصيـدة وعنوانها « أسباب تخفيفية » :

على هذا الكوكب الاسود ،

بـــين النجـــوم ،

بـدأت مغامرتنـا ،

متأخـرة جـدا ..

في راحة ايدينا حرق النار ،

وانتصار فأسنا الحجرية على الثور البري ،

وجبهتنا التي تسمو ، تضيء ،

ودوارنا خصوصاً أمام الجمال ،

كان في الامس القريب .

اذا لم نكن قلة في هذه العائلة الكبيرة ،

ـ فالفيلة أقل عددا منا على التوكيد ـ

والأكثر شبابا هم نحن أيضا ،

ولهذا فنحن مانحن ...

أنتم يا اخوتنا الأبكار ،

الممتلئين تجـربة

أيتها القمم والصخور ، لاتلومونا

أيتها الذئاب والعصافير ،لاتلومونا

لا تلومونا ، يا أبناء العم ...

اننا حمقى اذ نبكي من الغضب ،

وتعساء مفجوعون ،

لكننا لا نيأس ابدا ...

هل هذه أسباب تخفيفية حقا ؛ لا أدري ، لكن الجنس البشري هو على التوكيد فتي جدا ، ونحن تعساء بشكل مخيف ، وهذا أيضا ليس موضوع نقاش ، لكن قوتنا الكبيرة هي أننا لا نعرف اليأس .

بمقدار ما أشيخ يتملكني شعور غريب ، مغامرة الجنس البشري بأسرها ، منذ البداية حتى المستقبل الاكثر بعدا ، اشعر بها في جسدي وفي قلبي ، بشكل ملموس كما لو كانت مغامرة آنية ، قضية هذه السنة ، هذا الشهر ، هذا الاسبوع ، الاربع والعشرين ساعة الاخيرة ، مغامرة تخصني شخصيا . لا أدري اذا توصلت الى شرح افكاري . المغامرة الانسانية ، مغامرة هذا اليوم ، مأخوذة ليس كنظرية بل كحدث ملموس ، اشاهدها ، لا في مخيلتي ، بل تحت عيني تقريبا ، تتصل بآلاف السنين في الماضي ، وبآلاف السنين في المستقبل .

وهذه المغامرة (هذا التعبير « مغامرة » شاعري قليلا ، وبدائي قليلا على ماأظن اعذرني ، فعندما أتكلم معك ، اخجل من التماس الدقة الكبيرة في الكلمات) ، تماما كالعلاقات بين هذا الجنس البشري مع بقية قراباته ، العضوية او غير العضوية ، وخصوصا قرابتنا العضوية ، مع كل فصائلها وأنواعها ، « أشعر » بها فعليا وليس نظريا على الاطلاق ، كل الحيوانات ، كل النباتات ، والنجوم ، وباختصار كل الأشياء المتعددة التي تملأ الكون ، بقدر ما أستطيع أن أحقق شمولية هذا التعدد ، تهمني بقدر ما يهمني الناس الذين لا يشكلون الا جزءا منه ، وهذا ليس اهتماما مجردا ، بالعكس ، انه اهتمام ممزوج بالحب ، بالأمل ، بالغضب ، مما نشعر به ازاء الكائن الحي في معناه الاكثر اتساعا .

نعم ياعزيزي كمال ، بدأت أحب الكون بكل ما يعيش فيه ، كما نحب المرأة .

ماذا أقص عليك غير هذا ، حلقي يؤلمني ، وأنا أكتب اليك مستلقيا في سريري ، لكنني سأنهض غدا حتما ، أما الآن فسأذهب « لأغرغر » حلقي . في ما يتعلق بحبي للكون ، فقد أوصيت على سمك للغد ، وهذا الحب لن يمنعني من أن آكل بشهية هذا الابن العم الطيب المذاق . أعانقك بشوق أنت ونوري آملا أن نلتقي قريبا بشكل نهائي ونستعيد حريتنا .

بعثت برسائل الى سينوب ، لكن الرفاق لا يتسلمونها حتما ، لانهم يطلبون الي على الدوام أن أكتب اليهم .

اكتب اليهم أنت ، فأنا سأفعل ذلك غدا دون شك .

- ١٩٨ -

عزيزي كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك . لدي انطباع بأن وضعك المادي قد تحسن ولو قليلا ، وانا مسرور بذلك . بالمناسبة ، كان علي أن أدلي بافادة كشاهد ، ولم أفهم منها شيئا ، وذلك بخصوص قصيدة في مجلة « فارلبك » التي ارسلتها لك : لكنني لا أعرف ما الامر على الاطلاق . ماذا يجري بحق السماء ؟ لا أدري ماذا تخيل الناس هذه المرة أيضا . تسلمت رسالة من حكمت ، وانت تعلم بأنه عملي من بعض النواحي بمقدار ما هو غنائي من بعضها الآخر . واستنادا الى أن الجرم الذي أتهم به قد جرى على شكل نشر مطبوعات ، فانه يقدر ، بحق ، ان قانون العفو عن جرائم الصحافة يجب ان يشمله ، لذا فقد أرسل طلبا بهذا المعنى الى المجلس الوطني ، ويطلب الي ما اذا كنت أستطيع أن أقدم له مساعدة ما لملاحقة هذا الطلب . لقد مضى مايقرب من السنة على طلبي الذي ينام في المجلس ، كما تعرف جيدا ، وهو طلب اعادة المحاكمة . قد تستطيع أمي أن تهتم بطلب حكمت كما بطلبي . في كل الاحوال ، أنا لا أنتظر نتيجة ايجابية ، لكن من يدري . هناك أقوال فعلا عن عفو عام سيشملنا جميعا .

بيرايه ، سوزان ، ومحمد بخير . انهم يعانقونك في كل واحدة من رسائلهم . أنا مريض قليلا ، ويبدو أن الامر لا يتعلق بالكبد ولا بالمرارة ،

انهم يتكلمون الآن على الذبحة الصدرية ، خطأ أو صوابا . لنأمل بأن كل شيء سيسوى في النهاية ، المهم أن نعيش بكل ما يمكن من الايمان والحب والأمل ، وما تبقى ليس الا كلمات جوفاء . اعانقكما بشوق أنتما الاثنين .

— ١٩٩ —

عزيزي كمال ،

النسيج الصوفي الذي ارسل لك عينة منه له عرض مضاعف ١٣٨ سم هذه النسج تباع في استنبول بسعر ١١ ليرة للمتر بالمفرق ، وهي أصناف ورشتنا ويمنعني من بيعها في استنبول نقصان المال والظروف . انها تكلفنا ٨ ليرات ، لكيك اذا وجدت زبونا بـ ٨٫٥ فانني ابيعه بربح ٥٠ قرشا بالمتر ، واذا وجدت زونا يدفع اكثر كان ذلك افضل ، حاول أن تعرض هذه العينة في السوق عندكم ، اننا نصنع النسيج نفسه من عدة ألوان ، اعانقكما بشوق انتما الاثنين .

— ٢٠٠ —

عزيزي كمال ، أيها الأخ ،

بيرايه وسوزان ومحمد أتوا لزيارتي وبقوا ثلاثة أيام في بروصه ثم عادوا . هذه الايام الثلاثة كانت لي ثلاثة ايام في الجنة . أصبح محمد صبيا كبيرا وقويا وانا لا استطيع أن أتصور ان احدى رئتيه لا تعمل ، وهذه الفكرة تعذبني . انه ذكي وعاقل ويتكلم جيدا ، باختصار انه ابن من النوع الذي كنت أشتهيه . وأصبحت ابنتنا جميلة جدا وهي جذابة ولطيفة .

تسلمت الخمسين ليرة التي ارسلتها الي وشكرا . بالمناسبة قرأت المقالات موضوع البحث في المجلة . انه اذا مدحت جمال الذي ينشرها ، لم أكن اعلم عنها شيئا ، وكاتب المقال شخص يدعى رضا تشاودرلي كان قد سجن بتهمة الاحتيال أو شيء من هذا القبيل ، ويقال أيضا إنه

سجن بتهمة التجسس لحساب الالمان ، وأنا لا اعرفه ، لكنه حتما ذو خيال تحت المتوسط . كدت اغضب ، لكنني لم اتمكن من ذلك . تنشر اليوم في كافة ارجاء العالم أكاذيب وتهم باطلة من هذا النوع ، وبوسائل ضخمة لدرجة ان ما يمكن ان يختلقه انسان حقير ضد شاعر تركي يحب بلده ، يبدو تافها ، فضلا عن اننا لا نهتم بذلك . فلنستمر نحن في محبة بلدنا وشعبنا والناس الشرفاء في العالم أجمع .

هل عادنوري طاهر الى التجارة ؟ أنا اقرأ وأكتب بقدر ما استطيع اعانقكما بشوق نوري وانت .

- ٢٠١ -

عزيزي كمال ،

مضى زمن طويل ولم تصلني اخبارك . انا قلق على صحتكما انتما الاثنين ، وليس لدي ما يكفي من المال لارسال برقية لكما ، لكنني قريبا سأفرج من العوز فقد بعنا بعض القطنيات ولم نقبض ثمنها بعد . اعطني سريعا أخبار صحتك .

- ٢٠٢ -

عزيزي كمال ايها الأخ .

قمت بالمساعي اللازمة لمقالات المجلة . لكن صاحب هذه الخرقة التي تحمل اسم « الوطن » يدعى جمال كوتاي ، هل انت واثق ان الامر يتعلق بمدحت جمال ؟ في النهاية ، سنرى ما يكون ...

أجد من وقت لآخر مجلات أدبية فرنسية وأحاول قدر المستطاع أن أتابع الادب الفرنسي . ما يدعون أنه جديد في مجال الشعر ، نحن الشعراء الاتراك عملناه منذ زمن طويل ، ان من حيث الشكل أو من حيث المضمون . وما يحاول أن يعمله أراغون للقافية امور طبقها

بنجاح ادبنا الكلاسيكي . في ما يتعلق بالرواية ، انهم يقضون وقتهم في مناقشة قضايا كلاسيكية يصفونها بانها غير قابلة للحل ، ويقدمون اجوبة غير مقنعة أو يصمتون . اليك كيف يطرحون المسألة : كيف يستطيع الانسان الوحيد في مواجهة الموت أن يصل الى السعادة ؟ البعض يحتج على طريقة طرح المسألة ، ضد مفهوم الانسان المجرد ، ويصرح بأن الفرد لا يستطيع أن يجد السعادة بمعزل عن الافراد الاخرين . أي أن بعض الكتاب يشرحون لنا بحق الطريقة التي يجب أن تطرح بها المسألة وتحل في وجهها الاجتماعي ، لكنهم في رأيي لا يتوصلون ، هم ايضا ، الى حل مسألة الانسان الملموس لا المجرد امام الموت . (اذا كانت مسألة من هذا النوع موجودة ، هل نتصور مسألة الانسان امام عملية التنفس ؟) لقد حل الشرق هذه المسألة التي نظر اليها من عدة وجوه فقال : « ان الموت هو ارادة الله ، لكن أقسى ما فيه هو ترك الذين نحبهم ... » وايضا : «هذا الكون زائل وفارغ، لكن نهايته قاسية» وأيضا : «أنت لا تخاف الله، ولكنك ستموت مثلي أنت أيضا» وقال أيضا :« ... ليس الكون الا كذبا، الحياة الحقيقية تبدأ في العالم الآخر ،بعد الموت .(وبما أن المسيحية ولدت في الشرق فان هذا الايمان لديها شرقي تماما) ، باختصار اعتبر الشرق أن الموت اما ان يكون ارادة الله كنهاية طبيعية فلا يصر كثيرا على المسألة واما ان يؤمن بحياة خالدة في عالم آخر فيعتبر ان الحياة هي الاساس وليس الموت . لكن مفهوم الموت الأكثر صحة هو مفهوم الجماهير الشعبية، الشرقية والغربية. باختصار، عندي رغبة في كتابة رواية عن هذا الموضوع: مثقف بلا عمل يفكر في مسألة الموت، رجل أعمال يفكر في مسألة الحياة، رجل من الشعب يعتبر أن الموت والحياة أحداث طبيعية كالخبز الذي يأكله ويوم العمل الذي يتمه . ومن الممكن أن تطرح المسالة بطريقة اخرى : يونس امري مولانا من جهة ، قرەدجا اوغلان(۱۱۹) سنان(۱۲۰)، وأنت كمال

---

(۱۱۹) شاعر غنائي كبير من القرن السابع عشر .

(۱۲۰) سنان أكبر مهندس معماري عند العثمانيين ، بنى جامع السليمانية والسليمية في ادرينوبولس .

طاهر من جهة أخرى ، وأخيرا فلاح أو زوجته لا أدري من أية قرية من ضواحي بروصه او تشوروم . انت كمال طاهر وقردجا اوغلان أقرب بكثير الى هذا الفلاح من يونس امري . لكن متى وصل الامر الى مسألة الموت فان هذا الفلاح لا يعود يشكل جزءا من زمرتكم لانه لا يفكر مثلكم في هذا الموضوع .

في هذه الأيام أفكر إذاً في هذا المشروع من جهة ، ومن جهـة أخرى اتدبر ما أسميه « سوبر ــ روايتي » ، وأكتب أخيرا قصائد صغيرة . تحيات من بيرابيه ، من ابني ومن ابنتي ، اليك والى أخيك . أمـا انا فاعانقكما انتما الاثنين .

- ٢٠٣ -

عزيزي كمال ،

أن تكـون مضطرا لكتابـة روايات مغامرات ــ اي روايات تعتمـد على الحركة حتى لو كانت هذه الحركة عنيفة ــ فان ذلك حزين من جهة ما ، ولكنه من جهة اخرى عمل مفيد ، لانه يشكل تمرينا ، نوعا ما ، على عنصر جوهري للرواية ، يهمله الروائيون كثيـرا هذه الايام . وهـذه الحركة يمكن ان يكون لها نتائج كبيرة على مخيلتك . انت تعلم اية أهمية كان يعلق غوركي مثلا ، وبحق ، على مسألة الخيال هذه في الرواية والقصة وحتى في الشعر . فالكاتب الواقعي ، لكي يصل الى واقعية جدلية ، يجب أن يحسن استعمال هذا العنصر باتقان وبصورة جدلية . باختصار ، انا آسف انك مضطر لكتابة روايات حب ومغامرات مـن هذا النوع ، لكني وجدت بها عذرا للعزاء .

توصلت خلال الاعوام الاخيرة الى ملاحظة ــ دائما بيضة كريستوف كولومب ، او ربما اعادة اكتشاف امريكا ــ ان رجال مخيمنا يجب أن يتمكنوا من قراءتنا ، نحن الكتاب ، بمناسبة كل تظاهرة في حياتهم ،

وان يجدوا الجواب ــ من وجهة النظر الفنية ــ على كل من الاسئلة التي يطرحونها على انفسهم ، فعندما يحبون مثلا ويشعرون بالحاجة الى قراءة أشعار غزلية ، عندما يقاتلون ويريدون قراءة اشعار حماسية ، عندما ينهزمون ويحسون بالحاجة الى قراءة اشعار الامل ، عندما ينتصرون ويريدون قراءة اشعار مليئة بالنشوة ، عندما تبدأ شيخوختهم ويفتشون عن حل لمعضلات السن ، عندما يمرضــون ، ويصغون الــى الطبيعــة ويرغبون في حل مشكلاتهم الاجتماعية ، باختصار ، في كل لحظة مــن حياتهم ، يجب أن يتمكنوا من قراءة ما نقوله لهم في كل من هذه المواضيع. لا ادري ما اذا كنت قد اجدت التعبير ، فنحن الكتاب الواقعيــين ، الماديين ، الجدليين ، يجب ان نعالج كل مظاهر الروح الانسانية . اليك قصيدة صغيرة كتبتها عن الشيخوخة ، شيء صغير جدا ، ارسلها اليك :

عيون حبيبتي من الفيروز .. فيروزية
هالاتها خضر ، عسجدية
أطيافها خضر على رقيق الذهب .
ما قولكم أيها الاخــوة ،
انا اشيخ هنا ، وهي هنــاك
وتسع سنين يدها لم تلامس يدي .
يا حبيبتي ، لقد انحنى عنقك الأبيض الممتلىء ،
لكن يستحيل علينا ان نشيخ .
تلزمنا كلمة أخرى لهذا الجسم الذي يذبل ،
لأن الشيخوخة ،
هي ان نحب انفسنا فقط

لي ابن عم ، اوكتاي رفعت ، الشاعر ، ويجب أن تكون قد قرأت قصائده ، أتى لرؤيتي بمناسبة الاعياد ، وهكذا تمكنت من الكلام مع أحد

الممثلين الاكثر موهبة للجيل الـذي يسمى « الشعراء الجدد » . ففي قصائده الاخيرة خصوصا يجتهد أوكتاي لاستعمال عناصر الشعر الشعبي ـ الشعر الفلاحي ـ الى أقصى حد ، والاغاني الشعبية للمدن. لقد أدرك جيدا الاهمية الاجتماعية للشعر ، لكنه من جهة أخرى لم يحل بعد المعضلة التالية : هل يجب الانتقال من الشكل الى المحتوى أم من المحتوى الى الشكل ؟ انه مقتنع بأنه حقق جملة من الاكتشافات ، وهي أشياء مكتشفة منذ زمن بعيد ، لكنه كان سعيدا بها الى درجة لم أشأ معها الالحاح . بصورة عامة ، كان تأثيره علي جيدا ... وقدتملكني شعور ساخر وأنا أسمع هذا الشاعر ابن الثلاثين يتكلم ، بعد كل هذه السنين ، على مسائل فنية كانت تملأ رأسي في سن العشرين أو الخامسة والعشرين ، وكانت تبدو أنها لم تحل أبدا ، وكنت أحلها فتغمرني الرهبة، وقلت لنفسي أيضا أن كل جيل ينقل الى ما بعده أشياء قليلة جدا ، فآلمتني هذه الفكرة . لو تمكنا أن نحلل الاجيال التي سبقتنا بصورة أكثر منهجية لوفرنا على أنفسنا آلاما كثيرة . لقد فهمت لابن عمي وفهمت قصائدة الاكثر حداثة ، وبصورة عامة ، أعجبني كل ما كتبه منذ عشر سنين ، وأحببته ، لكنني أعتقد أنه لم يحبني ولم أعجبه . لكن مايعزيني هو أنه سيتذوق بعد عشر سنين ما لا يعجبه عندي اليوم ، لكن ماسيزعجه هو ما سيكتبه الآخرون حينئذ . وقل لنفسك جيدا أننا أكثر شبابا منهم .

أعانق نوري وأعانقك ، أيها الاخ ، ومودة من بيرايه .

- ٢٠٤ -

١٩٤٧/٩/٢٦

كمال ، يا أخي ،

أخيرا تسلمت رسالتك ، وكنت قلقا جدا ، وأرسلت لك برقية .

كل ما تقوله لي عن الشعر صحيح جدا . واذا كنت قد أحببت كثيرا هذه القصيدة الصغيرة ، فلأنها تتحدث عن التاريخ الحزين لشخصين تحبهما .

هل تعلم بأن العارفين يقدرون كثيرا رواياتك عن « الحب والمغامرات» حيث تمزج الجد بالاستعراضيات ، حتى أن ثمة من يعتبر انه بفضل هذه الروايات ، دخلت أدبنا تقنية الرواية الحقيقية . من التعاسة أنني لم أستطع أن أقرأ أياً منها بصورة كاملة ، واعترف لك بأنني آسف لذلك، وكما قلت في رسالتي الاخيرة ، لقد أرهقني هذا العمل وأزعجني ، لكنه كان مفيدا على كل حال .

أتشوق كثيرا لرؤيتك ، يا كمال طاهر ، وأفكر بك اغلب الاحيان، بحزن شديد .

ليس عندي أنباء من سينوب منذ بعض الوقت . ماذا يفعلون ، وكيف يتدبرون أمور معيشتهم . تصلني رسالة بين وقت وآخر ، فأجيبهم ، ويخيم الصمت من جديد . يجري الحديث عن العفو . اذا جرى التصويت على القانون ، وكان المحكومون بأكثر من عشر سنوات يستفيدون ، كالمرة السابقة ، من تخفيض عقوبتهم خمس سنوات ، فسيفرج عنكم ، أنت والآخرون ، وسيكون ذلك رائعا . لو كنت حرا وأتيت لزيارتي مرة في الشهر لأصبح السجن أقل قساوة بالنسبة الي . من جهة أخرى ، حول الطلب الذي أرسلته الى المجلس ، الى الهيئة المختصة ، باعتبار أنه يستند الى الخطأ القضائي ، فاذا حصلت على نتيجة ايجابية ، فسيفرج عنكم آليا ، استنادا الى حالتي كسابقة . ماذا تريد ؟ ان الانسان لا يستطيع ألا يحلم ، لكن معلمنا قال بأن الحلم يصبح قوة محركة عندما يكون مطابقا للواقع ، خلال الاحداث ، والا ذهب الحالم نفسه ضحية أحلامه .

أعانقك أنت ونوري طاهر . بيرايه ترسل لكما مودتها .

ملاحظة : تسلمت رسالة من سينوب في اللحظة نفسها وأنا أضع هذه الرسالة في المغلف .

- ٢٠٥ -

١٩٤٧/١١/١٧

كمال يا أخي ،

تسلمت رسالتيك ، الواحدة تلو الاخرى . سأجد التعديلات الطارئة على قانون المطبوعات وأرسلها لك .

أنت تريد التفاصيل عن مرضي ، وأنا اذا كنت لا أعطيكها ، فليس لأني أجد الحديث عنها كئيبا ، أكثر كآبة من المرض نفسه ، بل لأن هذا لا يفيد في شيء ، الا في اقلاقك .

ليس ثمة تطور ، فقد تضخم كبدي . اريد أن أقول بأن حجمه صغر في البداية ثم انتفخ من جديد رغم أنني التزم نظاما شديدا في الطعام ، وأتناول أدويتي بانتظام . أصاب أيضا بالالم وهذا كل شيء . اذا كنت تريد تفاصيل أخرى فهذا هو مرض السكارى ، والذين يكثرون من الطعام المقلي ، ويحبون التوابل ، وأنا لم أشرب في حياتي ولم أحب أطباق التوابل ولا الطعام المقلي ، ومع هذا فأنا مصاب بهذا المرض ، بلغني أن جدتي ماتت بتشمع الكبد ، وهو شكل من اشكال هذا المرض ، ويمكن أن تلعب الوراثة هنا . انني أفعل كل ما في وسعي لأتجنب التشمع ، فلا آكل تقريبا الا الحليب واللبن وعجينة البطاطا والجزر . وكما ترى ، انها القصة نفسها دائما ، اذا دعوت مريضا للتحدث عن مرضه ، يستحيل عليك أن تسكته بعد ذلك .

أتت بيرايه لقضاء يومين هنا ، وهي ترسل مودتها لك ولنوري . قالت انها تفضل نوري عليك فتملكني غضب شديد لأنني ، أنا ، أحبك

أكثر . لا أريد ان اقول بأنني لا احب نوري ، حتى ان بعض الاحتـرام يمتزج بحبي له ، لكنني أفضلك مع ذلك . في كل الاحوال ، نعانقكماانتما الاثنين بالشوق نفسه ، أنا وبيرايه .

تقول ان الوزارة سترسل حمدي الوداش الى بروصة ، وسـأكون مسرورا جـدا اذا كان ذلك صحيحا ، فقد سئمت الوحـدة حقيقة . وهكذا ، يا عزيزي كمال ، اعانقك مرة ، والف مرة أيضا .

- ٢٠٦ -

كمال ، يا أخي ،

لقد أصابك بعض السمنة ، اذا حكمنا على الصورة ، لكن هذهالبدانة لائقة لك وتبدو أنك في قمة النشاط ونوري كذلك . باختصار وجدتكما جميلين جدا وأنا فخور بكما .

أرسلت لك /١٠٠/ ليرة في الاسبوع الماضي ، وعليك اخطاري عنـد تسلمك اياها . في هـذه الايام أقضي وقتي في قـراءة كتب عن فتـرة « التنظيمات » ، ونقوّم هذه المرحلة بقيمتها الحقيقية .

أنت تقول لي أنك تكتب « لرجال اليوم وليس لرجال الغد » . من المستحيل أن تعمل العكس والذين يدعون ذلك يكذبون . ان ما تكتبـه اليوم جميل وحقيقي من وجهة نظر المضمون والشكل ، وهذا يعني أن هذه الكتب قد كتبت أيضا لرجال الغد . لقـد كتب « دون كيشوت » لرجال عصره ، لكنه عمل جميل وأصيل في كثير من جوانبه ، بحيث أنه كتاب رجال اليوم والغد . والامر كذلك في « الحرب والسلام » . يجب أن يعطي « الواقع » في كل جوانبه وفي شكله الاصلي والاكثر ملاءمـة ؛ وسأكون كاذبا لو ادعيت بأنني لا أشعر بأي حزن لأنني فهمت متأخـرا بأن القضية الجوهرية تكمن هنا .

تسلمت رسالة من رفاق سينوب ، وهم يشكون من عدم وصـول أخباركـم .

بيرايه ترسل لك كل مودتها ، وأنا ، أقبلكما بشـوق ، وأرسل لكما صـورة .

- ٢٠٧ -

كمال طاهر ، أيها الاخ ،

لا رسائل منك منذ عشرة أيام . وأنا قلق . كنت أرسلت لك رسالة حيث تكلمت على « دون كيشوت » ولابد أنك تسلمتها . هذه الاسطر تقوم مقام برقية ، اكتب لي فورا . أعانقكما بشوق .

- ٢٠٨ -

كمال طاهر ، يا أخي ،

قدم الشتاء فجأة الى هنـا ، فكيف الطقس عندكم ؟ كنت أرسلت لكم صورة مع الرسالة الاخيرة وانت لا تتحدث عنها . والدعوى التي اقمتها على مجلة « الأمة » ، أمام أية محكمة ؟ أقصد في أية مدينة ؟ لـم أتلق بعد جوابا على طلبي فهل عندك أنباء من حكمت ، ماذا أفعل ؟ قضيت هذا العام لا أعمل شيئا بنسبة ٩٩ بالمائة ، وبنيت كومة من النظريات الخاسرة ، ولم أفعل شيئا ملموسا . يجب ان أعمل مضاعفا في السـنة القادمة ، انني أرسل لك بانتظام مجلات هزلية ، ومجلات أدبية فرنسية، هل تصلك ؟

أرسل لك قصيدة غريبة كتبتها ذاك اليوم ـــ :

١ ـ حـــول الحيــاة

الحياةُ ليست مزحةً ،
فعليك ان تعيشها بجد ،
كالسنجاب مثلا ،
دون انتظار شيء خارج الحياة او بعدها ،
فيكون كل شغلك ان تعيش .
خذِ الحياةَ بجــدٍ ،
لكن الى درجــة
ان يكون ظهرك الى الجدار مثلاً ، وذراعاك مقيدتان ،
أو مرتديا سترتك البيضاء في مخبر ،
ونظارتان شاسعتان ،
وتستطيع ان تموتَ لاجلِ الناس ،
لأجل أناسٍ لم تــرَ وجههم قط ،
بينما لا أحد يغصبك على ذلك ،
ورغم انك تعلمُ بأن الحيـــاة
اجمل مافي الوجود ، والاكثر حقيقة .
ستاخذُ الحيـــاةَ بجدٍ ،
لكن الى درجــة
انك في السبعينَ مثلاً ، ستغرسُ اشجارَ الزيتون ،
ليس لأبنائك ابدا ، كلا ،
بل لانك لن تؤمنَ بالموتِ ،

رغم خوفِك من الموتِ ،

والآن الحياةَ سترجّحُ كفةَ الميزان ...

وهكذا أيها الاخ ، أعانقكما . بيرايه ترسل لكما مودتها .

- ٢٠٩ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك ، وأفكر بها ، وتسأل ما اذا كنت قد تسلمت صورتكما ، نعم ، انكما رائعان الواحد كالآخر . وقد تصورت أنا أيضا على الفور ووضعت الصورة في المغلف .

اذا كنت أقول لك بأنني لست سعيدا أن قصيدتي حول الحياة قد راقتك فان ذلك يكون مزحة كبيرة لأن مديحك يدفعني أن أعمل بشكل أفضل ، وأن أكتب أشياء أحسن . أتدري : الرسام بدري رحمي وهو شاعر أيضا ، انني أحب كثيرا ما يعمل خصوصا الرسوم التي يستعمل فيها الصور الشعبية ، وهذا تعريف سيء لكنك ترى ما أريد أن أقول . ذلك اليوم قضيت ساعة كاملة وأنا غارق في تأمل غلاف أحد كتبه ـ وأنا لا أبالغ ـ كما نصغي الى أغنية أو نقرأ كتابا وحتى أكثر من ذلك . وقد أرسلت الكتاب بعد ذلك الى ابني ، ومر شهران ، واستيقظت فيّ من جديد رغبة أن أرى هذا الرسم ثانية ، وكتبت قصيدة طريفة لها صلة بعيدة بصور الكتاب لكنها تذكرني به . وها أنا أبعث بها اليك :

حول رسوم ديوان من الشعر

هي الصحراءُ ، والآثارُ على الرمال ،

هو القطبُ ، والجليدُ الأبيضُ الصامتُ ،

هو البحرُ ، والملحُ .

وتاتي السهولُ الواسعة ،

سريعةٌ كالأرنب البري الرشيق ،
وتركض بسرعةِ السماء …
وفي الليلِ ، من الحصنِ ،
تنبثق دياربكر ،
وشطآنُ دجلةَ ليلاً ،
وبطيخها الذي ينفجر .
هوذا الدلبُ وعصافيره التي تزقزق
هوذا السمكُ مع البحرِ ،
وحراشفه الفضية ،
هي ذي السفينةُ ونجمُها ،
وصفارتُها على المقدمةِ كالقيثارة …
هي ذي الوردةُ وخيلاءُ الغزال ،
هي ذي الافعى وعينُها الحمراء القانية
هوذا الانسانُ وغبارُ قدميه ،
هوذا الانسان وكلمتان للحب …
ويقول ناظم : هوذا بدري بن أيوب ،
بعنقِه الطويل المائل ،
والوانِه الحمر والخضر ،
وتقاطيعه الذهبية
وخطِه الغريب …

هذا كل شيء . أعانقك . بيرائيه ترسل لكما مودتها .

كمال ، أيها الأخ ،

سأبدأ أقص عليك خلفيات حكاية (الأمة) هذه ، حيث يخيل إلي أنك تعلق عليها أهمية كبيرة . الأسباب ، نحن نعرفهـا ، وها هي الحجـة :

ان طبيب السجن هنا الذي طلب مفتش وزارة الصحة تحقيقا اداريا بشأنه أصيب بالهلع لفكرة أنه قد يفقد مركزه ، وطلب مشورة أحد المحامين وهو أحد أقربائه على ما أعتقد . من جهة أخرى ، هناك شخص آخر كان لفترة من الزمن مديرا مساعدا يرغب في أن يعين مديرا . وقد كنت أحد الذين أدلوا بشهادة خلال التحقيق الجاري حول الطبيب . إذاً فالأمر سهل : لكي نغسل الطبيب من كل الشكوك ويستطيع المساعد أن يصبح مديرا فانه يكفي أن نهاجم ناظم حكمت . وهذا ما يفعلونه . الطبيب والمساعد والمحامي يلجؤون الى التكتيك المستعمل من قبل بهجت كمال ضد المارشال فوزي شاقماق ، ومن قبل كينان يونز ضد حسن علي يودجل(١٢٢) . لعبة خسيسة وحزينة وغادرة .

والخزانة التي وجدوا بها مخبأ « لاخفاء السلاح » هي خزانـة ملابسي ، وقد اشتريتها منذ سنتين أمام شهود من سجين أطلق سراحه، وقد كان يملك آلة نسيج للجوارب ويستعمل هذه الخزانة لوضع عدته فيها . وقد كان تحت الخزانة رف ضيق جدا لم ألاحظه حتى . والله يعلم ماذا كان يخبىء به هذا الشخص ، سكينا أو القطع الثمينة لآلته ؟ لكن المساعد بدل أن ينقل افادتي الى النائب العام ، حيث كنت أشرح الأمر ، أرسلها الى الجريدة . هذه هي الوثائق والأدلة موضوع البحث، وكل ما تبقى أكاذيب حمقاء وفظة . وقد جاء مفتشان من وزارة العدل وهما يحققان أيضا في هذه المواد . وكما رأيت في صحيفة « أولوس » فقد أقامت النيابة دعوى نشر أنباء كاذبة .

(١٢٢) محاكمة أحدثت ضجة كبيرة في ذلك الحين .

أرسل لك قصيدة لأنسيك هذه المتاعب . وأتساءل كيف ستراها ، انها الثانية من سلسلة ، وقد أرسلت لك الأولى منذ بعض الوقت .

٢ ـ حول الحياة

لنفرض : أنت مريضٌ ، وعمليةٌ خطيرة ،
وانت معرّضٌ
ألا تقومَ أبداً عن الطاولة البيضاء .
ستشعرُ حتماً بالحزن ، لذهابك باكرا ،
لكنك ستضحك أيضا لكلمة طيبة ،
وتنظرُ من النافذة ـ هل يهطلُ المطر ؟ ـ
وستنتظر بلهفةٍ كلِ يومٍ
آخرَ نشرةٍ للأخبار .
لنفرضْ : انتَ على الجبهةِ
وانت تقاتلُ من أجلِ شيءٍ يستحق .
وفي اولِ هجومٍ ، ومن اليوم الأولِ ،
يمكن أن تسقطَ ميتاً .
وستعلمُ ذلك بشيءٍ من الغضبِ الغريب ،
ولكنك سترغبُ مع ذلك ، دائماً
ان تعرف نتيجةَ المعركة ، التي ستستمرُ بعدك .
لنفرضْ : انتَ في السجنِ ،
وانت تقتربُ من الخمسين ،
وبعد ثمانية عشر عاماً ، ستفتحُ أبوابُ الحديد .

ومع ذلك فستعيش مع الحياة ،

مع رجالها ، ووحوشها ، نضالاتها ، ورياحها ،

مع الحياة خارج الجدران .

في اي مكان ، وفي اية شروط ،

ستعيشــ ،

كما لو انك لن تموت ابدا .

ارسل الي تشكيلة من مصنوعاتكم فسأحاول أن ابيعها هنا . لكن لا تنس خصوصا أن تضيف لائحة المصنوعات واسعارها . أعانقكما نوري وأنت . يبدو أن حظ العفو يزداد . بيرايه ترسل لكما تحياتها .

- ٢١١ -

عزيزي كمال ،

وصلتني رسالتك وعلبة الخياطة . واجيبك فورا ولكن باختصار لأطمئنكم . ان علب الخياطة ستباع بشكل جيد لكن المصنوعات الاخرى كالعربات والسيارات فلن تباع بالأسعار المحددة ، رغم أنني أتصور بأنها تكلفكم جهدا ووقتا أكبر . في كل الاحوال سأزين السيارات وأدهن الدواليب الخ . ، قبل أن أعرضها . ان علب الابر جميلة جدا وسنتمكن بسهولة من بيع العلب والمراكب الشراعية . ثم انتبهوا الى الدهان ، فأنتم تعرفون ان شكل المعروض مهم جدا للزبون .

حسنا ، سأتوقف كي لا يفوتني البريــد ، أعانقكما بشوق أنت ونوري . في رسالتي القادمــة سأعطيك تفاصيل اكثــر عن المبيعات . أرسلوا الي مراكب شراعية وعلب فلدي زبائن منذ الآن .

- ٢١٢ -

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك ونموذج المنشار . لم اتمكن من ايجاد النموذج

نفسه هنا ، وأعتقد أن الذي وجدته يمكن أن يقدم لكم خدمة ، وها انا أرسله لكم . يمكن أن نحصل على غيره اذا كان هذا يرضيكم . ارسلوا الي بأسرع ما يمكن كل ما لديكم من بضائع فاني آمل أن أبيع الكل هنا لكني أكرر لا تنس أن تذكر في الطرد العدد والنوع والسعر للمصنوعات. سأرسل لكم قريبا نسيجا للالبسة .

تحدثت عن احتشاء القلب لدي والدتي وبيرايه دون أن أبالغ فوصلن ملتاعات ، والدتي وزوجتي وشقيقتي ، كم سببت لهؤلاءالنسوة المسكينات من هموم . لقد قلق الدكتور حكمت أيضا على صحتي ، ووصلتني منه رسالة يعطيني فيها كومة من النصائح .

أرسل لك القصيدة الثالثة والاخيرة من سلسلة « حول الحياة » . في هذه القصائد الثلاث ، بمعزل عن المضمون ، اجتهدت ، من وجهة النظر الفنية ، أن أكتشف نغما مشتركا للاقسام الثلاثة ، وحاولت أن استعمل الكلمات نفسها ، وأردت ان اصل الى نوع تمكن قراءته دون القاء طنان أو استظهار ، كأبسط ما يكون من النثر . في ما يتعلق بالمضمون حاولت أن أشرح الفكرة نفسها في مظاهر ثلاثة . وأنت لا تهمل قصتك ، يجب ألا تترك نفسك تعلق في هذه الحفرة الآسنة ، ويجب على الخصوص الا يزعجك هذا المستنقع الموحل الى درجة تمنعك من العمل .

٣ ـ حول الحيـاة

سيبرد الكـون ،
نجمـة" بين النجوم ،
أحد" أصغرها حتى ،
ذرة" من الفضة على مخمل ازرق :
كوننا الشـاسع .
سيبرد يوماً ، هـذا الكون ،
لا كتلة" من الجليد ،

ولا سحابةٌ ميتة ،

سيتدحرجُ في ظلمات اللانهاية ،

كقشرةِ جوزٍ فارغة .

منذ الآن ، يجب أن نشعر بالحزن والمرارة ،

فمحبةُ الكون الى هذه الدرجة

لتستطيعَ القول : ((لقد عشت)) .

اعانقكما بشوق .

- ٢١٣ -

١٩٤٨/٤/١٤

كمال ، يا أخي ،

لقد تسلمت لا شك ما أرسلته اليك من جوارب وقمصان الخ . ، اذا كان الأمر بالايجاب فعرفني بذلك . انني انتظر نوري وأعتقد أن باستطاعتي بيع كل شيء هنا .

أنت قد أتممت إذاً « المغامرة الكبرى » . أنا مسرور جدا بذلك واتهيأ لأقرأ ما كتبت . آمل أنك لا تنسى ورق الكربون عندما تنقل النص ، فسيكون لديك هكذا نسختان أو ثلاث .

أنا أقرأ الآن بالتركية « عناقيد الغضب » وهو كتاب لاقى نجاحا كبيراً في أوروبا ، العام الماضي ، وقبله في أميركا ، حتى انهم صنعوا منه فيلما . لقد انهيته تقريبا وأقول لك أن الموضوع يتعلق قبل كل شيء بقصة تثقيفية ، ليس لي أو لك ، لكن على التوكيد هناك كثيرون يجب أن يستنتجوا منها دروسا . وبعد هذه الملاحظة على المضمون والاشارة الى أن الكاتب يبدو وكأنه قد اكتشف الشعب الاميركي كما تكتشف قارة جديدة ، وبقي مشدوها بهذا الاكتشاف ، ألفتك الى ميزة تقنية جعلتني حزينا : ان الرواية مؤسسة على الحوار ، في ما يسمونه التجديد،

بينما أنت قد استعملت هذه التقنية في روايتك « ساجيرديريه » في الفترة نفسها تقريبا التي تعود للاميركي ودون أن تعلم حتى بوجوده . ما جعلني حزينا هو أن العنصر الجديد الذي أتى به الاميركي قد قدّر عالميا بينما عطاء كمال طاهر مجهول ، ليس في الخارج فقط ، وانما في تركيا نفسها . ستقول لي بأن هذه غيرة مضحكة . لا يتعلق الأمر بالغيرة ، انه شيء آخر تماما ... عندما أنتهي من الكتاب ــ يوجد جزءان ــ سأرسله لك، ويجب أن تعيده الي بعد قراءته اذ علي أن أرده . ثم ان المؤلف قد استعمل تقنية السناريو ، أو تقنية عامل السينما بالاحرى . ان هذه المقاطع التي يدخلها بين الفصول لكي يعمم المعضلات ويعبر عن آراء عامة، طريقة مستعملة منذ زمن بعيد . لكن الرواية أعجبتني بشكل عام رغم نواقصها ، فقط وجدتها مفيدة على وجه الخصوص .

أنا سعيد بأن س ... سيحصل أخيراً على جهاز راديو . إذا استعدت حريتي يوما فسيكون أول شيء اشتريه . إن كسل راتب يؤلمني كثيراً فعليك أن تشد أذنيه . اعانقكما نوري وانت . كل العائلة تهديكما أكواما من التحيات .

- ٢١٤ -

١٩٤٨/٥/٤

عزيزي كمال ،

وصلتني رسالتك بشيء من التأخير واجيبك عليها فوراً . إن لحمة النسيج الأبيض الذي ارسلته اليك من الحرير حقا ويجب الانتباه عند غسله ، لا تفركه كثيراً لكيّ لا تشوهه .

ارسل إلي باسرع وقت القطع الفرنسية . يجب على نوري أيضا أن يرسل الي التحف الصغيرة وخصوصا المراكب الشراعية فالزبون ينتظر . إما العفو فأنت تعرف المثل الاسلامي : « اعمل لدنياك كأنك

تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » . ليس من السوء أن نلتزم بهذا المبدأ في ما يتعلق بالعفو وبغيره من القضايا الكثيرة . انت تعرف أيضا ما يقوله فلاحونا : « أعمل لتحصد في الشتاء ، وهنيئا لك إذا كان الموسم جاهزا في الصيف » .

انني انتظر « المغامرة الكبرى » بثقة ونفاد صبر لا يمكنك تصورهما . غير أنني أرجوك أن تحفظ نسخة من النص اليدوي الذي سترسله إلي ، فقد يضيع الأصل ، يجب أن نفكر بكل شيء .

قل لي ، لقد ارسلت منذ بعض الوقت منشارا رقيقا لنوري ، هل وصلكما ؟ إذا كان يفي بحاجتكما فلا يزال من الممكن العثور على مثله هنا ، واستطيع أن ارسل لكما قدر ما تريدان .

سنأرسل لك رواية الكاتب الاميركي ولكن بعد بضعة أيام . إن موضوعاً « كبيراً » هو بالتوكيد عنصر مهم في الرواية ، لكن عندما نتكلم على « الموضوع » يجب أن نعرف ماذا يعني . والأمر نفسه بالنسبة للنعت « كبير » .

مع التشنجات المستمرة في صدري ، التي تسببها تقلصات لا أدري أياً من الشرايين القلبية ، لم يعد بامكاني الاكثار من التسكع في غرفتي ، والحق انني لا أتوصل الى الاعتياد على العمل جالسا ، وخصوصاً عندما اكتب أبياتا ، لكن يجب أن اعتاد على ذلك .

أقبلكما نوري وأنت . بيرايه ترسل لكما ودها في كل من رسائلها اليكما الاثنين ، وحتى الى ثلاثتكم . سأنقل اليها ودكم .

- ٢١٥ -

كمال يا أخي ،

وصلتني المراكب الشراعية تتبعها رسالتك . المراكب الشراعية تباع وسأرسل لكم قريبا ثمنها . ولنتحدث إذاً عن صحتي ، فانني

احسن قليلا الآن . قلت : قليلا الآن إذ يجب الانتظار شهرا قبل ان استطيع القول بانني شفيت تماما . عين طبيب جديـد هنا وكـان تشخيصه مختلفا وأعطاني دواء جديدا افادني كثيرا . لكن الدكتور حكمت ، من بعيد ، كان قد اجرى التشخيص نفسه بالضبط ، إننا نتراسل مرة واحدة كل عشرين يوما . ان الاهتمام الذي تبديه نحوي كالعادة ، وهلعك علي قد سراني ، ولكن في هذه اللحظة ـ لقد سئمت من ترداد « في هذه اللحظة » ـ لا يوجد شيء آخر اعمله . ولو لم يحدث تحسن في حالتي لطلبت أن افحص من قبل اللجنة الطبية .

إذا كنت قد تحسنت فان عودتي الى العمل لها في ذلك دور كبير . لقد قررت أن اكتب هذا الصيف ثلاث قطع على الاقل . وقد بدات اكتب منها واحدة ، وانهيت الفصل الأول الذي أعيد نسخه الآن . سأبدأ بالفصل الثاني غدا . اسم القطعة « فرحات وشيرين » (١٢٣) . وقد استعرت من الحكاية فصل الجبل الذي يجب خرقه ، وهذا كل شيء . أما الباقي فمختلف تماما رغم أن الشخصيات الرئيسية هي نفسها . من وجهة النظر التقنية فانني استعمل نوعا قديما جدا وباليا هو الحوار الاحادي ولكن مع بعض التعديلات . وهكذا ، في المشهد نفسه ، شخصية اثنتان ثلاث « تفكر » الواحدة بعد الاخرى ، وهذه الافكار اعرضها بالحوار الاحادي . ثم « تفكر » شخصيتان بالطريقة نفسها ، الواحدة في مواجهة الاخرى . باختصار انني احاول ان اطبق على القطعة الحوار الداخلي في الرواية . وهذا يسير بشكل جيـد . والتقنية لها مستقبل في رأيي . ما هو ضروري هو ان يستطيع الممثل ان يلقي هذه « الافكار » وان يقول هذا الحوار الداخلي في صوت رتيب من الرأس دون تموجات . ولقد عملت شيئا آخر كذلك فدفعت بعناصر الحكاية الى المستوى الخلفي ، واستعملت كل امكانات الحكاية كرموز ،

---

(١٢٣) عنوان لحكاية شعبية قديمة .

وبالعكس ، فكل الباقي واقعي . في ما يتعلق باللغة ، استعملت اشكال الجمل القديمة بعد اخضاعها لاسلوب ولكن بشكل خفيف جدا . ومن ثم ، لا يوجد فيها تقريبا أي اطناب . باختصار ، انه عمل مسل بالنسبة الي لانه يتعلق بنوع لم اجربه منذ زمن طويل .

سررت جداً عندما بلغني أن نوري قد عاد الى العمل ، ودهشت كثيراً وسعدت ، ولكن بشيء من الحزن ، أن راتب سيتزوج ويؤسس عائلة . هذا كل شيء لهذا اليوم أيها الأخ . اعانقكما بأمل وشوق نوري وانت . وصلتني رسالة من سينوب .

- ٢١٦ -

١٩٤٨/٦/١

عزيزي كمـال ،

وصلتني رسالتك وصورتك . وانا ارسل لك واحدة ايضا . انني احسن قليلا واتابع النظام الغذائي وتناول الادوية ، وقد خفت الآلام منذ يومين وانا اسير نحو التحسن دون شك . المهم هـو الا نستسلم للمرض ، كما لكل الاشياء الاخرى . اليك قصيدة صغيرة من بضعـة أبيات . انها سيئة ولا تستحق الجهد ومع هذا ارسلها لك فهي تعبر عن حالة روحية تعرفها جيدا هي حالتك انت أيضا :

انا في الضياءِ الذي يتقدم ،
ويداي مليئتانِ بالشهوات ، والعالمُ جميلٌ ،
عيناي لا تتعبانِ من النظر الى الاشجار ،
فهي خضراءُ جداً ، ومليئةٌ بالأمل .
وطريقٌ مشمسةٌ ، تخترقُ اشجارَ التوت ،

وانا في غرفةِ التمريضِ ، على النافذة ،
لا اشعرُ برائحةِ العقاقيرِ ،
فقد ازهرت البراعمُ في مكان ما .
وهكذا ، فهنا كل شيء ،
ان تكون سجيناً ، ليست هنا المسألة ،
فالقضية هي الا تستسلم ...

سأعمل غدا على وضع الرواية الاميركية في البريد « عناقيد الغضب » وكما قلت لك سابقا ، لقد بعنا تقريبا كل علب الخياطة ، لكن السيارات لن تباع حتما بهذا السعر ، في كل الاحوال ، زينتها قليلا ووضعت حواجز للنوافذ ولوحات للارقام وانوار ودواليب الخ .. وقد أستطيع ان ابيعها بالسعر الذي تطلبونه . علب الابر والمراكب الشراعية تباع جيدا .

اعانق اثنينكما . بيرايه ترسل لكم مودتها وتحياتها . والدتي عند شقيقتي في أضنه ، وقد شاخت كثيراً ، لكنها تتابع الرسم والوانها لاتزال منيرة وجذابة .

- ٢١٧ -

١٩٤٨/٦/١٤

كمال ، نوري ، يا أخوي ،

تسلمت اليوم رسالتيكما ، وأرسلت لكما الـ /٤٠/ ليرة التي قبضتها عن علب الخياطة وبقية الاشياء . بعد غد سأرسل أيضا /٤٠/ ليرةوالباقي خلال اسبوع . لقد تألمت كثيرا لهذه القصة ، قصة الافتراءات التي كنتم ضحيتها ، لكني لم افاجأ بها لانني واجهت هنا الشيء نفسه او ما الى ذلك تقريبا ، وقد كان مفتشو الوزارة الذين اتوا للتحقيق أناسا شرفاء

وفهموا فورا حقيقة الامر وتحمل المفترون نتيجة عملهم . لقد كنت محظوظا ــ ومن المضحك التحدث عن الحظ عندما يتعلق الامر بالعدالة. لقد نسيت ماذا يعني الغضب ، حتى انني أقدر بأن هذا رفاه غير مفيد ، ويبدو لي انه من المستحيل أن نغضب ، اذا كنا نفهم ، اذا كنا نعرف أن نرى . كل ما يحدث للذين احبهم ، حسب الاحوال ، يسبب لي السرور أو الألم . لكني لا أكره حتى الاشخاص الذين لا أحبهم ، وما اشعر به نحوهم هو احساس اقوى من الكراهية، فأنا أراقبهم كما أراقب الحشرات تحت ضوء أشد برودة من الثلج . لدينا أشياء اخرى نفعلها في السجن، فبامكاننا أن نعبر عن حبنا للوطن وللناس الشرفاء فيه بأن نقدم لهم أعمالا جديرة بهم ، وهذه الاعمال ستكون الصفعة الاكبر التي يمكن ان نرمي بها كل أعداء الشعب .

لن أطيل عليك اكثر من ذلك ، واسرع الى القاء رسالتي في البريد لتصلكم باسرع مايمكن ، ولا تقلقوا من صحتي (فقد وصلت رسالتاكما معا) اعانقكما بشوق وامل .

-٢١٨-

١٩٤٨/٧/١٦

عزيزي :كمال .. :

تسلمت رسالتك وأفكر بها . كنت قد ارسلت لك جزئي الرواية الاميركية « عناقيد الغضب » ، ولد ي ايصال البريد فهل تسلمتهما ؟ فاذا كان لا أخبرني لأطالب البريد . بعت مراكب شراعية وسأرسل لكم الثمن بعد يوم أو يومين .

لازلت أتلكأ منذ اسبوع في المشهد ١ من الفصل ٢ من القطعة ، الذي رأيت أن اعطيه هذا العنوان الغريب « فرحات وشيرين ، مهمنه بانو

وينبوع جبل الحديد » ، أي المشهد الذي يتحدث عن الحب بين فرحات وشيرين . يصعب علي أن أتحدث عن الحب الى شخص آخر غير بيرايه حتى في قطعة للمسرح . ومع ذلك فان التحدث عن الحب ، وهو شيء سهل نوعا ما في الشعر ، يصبح صعبا للغاية في النثر ، وخصوصا في قطعة مسرحية ، خصوصا في « فرحات وشيرين » .

عندما انتهي من القطعة سأرسل لك نسخة عنها ، ولست بعد راضيا تماما عما كتبت ، لكني لا أعتقد بأنني ناقد موضوعي خصوصا لما اكتبه . لقد اصبحت صعبا تجاه نفسي الى درجة تقارب الهلوسة .

سأتحدث الك إذاً باختصار عن التقنية الدرامية . في قطعة ناجحة ، حسب رأيي ، يجب ان يكون الحوار والحركة قويين بشكل متعادل . وفي رأيي أيضا ان اكبر المؤلفين الدراميين لازال شكسبير . فعنده تسير سوية الحركة والفعل وقوة الكلمة . عندما تكتب تمثيلية ، يجب ان تتصورها ، نتصور الحدث الذي يجري على المسرح . فلا يكفي ان تتكلم الشخصيات بجد ولمعان ، بل يجب ان تتحرك ايضا ، ان تكون في الفعل . « في البدء كان الفعل وليس الكلمة » . هذا تعريف يلائم المسرح بشكل عجيب . لكنك ستقول بأن الكلمة هي التي تسيطر في الدراما الشهيرة عند غوركي . هذا صحيح ، وفي رأيي ان هذا هو الجانب الاكثر ضعفا في القطعة ، لكن ماينسينا هذا الضعف هو غرابة الشخصيات اكثر من كل ما يقوله غوركي من روائع ، انها غرابة الشخصيات والبيئة (بالنسبة لبعض فئات المشاهدين) . وهذا هو السبب في ان قطعة غوركي هذه ليست واقعية حقيقية . وبعد ، فان الشروط الاجتماعية لتلك الفترة لعبت كثيرا في شهرة هذه القطعة . ولكي اختصر رأيي من وجهة النظر التقنية وحسبما قسمت القطعة الى فصول ولوحات ، فان مرحلة من الفعل يجب أن نتجاوزها في نهاية كل قسم ، ويجب ان تحل عقدة من عقد اللغز . اليك مثلا كيف بنيت قطعتي : ستكون مؤلفة من ثلاثة فصول وكل فصل من لوحتين ويجب أن تسبق كل فصل مقدمة . وسأشرح

لك بتفصيل في رسالتي القادمة الطريقة التي « قولبت » بها الموضوع والفعل داخل هذا القالب .

ثمة طريقة عملية لحساب الوقت الذي تستغرقه القطعة على المسرح . انك تقرأ القطعة بصوت عال وبشكل طبيعي ، وتضرب ذلك باثنين فيعطيك هذا وقت التمثيل . في المأساة كما في الروايات توجد غالبا شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية . وتوجد امكانيات كما توجد استحالات بالنسبة للمسرح . احدى هذه الامكانيات مثلا هو أن يعبر الممثل عن حالة نفسية دون ان يقول كلمة ، بتمثيله ، بحركة ، حركة من اليد مثلا ، بتعبير وجهه ، باختصار بالتمثيل الايمائي . هذا اسلوب يضيفه الممثل الى العمل الادبي . واحدى هذه الصعوبات هي الحوار الداخلي . وقد كان القدماء ، كما قلت لك في رسالتي الاخيرة ، يحاولون ان يتغلبوا على هذه الصعوبة بأن يجعلوا الممثل يتكلم متوجها الى المشاهدين . ان كل ما أقصه عليك هنا ، وأنت تذكر ذلك جيدا ، مبني على القطع التي قرأتها . يبدو لي أنني في « فرحات وشيرين » قد توصلت قليلا الى حل هذه الاستحالة أو شبه الاستحالة .

انا مسرور من أن نوري قد عاد الى العمل . ليس من حقنا أن نوجه التأنيب الى نسائنا ، وأنا اعرف ذلك جيدا ، لكني أثور من الغضب عندما تتأخر بيرايه في الكتابة الي ، واصبح حزينا . اننا نعانقك يا عزيزي كمال .

ملاحظة : لقد عاد الالم الي لكن هذا سيزول ، وأنا أتابع تناول الادوية . لقد تسلمت القطع المسرحية التي ارسلتها الي حتى انني قرأتها جميعا .

- ٢١٩ -

أخي كمال ،

ارسلت لك قيمة المراكب الشراعية /٥٠/ ليرة لابد أنك تسلمتها . في كل الاحوال اعلمني بذلك . لم تصلني رسائل من ناجي سعد الله أنا أيضا ،

منذ سبعة أو ثمانية أشهر . كنا قد أرسلنا له أحذية من هنا لكي يبيعها، لكن لا جواب كما قلت لك . لقد أنهيت « فرحات وشيرين » ، وهي ليست جيدة جدا ، أي كان يمكن أن تكون أحسن . أرى انك تقوم بعمل هائل وأنا سعيد بذلك وفخور كثيرا . ليبارك الله يديك . انك حتما احد الذين يخلقون أو سيخلقون اعمالا جديرة ببلدنا وبكل الناس الشرفاء في الكون ، وهذا ليس واجبك فحسب بل حقك اضا . « والا »(١٢٤) لم يكتب الي منذ خمسة أو ستة اشهر . زوجته كتبت الي البارحة . يبدو أن نجم الدين صادق(١٢٥) قد أكد لهما بأنه سيكون ثمة عفو ، لكنني لا أؤمن كثيرا بذلك . فالمجلس الوطني في عطلة ولن يجتمع الا بعد الاعياد فكيف ومتى سيصوت على هذا القانون ؟ طلبت اليهما بعض التفاصيل فاذا اعطياني معلومات مقنعة اخبرتك بها . لكنك تعلم بأن ليس لدي اوهام بهذا الشأن ، دون أن أتراجع عن النضال . انني مستشار فلاحينا : « اعمل لتحصد في الشتاء ، واذا كان الموسم ناضجا في الصيف فهنيئا لك » أكثر من ذلك ، أنا احتاط للصيف كما للشتاء . هل تذكر هذا التفاؤل الواقعي عندي ، كنت تعتبره غالبا تشاؤما .

انهيت منذ زمن طويل القطع التي ارسلتها الي . عندنا مدير جديد وقد اسرع في حلاقة رؤوسنا . لي الآن مظهر مصارع في الحلبة . لقد حلقوا رؤوسنا منذ ستة اشهر بناء على أوامر المفتش . والمعتقلون الفلاحون خصوصا ، وهم في غالبيتهم اناس طبيعيون ، يحلقون شعورهم عندما يكونون احرارا ، لكن هنا في السجن ، عندما يتواجدون في بيئة ــ السجن ــ اكثر مدنية من قراهم ، مع قليل من الرفاهية والوقت المتوفر ، فانهم يطيلون شعورهم ويرتدون بنطلونات المدينة وسراويل الاحصنة وحتى البيجامات . أنت تعرف أيضا هذه الخصوصية لدى

---

(١٢٤) والا نور الدين صحفي صديق الطفولة للناظم حكمت . درسا سوية في موسكو .
(١٢٥) نجم الدين صادق وزير الخارجية في ذلك الحين وصحفي .

شعبنا ، انه مستعد دائما لتبني كل ماهو جيد وجميل . وبعد فمـاذا نستطيع تجاه ذلك . .

اعانقك ونوري . بيرايه تسـأل عنكما في كـل رسائلها . من كـل الروايات الفرنسية التي تعددها لي ، ولا واحدة تثير اهتمامي . أعانقك مرة أخرى أيها الأخ .

- ٢٢٠ -

عزيزي كمال ،

كما قلت لك في رسالتي الأخيرة فقد أنهيت « فرحات وشيرين » . قبل ان أكتب هذا الموضوع ، شعرت به بقوة خيبت أملي فيما كتبته ، وقد كنت مقتنعا بأن هذا غـير ناجح ، حتـى أنني غضبت عندما كتبت الفصل الثالث . لكن عندما انتهت القطعة وقرأتها من جديد بعد عشـرة أيام لـم اجدها على هـذه الدرجة من السـوء ، ففي هذا النـوع كانت الاساليب المسرحية التي استعملتها تستحق أن تؤخذ بالاعتبار ولااخفيك انني كنت راضيا عنها . وقد بدأت بالقطعة الثانية منذ ثلاثة أيام وسأكتب منها ثلاثا هذا العام ، وهذه تسمى « صباحات » . انها دراما واقعيـة وسأحاول بها تجربة أخرى اذ يكون الموضوع فيها ثانويا والتفاصيل في المقام الأول .

أنتم مفلسون حتما . أنا مدين لكم بثمن البضاعة التي بعتها ، لكني لم أقبض شيئا بعد وسأرسله لكم فـور قبضه . انا أيضا مفلس هـذه الأيـام .

هنا وهناك أقاويل حول العفـو لكن لا شيء موكد الآن . سأرسل لك هـذا الاسبوع مجلات فرنسية أدبيـة ويجب أن تخبرني عندمـا تتسلمها . لا أنفك عن ترداد أنكم مفلسين . ولا يمكنك أن تتصور كـم

أصبح تعيسا عندما أعلم أن للذين أحبهم هموما مادية وخصوصا هذا النوع من الهموم .

كتبت قصيدة حب غريبة أرسلها اليك :

عندما يولدُ الفجرُ على قرونِ ثيراني ،
فاني احرثُ الأرضَ بفخرٍ صبور ،
والأرضَ تحت قدميَّ العاريتين دافئةٌ ورطبة ...
انا أضربُ الحديدَ حتى الظهرِ ،
ويصبح لونُ الظلِ احمرَ .
على اوراقها ، الأخضرُ الأحلى من كل اخضر ،
اقطع اشجارَ الزيتون في حرارةِ الأصيل ،
وثيابي ، ووجهي ، وعينايَ ليست الا ضياء ...
عندي ضيوفٌ كلَّ مساءٍ ، دون انقطاع ،
وبابي مفتوحٌ على مصراعيهِ
لكلِّ الأغنيات .
في الليلِ ، ادخلُ الماءَ حتى الركبتين
واسحبُ الشباكَ من البحرِ :
سمكٌ ونجومٌ ، ببعضها البعضِ ...
واصبحت مسؤولا
عن كل ما يجري في هذا العالم ،
الناسِ والأرضِ ، الظلمةِ والضوءِ .
وكما ترين ، لديَّ عملٌ كثير ،
وكما تريْنَ ، يا وردتي ،
لا اعمل شيئا ، إلاّ أُحبك ...

هذا كل شيء . حتى انني اعمل جيدا هذه الأيام . قصيدة كل يومين تقريبا . وبعد ، فقد انهيت في يومين الفصل الأول من «صباحات» أو على الأصح ثلاثة اقسام من هذا الفصل .

اعانقك ونوري بشوق . بيرانيه ترسل لكما ودها . وقد كانت مريضة قليلا هذه الأيام . انا مشتاق لرؤيتك بشكل مخيف . اعانقك مرة أخرى ايها الأخ .

- ٢٢١ -

١٩٤٨/١٠/٦

كمال يا أخي ،

تأخرت في اجابتك وهذا خطئي . انت تعذرني أليس كذلك ؟ لماذا تغضب هكذا بسرعة ؟ ان غضب الناس الشرفاء هو احدى القوى الأكثر جمالا في العالم والأكثر شرعية وكبرا. انت أحد الناس الأكثر شرفا في هذا العالم لذلك لا يحق لك أن تبذّر غضبك هكذا . أما انا فلم أعد أستجيب الا للغضب الكبير جدا ، وقد تعلمت أن ابتسم بهدوء بدل الانسياق الى فترات الغضب الصغير . في هذه الأيام أقضي وقتي في كتابة القصائد التي تتكلم على الحب والطبيعة . اليك واحدة منها . انك لم تتسلم الأخرى والله يعلم لماذا ، وارجو ان تصلك هذه . ارسلت لك /٢٥٠/ليرة على حساب الأشياء التي بعتها هنا فهل وصلتك اخبرني :

الخـريف

تصبحُ الأيامُ قصيرةً اكثر فاكثر ،
وستبدأ الأمطارُ عما قريب ،
وبابي ينتظرُكِ على مصراعيه ،
فلماذا اتيتِ هكذا متاخرة ؟
على طاولتي ، الفليفلةُ الخضراءُ ، والملحُ ، والخبزُ ،

وفي الدَنّ ، النبيذُ الذي خبأته لكِ ،
وشربته الى النصفِ ،
وكنت انتظركِ .
لكن ها هي الثمارُ الممتلئة ،
لاتزال على اغصانها ، ناضجةً وشاردة ،
ولو تأخرتِ أيضا بعضَ الشيء ،
لسقطتْ من نفسِها ،

أعتقد أن قصيدة الحب هذه ، قصيدة الخريف هذه ، ستفاجئك قليلا . أعتقد أنني على منعطف من حياتي الخاصة ، أتفهم ، من حياتي الخاصة التي لا تهم أحدا . وبإيجاز ، في حياتي الخاصة يمكن أن يحدث تغير يفاجئك اكثر من اي شيء آخر ، ولكنكا ، أيضا تفهمه اكثر من اي احد آخر . أكتب لك أشياء مفاجئة فلا تندهش ، لا تحاول أن تعرف عنها المزيد ، ولكن عوّد نفسك على الاندهاش . وكما قلت لك سابقا سأكرر لك أن جميع ما أرويه لك هنا لا يعني الا حياتي الخاصة ، حياتي أنا وحدي .

لننتقل الآن الى الاخبار الأخرى . أولا حكايات العفو . لقد تلقيت رسالة من والا ، واذا ما صدقناها ، فسيصوت على العفو بكل توكيد وسنستفيد من هذا التصويت . ثم ان ابنة خالي جاءت لتراني ، ونحن نتراسل في المدة الأخيرة منذ وقوعي في المرض ، ولم أكن قد رأيتها منذ ثلاث عشرة سنة . وهي أيضا أتتني بأنباء جيدة ، الا أنني لا أوهم نفسي . وأنت تعرف جيدا تفاؤلي الواقعي . ثم ان وزير العدل جاء مؤخرا لبروصة وزارني في غرفتي وتحادثنا لمدة عشرين دقيقة تقريبا ، كلمته على الظلم الذي وقع علي ، وشكوت من ظروف الحياة في السجن ، وقد استمع الي بصير ....

انني منزعج جدا من وضعك المادي السيء ، ليس لنا حظ والامور تسير بشكل سيء بالنسبة لي أيضا من هذه الناحية . اصبر قليلا فقد نحصل على طلبية من الاقمشة ، واذا حصل هذا فقد أستطيع ترتيب بيع سلعك بشكل أفضل .

اكاد لا أعمل هذه الأيام الا قليلا ، وعندما يشرع المرء بكتابة أشعار الحب في سن السادسة والأربعين وفي السجن فان شيئا من الكسل يأخذه ، كسل يعذبه ولكن يسعده أيضا . هذا كل ما أريد قوله لك يا عزيزي كمال . أعانقك أنت ونوري . أما ما يتعلق بصحتي فلا جديد فيها . وهي ليست أسوأ وليست أحسن . انا لا أنوي أن اموت . انت تعلم الى أي حد أحب بلدي والعالم كله وجميع الناس الشرفاء والشجعان في العالم . وفي نيتي أن اترك هذا بأقصى ما يمكن من التأخير . هذه النية لا تنفك تقوى لدي هذا اليوم . اني اعانقك مرة اخرى يا أخي .

- ٢٢٢ -

كمال ،

ليست هذه رسالة حقيقية ، انها بالأحرى برقية . لقد مضى وقت طويل لم أتلق فيه أي رسالة منك واني قلق جدا . لم أتسلم ردا على رسالتي ، تلك التي كانت تتضمن قصيدة حب . سطرين فقط لاعطائي اخبار صحتك ، أعانقك أنت ونوري مع التحيات .

- ٢٢٣ -

اخي كمال ،

اشكر الله ، لقد تلقيت أخيرا رسالتك . وكنت قد أرسلت لك رسالة صغيرة جدا بشكل برقية ، رجوتك فيها أن تكتب لي فورا ، لاني كنت

أوتقد أخبارك . انني مستاء من سير اموركم ، أنت بروإياتك ونوري بنجارته . ان اعمالي هي أيضا أسوأ واني لم ألمس قط مكوك النسيج منذ ثمانية أو تسعة أشهر . الانوال بحالة بطالة . أنا مدين لك ببعض المال من بيع المراكب الشراعية وسأرسله لك غدا . واني أتساءل عما يمكنني أن أفعل . ان وضعي المادي يدعو للرثاء ، ولكن وضعكم يقلقني أكثر . والحال أنني أتبع حميتي وآكل بقدر ما يأكل عصفور ، بينما نوري هو رجل شاب وانت ايضا ، وكلاكما تحتاجان لان تتغذيا جيدا . برايه لم تستطع أن تأتي لتراني منذ ثمانية أشهر . لقد كانت مريضة ، ثم لم يكن لديها نقود ، وتكلف الرحلة الى بروصة مصروف شهر من ميزانيتها . أحتي جاءت بالامس لتراني . لا تغير في حالة امي وهي مستمرة في الرسم بعين واحدة . وبالنسبة للعفو ، وحتى أن تم التصويت على مشروع القانون المقدم من قبل نائب تشوروم يمكنكم أن تستفيدوا منه جميعا باستثنائي ، نظرا لان المادة المتعلقةبحالتينا ليست لها علاقة بالمواد التي لم يدخلها في مشروعه . ولكن علي أن أتحمل سبع سنوات أخرى ، وفي الظروف نفسها . سمعت من يقول إن الحكومة قد حضرت «مشروع» قانون آخر اكثر شمولا ، يمكنني أن أستفيد منه وانال العفو . باختصار ، انهم يسردون كثيرا من الأمور . لنتمن أن يسير كل شيء على ما يرام ، ولا نفكر بهذا الموضوع بعد الآن . انك تعرف واقعيتي التفاؤلية ، هذه الواقعية التي لا تترك نفسها اطلاقا للاوهام ، والتي تبدو حتى لك شكلا من التشاؤم . أرى انك لم تتلق احدى رسائلي ، تلك التي معها قصيدة حب . ولا بد أنها قد ضاعت في البريد . لا تهمل روايتك خصوصا ، ما يجب فعله ، رغم كل شيء ، هو كتابة أعمال لائقة بالشعب التركي . يجب ان تعمل يا عزيزي كمال ، والحقيقة انك قمت بعمل جيد وشريف واذا اخلي سبيلك فستعمل على نشر اعمالك ، وهكذا تدخل الرواية الى الادب التركي . فستكون أول من يعرّف شعبنا بالرواية الحقيقية . وسأكون فخورا جدا بها . هذه السنة عملت كثيرا ، أنا أيضا . كتبت مسرحيتين وعددا من القصائد التي لا بأس بها ، ولكن أريد أن أكتب أيضا مسرحية من الآن وحتى آخر العام . حتى أنه لدي مشروع رواية ، رواية غريبة . ليس

هناك اي تغيير في صحتي ، ويؤكد الاطباء أن مرض قلبي هو من منشـأ عصبي . اخيراً ، هذا ما يقولونه ، بالنسبة لكبدي هو دائما على حاله ، باختصار ، انا بخير ولست بخير . ولكن يجب الا نفكر كثيرا في هـذا كله . قل لي : ان اباك يشبهك كثيرا ، وخيل الي انني اراك انت . لا يمكن ان نصفه بالشيخوخة لانه رائع طاهر افندي هذا . اعانقك انت ونوري بشوق .

- ٢٢٤ -

كمال يا أخي ،

اجيبك مع بعض التأخير بسبب الاعياد . والآن أود أن أكلمك على مشكلة اقلقتك وأحزنتك في رسالتي الاخيرة. اعرف جيدا انني لا أستطيع أن تكون لي حياة خاصة ، بمعنى مجرد ومطلق ، ولكن مع معرفتي ذلك فان ثمة بعض الاشياء المتصلة بحياتي الخاصة لا تعني أحداً سواي أنا والشخص المقصود في هذه القضية وانت . اليك حقيقة الامر : كان علي أن أضع نهاية لبعض علاقاتي مع بيرايه ، علاقات لم تكن موجودة عمليا . وانا أتكلم على علاقاتنا كزوج وزوجة ، وكما حزرت فقد اتخذت انا هذا القرار . اني أحترم بيرايه كثيرا ، وأحترم نفسي أيضا . وبيرايه في نظري مخلوق كامل جدا ، شجاع جدا ، وطيب جدا ، والكائن الذي أدين له بأحلى سنوات عمري وافضل اعمالي ، بحيث لا أستطيع أن اكذب عليه. ولم أكن أستطيع أبدا ان اخدعها حتى معنويا ـ اما ماديا فذلك كان محالا علي. وفي علاقاتنا، وحتى الزوجية منها التي قذفنا بها الى المستوى الخلقي، فضلت أن اسبب لها ألماً ، وألماً فظيعا ، وأن أجعلها تعيسة ، على أن اخدعها او اكذب عليها . وأنا ايضا كنت تعيسا جدا وما أزال . ولكن لنا ، أنا وهي ، شرفنا وكرامتنا ونفضل العذاب والالم على قلة الشرف وفقدان الكرامة . أكرر لك : ان بيرايه هي الكائن الذي كان أقرب الناس الي وستظل كذلك رغم كل شيء . وبشكل طبيعي فان الضغائن والآلام والغضب حين تزول ـ ولها الحق في أن تزعل وتغضب وتشتمني ـ ، فان

ما أتمناه هو أن يمر كل ذلك بأسرع ما يمكن ودون أن يهزها هزة كبيرة ، نعم : انا اعتقد أن صداقتنا وارتباطنا الاخوي يستطيعان ان يستمرا ، وها قد قلت لك ما يكفي حول هذا الموضوع ، ماذا تقول لي هنا ، يا عزيزي كمال ؟ ان قصيدة الخريف لا تروقك واني لا أحسب حسابا للحالة النفسية التي اجدني فيها . اولا ، هذه الحالة النفسية لا تتغير أبدا بالنسبة لما هو جرهري . حالة نفسية متفائلة رغم كل شيء ، فياضة بالايمان والوضوح والشباب . لماذا لم يكن علي أن اكتب الخريف ؟ فالخريف فصل كالربيع ، أو الصيف ، أو الشتاء ، والكائنات البشرية تمر بكل هذه الفصول ، ويكفي ألا تفقد الامل حتى في الشتاء ، وأن تستقبل الشيخوخة بشجاعة وامل والا تعتبرها كفصل للموت . ها أنت تستشهد ببيت ليحى كمال . كان عليك اللجوء الى بيت ليحى كمال كي تشرح لي فكرة ، احساسا ، ولو انك وجدت هذا البيت عندي ــ بما أنه يعبر عن احساس حقيقي انساني ليس فيه أي شيء رجعي ــ لو انك وجدته في احدى قصائدي بشكل اكثر جمالا ايضا واكثر واقعية ــ أما كان ذلك أفضل ؟ اما بخصوص صحتي فأنا حقا مريض ، ومرضي لا علاقة له اطلاقا بكل هذه الحكايات . ومنذ ستة شهور ، أي منذ النوبة الأولى فان الآلام التي تصيب حلقي وصدري لم تتركني قط ، وهي تزداد حينا وتتناقص ، حينا ، ولكنها لا تنفك عني يوما واحدا . الطبيب يتحدث عن تشنجات ، وهذا يتعلق بتشنج في الشرايين الذاهبة الى القلب ، انني اتبع حميتي منذ ستة شهور ، وقد ابتلعت اطنانا من الادوية واتابع ابتلاعها ، ولكن كل ذلك لم يمنعني من أن أبقى شاباً ، واذا كنت قد حدثتك عن الموت ، فلكي اقول لك انني لا ابالي به . غير اني عازم على العيش مائة عام أخرى . كنت على حق حين كتبت الى سميحة بأن عمري ١٩ عاما ، وليست لدي النية في أن اكبر حتى عام واحد ، قل ذلك لنفسك وجيدا .

هل ثمة عفو أم لا ؟ واذا كان هناك عفو فهل نستطيع أن نستفيد منه ؟ انني لا أفكر بكل ذلك ، لأنه لبس مشكلة يمكن أن نحلها بالتفكير ،

ولكن اذا لم يكن ثمة عفو ، فابعث الي برواياتك ، فانني أريد أن أقرأها .
حسنا هذا كل شيء يا عزيزي كمال . أعانقك انت ونوري .

- ٢٢٥ -

١٧/١٢/٤٨ بروصة

اخي وعزيزي كمال طاهر ،

تلقيت رسالتك وها انا أرد عليها فورا . اولا ، انت مريض بشكل خطير ، واخفيت ذلك عني . وفي حين انني اتذمر كطفل مدلل حتى من الزكام ، وانك تقلق حتى من زكامي هذا ، فقد اخفيت عني مرضك . وبالرغم من انني افهم ـ الى درجة البكاء ـ الشجاعة التي احتجت اليها كي تخفي عني ذلك ، فانا غاضب عليك غضبا شديدا .كيف استطعت ان تخفي عني مرضك ؟ لقد سبب لي ذلك ألما كثيرا ، ألما لا يتصور . ماذا ينبغي أن نفعل ؟ أتساءل كيف يمكننا أن نعالجك . انا تعيس بشكل فظيع لانني لا أستطيع الا التفكير بهذه المشكلة . من الواجب دون شك أن يجري لك تخطيط للقلب ، وحسب النتيجـة ، نتوجه الى الهيئات المختصة . لو أمكنك المجيء الينا هنا ، لكنت عالجتك ، وانا احزر انك في عسر شديد .

لا أعرف ماذا نستطيع أن نفعل . كنا سنعيش بشكل افضل لو كنا معا ، وأنا أشعر بالخجل لاني عاجز عن فعل أي شيء ، ذراعاي ويداي مكبلة ، في حين ان واحدا من أعز الكائنات الي يجد نفسه في حالة كهذه . المرة الاولى في حياتي أخجل تقريبا من وجودي في السجن .

انت تقول لي اشياء صحيحة تماما حول موضوع الاسلوب في الرواية التاريخية . ومن الواضح انك فكرت طويلا في مشكلة الاسلوب هذه ، وانك حللتها . وستكتب المرة الثانية كتابا جيدا . اما بشأن ما تقترحه علي ، فسأكون قادراً أن اشرع بــه بفرح ، وسيكون امرا مثيرا بالفعل

أن نستعيد ملحمة كور اوغلو(١٢٦) ونجعل منها نوعا من ملحمة بدر الدين بأسلوب آخر بالطبع . ولكنني لن أتمكن من الشروع في ذلك الا خلال شهر ، وعندها ترسل الي الكتيبات . وبهذه المناسبة ، يجب أن أقول لك انك فاجأتني حين كتبت الي : « .. كما قلت أنت في المقابلة التي أعطيتها للصحيفه هل صدقت فعلا انني قمت بمقابلة غبية كهذه ؟ وكيف استطعت أن تتصور ذلك ؟ ما زلت أملك قواي العقلية ، ولم أصبح خرفا الى الحد الذي يجعلني اقول أشياء خرقاء الى هذه الدرجة . أو على الأصح فأنا لست خرفا بتاتا . وستسألني لماذا لم أكذّب هذا . أنت تعرف جيدا أنني لم أفعل ذلك عندما نشرت « الأمة » كل هذه الحماقات . هذا مبدأ عندي . قد أكون مخطئا ولكنني لن أكذّب في هذه الحالة بأكثر مما كذّبت في الحالةالأخرى وارى أنه لا يليق بي أن أكذّب بسطرين كذبات كبيرة بهذا الشكل . اخيرا هذا لا يهم .

زوجتي ، كما كتبت لك من قبل ، قد جاءت مع أولادها ثم كتبت الي رسالة جميلة جدا ، فأنا معافى كما السحر ، ولكن عليك أنت أن تقلع عن القهوة والشاي والسجائر . أتضرع اليك يا كمال أن تفعل ذلك ، حتى ولو كان من شأن هذا أن يمنعك عن العمل شهرا أو شهرين . افعل ذلك من أجلي اذا كنت تحمل قليلا من الصداقة نحوي . عليك ان تكتب روايات كل واحدة منها أجمل من الاخرى ، من أجل الشعب التركي والانسانية الشريفة ، عليك أن تقص عليهم ، حكايات واضحة ، مضيئة رغم كل شيء ، اذ عليك أن تعيش على الاقل مائة عام . أعانقك بشوق يا أخي .

- ٢٢٦ -

كمال يا أخي ،

لا تستطيع أن تعلم أية سعادة هي بالنسبة الي أن أكتب اليك من

---

(١٢٦) كور أوغلو بطل ملحمة تركية قديمة .

جديد ، وأن أستعيد متعة رسائلك وطمأنينتها وتفتحها . لقد كتب الي حمدي من «نيقشيهير» ، وأعلمني أن نوري قد انتقل اليها وأنك ستذهب اليها قريبا أنت نفسك . سأحدثك قليلا عن نفسي . ان أكبر همّ لي حاليا هو منذ عام نوع من « حب الشباب » المغطى بقشرة واحمرار وبقع على الوجه كله ، وهذا يتناقص ثم يعود من جديد لكنه لا يزول أبدا . وأنا لا أفهم لماذا ولا الأطباء أيضا . وفي هذه اللحظة ، وبما أنه يتفاقم عندما أحكّه فانه عذاب حقيقي . ان علاقاتي ببيرايه على حالها كما كانت سابقا ، وأنت تعلم أني قررت الطلاق ، غير أني تماسكت ولم أفعل بها هذا العمل اللئيم ، ولكنها لاتزال مغضبة ، ولها الحق في ذلك طبعا ، ولكنها مخطئة أيضا . لكن كل شيء سينتهي بأن يتدبر . سنحول قريبا السجن هنا الى مركز عمل . آمل أن يسمحوا لي أن أعمل كي أكسب عيشي . وليست لدي أخبار أخرى ، كيف حالك أنت ؟ وحال رواياتك ؟ أجبني فورا . أعانقك بشوق يا أخي العزيز .

- ٢٢٧ -

كمال أيها الأخ ،

ليباركك الرب ، أشعر بحرارة في القلب بمجرد قراءة عناوين رواياتك . وبما أنها قد روقبت ولم يجدوا فيها أي مانع للنشر ، فأنا أود أن يكون باستطاعتها أن تظهر في جريدة يومية ، على الأقل ، وتبرهن أننا نستطيع أن نكتب روايات رائعة مثلها ، بلغتنا الجميلة حول الشعب التركي ، أحد أشرف شعوب العالم ، وأتمنى أيضا أن تلعب هذه الكتب بالنسبة لروائيينا الشباب دور الكتاب المدرسي وأن تجلب اليك قليلا تعيش به ، لديك بالتوكيد نسخ عنها وسأكون سعيدا لو أرسلت الي كل هذه الكتب ، لم تتح لي الفرصة منذ زمن طويل أن أقرأ شيئا جيدا . أما في ما يخصني فقد عدت منذ بعض الوقت الى الرسم ، ولم أكن قد لمست الفرشاة منذ خمس سنوات ، ثم تملكتني الرغبة فجأة ، وها أنا الآن لا أتركها أبدا ، واهتم بشكل خصوصي بالطبيعة ، بنقوش التطريز

الشعبية ، ولا أفعل شيئا الا الرسم بالزيت والالوان المائية والحبر الصيني وبقلم الفحم على القماش والورق والخشب المعاكس . وكماترى فان الزمن لم يغير شيئا من هوسي في أن اغطس ، وراسي في المقدمة ، في كل هذه الأشياء التي تهمني ، وهي الرسم في هذه اللحظة . وأغدو بالفعل مريضا حين يستحيل علي أن ارسم .

أما في ما يتعلق بالصحة فهناك دائما آلام الصدر ، وعرق الانسر أيضا،ولكنها قد غدت مزمنة الى الحد الذي اصبحت معهجزءا مني ـ تماماً مثل قدمي ويدي ـ بحيث لم أعد اجرؤ على وصفها بالآلام . وبعد ، فأنا قد بالغت بالنواح على امراضي في هذه السنوات الاخيرة ، حتى صرت أخجل من الحديث عنها . لقد قرأت « جحيم » دانتي بالفرنسية والتركية أيضا مرة ، كلا مرتين ، والترجمة بالفرنسية والتركية كانت رديئة ، لكن الكتاب راقني . لا أقول إني قد أحببته ولكنه ، أعجبني ، وهكذا ، أعانقك بشوق ليس لديك فكرة عنه .

- ٢٢٨ -

١٩٤٩/٨/٢

أخي كمال ،

تأخرت بالكتابة اليك بسبب الأعياد. لنتكلم قليلا على مشكلةالرواية.

أنا مقتنع أنك كتبت وأنك ستكتب أيضا أفضل الروايات في أدبنا عبر كل المرحلة التي تمتد من بداية القرن العشرين والى منتصفه . هذا اليقين ليس شعورا مبنيا على الصداقة ، انه رأي يأتي من واقعة انني أعرف موهبتك وظروفك . وهذه هنا نقطة ثانية . لننتقل الآن الى مشكلة التفاؤل . التشاؤم شيء سهل في الفن . ولاسباب معينة يبدو لنا التشاؤم أكثر ملاءمة للفن ، وان في المأساة شيء من النبل . وهكذا فاننا نستشعر احتراما أكبر لشكسبير منا لموليير ، وكمنظومة فلسفية ،

كوجهة نظر فان التشاؤم هو شيء سهل قبيح ، انما الصعب هو أن تكون متفائلا في الفن وأن تمتلك الأمل . طبعا ينبغي الا نخلط بين الحـزن والتشاؤم . ففن ممتلىء بالأمل والتفاؤل يمكن أن يكون حزينا أيضا . إذاً ليس ثمة مانع من أن تكون رواياتك متفائلة . ثم ان شعبنا هو أمة شابة ، أعني أمة تمتلك سببا ـ فيزيولوجيا ـ في أن ترى المستقبل مزهرا . وهذا يفسر لماذا نحن كتاب هذه الامة ، نحن شباب أيضا ، وككل كائن شاب نتمتع بصحة جيدة ومتفائلون ونتطلع الى المستقبل بأمل . هذا هو كل ما كان لدي كي اقوله لك في هذا الموضوع . هل من أخبار حول انتقالك الى نيقشيهير ؟

... أن نتضرع الى زوجاتنا ، اي شيء أكثر طبيعية من هذا بالنسبة لنا ؟ زوجتي مثلا ، وبعد القصة التي تعرفها ، رجوتها بشدة كـي تسامحني ولكنها حتى لم تجبني . اني لا أقول انها لا تهتم بي ؟ ولكن ليس أكثر من أفضل صديق لي ، هذا الاهتمام لا يتجاوز حدود اهتمام الصداقة . ومع الزمن سيعود كل شيء كما كان حتما . وفي هذه القصة، اذا كنت أنا مخطئا بنسبة سبعين بالمئة ـ واذا كان هناك خطيئة ـ فهي ، مخطئة بنسبة ثلاثين بالمئة ، حسنا لنغير هذا الموضوع . لا شيء قد تغير في مايتعلق بصحتي . أنا أرسم بالالوان والرصـاص دون انقطـاع ، وسأرسل اليك صورة في رسالتي المقبلة .

هذا كل شيء يا أخي العزيز جدا ، أعانقك بشوق وتحيات بالجملة .

- ٢٢٩ -

٤ ايلول ١٩٤٩ بروصه ـ السجن

كمال طاهر ، يابني ،

أنا قلق على صحتك لاني لم أتلق جوابا على الرسالة التي كتبتها اليك منذ سبعة عشر يوما . ولقد أصبت أنا نفسي بأمراض كثيرة ، بحيث

كان هذا الخاطر اول ما تبادر الى ذهني . اردت ان ارسل اليك برقية ولكن ميزانيتي لا تسمح لي بذلك ، فقررت أن أرسل رسالة مسجلة . أتتبع روايتك بحماس شديد، هذه التي تنشر في مجلة الحرية(١٢٧). ان احدا لم يكتب حتى الآن لغة تركية بهذا الجمال وهذا التماسك وهذه الجدية وهذا الاقلال من التزويق. غير ان الرواية قد انتهت بشكل مفاجىء جدا، وبشكل غريب . حدثني عن أخبار صحتك . سأرسل لك بعض الاشياء ، اعني بنطالا وقميصا أو قميصين وسراويل وسترة من الصوف الخ ... كلها مستعملة بما يكفي ، ولكني لا أستطيع حيال ذلك شيئا ، فما البسه ان ليس أكثر جدة . هذا الاسبوع اصابتني أيضا تشنجات في القلب مرتين ، ولم اغادر السرير خلال يومين . حالتي أحسن قليلا الآن . وهذا شيء عصبي ، وكيف لا اغدو عصبيا حين ينسبون الي أشياء لم أعملها ، واكثر من ذلك ، ينشرونها ويتقولون علي أشياء لم أقلها قط ـ كما في مقالة احمد امين يالمن ـ اذ نسب لي أشياء لم أقلها قط ، ولا يخطر لي اطلاقا أن اقولها . وكما في «الامة» التي اتهمتني باشياء لم افعلها قط . أقول لنفسي إن هذه الأشياء لاتستحق ان نتكلم عليها ولكن كل ذلك يثير أعصابي . انك تعمل بالتوكيد بضراوة وعليك أن تكتب أشياء جميلة . ليبارك الرب يديك . وللشعب التركي الحق بأن يفخر بكاتب مثلك .

ربما تأتي أمي وأختي وصهري وأحفادي لرؤيتي هذا الاسبوع . لقد كتبت مرة ثانية الى بيرايية ، ولم تجبني حتى الان . حملة تنظيف كبيرة في السجن . لم نعد نجد حشيشا ولا أفيونا ولا سكاكين ولا قمارا ، والرجال الشرفاء والعاديين الذين يشكلون غالبية الموقوفين مرتاحون جدا لهذا ، وانا أيضا ، اني اكثر هدوءاً بكثير في هذا الوضع . ماذا أقص عليك أيضاً . لقد أعطيتك كمية من الاخبار ليست قليلة . اكتب الي . أعانقك بشوق . تحيات بالجملة .

---

(١٢٧) يومية تصدر في استنبول ، اسسها الصحفي سادات سماوي .

- ٢٣٠ -

٢٢ ايلول ١٩٤٩ بروصه ـ السجن

كمال يا أخي ،

شكرا لله فقد تلقيت رسالتك أخيرا وكدت أن أرسل اليك برقية أطلب فيها أخبار صحتك .

حين أقول لك بأن لا أحد يكتب « لغة تركية » بهذا الجمال وهذا التماسك وهذه الجدية وهذا الاقلال من التزويق مثلك ، فان هذا الحكم ليس فيه أي أثر من تسامح الصديق أو الأب . انه حكم مبني على خبرة سنوات طويلة جدا ، وصادر عن رجل يعتبر أن التسامح والمحبة في كل ما يتصل بالفن والادب لا يمكن الا ان يكونا مؤذيين . ولقد غدوت دقيقا جدا في كل ما يتصل بالفن ، الى درجة اني لم أعد أستطيع تقريبا أن أكتب. بعد سن معينة، وبعد نشاط فني معين، يغدو الفنان ملزما بأن يخلق الروائع. واذا كان لا يستطيع ذلك فيجب أن يعتزل.أنا لا أقول انني اعتزلت ، ولكني وعدت نفسي بأن ابدع أعمالا لاعيب فيها حقا ، جديرة بشعبي وبالانسانية الشريفة ، ولهذا أنا في سبيل جرد ماضي النفسي ـ من الوجهة التقنية ـ إني أجتهد في تذكر كل ما كتبته ، والجزء الأعظم مما أتذكره لايرضيني من الوجهة التقنية ، وكان بامكاني أن أجعله أفضل بكثير ، وسأعيد النظر في كل شيء لو كان هذا ممكنا ، ولكن هذا محال ، ولا أريد أن أفعل « مثل البقال المفلس الذي يعود الى دفاتره العتيقة » . ولكي أكتب شيئا أجد وأفضل يجب أن أتمكن من استعادة ذاتي ، ومن كل وجهات النظر ، ولكنني لم أبلغ ذلك بعد . أخيرا لنترك كل ذلك .

إذاً ، أنت لم تتلق احدى رسائلي . ولا يمكن أن تكون قد ضاعت هنا ، إذا حدث هذا في الطريق أو في البريد أو في مكان لا أعرفه .

أخيرا تلقيت رسالة من زوجتي ، وكنت طلبت منها عنوان محامي في أنقره . تبدأ الرسالة بهذه العبارة « السيد ناظم » وتنتهي بهذه :

« أقدم اليك احتراماتي أيها السيد » . انها تعطيني عنوان المحامين وتتمنى لي أن « ألتقي قريبا » أمي وأختي . وهذا كل شيء . ومع ذلك لا نستطيع أن نقول إنها لا تهتم بي ، فهي تبعث الي بالمال الذي يعطيني اياه صهرها . وسأعترف لك بشيء ، ان كونها ، كما تقول انت ، عديمة الشفقة لا يسوؤني . أعتقد بأنها لم تخدعني قط بأي طريقة من الطرق ، وفي الحالة الراهنة انها وفية تماما ، اذ حين حصلت هذه القصة القديمة للسيدة « ج ... » قالت لي : « اذا لعبت أيضا معي دورا مماثلا فسأبقى على البعد صديقة لك ، ولكنني لن أكون زوجتك ابدا . تذكر ذلك جيدا » . انها تتمسك بقولها كالعادة ، أعرف إنه غير مجد أن أتضرع اليها ، وكل الرسائل التي يمكن أن تكتبها لها لن تفيد في شيء . اذا تحققت العدالة خلال اربع أو خمس سنوات ، واذا غدوت حرا فسنكون قد تقدمنا في السن ، تماما أنا وهي ، ونستطيع دون شك ان نسوي هذه المسألة .

هذا هو كل شيء يا عزيزي كمال ، وبودي أن أقرأ رواياتك . هل مثلوا مسرحيتك في السجن ؟ انك تحسن صنعا اذا أرسلت لي المسودات ، وحتى مسودات الروايات اذا كان ذلك ممكنا . انني أطلب المسودات خوفا على المخطوطات من أن تضيع مرة ثانية .

- ٢٣١ -

١٩٤٩/١٠/١١

كمال أيها الأخ ،

مع الاعياد تأخرت ايضا بالرد عليك . لقد احتفلت ٢٦ مرة بهذه الاعياد في السجن « ليبارك الرب الوطن والأمة » .

أنت لا تعلم الى أي مدى أنا متشوق الى قراءة الرواية التي شرعت بكتابتها ، تلك التي تعتزم اهداءها الي . أنا واثق من أنه سيكون عملا

جديرا بك . لقد قلت لي وأنت تتحدث عن الصورة التي أرسلتها ... اليك « لقد شاخت بعذوبة » . انـك تبالغ ، وحتى أكثـر من المبالغة فالمسألة بالنسبة اليها ليست واردة لا بعذوبة ولا بألم ، انها ماتزال شابة جدا : ولكن هذه الفكرة حول الشيخوخة بعذوبة ، فأنا أعتقـد بأنها تصلح موضوعا للتأمل . أن نتمكن من الشيخوخة بعذوبة : هذه بالتوكيد سعادة كبيرة ، أما في ما يتصل بي فأنا لا أبلغ ذلك قط ، أنا تقريبا أخجل من أن أشيخ ، في حين أنني قد شخت فعلا . ويتراءى لي أنه كي تبلغ أن تشيخ بشكل جيد فثمة شرطان أو ثلاثة لا يستغنى عنهما ، أحدهما أن تمتلك صحة جيدة ، والآخر أن تتابع عملية الابداع بشكل أو بآخر . قل لي يا كمال ما هو عمرك ؟ لقد كنت مقتنعا أنـك لا تزيد على الـ ٣٥ عاما .

لقد ارسلت اليك ملابس فهل تلقيتها ؟ اشياء قديمة ولكن كمـا قلت لك ، ليس لدي أشياء جديدة . فالملابس تعمر أكثر من الناس ، ولكنها تنتهي بأن تشيخ هي أيضا . أنت على حق ، فنحن لا نستطيع أن نكون فعالين في السجن الا الى درجة معينة . إن عقوبة تتجاوزخمس سنوات من السجن ، ذلك أمر غاية في البلاهة . وعما قريب نكـون قد أمضينا خمسة عشر عاما في السجن نحن الآخرين .

مضى زمن طويل لم تصلني فيه أخبار عن رفاقنا في « نيفشيهير ». لقد أجبت على رسالة حمدي ولكني لم أتلق جوابا . فاذا تراسلتم أنتم أيضا ، فاطلب منهم الا يتركوني هكذا في القلق ، لأن حمدي في رسالته الاخيرة قد أبلغني أنه مريض ، ويبدو أنه يعاني من نوع من الاكزيما . حسنا . هذا كل شيء اليوم ، أعانقك بشوق يا أخي ، ورغم كل شـيء « يجب أن نجد تعبيراً آخر للجسد الذي يذبل ، فان يشيخ المرء تعني الا يحب الا ذاته » ... والحال ، يا عزيزي كمال ، نحن الآخرين على العكس لسنا الا حبا من أقدامنا الى رؤوسنا ...

- ٢٣٢ -

٣١ تشرين أول ١٩٤٩، بروصة ـ السجن

كمال يا أخي ،

تلقيت أمس رسالتك المؤرخة في ١١/١٠/١٩٤٩ ، وها انا أجيبك عليها بأسرع ما يمكن . يتوجب علي في البدء أن انقل اليك ، خبرا يسعدك : بيرايه وابني وابنتي وحفيدي جاؤوا لرؤيتي أمس . ولم يمكثوا الا ساعة واحدة ، ولكنني خلال هذه الساعة استشعرت سعادة العالم . لقد وجدت بيرايه في حالة حسنة ماتزال تعرف كيف تضحك وتلهم الأمل للآخرين بالرغم من كل الآلام التي عانتها . والصغيرة قد نحلت كثيرا وأخوها شاب طويل وجميل ، ولكن احدى رئتيه لا تزال منطفئة . والله يعلم متى يعودون . لكن الاصعب قد مرّ . وكل شيء يغدو أهون بعد الآن .

لقد كنت مذعورا من قصة الضغط الشرياني عندك . ربما كان الموقع الجغرافي لتشوروم هو الذي سبب لك هذا ، أو ربما كان الامر يتعلق بشيء وبائي . لقد اخبرتني أنك سترى الطبيب ثانية ، أكتب لي النتائج ، أنا قلق جدا . انتظر روايتك بفارغ الصبر . أنت تقول انه في الرواية ، « ينبغي أن تكون هناك مقاطع تروق ومقاطع لا تروق». وبما أن الرواية ، ككل الاعمال الفنية ، مسألة معمارية ، فانا ارى أنه من الافضل أن تعبر عما قلته هنا ، لا بعبارة « ما يروق وما لا يروق » ولكن بطريقة أخرى ، ولنقل مثلا أنه عندما ينزع الجص والطرش والبيتون فثمة الهيكل الذي لا يكون مظهره ممتعا جدا . فللرواية هيكل تماما مثل بناء هو قيد الانشاء . الرواية جعلتني أفكر « ببنرجي » . وعبارة « الألم الرائع » راقتني كثيرا . ان قدر بنرجي هو قدري ، أعتقد ذلك تماما ، وهذا الألم الرائع يستمر . وقد تكون نهايته نهايتي. أخيرا ، ذلك لا يهم . وبما أنني لم أتلق أخبارا من حمدي فقد أرسلت

اليه رسالة مسجلة ولم أتلق جوابا بعد ، ولا يهم الا يكتبوا الي ، شريطة أن يكونوا في صحة جيدة . يبدو لي أنك قد سمنت كثيرا وانه لأمر سيء أن تسمن الى هذا الحد . انه شحم السجن وهو ضار بالصحة . قم ببعض التمرينات ، دون أن تخفض من غذائك . هذا كل شيء يا عزيزي كمال . اكتب الي . أعانقك بشوق وتحيات الى الجميع .

* * *

٤ ــ نيفشــيهير

تشرين الثاني ١٩٤٩ ــ نيسان ١٩٥٠

- ٢٣٣ -

كما يا أخي ،

لقد تأخرت بالرد على الرسائل التي كتبتماها الي حمدي وانت ، اعذراني . أنا سعيد جدا انك في النهاية التحقت بأخيك ، وستكون الحياة لكم جميعا هناك أكثر سهولة وأقل كلفة . لقد كتبت اليك رسالة طويلة الى تشوروم لابد أنهم حولوها اليك . وكما قلت لك في هذه الرسالة أنا في سبيل كتابة مسرحية تدعى « حكاية يوسف السعيد ». انها تتعلق بيوسف التوراة. أنت تعلم أن التوراة والكتب التي كتبت فيما بعد تروي لنا حكاية مغامرات أسرة ابراهيم على مدى العصور، مغامرات هامة جدا وواقعية بشكل مخيف . (ضمن مظهر معين بالتأكيد) وقد خرجت من هذه العائلة شخصيات مهمة بالفعل . وأعتقد انه من الصعب أن نجد أسرة أخرى طموحة بهذا الشكل ، وذكية وجبانة بهذا القدر ومتمردة وماكرة وقاسية ، أسرة قد تحملت أيضا هذا القدر من الآلام. باختصار ، من بين كل هذه الشخصيات اخترت شخصية يوسف . يقول لنا التاريخ بأن حكاية يوسف ليست الا اسطورة تماما مثل حكاية موسى ، ولكننا دوما وحسب التاريخ نعرف بالتوكيد أن سبعين عبريا هاجروا الى مصر ، البلاد التي تعرضت في تلك الحقبة الى غزو غريب. ودوما حسب التاريخ ، فهذه الحقبة هي حقبة اضطرابات اجتماعية في مصر . وهذا يعني أننا بمزج الاسطورة بالتاريخ ، نرى بروز يوسف وبيئة مصرية مهمين الى حد بعيد . لقد اجتهدت بأن أبقى أمينا للتوراة وللتاريخ . ان الاسطورة تترك زليخا(١٢٨) في الظل ، وقد سحبتها قليلا

(١٢٨) في التقاليد الاسلامية زوجة عزيز مصر تدعى زليخا .

منه ، ثم خلقت شخصية بنّاء مصري اسمه منوفيس هو النموذج المضاد ليوسف . وفي التوراة ، فان خصال يوسف الاساسية هي التالية : أولا هو مرتبط الى أبعد حد بعشيرته ، ثم هو طموح ، نشيط ومخادع يعرف كيف يستخدم صفته الخاصة كعبد كي يسيطر على العبيد الآخرين الذين يستخدمهم كي يحقق أحلامه التي يرسلها اليه الرب ، ولكي « تنحني أمام سنبلته سنابل الآخرين » ، رجل توصل أخيرا الى أعلى منصب في البلاد بعد فرعون مباشرة ، ويسلمه أرض مصر وشعبها. عاشق مجنون بزليخا من ناحية ثانية ، يشعر انه وحيد مثل ثعبان ، رغم أنه قد وصل الى السلطة . لقد قال له منوفيس وهو يموت « اذا صدقنا التوراة فانك ستموت وعمرك ١١٠ سنوات ، اما أنا فسأموت في الاربعين ، ومع ذلك فأنا وأنت سنحيا آلاف وآلاف السنين ، ثم بعد آلاف وآلاف السنين تموت أنت الى الابد ، بينما أتابع أنا حياتي . الحياة جميلة . ليكن الرب وفرعون معك يا يوسف فالحياة هي معي » انني أزعجك بكل هذه الحكايات يا عزيزي كمال ، ولكن يوسف قد أثار اهتمامي كثيرا وكان علي أن أعيد قراءة كل تاريخ مصر ، وقد قرأت أيضا التوراة مرة اضافية . بالطبع لم أقصر في استعارة شذرات من نشيد الانشاد من أجل مشاهد الحب لدي . أنت تعرف يا كمال ، فليس هنالك ، ولن يكون هنالك شاعر غنائي ، شاعر حب من مستوى سليمان، ولا أعرف ما اذا كان يفهم فعلا لسان جميع الحيوانات ، ولكني ميال الى الايمان بذلك ، ونستطيع أن نوكد ان شاعرا بهذا الحجم كان يفهم حتى لغة الحجارة . ماذا يمكنني أن أقص عليك أيضا . لقد استوطن الشتاء هنا . وخلال يومين لم نتلق حتى صحف استنبول . يؤسفني الا أتمكن من نقل مودتك الى بيرايه ، لأنني لا أتلقى منها شيئا ، بالرغم من أنني كتبت لها عدة مرات . ابني يكتب الي مرة كل شهرين ، ومنه أتلقى أخبار صحتهم . أعانقكم بشوق ، كلكم .

حمدي ، يا أخي العزيز ،

أجيب هنا على رسالتك . الآلام التي أعاني منها في صدري ورقبتي اي التشنجات المتسببة عن سوء عمل القلب قد عاودتني بتأثير الطقس السيء . وليس عندي هموم أخرى . ولا تنس عندما تكتب الى زوجتك ان تنقل اليها مودتي . قل أيضا « لاميت » انني أعانقها . إذاً انها فتاة كبيرة الآن ، وفي سن الزواج . كم شخنا نحن الآخرين . هذا لا يهم ، فالقلب ما زال شابا والراس أيضا وهنا الشيء الجوهري . اعانقكم جميعا بشوق .

- ٢٣٤ -

١٩٤٩/١١/١٥ بروصه ـ السجن

كمال يا أخي ،

لقد تلقيت رسالتك ، وكل ما تقوله لي عن الرواية صحيح جدا . وبهذه المناسبة اود أن أتحدث اليك قليلا عن الرواية التاريخية التي انت في سبيل كتابتها . ان بناء هذه الرواية حول شخصية وحيدة ، وجعل ايفليا شلبي بطل الكتاب ، أو على الاغلب الرباط الذي سيفيد في توحيد كل ما تبقى ، هو فكرة شديدة الاصالة ولكنها قد تشكل عائقا : ان الرواية يمكن أن تعطي انطباعا بأنها تتعلق بحياة روائية لايفليا شلبي . ان تكتب حياة روائية لشلبي فهذا امر غير سيء بالطبع حتى انه يمكن ان يكون جيدا جدا ، ولكن ليس هذا ما تريد أن تفعله ، قياسا الى ما قلته لي عن الرواية . وفي رأيي ينبغي لك أن تبني روايتك حول ثماني أو تسع شخصيات على الأقل . ومن الممكن أن تبنيها بشكل مختلف كل الاختلاف ، غير أنك من أنصار التقنية الكلاسيكية ، وأنا أعرف ذلك واعطيك الحق في مستوى معين ، وفيه وحده .

أنا أتلقى الرسائل من بيرايه . انها دون شك من أفضل الكائنات التي صادفتها في حياتي وأكثرها ذكاء ، وأكثرها طاقة . لقد أردت أن أبلغ بعض الجوانب من روحها ووجدانها وارادتها التي يصعب كثيرا الوصول اليها ، قليلون جدا من الناس قد الهموني هذا الاعجاب وهذا الاحترام الذي استشعره نحوها . أصبت بالكريب ولم أشف بعد . اني لا ألزم السرير ، وأتمشى وأنا مرهق قليلا . لقد راقتني صورك كثيرا. انت جميل كالاسد . أنا سعيد جدا ببراءتك . عزيزي كمال ، لن أكتب لك طويلا هذه المرة رأسي ثقيل جدا أعانقك بشوق . طلبت بيرايه أن أبعث اليك بمودتها . اعانقك أيضا . سنثرثر كثيرا في المرة القادمة . آمل الا اشعر مرة أخرى أنني ضعيف الى هذا الحد .

- ٢٣٥ -

٤٩/١٢/٦

كمال يا أخي ،

مرة أخرى أتأخر بالرد على رسالتك . لقد غادرت فراشي بصعوبة هذا اليوم ولم أتمكن بعد من الخلاص من الكريب الذي أصابني منذ شهر ، وما زلت أجرجره حتى الآن واليوم أخيرا أشعر بأنني أفضل قليلا . يا أخي العزيز جدا ان ضغطك المرتفع أقلقني كثيرا ، ولكنني شديد السعادة ، شديد السرور ، اذ أفكر بأن هذا قد يسهل نقلك الى هنا . وسأشعر بأني حر تقريبا اذا تحقق ذلك ، ولكنني لا أستطيع أن أصدق أنه سيحصل ، لأنه سيكون بالنسبة الي سعادة فائقة جدا . ستكون مرتاحا جدا هنا ، وأعتقد أن السجن عندنا هو أكثر السجون نظافة ونظامية وانسانية في تركيا . فأوراق اللعب والحشيش والسكاكين والمشاجرات والقواد كل هذا قد اجتث بشكل جذري . وتناقص البؤس الفيزيولوجي أيضا . ان روايتك التاريخية قد أهمتني كثيرا ،

وفي أدبنا محاولات متعددة في هذا النوع ، غير أنه لم تنجح منها واحدة. ثمة كتاب صغير جدا للسلطان عزيز عن الامبراطورة أوجيني ، وهذا الكتاب مهم من وجهة النظر اللغوية . وأنا واثق من انك ستنجزها بتفوق . ومن ناحية أخرى ، وأنا أفكر بهذا كثيرا هذه الايام ، فان نشر رواياتك سيشكل منعطفا في تاريخ أدبنا ، في يوم من الأيام .

ليست لدي أخبار عن بيرايه هذه الايام . غدا سأرسل اليها برقية. انا تعيس جدا اذ أعلم أنك في ضيق . أية فضيحة هؤلاء الناس الذين لا يدفعون لك ما يتوجب عليهم نحوك . حقا ، اذا استطعت أن تأتي الى بروصه فسيكون همنا كي نكسب عيشنا أقل . انه أمر حزين أن نهتم بكسب خبزنا حتى في السجن . تلك كانت مرة أخرى رسالة قصيرة جدا يا عزيزي كمال ، ولكنك لا تستطيع أن تتصور الى أي حد أشعر بالضعف . أعانقك بشوق .

- ٢٣٦ -

٤٩/١٢/٢٧ سجن بروصه

عزيزي كمال ،

تسلمت رسالتك . اذا حكمنا وفق التفاصيل التي تعطينيها فان صحتك لا تدعو الى القلق في الوقت الحاضر . لا يمكنك أن تعرف كم يجعلني هذا سعيدا ، وأعترف لك بأن ضميري كان يؤنبني كما لو كنت انا الذي سبب لك المرض ، وكان هذا يجعلني تعيسا جدا . لم تصلني رسالة ناجي سعد الله . لا بد أنه أرسل لك نسخة عنها ، ناسيا أن يرسل الي النسخة الاصلية . أنت تقول بأنه كتب الى أحمد أمين ، أود كثيرا أن أعرف لماذا . والآن ، لنتحدث قليلا عن التفاؤل في رواياتك . اليوم ، ينبغي لكل عمل فني يستحق هذا الاسم ، أن يكون واقعيا . وكل عمل واقعي لا يستطيع ، بالطبع ، أن يقدم الا جزءا ،

قطعة فقط ـ في ظروف ومستوى معينة تماما ـ من الواقع . والى ذلك ، فان العمل الذي يمكن أن يوصف ، بحق ، بأنه واقعي ، لا يكتفي باعطائنا حقيقة جافة ـ اذ يصبح حينئذ محضر ضبط منظم باستقامة ـ ويلعب خيال الكاتب أيضا ، ويبدي فيه مبادئه الفنية ، وتقنيته ، بحيث يجعل من هذا العمل ، قبل كل شيء ، شيئا تمكن قراءته دون ملل . ليس هـذا كل شيء ـ هذه الاشياء نعرفها جيـدا ، لكن لا بأس من تكرارها ـ فالكاتب ينبغي ايضا أن يلعب دور « مهندس النفوس » . أي انه مسؤول نوعا تجاه القارىء . فاذا كان واعيا هذه المسؤولية ، وبما ان الواقع الاجتماعي ، في الاساس ، لا يقود ، بالضرورة ، ـ ورغم كل شيء ـ الى اليأس والتشاؤم ، وكان « ابن الانسان » ، مدفوعـا أيضا بضرورة اجتماعية وبنضاله الخاص ، ينحو نحو الخير والجمال والعدل ، فان الكاتب يجتهد في أن ينقذ قارئه ، حتى الاكثر تشاؤما ، من اليأس ، ويحاول أن يبث فيه طعم الحياة ، رغم كل شيء ، أي انه يعمل على ممارسة تأثير ايجابي عليه ، على مساعدته وتوجيهه . نحن متفقون تماما على هذا ، أليس كذلك ؟ لنتحدث الآن عن المرأة في قصة رشيد ، أو عن المرأة في رواية مالرو ، أو عن امرأة فلاحك الشاب . اذا كان من الضروري ، ليس فقط من وجهة النظر التقنية ، بل من وجهة النظر العضوية ، أن نظهر في القصة ، ان المرأة تفكر في الشاب الذي قبلها في الماضي ، على هذه الطريق المفروشة بالاسفلت ، حينئذ ينبغي أن نفعل ذلك . والا كان من غير المفيد أن نلح عليه . لأن المرأة ، في اللحظة نفسها ، تفكر بأشياء كثيرة ، من المستحيل ماديا ـ حتى في اطار الرواية ـ التعبير عنها . وكما كنت أقول لك للتو ، ان كل عمل فني لا يستطيع أن يقدم الا جزءا من الواقع ـ في حدود امكانياتـه المادية ، مثلما انه من المستحيل، تقنيا ، أن نصف كل حركات شخصيةما في الرواية ، فلا نصف الا الحركات والافعال المتصلة بالحدث الرئيسي في صيرورته . والامر كذلك في ما يتعلق بأفكار الشخصية . لهذا ، اذا كان من الضروري للحدث الرئيسي المسرود في الحكاية ، أو بالاحرى،

من وجهة نظر الواقع الجزئي المعكوس في الحكاية ، أو مثلا لكي نصف سيكولوجية المرأة ، اذا كان من الضروري إذاً أن تفكر في القبلة التي منحتها سابقا ، على هذه الطريق نفسها ، فانها تستطيع أن تفعل ذلك، حتى انها تستطيع ان تفكر بأشياء أكثر عبثية أيضا ، وهذا لا يجعل من القصة تشاؤمية ولا تفاؤلية . ان تشاؤم الكاتب أو تفاؤله يجد تعبيره بعناصر أخرى تماما . لننتقل الآن الى فلاحك الشاب . ان نجاحه في المدينة ، دون أدنى شك ، لا يبرهن على ان الشروط الحالية للمدينة تساعد على هذا النوع من النجاح . انه يبرهن فقط على ان هذا الشاب قد ينجح بسهولة . ذلك حسبما أذكر ، لأن الجو العام في روايتك ، لا يعطي الانطباع بأن شروط المدينة مناسبة كثيرا ، في العموم ، للفلاحين الشبان ، فالمسألة غير مطروحة فيها على هذا الشكل . لكن هذه الرواية تفاؤلية بالطريقة نفسها التي تطرح فيها المسألة ، والكاتب الشريف هو الكاتب المتفائل اليوم ، رغم كل شيء ، المفعم بالامل ، وشكرا لله ، انت كذلك . لقد سبق وقلت لك هذا ، ان يكون الانسان حزينا ، أو كئيبا ، أو زير نساء ، أن يحب النساء ، كل هذا لا يعني مطلقا انه يائس أو متشائم أو غير شريف . ان فتاك ـ فتى رواية المغامرات ـ يمكنه تماما ألا يقبل الفتاة الشابة لأنه يحترم براءتها . ان يقبلها او الا يقبلها لا يغير شيئا من شيء . اذا كان ضروريا ، في اطار الفعل ، أن يفعل ذلك ، فسوف يفعل ، والا فانه لن يقبلها ، لأنه في الوقع ثمة شبان يقبلون الفتيات ، وآخرون لا يفعلون ذلك . وهذا لا علاقة له بالخير أو بالشر . أن تكون شخصيات الرواية ، الرئيسية منها خصوصا ، كائنات شجاعة ، قوية ، فان هذا ليس سيئا ، بل انه جيد جدا حتما . لقد ولدت مدرسة أدبية جديدة في فرنسا ، الوجودية . انهم يزعمون بأنهم واقعيون ، في حين انهم ، عمليا ، لا يأخذون الا أسوأ المظاهر في الواقع والناس ، ويتدحرجون في مستنقع اليأس ، ويضعون في المستوى الاول كائنات مريضة نفسيا ، انهم يلعبون لعبة الرجعية ، تماما . ان الشروط الاجتماعية ، في فرنسا أيضا ، غير مرتبة ، فوضوية ، لكنها

تندرج في تيار تاريخي محدد ، انها تسير نحو النظام والخير . ان هذا التناقض موجود ، بالطبع ، في كل فرنسي . والامر هو في اظهار هذين الوجهين في الوقت نفسه — من وجهة نظر انعكاساتهما على النفس الانسانية ، واشكال التعبير التي يأخذانها — لكن مع وضع أحد هذين الوجهين في المستوى الاول . والحال ، ان خيار الكاتب هذا يظهر لنا موقفه الاجتماعي ، ما هو عليه حقيقة .

ان الواقع يتيح لنا — شكرا لله — أن نمرر الوجه الايجابي الى المستوى الاول ، دون اهمال الوجه السلبي ، أو اخفاء كافة سجايانا السيئة ، أريد أن أقول بأننا ، في هذا الخيار ، لا نبتعد عن الواقع ، بالعكس ، نحن نقترب منه ، ونسمح له بأن ينعكس ، في العمل ، بالصورة الاكثر صدقا . أنت أيضا ، لا ينبغي لك أن تخجل مما تفعل ، عندما تقص على القارىء التركي ، وغدا على قراء العالم أجمع ، روح الانسان في بلدنا ، بالعكس ، ستكون فخورا بذلك . ان الواقع ، رغم كل شيء ، هو واقع يجعلنا متفائلين ، يدفعنا الى الامل . حسنا ، هذا كل شيء ، يا عزيزي كمال ، أعانقك بشوق .

أكرر لك ، من الممكن أن تشعر بالحزن ، فالعكس مستحيل ، لكن استمر في التفاؤل والامل .

- ٢٣٧ -

١٩٥٠/٢/٢٧ ، بروصه — السجن

كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك ورسالة حمدي ، واجبتكما على الفور ، مضى زمن طويل . لم يصلني جواب . لا تتركني نهبا للقلق . اكتب لي . أعانقكم جميعا بشوق .

- ٢٣٨ -

٩٥٠/٣/٤ ، بروصه ـ السجن

كمال ، يا أخي ،

اكتب لك هذه الكلمة الصغيرة ، وأنا أقلق ، لانني لم اتلق جوابا على الرسالة التي بعثت بها اليك ، منذ زمن طويل . قد أكون مخطئا ، اذ لم يمض بعد الوقت الكافي لوصول جوابك .

عــدد كبير من الانبــاء الخاطئة المتعلقة بي يظهــر في الصحف . لا تصدقها ، ولا تقلق . مزاجي طيب ، وأنا مفعم بالامل . أنا مقتنع بأننا سنستعيد حريتنا قريبا . أعانقك بشوق ، وأنتظر رسالتك .

- ٢٣٩ -

٩٥٠/٣/٣٠ ، بروصه ـ السجن

كمال ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك ، وقد مضى على ذلك زمن طويل . وقد تأخرت في الاجابة ، فاعذرني . آمل الا يكون قد أتعسك كثيرا فشل العفو ، فهذا ليس الا فشلا مؤقتا . أنا لم أصب بالخيبة ، لأنني ، في الحقيقة ، لم أؤمن به منذ البداية . لهذا فأنا لست خائبا ولا فاقدا للأمل . كيف حالك ؟ ماذا تعمل ؟ باستثناء الزكام ، أنا لا أشكو من صحتي هــذه الايام . اشكرك على كل الاشياء الجميلة التي تكتبها لي حول امكانيات مسرحيتي «يوسف السعيد». أنا لم أنجزها بعد، واعتقد ان ذلك سيكون في نهاية الشهر ، ويبدو هذا جيدا . وروايتك التاريخية ، هل تتقدم ؟ أنا واثق بأنك تكتب أشياء جميلة جدا . لم يبق لنا هنا وقت طويل ، فالمجلس الوطني سيعود حتما لدراسة مشروع قانون العفو، وحتى بدون

عفو ، لم تبق لك انت ، الا سنتان ، ثلاث على الاكثر . لاشيء آخر اكتبه لك ، أعانقكم جميعا بشوق وانتظر رسالتك ، يا أخي .

- ٢٤٠ -

٩٥٠/٤/٥ ، بروصه ـ السجن

عزيزي كمال ،

أمينة علو وصلت للتو . وقد قالت لي بأنك قررت الاضراب عن الطعام ، فأتعسني هذا جدا ، أسوأ من ذلك ، أنا غاضب منك جدا . ارجوك ، اذا كنت تشعر بأقل مايمكن من الصداقة نحوي ، أن تقلع عن هذا القرار غير المفيد . سيكون هذا تصرفا غير مفيد ، وغير ايجابي اطلاقا ، وسلبيا حتى . انتظر بصبر وامل ، رغم كل شيء ، ورغم كل الاخبار التي سوف تقرؤها ، من الآن فصاعدا ، في الصحف . مرة اخرى ، أرجوك ، انت والذين قد يرغبون في الانضمام اليك ، ان تقلعوا فورا عن الاضراب عن الطعام . لاتجعل من المسألة قضية كرامة ، بأن تقول لنفسك أنك أعلنت رسميا قرارك . كن حذرا وصبورا ، ولاتقدم على شيء غير مفيد ، أعانقك بشوق ، يا أخي .

- ٢٤١ -

٩٥٠/٤/١٠

بلغني بأنك تنفذ الاضراب عن الطعام . لم استطع أن أصدق . اذا كان هذا صحيحا فأنت تلحق بي ضررا كبيرا ، توقف ، من أجلي . ابرق لي فورا بأنك اوقفت الاضراب عن الطعام .

- ٢٤٢ -

٩٥٠/٤/١٠

أوقفت الاضراب عن الطعام ، في الوقت الحاضر ، بعد أن علمت بأن عريضتي قد أخذت في الاعتبار .

* * *

مقتطفات من رسائل ناظم حكمت

الــى صــديقيــه

والا ومزهر وانو ،
في فترة استعداده لبـدء
الاضراب عن الطعـام

- ١ -

١٩٥٠/٣/١

مزهر ، ياولدي ،

كتبت لك رسالة ، وجهزت المغلف ، وذهبت أودعها المدير الذي سلمني رسالتك . بالطبع ، كان علي أن أعيد كتابة رسالتي . لنتحدث بداية عن عرفان أمين(١٢٩) ومحمد علي سبوق(١٣٠) . عرفان أمين تحدث في أنقره مع وزير العدل الذي طلب منه ، مرة أخرى ، اضبارتي مع كافة الوثائق الضرورية ، فوافاه بها . يبدو أن الوزير قد وكد بانه سيعمل على دراسة القضية . كذلك تسلمت رسالة من محمد علي سبوك الذي راجع البارحة المجلس الوطني ورئاسة الجمهورية . ويبدو أن العريضة التي قدمها الى رئاسة الجمهورية قد احيلت الى لجنة العرائض ، وأن سبوك ، من جهة أخرى ، قد قدم ايضا طعنا بالنقض . باختصار ، عدد من « يبدو » بقدر ما تريد . شخصيا ، أنا لا أتوقع ، من كل هذه المراجعات ، نتيجة ايجابية . اريد أن أقول بأنني لا أرى واحدا بالمائة من الحظ في أن أستعيد حريتي قريبا ، أو حتى بعد عدة سنوات . اتمنى ان أكون مخطئا بالطبع . لكن ، حتى الآن ، كانت توقعاتي دائما مصيبة .

---

(١٢٩) عرفان امين كان المدة الطويلة الصديق الوفي الناظم حكمت ومحاميه .

(١٣٠) المحامي الثاني لناظم حكمت خلال الاشهر الاخيرة من سجنه .

مزهر ، يا ولدي ،

اليوم هو السبت ، الثامن عشر من آذار عام العفو ١٩٥٠ . إذاً ، الاثنين القادم ، أو الثلاثاء ، أو الاربعاء على الأكثر ، في كل حال ، ما يجب أن يحصل سيحصل ، وسيتقرر مصيري ، أبيض على أسود . أنا لست متشائما كثيرا ، ولا متفائلا كثيرا ، في ما يتعلق بلون هذا المصير . لكن ، لنفرض انه قد أخلي سبيلي ، ولنتصرف على هذا الأساس . أصغي إلي جيدا : كل ليلة ، الساعة ٢٢ ، ان ذكر هذا أم لا في برامج الاذاعة المنشورة في الصحف ، كل ليلة يصنعها الاله الطيب ، الساعة العاشرة تماما ، تبث اذاعة انقرة برنامجا يسمى ساعة المجلس الوطني ، تقدم فيه تفاصيل المناقشات التي جرت في المجلس ، ذلك اليوم ، والقوانين التي اقرت . ما أن تصلك هذه الرسالة ، تكرمي بفتح اذاعة أنقره ، مساء الساعة العاشرة تماما ، واستمعي الى هذا البرنامج . هكذا ، تستطيعين أن تطلعي على اقرار القانون بعد أربع ساعات من حصوله . وفور علمك به ، في الغد ، وبأسرع الوسائل ، أعني أسرع وسائل الانتقال التي تمكنك من المجيء الى هنا ـ مما يتوقف على يوم وساعات ابحار السفن في ذلك اليوم ـ تحضرين الى بروصه ، عن طريق يالوقا أو مدانيا ، وتشرفيننا بالتقدم الى سجننا . ستكون المعاملات المطلوبة قد انجزت قبل وصولك ، أو أنها ستستغرق اربعا وعشرين ساعة أخرى . في هذه الحال ، تقضين الليل في بروصه ، وفي الغد نغادر جميعا الى استنبولي العزيزة . اذا كان بالامكان انجاز المعاملات غداة التصويت على القانون ، فسوف يكون بامكاننا الإنطلاق في المساء نفسه . هو ذاك يا ولدي العزيزين ... أقبلكما بشوق .. بدأت أشعر بقليل من الاحترام لعثمان عمرلي ، بطل روايتك ، ومع ذلك يستحيل علي أن أغفر لهذا الحمار .

ملاحظة : أنت تصرحين لي في رسالتك الأخيرة بأنكم « ستعالجون روحي » . مما أضحكني كثيرا . فليباركم الله : من السهل معالجة الروح ، على الرغم من كونها غير ملموسة وغير مرئية . لكن المسألة هي

في معالجة الحكة والاحمرار والطفح الذي في وجهي . اذا وجدتم لي طبيبا يتوصل الى معالجتها فسأباركم الى آخر ايامي . أنتم تعرفون جيدا أن ما لا يمكن الاستغناء عنه هو أن يعجب وجهي أحدا ما . سأنزعج جدا اذا ما محبوبتي لم تعد تجرؤ على النظر الي وتقول لنفسها : « يالها من سمنة : » في ما يتعلق بشعري ، لا خوف ثمة ، انه مطعج اكثر من السابق ، وعدد الشعرات الرمادية تزايد قليلا ، مما يشوه لونه قليلا ، لكن « أجمل فتاة في العالم لا تستطيع أن تعطي الا ما عندها » ...

سأبعث لكم ببرقية ، في كل الأحوال ، أما أنتم فابدؤوا العمل ، ما أن تعلموا باقرار قانون العفو ، اذا كان ينطبق على حالتي .

- ٣ -

٥ نيسان ١٩٥٠

والا ، يا أخي ،

تسلمت رسالتك وها أنا أجيب عليها فورا . كنت قد قرات في صحف اليوم ، قبل تسلم رسالتك ، العريضة المقدمة من بعض مثقفي استنبول وأنقرة الى رئاسة الجمهورية . ان الشجاعة التي يظهرها بعض مثقفي بلدي قد أسعدتني ، لا لأن هذه المسألة تخصني شخصيا ، بل لأن الأمر يتعلق باصلاح ظلم . لم أفاجأ بأن هلالي وشوكت رادو وحتى عميد كلية الحقوق لم يرغبوا في توقيع هذه العريضة . لكن كون يحيى كمال قد رفض التوقيع قد آلمني . لا تسيء الفهم خاصة ، فقد تذكرت الرسالة التي كتبتها في الماضي الى هذا الرجل المسكين ، وشعرت بالآسى الممزوج بالأسف ، لا يهم . أنا سعيد جدا لأن منور وعائشة تدوران بالعريضة على الناس . انظر الى منور هذه . تسلمت اليوم رسالة منها ، وهي لا تذكر شيئا عن هذا الموضوع . برافو : ان ما تقوله لي عنها : « أنها تظهر تعلقها بك في كل حركة ، وفي كل كلمة من كلماتها ... » أسعدني بشكل خاص . باختصار ، هذه الأيام الأخيرة ، بدات أصبح سعيدا ومسرورا . اذا لم أمت ، واذا التقيت بكم في النهاية ، فسوف

نعرف كيف نستثمر الحياة جيدا . أشعر بالتعاسة الشديدة عندما أفكر في الهموم والقلق الذي ينتاب والدتي وسامية . اذا كان ثمة شخصان في الدنيا لم يعرفا الابتسامة مطلقا بسببي ، فهما هما . انا لم أكن مفيدا لهما في يوم من الأيام ، وهما اللتان كانتا تسرعان الى نجدتي في أسوأ أيامي ، وفي كل الصعاب التي واجهتها . انا لا أستطيع حتى الكتابة اليهما ، انا عاجز عن تعزيتهما ، لقد أعطتاني دائما كل شيء ، وأنا لم أعطهما شيئا ابدا . والدتي العزيزة . عزيزتي سموش . أعلمني محمد علي سبوق ، في رسالته ، أنكم كنتم تنوون المجيء لزيارتي . سبوق موجود حاليا في أنقرة . أنا لا أستطيع أن استشف نتيجة كل هذا ، كل هذه المراجعات ، لكنني ، كما أنت ، لم أفقد كل **أمل ، فالحس السليم ، والوجدان الوطني سينتهيان بنصرة العدالة . اعني بأنني سأبدأ ، في الثامن من** هذا الشهر ، الاضراب عن الطعام ، بأمل ، وليس بسبب اليأس مطلقا . وحتى لو فقدت حياتي فيه ، فسأكون قد عشت مفعما بالأمل ، حتى آخر أنفاسي . انتظر الروايات البوليسية بفارغ الصبر . لي رجاء عندكما ، مزهر وأنت : عزيا والدتي وسامية عندما تهتفان اليكما . لا بد أن منور تشعر بالوحدة كثيرا . اسنداها . شجعاها . ادعواهـا لعندكما ، خصوصاً هذه الأيام ، لكي تسلو قليلا . كونا ، أنتما أيضا ، مفعمين بالأمل ، بالرغم من كل شيء ، خصوصاً أنت يا والا ، لا تدع أعصابك تثور ، لا تهتم كثيرا ، وقل لنفسك أنني أنا ممتلىء أملا ، وأعوم في فرح المطالبة بما هو عادل ، واملك الحظ في أن أقول لنفسي بأن العدل سيتحقق ، على كل حال ، حتى لو مت ، نعم ، أملك الحظ في الايمان به ، في الوثوق منه . تذكر جيدا : انا لا أنتحر ، انا لا أقوم بابتزاز ما ، لا أعاند ، بل ، ببساطة ، لأنه لم يبق لي حل آخر غير المراهنة على حياتي ، لكي تنفتح الطرق القانونية في النهاية ، لكي يصحح هذا الخطأ القضائي الذي ما يزال يدوم منذ ثلاثة عشر عاما ... الى اللقاء ، يا صديقي العزيزين ، أعانقكما بشوق ، وأكرر ، مرة أخرى ، أنه بالرغم من كل شيء ، أنا واثق وأكيد باننا سنلتقي قريبا ، لأنني أضع ثقتي في ضمير شعبي .

تحية يا أولادي ،

كيف حالكم ؟ انا حالي جيدة جدا ، والحكة التي كانت في وجهي قد زالت . وقد أتى السيد سبوق لزيارتي ، فناقشنا الوضع ، وقررت أن أبدا في ٨ نيسان ، الاضراب عن الطعام ، للمساعدة في انتصار العدالة والحق ، ولارغام السلطات المختصة على الالتزام بالقانون . وقد كتبت في هذا الشأن ، الى وصيي القانوني عرفان امين . اذهبوا لزيارته ، انتم ، وساعدوه على الاتصال بالسيد سبوق . لاتقلقوا علي ، فانتم شهود علي برودة الاعصاب التي واجهت بها فشل قانون العفو . انتم تعرفون جيدا بأنني لم أكن استطيع ، ولا أدري لماذا ، التصديق بأنه سيقر في المجلس . الآن ، على العكس ، أنا مفعم بالأمل ، وعلى قناعة بأن السبل القانونية ستنفتح اخيرا ، وان حقوقي ستعاد الي . ثمة طبعا امكانية أن أموت ، ونحن لا نملك شيئا تجاهها ، وبدل ان استمر في تحمل العذاب لكوني أصبحت رمزاً للظلم ، من الافضل كثيرا أن أموت في سبيل انتصار العدالة. ارسلوا لي فورا روايات بوليسية . عندما أكون مستلقيا وجائعا ، ستكون التسلية التي تجلبها لي هذه الكتب ، مخففة للعذاب الجسدي . أكرر لكم مرة أخرى : لاتقلقوا كثيرا ، أمر واحد من اثنين ، اما ان استعيد حريتي وحقوقي قريبا جدا ، واما أن أترك للعذاب المفروض علي ، والذي قد يدوم سنوات أخرى . اذا استعدت حريتي ، فحسنا جدا ، تكون العدالة قد أخذت مجراها . واذا مت ، ليس ثمة مشكلة ، أتوقف عن العذاب . باختصار ، وضعيتي مضمونة من كل الوجوه يامزهر ، هل رأيت منوّر ؟ قولي لها أن تكتب الي . عزّيها ، ينبغي الا تقلق كثيرا ، وتنسج حولها الهموم ، من يدري ، قد ألتقيها قريبا جدا . أعانقكما انتما الاثنتين ، وانتظر رسالتك .

٨/٥/٩٥٠ ـ سجن بروصه

يا أخي العزيز ، يا أختي ذات القلب الطيب كثيرا ،

تسلمت رسالتكما ، وها أنا أجيب عليها بسرعة . ستكون رسالتي قصيرة ، لانني بالرغم من شعوري بالحاجة الى التكلم طويلا ، ليست لدي الشجاعة للكتابة مطولا ، حتى اليكما . انا متفائل بنسبة خمسين بالمائة . اكرر لنفسي انه ، في اللحظة الاخيرة ، قد يسوء كل شيء ، ولهذا فأنا لست عصبيا مطلقا ، سوى انه ، بالطبع ، تستحيل علي كتابة رسالة ، حتى اليكما . حتى انني استطيع أن اوكد لكما بأنني لم اكن مطلقا على هذه البرودة في الاعصاب ، في حياتي ، وأنا اشعر بحزن غريب ، خفيف . باختصار ، أنا أحسب بأن حظي لكي ينتهي عـذابي قريبـا ـ ولانني لا أريد أن اكون متشائما كثيرا ـ هو بنسبة خمسين بالمائة . واستنادا الى هذه الخمسين بالمائة ، أرجو ، فور تسلمكما هذه الرسالة ، ان تبعثا الي بالثلاثين ليرة التي كانت تنوي مزهر ارسالها الي . مـن جهة أخرى ، من غير المفيد ان تحضرا لمرافقتي ، سأبرق لكما ، أو أحضر لقرع جرس الباب ، دون اخطاركما بوصولي ، واطلب اليكمـا استضافتي لبعض الوقت . والا ، لاتقلق كثيرا ، كن واثقاً بأنني استطيع الحضور الى استنبول ، دون ضجيج ، ودون مشاكل ، ودون أن اجذب الي الانظار المعادية . مزهر يا ولدي ، يا ابنتي ، لا تحزني ، انت أيضا ، بل قولي لنفسك بأنني لا أشكو من شيء ، بالرغم من كل ما تعذبت بسببها بالرغم من كل شيء ، في حين كنت الشاهد الاقرب على هذه الآلام ، في حين كنت أشكو اليك ، باكيا كطفل صغير لا حول له ، قولي لنفسك بأنني لو مت دون أن اعرف هذا العذاب ، لكنت وليت دون ان أفهم وجها مهما جدا من وجوه الحياة . في هذا الميدان ، حمدا لله ، أنا أشبه مولانا .

يكفـي الكـلام علـى كـل هـذا ، مايجب أن يحصل سيحصل ، اعانقكما بشوق .

بـرقيـــة

اسكودار

لا تتحركا ، انتظرا برقيتي .

الفهـرس

ـ الاهـــــداء	٥
ـ مقدمـة المترجـم	٧
ـ مقدمـة الطبعـة الفرنسـية	١٣
١ ـ تشـينقيري	
كانون الأول ١٩٤٠ ـ ايـار ١٩٤١	٢١
٢ ـ مالاطيـا	
أيـار ١٩٤١ ـ ١٩٤٤	٩٩
٣ ـ تشـوروم	
١٩٤٤ ـ تشرين الأول ١٩٤٩	٣٤٥
٤ ـ نيفشـيهير	
تشرين الثاني ١٩٤٩ ـ نيسـان ١٩٥٠	٤٩٣
ـ مقتطفات من رسائل ناظم حكمت الى صديقيه	٥٠٥

٢٠٠٠ ط ١ /٢/ ١٩٩٥

طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٥

سعر النسخة داخل القطر

٣٠٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٦٠٠ ل.س

Bibliotheca Alexandrina
0595663